وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

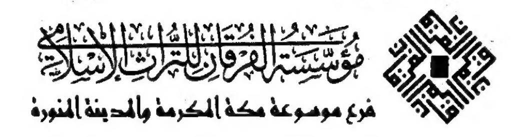
نور الدين علي بن عبد الله السمهودي

المتوفى سنة ٩١١هـ

تحقيق وتقديم

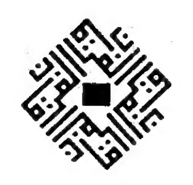
الدكتور قاسم السامرائي

الجزء الثاني



الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م



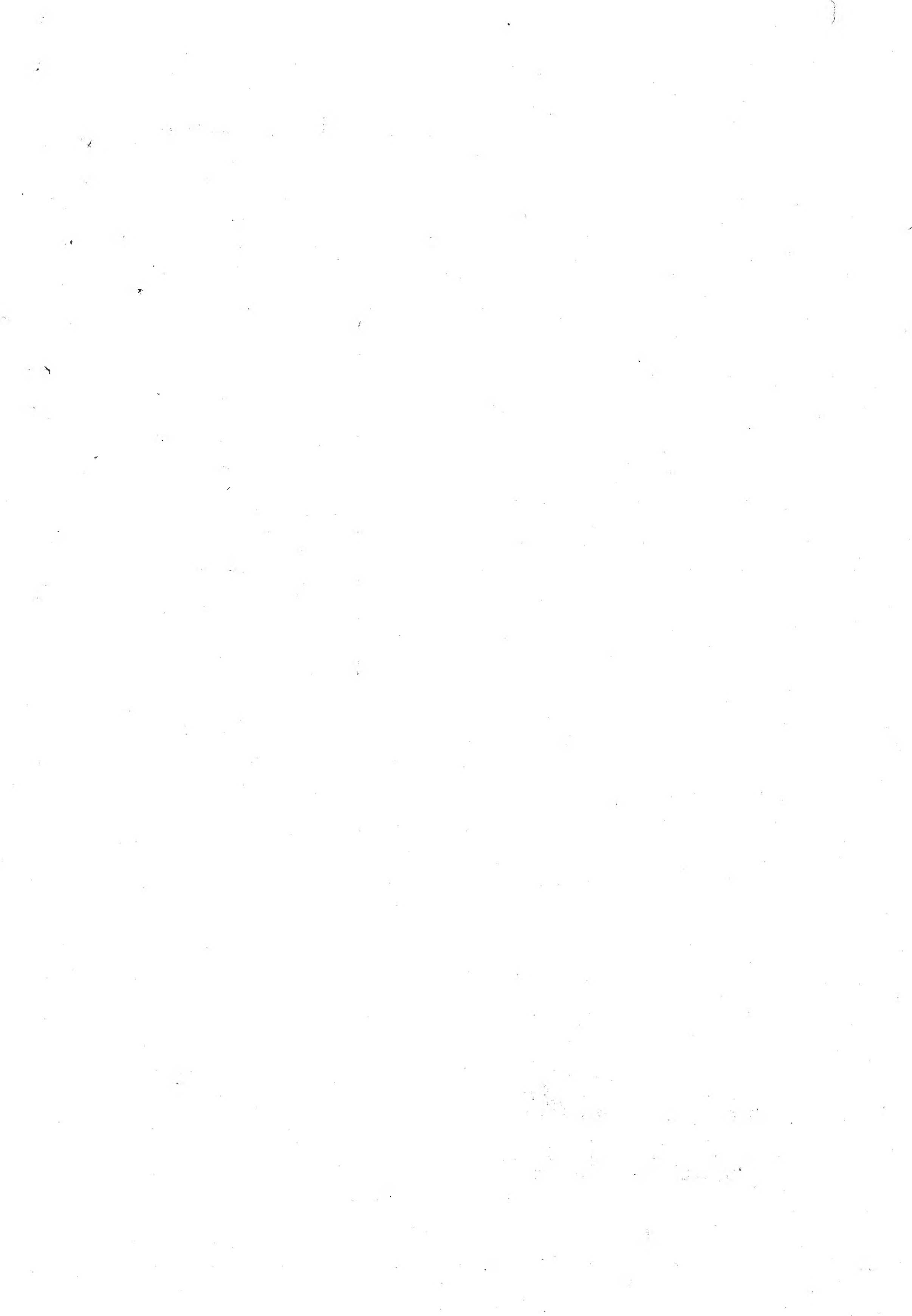
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

وَفَاءُ الوَفَا

بأخبار دار المُصطفى

٢



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

السمهودي مؤرخ المدينة الشريفة

هو الإمام الجليل الفقيه الأصولي المؤرخ الناقد المتفنن «نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي»[1] الشافعي، كما جاء في صفحة عنوان مخطوطة راغب باشا (ر) أو علي بن أحمد السمهودي كما جاء في مخطوطة المدينة الشريفة الثانية (م٢) وفي **تحفة المحبين**[2] و**كشف الظنون**[3]، أما في بقية النسخ المعتمدة في التحقيق فلا يظهر اسمه في صفحة العنوان أو يظهر لقبه "السمهودي" فقط، إلا أنَّ اسمه كما يظهر في آخر النسخ المعتمدة هو: "علي بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن السمهودي".

ولم يسعفنا أحد أحفاد أخيه «عبد الله بن أحمد الشهابي بن حسن بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن أخي المصنف»[4] الذي كان يمتلك نسخة ميونخ (خ)، في التأكد من ذلك، فإنه في تعليقاته وشروحه الكثيرة في حواشيها يقف دائماً عند عبد

---

(١) ترجم له السخاوي في **الضوء اللامع** ٥/ ٢٤٥ وفي **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢٨٠ وابن العماد في **شذرات الذهب** ٨/ ٥٠ والشوكاني في **البدر الطالع** ١/ ٤٧٠ وبروكلمان ٢/ ١٧٣ وملحقه ٢/ ٢٢٣ والعيدروسي في **النور السافر** ٥٨ وكحالة في **معجم المؤلفين** ٧/ ١٢٩ وخير الدين الزركلي في **الأعلام** ٥/ ١٢٢ ط٢ وعبد الرحمن الأنصاري في **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب** ٢٧١ وحمد الجاسر في مقدمته لكتاب **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ٢٦ ـ ٤٥.

(٢) **تحفة المحبين** لعبد الرحمن الأنصاري ٢٧١.

(٣) **كشف الظنون** لحاجي خليفة، استانبول ١٣٦٠ ـ ١٣٦٢هـ، ١/ ٢٠١٦.

(٤) يظهر اسمه مراراً وتكراراً في حواشي نسخة ميونخ (خ) بهذه الصورة بعد تعليقاته وشروحه ونقوله.

الرحمن جده الأعلى[١] ولا يتعداه، وهو أحد إخوة السمهودي الثلاثة الذين ورثوه بالمدينة الشريفة وذلك لأنه لم يعقب.

وقد ساق السخاوي نسبه كما يأتي: علي بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن علي بن عيسى بن محمد بن عيسى بن أبي عبد الله محمد بن الروح عيسى بن جلال الدين بن العلاء بن أبي الفضل جعفر بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن إسحق بن محمد[٢] بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن الأكبر بن علي بن أبي طالب، النور أبو الحسن ابن الجمال الحسني السمهودي القاهري الشافعي، نزيل الحرمين وعالم طيبة[٣].

أما مؤلف رسالة **الفيض الشهودي في بعض مناقب السيد السمهودي** المجهول[٤] الذي اعتمد في تصنيفها على **التحفة اللطيفة** للسخاوي و**النور السافر في أخبار القرن العاشر** للعيدروسي المتوفى سنة ١٠٣٨هـ، فإنه، على ما يظهر، قد نقل هذا النسب من **التحفة اللطيفة**، فزاد فيه وكرَّر[٥].

ومع ما في **التحفة اللطيفة** المنشورة بطبعاتها من أخطاء عجيبة وأوهام غريبة وسقطٍ كثير، فإنَّ ما أورده السخاوي فيها، يبدو في الأقل أقرب إلى الصحة مما أورده مؤلف **الفيض الشهودي**، يؤيده ما ذكره السمهودي نفسه في كتاب **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** إذ ذكر اسمه: «علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي»[٦] ولهذا فإنَّ السخاوي، على ما يظهر، أخذه من السمهودي نفسه حين كان يتردد على المدينة الشريفة للمجاورة أو حين لقيه في مكة المكرمة ما بين سنة ٨٧٠ ـ ٨٧٢ هـ حين ترك السمهودي القاهرة قاصداً مكة للحج مع والدته في

---

(١) انظر: **تحفة المحبين** ٢٧٢ ـ ٢٧٥.

(٢) قال ابن حزم في **جمهرة نسب قريش** ٤٣: "وأما عقب محمد بن سليمان بن داود القائم بالمدينة فعظيم جداً يتجاوز المئتين".

(٣) **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢٨٠.

(٤) الظاهر أن مؤلفها أحد أحفاد اخوته فإنه يقول: "خصوصا من اجتمعنا بنسبه السيد السمهودي".

(٥) منها نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، ضمن مجموعة برقم: ١٥٨٦(٧).

(٦) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ٩٥ وفيه: «الحسيني» وهو خطأ طباعي.

سنة ٨٧٠ هـ فلم يدرك الحج فآثر المجاورة بمكة سنتين، أو لعل السخاوي أخذه من نص إجازة نجم الدين عمر بن فهد المكي التي ذكرها صاحب **الفيض الشهودي** نقلاً من **التحفة**[١]، بل يظهر أنه في الأغلب أخذه من السمهودي حين شرع في تبييض **التحفة** بالمدينة الشريفة لوصفه إياه بـ: «عالم طيبة»[٢]، ولأنه استمدَّ: «في الكثير خاصة من أبي عذرته ... صاحبنا وحبيبنا السيد العلامة نور الدين الحسني السمهودي»[٣]، فاسهب في مدحه ومديح كتابه وأنه «أوّل من نوّه بمصنفه»[٤].

وأورده ابن العماد نقلاً من **التحفة اللطيفة** على الأغلب أيضاً كما يأتي: «نور الدين أبو الحسن علي بن القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن علي بن عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جلال الدين أبي العليا بن أبي الفضل جعفر بن علي بن أبي الطاهر بن الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن حسن بن إسحاق بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن الأكبر بن علي بن أبي طالب»[٥].

ولد مؤرخ المدينة الشريفة نور الدين علي في سمهود من قرى الصعيد من مصر في صفر سنة ٨٤٤ هـ، في عائلة علم وفقه وقضاء فقد كان أبوه وأخوه عبد الرحمن من العلماء الفقهاء في سمهود، وكان جده أبو العباس أحمد أقضى القضاة فيها وينوب في القضاء في قوص، كما روي ذلك السمهودي نفسه[٦]، وكان أبوه ينوب في القضاء عن جلال الدين البلقيني الشافعي، فنشأ في سمهود في وسط هذا الجو العلمي، فحفظ القرآن العزيز وقرأ على والده كتاب **منهاج الطالبين** في الفقه الشافعي للنووي مع شرحه للجلال المحلي وشرح **البهجة الوردية** (النهجة

---

(١) لا يوجد نص الإجازة في التحفة المنشورة ولا في ترجمة السمهودي في الضوء اللامع. .

(٢) **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢٨٠.

(٣) **التحفة اللطيفة** ٢/ ٦.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٦.

(٥) **شذرات الذهب** ٨/ ٥٠.

(٦) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١١٨.

المرضية) لولي الدين عبد الرحيم العراقي[1] وجمع **الجوامع** للسبكي وغيرها مما ذكره السخاوي في **التحفة والضوء اللامع**[2] نقلاً عن السمهودي نفسه، وقدم القاهرة مع والده في سنة ٨٥٨ هـ لتعريفه بعلمائها وذوي العلم فيها، وعلى هذا يكون عمره إذ ذاك أربعة عشر عاماً، فلازم أولاً الشيخ شمس الدين محمد بن عبد المنعم الجوجري، الفقيه النحوي (المتوفى سنة ٨٨٩ هـ)[3]، فقرأ عليه في الفقه وأصوله والعربية وغيرها، بل كان يتردد في أثناء ذلك أيضاً على غيره من علماء القاهرة للأخذ منهم وعنهم مع سماع دروس من **روضة الطالبين** للنووي على جلال الدين المحلي بالمدرسة المؤيدية حيث كان السمهودي يسكن في خلوة خلفها[4]، وحضر دروساً عند القاضي علم الدين صالح بن عمر البلقيني[5] (المتوفى سنة ٨٦٨ هـ)[6]، إلا أنه أكثر من ملازمة قاضي القضاة الشافعي شرف الدين يحيى بن محمد المناوي[7] (المتوفى سنة ٨٧١هـ) الذي قال فيه السخاوي: «واشتهر بإجادة الفقه وصار له سجيَّةً فعكف الناس عليه للقراءة»[8]، لأنه كان «حريصاً على تربية المنتمين إليه والتنويه بذكرهم»[9].

وقال فيه أيضاً: «وبالجملة لم يَرْتَشِ في القضاء قط»[10]، وهذه شهادة لم يُسبغها السخاوي على أحدٍ من قضاة عصره الذين كان بعضهم يتكالب على

---

(١) **البهجة الوردية** لعمر بن مظفر المعروف بابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ، بروكلمان ١/ ٣٩٤ وملحقه ١/ ٦٧٦؛ ٢/ ١٤٠ وملحقه ٢/ ١٧٤ ولها شروح عديدة.

(٢) **الضوء اللامع** ٥/ ٢٤٥.

(٣) **الضوء اللامع** للسخاوي ٨/ ١٢٣ وبروكلمان ٢/ ٩٧ و**معجم المؤلفين** ١٠/ ٢٦٠ مع مصادر ترجمته.

(٤) **جواهر العقدين** للسمهودي، مخطوطة لايدن، ورقة ٢٣ب.

(٥) **الضوء اللامع** ٥/ ٢٤٦.

(٦) المصدر نفسه ٣/ ٣١٣ وبروكلمان ٢/ ٩٦ وملحقه ٢/ ١١٤ و**معجم المؤلفين** ٥/ ٩ مع مصادر ترجمته.

(٧) بروكلمان ٢/ ٨٤ و**معجم المؤلفين** ١٣/ ٢٢٧ مع مصادر ترجمته، وانظر: **الذيل على رفع الإصر** للسخاوي ٤٤٠ مع مصادر ترجمته.

(٨) **الذيل على رفع الإصر** ٤٤٥.

(٩) المصدر نفسه ٤٥٩.

(١٠) المصدر نفسه ٤٥٨.

المنصب فيشتري وظيفة القضاء باموال جمَّة يدفعها للسلطان أو لحواشيه[1]، فيستوفيها من الناس.

فلعل ما رآه السمهودي في يفاعته في القاهرة من هذا التكالب على المناصب ومشاركة ذوي الجاه والسلاطين في كلِّ هذا[2]، قد زَهَّده في المناصب التي عرضها عليه شيخه المناوي حين «قرره معيداً في الحديث بجامع ابن طولون وفي الفقه بالمدرسة الصالحية وفي غيرها من الوظائف والمرتبات وأسكنه قاعة القضاء بها، وعرض عليه النيابة فأبى، ثم فوّض إليه عند رجوعه مرَّةً إلى سمهود القضاء فيها مع النظر في أمر النواب بالصعيد وصرف غير المتأهل منهم، فما عمل بجميعه»[3]، وهو في كلِّ هذا تتبع خطى أبيه فقلده في العزوف عن المناصب، فقد روى السخاوي في ترجمة أبيه أنه «ناب في قضاء بلده عن الجلال البلقيني فمن بعده ولم يتعد لغيرها من الأعمال»، ولما أراد شيخه الميدومي استنجاز مرسوم السلطان له رفض «فصار يقضي العجب من شاب يزهد في المنصب وكون غيره من الشيوخ يبذل الأموال فيه»، فكان يقضي ويدرِّس ويفتي في سمهود، فلما كانت سنة ثمان وخمسين [وثمان مئة] عزل نفسه عن النيابة أيضاً[4].

وذكر السمهودي من شيوخه الشيخ محمد بن أحمد الفرغل الذي روى له بعض الحكايات التي تتعلق بشيخهما المناوي[5].

أما علاقة السخاوي بالسمهودي فقد أشار إليها فقال: «وقد صحبته من سنة بضع وستين [وثمان مئة]، ثم كثرت خلطتي به في سنة إحدى وسبعين [وثمان مئة] بمكة، وكتب بخطه مصنفي **الابتهاج** وسمعه منِّي، وكذا سمع منِّي غيره من تصانيفي . . . وفارقته بمكة بعد أنْ حججنا، ثم توجه منها إلى طيبة فقطنها من

---

(١) **الذيل على رفع الإصر** للسخاوي ١٦٧ في ترجمة البلقيني: "ثم أعيد ببذل مال كثير لم يعهد له بذل نظيره"، ١٩٧.

(٢) انظر ترجمة القاضي صلاح الدين المكيني مثلاً في **الذيل على رفع الإصر** للسخاوي ٩٤ ـ ١٠٤.

(٣) **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢٨١.

(٤) **الضوء اللامع** ٦/ ٥، وتوفي سنة ٨٦٦هـ.

(٥) **جواهر العقدين** ورقة ٢٥ب.

سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة»[1]، أي: أن السمهودي سكن المدينة الشريفة وعمره إذ ذاك تسع وعشرون سنة مع والدته التي أرسلها في سنة ٨٧٤ هـ إلى سمهود لرعاية إخوته، بيد أنها عادت في سنة ٨٧٥ هـ إلى المدينة الشريفة وأدت شعائر الحج مع ولدها[2]، ولم يرها بعد ذلك إلا قبل عشرة أيام من وفاتها في سمهود سنة ٨٨٦ هـ، ثم رجع إلى القاهرة «صحبة الحاج فألهم الله تعالى سلطاننا الأشرف قايتباي فدفع إليَّ عند سفري مبلغاً فعدت به إلى المدينة النبوية آخر سنة سبع وثمانين وثمان مئة»[3]، إلا أنه زار بيت المقدس وعاد إلى القاهرة قبل عودته للمدينة[4] حين كان العمل في إعمار المسجد النبوي جارياً بعد الحريق الثاني، فكانت مدة غيابه عن أهله ست عشرة سنة، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة.

وذكر السخاوي أيضاً أن السمهودي أخذ عن علماء الحرم المكي أمثال «كمالية ابنة محمد بن أبي بكر المرجاني[5] وشقيقها كمال الدين أبي الفضل محمد بن محمد المرجاني»، فلعله أخذ عنهما مؤلَّفَ والدهما: **مساعد الطلاب في الكشف عن قواعد الإعراب** أو شرحَه على كتاب **التنبيه** لأبي إسحاق الشيرازي البغدادي الشافعي.

وأخذ أيضاً عن «زينب الشوبكية[6] ونجم الدين عمر بن فهد» المكي صاحب **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** (المتوفى سنة ٨٨٥ هـ)، فأجازه بإجازة ورد فيها: «سألني من لا أستطيع رده ولا يمكنني صده لحقوق واجبة منه عليَّ وإحسانٍ قد

---

(١) **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢٨٣، أما قول الأنصاري في **تحفة المحبين** ٢٧١ أنه قدم المدينة سنة ٨٨٠ وإن اسمه علي بن أحمد بن عبد الله فليس بشيء.

(٢) **التحفة اللطيفة** ٢/ ١٠١.

(٣) **جواهر العقدين** مخطوطة لايدن، ورقة ٢٥أ.

(٤) **الضوء اللامع** ٥/ ٢٤٧.

(٥) توفي سنة ٨٢٨هـ، انظر عنه: **طبقات الشافعية** لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٢٥ مع مصادر ترجمته و**بغية الوعاة** للسيوطي ٢٤ و**إيضاح المكنون** ٢/ ٧٩ و**هدية العارفين** ٢/ ١٩٨.

(٦) هي زينب بنت أحمد بن محمد، أم حبيبة ابنة الشهاب الشوبكي المكي، توفيت بمكة سنة ٨٨٦هـ، **الضوء اللامع** ١٢/ ٣٩ ـ ٤٠، وسماها الغزي: «المسندة» في **الكواكب السائرة** ١/ ٢٢٥ ولها ذكر في من روى عن زين الدين العراقي في **التحفة اللطيفة** ٢/ ١٦٧.

أسداه إليَّ فكيف وقد حوى من العلوم والفضائل ما لم يحوها غيره من العلماء الأمائل وقـد جمع بالحرم النبوي بين الفتوى والتدريس على مذهب الشافعي محمد بن إدريس[١]، إذ يظهر منها أنَّ السمهودي استجاز ابن فهد أثناء تردده على مكة المكرمة لأداء العمرة أو الحج بعد أنْ رسخت منزلته العلمية في المدينة الشريفة، بيد أنَّ أهم شيوخه كانوا من القاهريين أو من المدنيين لأنه لم يخرج من مصر والحجاز إلاَّ مرة واحدة ذهب فيها لزيارة بيت المقدس في أثناء سنة ٨٨٧ هـ.

فقد قرأ على الشيخ شمس الدين محمد بن مرهم الدين الشرواني[٢] (المتوفى سنة ٨٧٠ هـ) **شرح العقائد النسفية** للتفتازاني وغير ذلك بالقاهرة وبمكة، ولعل هذا الشيخ قد حبَّبَ إليه سكنى المدينة فإنه أثناء رجوعه من الحج وزيارة النبي ﷺ "كَلَّمَ أحدَ خدَّام المسجد النبوي في «خلوة وأعلمه بحالي، فأرسل إليَّ شيخُهم بعد انفصال الموسم بمفتاح خلوة، داخل مؤخَّر المسجد، بجانب المنارة الغربية الشمالية ولا سقفَ لها" »[٣].

وفي القاهرة قرأ جملة من مصنفات الشافعيين على نجم الدين محمد بن عبد الله الدمشقي المعروف: بابن قاضي عجلون[٤] (المتوفى سنة ٨٧٦ هـ) وشمس الدين محمد بن أحمد البامي[٥](المتوفى سنة ٨٨٥ هـ) ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن إمام الكاملية[٦] (المتوفى سنة ٨٧٤هـ) وألبسه خرقة التصوف ولقَّنه الذكر، وقرأ على القاضي المعمر زين الدين زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي[٧] (المتوفى سنة ٩٢٦هـ).

وقرأ أيضاً كتاب **عمدة الأحكام** في سنة ٨٦١ هـ في ما قرأه على سعد الدين

---

(١) الفيض الشهودي صفحة ٦٢٠ ـ ٦٢١.
(٢) الضوء اللامع ١١/ ٢٠٩.
(٣) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٨٢.
(٤) الضوء اللامع ٨/ ٩٦ ونظم العقيان للسيوطي ١٥٠.
(٥) المصدر نفسه ٧/ ٤٨.
(٦) المصدر نفسه ٩/ ٩٣ وبروكلمان ٢/ ٧٧ وملحقه ٢/ ٨٥.
(٧) ذيل رفع الإصر ١٤٠ والكواكب السائرة ١/ ١٩٦ ومعجم المؤلفين ٤/ ١٨٢ مع مصادر ترجمته.

سعد بن محمد ابن الديري الحنفي[1] (المتوفى سنة ٨٦٧ هـ).

وقرأ بمنية ابن الخصيب في سنة ٨٦٥هـ على نجم الدين عبد الرحمن بن عبد الوارث القرشي البكري المالكي[2] شيئاً من **الموطأ** ومن **الشفا** للقاضي عياض.

ولهذا قال السخاوي: «أجاز له جماعة ولم يُكثر من ذلك»[3]، بيد أنَّ ابن العماد رأى أنه: «قرأ على من لا يحصى ما لا يحصى»[4].

وأذنَ له في التدريس والإفتاء وهو ابن ستٍ وعشرين سنة كلٌّ من الديري والبامي والجوجري والأنصاري والشارمساحي[5] (المتوفى سنة ٨٥٥ هـ) بعد امتحانه له في مسائل ومذاكراته معه، وجلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي[6] (المتوفى سنة ٨٦٤ هـ) والمناوي نفسه، إلا أنه آثر السفر سنة ٨٧٠ هـ إلى الحجاز للحج مع والدته تاركاً الزوجة والوظائف[7].

أما في المدينة الشريفة فقد لازم شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر الإبشيطي الشافعي[8] (المتوفى سنة ٨٨٣ هـ) وأذنَ له في التدريس، وأكثر السماع على أبي الفرج ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن الحسين القرشي العثماني المراغي[9] (المتوفى سنة ٨٨٠ هـ)، فقد روى عنه كتاب أبيه **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة** بحق سماعه عن أبيه وكتاب **التعريف** للمطري[10] وكتاب **الإنتصارات الإسلامية** لجمال الدين الأسنوي بحق سماعه عن والده زين

---

(١) **الضوء اللامع** ٣/ ٢٤٩ وبروكلمان ٢/ ١٦٥ **والذيل على رفع الإصر** ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٩٠.

(٣) **الضوء اللامع** ٥/ ٢٤٦.

(٤) **شذرات الذهب** ٨/ ٥١.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٦ وهو أحمد بن علي الشارمساحي الشافعي.

(٦) المصدر نفسه ٧/ ٣٩ **ومعجم المؤلفين** ٨/ ٣١١ مع مصادر ترجمته.

(٧) **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢٨٢.

(٨) المصدر نفسه ١/ ١٠٠ ـ ١٠٢ وفيه: «توفي سنة ثلاث وثمان مئة» بدلا من «ثلاث وثمانين وثمان مئة».

(٩) المصدر نفسه ٢/ ٤٥٨ ـ ٤٦٠.

(١٠) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** (استدراكات وتصحيح حمد الجاسر) ٦١ ـ ٦٢.

الدين المراغي، وسمع منه روايات مختلفة مشافهةً وكتابةً حول المسجد النبوي الشريف وبنائه وقناديله وسرقاتها مما عزاه في **وفاء الوفا** وفي **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** و**الخلاصة** إليه وإلى ولده شمس الدين محمـد الذي تزوج السمهودي اختـه ففارقها بعد مدة، بعد موته[١].

وقرأ بعد سنة ٨٨٠ هـ بقليل على عفيف الدين عبد الله بن ناصر الدين عبد الرحمن بن صالح الكناني (المتوفى سنة ٨٨٤ هـ)[٢] بالأجايز، وألبسه خرقة التصوف بلباسها من الشيخ عمـر العرابي[٣]، فقد قرأ عليه السمهودي أشياء وروى له عن أبيه عن جده عن داود الشاذلي كتاب **البيان والإنتصار في زيارة النبي المختار**[٤]، الذي اقتبس منه في **وفاء الوفا** مراراً.

وفي المدينة الشريفة أيضاً أخذ عن عمر بن أحمد بن محمد السراج النفطي (المتوفى سنة ٨٨٥هـ) بعض الأخبار التي حدثت في المسجد النبوي، فقد اعتمده السيد السمهودي في كثير مما شاهده أو تلقاه عمن يوثق به[٥] فذكر بعض أخبار المنبر النبوي عنه في **وفاء الوفا**.

والظاهر أنَّ السمهودي، حين كان في مكة، اتَّصَل بقاضيها برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن ظهيرة[٦] (المتوفى سنة ٨٩١هـ) ولا بدَّ أنه قرأ عليه أو سمع منه، فقد كتب ابن ظهيرة إلى قاضي المدينة زكي الدين أبي عبد الله محمد بن صالح[٧] يوصيه بتلميذه السمهودي، فقام الزكوي هذا بإصلاح سقف خلوة السمهودي رعايةً لابن ظهيرة في تلميذه بيد أنَّ هذه الرعاية سرعان ما تحولت إلى

---

(١) **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢٨٤ و**الضوء اللامع** ٥/٢٤٦.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٥٢ ـ ٥٣.
(٣) ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٣٥٥ وقال: مات سنة ٨٢٧هـ.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٥٢، ٢٨٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٢.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٨٨ و**بدائع الزهور** ٣/ ٢٣٥.
(٧) قتله بعض الأشراف العياسى سنة ٨٨٢هـ لأخذه دارهم لبناء المدرسة الأشرفية، **التحفة اللطيفة** ١/ ٣١.

منافسة شديدة بينهما ذكر السمهودي بعض حوادثها في مواضع من **وفاء الوفا** دون أن يذكر اسم القاضي الزكوي فيها صراحة إلا أنَّ التلميح فيها أبلغ من التصريح، ففي سنة ٨٧٨هـ، أي: بعد ست سنوات فقط من إقامة السمهودي بالمدينة الشريفة أُبْلِغَ السلطان قايتباي احتياج المسجد الشريف للعمارة فعهد في سنة ٨٨١ هـ إلى ابن الزمن أنْ يتولى ذلك، وهنا يقول السمهودي:

فعقدوا مجلساً وطلبني متولي العمارة (ابن الزمن) للحضور فيه، فترددت لأنه بلغني أنَّ بعض الناس أوغَرَ صدره مني، وقرر عنده أني حريص على أنْ لا تكون هذه العمارة على يده، وكنت أرى منه محبةً وميلاً، ثم تَنَكَّرَ بعض التنكر، وعلمت أنَّ الرجوع عن إصلاح الاسطوانة المذكورة غير ممكن لكسر بعضها وإخراجه، فعلمت فواتَ وقت النظر، فأجبت الرسول بذلك، ولم أحضُر معهم مع علمي بأنَّ بعض أهل المجلس كان مغرىً بمخالفة ما أشير به، وإنْ كان في غاية الوضوح، سامحه الله، ثم سأل متولي العمارة عن كيفية ما يكتب ليطالع به المسامع الشريفة، فقال له القضائي الزكوي، قاضي الشافعية، وأحد الناظرين، سامحه الله: سَرِّح العمالَ غداً للهدم، وكتابة المحضر علينا، وخافَتَ متولى العمارة بالإنكار عليه في إحضاري، وحَثَّه على الإعراض عن كلامي.

ولما كتب القاضي الزكوي المحضر رفض السمهودي التوقيع فيه، وكان عمر السمهودي إذ ذاك سبعاً وثلاثين سنة.

وفي مكان آخر من كتابه هذا يقول السمهودي:

«وبلغني أنَّ بعض الناس ذكر له، ما سبق من كلامي[1]، دليلٌ على ما كان قد ألقاه إليه من حرصي على أن لا تكون هذه العمارة على يده، وأنْ لا يفوز بهذه المنقبة العظيمة التي لم يُسبق إليها، ومن يسمعْ يَخَلْ[2]، ولكني أُشْهِدُ الله ورسوله

(١) رأي السمهودي كان: أنْ يُرمَّم جدار الحجرة الشريفة بدلاً من هدمه وإعادة بنائه، كما سيأتي.

(٢) معناه: من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقعْ في نفسه عليهم المكروه وتتغير نفسه عليهم، وقد ورد المثل في أكثر من مصدر، انظر: **معجم الأمثال العربية** لرياض عبد الحميد مراد ٢/ ٣٨٧.

على أني لم أُرِدْ سوى محض الوفاء بما أوجبه الله علينا من الأدب مع حبيبه ﷺ ومن بذل النصيحة».

فقد رأى القاضي الزكوي ابن صالح في السمهودي منافساً قويَّ الشكيمة شديداً في مناظراته الفقهية، عالماً بخطط المدينة وتاريخ المسجد النبوي، وقد كان هو وأبـوه وجده وأعمامه وإخوانه من قدماء قضاة الشافعية بالمدينة، فاغرى ابنَ الزمن بما أغراه من القول فيه فأماله عن السمهودي. وقد كلفته هذه الجرأة والإعتداد بنفسه وعلمه عناءً شديداً منذ أنْ سكن المدينة الشريفة فهو يروي: «فألقى الشيطان في قلوب بعض أهلها الحسد لي والوقيعة فيَّ، ومن أعظم أسبابه إجابة المستفتين عن المسائل العلمية، وأوغروا صدر المستقر حينئذ في مشيخة الحرم، وكان لا يعرفني، فحسَّنوا له إخراجي من الخلوة وأنْ يوضع زيت المسجد بها»[1]، إلا أنَّ السخاوي صرح بانَّ صلاح الدين ابن صالح أخا القاضي الزكوي هو الذي سعى في إخراج السمهودي من الخلوة[2]، إذ رأى صلاح الدين في السمهودي منافساً له ولأخيه في الإفتاء، والإفتاء عليه أجر معلوم من المستفتين.

لقد سبق لابن الزمن بناء المدرسة الزمنية لنفسه بالمدينة فعهد قايتباي إليه بناء مدرسة له بعد إعمار المسجد النبوي، فاشترى الدور التي في قبلة المسجد المعروفة بدور العشرة ليجعلها مدرسة للسلطان وشرع أيضاً في عمارة سبيل وفرن وطاحون ومطبخ للدشيشة[3] ووكالة ذات حواصل في الدور التي اشتراها قبل ذلك للسلطان من دور العَيَاسَى[4] وما يلي ذلك في جهة القبلة، ولما كان القاضي الزكوي أحد الناظرين في كلِّ هذا فإنه على ما يظهر لم يوفِ الأشراف من بني

---

(١) الفيض الشهودي ص٣٠٤ .

(٢) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٨٢.

(٣) وهي حسو يتخذ من بُرٍّ مرضوض، لغة في الجشيشة، تاج العروس: "دَشَّ " .

(٤) في الأصول: العباسا، وهم العياسا أو العياسى وهم الأشراف بنو عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسيني وهو جد العياسا، كما جاء في التحفة اللطيفة ٢/ ٣٦٦ حيث ورد فيها محرفاً: "وهو جد العباسي"، ومثل ذلك في ترجمة ضيغم بن خشرم ومقتل القاضي الزكوي ١/ ٤٦٤ فقال: "بسبب أخذ دار الأشراف العباسيين"، أي: العياسيين.

عيسى أصحاب الدور التي اشتراها ابن الزمن منهم ما طلبوه من الثمن، أو لعل ابن الزمن والزكوي أجبروهم على بيعها، فترصدوه وقتلوه بباب جبريل في سنة ٨٨٢ هـ(١)، فلما حج قايتباي في سنة ٨٨٤ هـ استفسر من السمهودي عن حادثة قتل القاضي الزكوي ودار العَيَاسَى، فقال: «وسألني عن أمر دار العَيَاسَى التي اشتريت له وكانت سبباً في قتل القضائي الزكوي تغمده الله تعالى برحمته لعدم السياسة في أخذها فأخبرته بحقيقة الحال، فقال: لِمَ لم تكتب إليَّ بهذا فاعتذرت له بعذر قبله، وتبرأ من جميع ما فعلوا فيها، ووعد بما يكون فيه صلاح أمرها، ثم وفَّى بذلك بعد عوده، فزادهم مبلغاً كبيراً رضوا به».

ومن هنا قويت صلته بالملك الأشرف قايتباي الذي حظي من السمهودي بالمديح الكثير في كتابه هذا، إذ لقي منه حظوة وعناية، فكلمه في الإحسان إلى أهل المدينة ورفع المكوس عنهم وتعويض أميرها من الذخيرة فاجيب طلبه، واستطاع بواسطته عمل أشياء كثيرة في المدينة وإزالة ما رأى فيها مفسدةً وبخاصة طابق آل عمر فإنه كلَّمه فيه وكلَّم إمامَه برهان الدين ابن الكركي(٢) فيه أيضاً حين زيارتهما للمدينة الشريفة، وأعاد الكرة أثناء سفره إلى مصر سنة ٨٨٧ هـ، فأنهى للسلطان «أنَّ الطابق لم يُسَد، فبرزت مراسيمه الشريفة على يدي لشيخ الحرم ومتولي العمارة الشمس ابن الزمن بسدِّه بالبناء»، إلا أنَّ ابن الزمن الذي أماله الزكوي قبل قتله عن السمهودي رفض إطاعة أمر السلطان بسد الطابق نكاية بالسمهودي بيد أن السلطان حين علم بذلك «غضب غضباً شديداً وبرز مرسومه بسدِّه والوعيد التام على تأخيره، فسدَّه شيخ الحرم بالبناء في رابع ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وثمان مئة»، فتحققت رغبة السمهودي وتوترت الصلة بينه وبين ابن الزمن، وهنا يقول السخاوي: أن السمهودي «بارزه في أشياء منها المحمود وغيره»، ولم يُفْصِحْ(٣).

---

(١) التحفة اللطيفة ١/ ٣١، ٥٨، ٤٦٤.

(٢) هو إبراهيم بن عبد الرحمن الكركي الأصل الحنفي، توفي سنة ٩٢٢هـ، الضوء اللامع ١/ ٥٩.

(٣) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٨٤.

بيد أنَّ السخاوي أورد طرفاً مما جرى بينه وبين بعض معاصريه من العلماء بشأن التزاحم على وظيفة التدريس، فقد نافس السمهودي ابنَ الخطيب رئيس المؤذنين[1] (المتوفى سنة ٨٨٦ هـ) حين قرره خير بك بن حتيت[2] (المتوفى سنة ٨٨٧ هـ)، مُدرِّساً في مدرسة الشافعية في الدروس التي أحدثها، «فكان بينهما ما يتحاكاه المدنيون، ومن جملته استنابة الزكي ابن صالح له في كائنة ألجأ إليها الأنفس والأهواء[3]، وبموت ابن الخطيب، استقر القاضي صلاح الدين بن صالح، تلميذ السمهودي وأخو القاضي الزكوي، في التدريس عوضه، وهما من منافسي السمهودي[4] الأشداء منذ وصوله للمدينة الشريفة».

الظاهر أنَّ السمهودي كان صريحاً في آرائه شديداً في مناظراته، قوي الجلادة على ذلك، طلق العبارة فيها مغرم بها، مع قوة نفس وتكلف في ما يظهر له[5]، إضافة إلى اعتدادٍ شديدٍ بنسبه وعلمه، فهو ربما إداه البحث إلى مخاشنة مع المبحوث معه[6]، فاكسبه ذلك عداء الكثيرين وحسدهم وبالتالي ضيقهم به ومنه، ومن هنا كان أكثرهم في حنق منه لشدة منازعته لهم وقوة نفسه في الرد عليهم، ففي مناقشته مع الخطيب الوزيري بحضرة شاهين الجمالي حول بَسْط البُسُط في الروضة الشريفة شافهه الخطيب الوزيري مشافهة قبيحة لم يُنكرها عليه شاهين الجمالي حتى قيل: «لو لم يكن يرضيه ما جسر الخطيب عليه»[7]، فصنف السمهودي كتابه **دفع التعرض والإنكار لبسط روضة المختار في الرد عليه**، فقرضه

---

(١) وهو الذي احترق في حريق المسجد النبوي بنزول صاعقة في سنة ٨٨٦هـ وهو يؤذن بالمنارة الرئيسية.

(٢) ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ١/ ٣٢٥؛ ٢/ ٤٣٩ و**الضوء اللامع** ٣/ ٢٠٧ وانظر: **بدائع الزهور** ٣/ ١٩٤ (توفي سنة ٨٨٧هـ).

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٤، ٤٣٩.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٤.

(٦) **الضوء اللامع** ٥/ ٢٤٧ و**النور السافر** للعيدروسي ٦٠.

(٧) **التحفة اللطيفة** ١/ ٤٣٩.

جماعة من علماءالقاهرة[1]، إلاَّ أنَّ معارضي السمهودي أغروا طوغان شيخ الأحمدي بتأليف كتاب في الرد على كتاب السمهودي، فقال السخاوي في ترجمته: هو طوغان شيخ الأحمدي، كان يتفقه ويزاحم الفقهاء مع بلادة وعدم معرفة، وأظهر مؤلفاً أعانه فيه غيره عارض السيد السمهودي في امتهان البسط المكتوب عليها وعدم احترامها»[2]، «ولزم من هذه المنازعات ترك السمهودي الصلاة في الروضة، بل ترك الإقراء في المسجد ونوى الانتقال من المدينة إلى مكة»[3].

والغريب أنَّ موقف ابن الزمن قبل هذا لم يكن أفضل من موقف شاهين الجمالي، فإنَّ السمهودي: «لم يسلم من بسبسته ودندنته سيما مع مشاركة كثيرين له حسداً» كما يقول السخاوي[4]، بيد أن السخاوي لامه على ذلك وخصوصاً في مناقشاته لشيخه ابن حجر[5]، ورأي أن مخاشنة السمهودي في المناظرة قد تنتهي في ذلك لما لا يليق بجلالته ويتجرأ عليه من لم يرتق لوجاهته، ولو أعرض عن هذا كله لكان مجمعاً عليه، وعلى كل حال فهو فريد في مجموعه ولأهل المدينة به جمال، والكمال لله[6]، «وبالجملة فهو إنسان فاضل متفنن متميز في الفقه والأصلين، عمل للمدينة النبوية تاريخاً تعب فيه قرَّضه كاتبه والبرهان ابن ظهيرة وقريء عليه بعضه بمكة[7]، وكنت أول من نوَّه بمصنفه في ذلك وقرضه بما لا يشتبه للسالك، وكيف لا! وهو عالم المدينة حسَّاً ومعنىً، والقائم بالإرشاد للعلوم النقلية والعقلية بالحسنى، بل هو أعلم من علمته الآن من الآل[8]، الجدير بإحياء معاهد جده سيد الخلائق ممن مضى وآل، ولذا جدَّد مكتومها وحدد رسومها وأراح

---

(١) الضوء اللامع ٥/ ٢٤٦.
(٢) المصدر نفسه ٤/ ١٠.
(٣) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٨٤.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٥.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٥ والضوء اللامع ٥/ ٢٤٧.
(٦) الضوء اللامع ٥/ ٢٤٧.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
(٨) في التحفة: "دلال"، وهو تصحيف، وهو يشير إلى نسبه "آل رسول الله" هنا.

من بعده واستراح من لم يجتهد جهده»[1].

ومع كل هذا الحسد له والحنق عليه والغَيرة منه، فانه قلَّ أنْ لا يأخذَ أحدٌ من أهل المدينة عنه، وهم مع هذا يحسدونه، فقد لقي عناية من السلطان قايتباي حيث استقر به، مضافاً لما رتَّبه له في الذخيرة من مرتب بعناية البدري أبي البقاء ابن الجيعان، وفي النظر على المجمع بمدرسته ومئة من الكتب التي وقفها فيه، فإنَّ السلطان وغيره وقفوا كتباً على المدينة الشريفة من أجله، ورسم السلطان بسعاية السمهودي بسد السرداب المواجه للحجرة الشريفة والمتوصل منه لدور العشرة لما كان يحصل فيه من الفساد مع معاكسة ابن الزمن له[2] ومن لَفَّ لفَّه، فانتفع أهل المدينة به.

ولما قدم نور الدين علي المحلي[3] الذي وصفه السمهودي في **وفاء الوفا** بـ: «صاحبنا العلامة الشيخ نور الدين المحلي، على عمارة المدرسة الزينية المزهرية، كان من المعينين له بتدريبه والإحسان إليه لتقريره عنده انه المختار لمشيختها وغير ذاك من أمورها، فما كان أسرع من موت الواقف[4]، فلم يزد على أن صار هو المتكلم في مصارفها[5] مع الصرف له من الصدقات الرومية كالقضاة وذلك مئة دينار، وما أضيف إليه من التدريس مما وقفه ملك الروم[6]، فيكون عمره إذ ذاك تسعاً وأربعين سنة».

لقد كان لعلم السمهودي ونسبه ومن ثمَّ صلته الوثيقة بوجهاء أهل عصره مثل ابن مزهر وولده وبني الجيعان[7] أثرٌ كبيرٌ في أنْ يصبح «شيخ أهل المدينة علماً

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٦.

(٢) **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ **والضوء اللامع** ٥/ ٢٤٧.

(٣) في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢٨٤ «بن قرنيبة».

(٤) هو زين الدين أبو بكر بن مزهر الدمشقي الأنصاري كاتب السر بالديار المصرية، توفي سنة ٨٩٣هـ، **بدائع الزهور** ٣/ ٢٥٥، ترجم له السخاوي ترجمة حافلة في **الذيل على رفع الإصر** ٤٦٩ ـ ٤٨٨.

(٥) توفي زين الدين أبوبكر ابن مزهرسنة ٨٩٣ هـ.

(٦) **الضوء اللامع** ٥/ ٢٤٧.

(٧) أجدهم بهاء الدين أبو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر، قُتِل غيلةً سنة ٩٠٢هـ، **بدائع الزهور** ٣/ ٣٦٣.

ونسباً وعبادة وديناً» كما قال السخاوي، فقد زاد قدره وعظمت منزلته ووجاهته، حتى صار أهل البلد يرجعون إليه، ويعوّلون في أمورهم عليه مع ملازمته لنفعهم والذب عنهم[1]، فكان يقوم بالإشراف على توزيع بعض الهبات والصدقات التي يُرسلها الملك الأشرف قايتباي وغيرُه من الملوك والأمراء، كالأمير داود بن عيسى بن عمر شيخ هوارة، الذي تلقاه السمهودي بالإكرام حين حج فعهد إليه توزيع صدقاته على أهل المدينة[2] بل اشترى كتباً من أجله ووقفها مثل **فتح الباري** وجعل مردَّها إليه[3].

وقويت صلة السمهودي أيضاً بأجود بن زامل الجبري، رئيس أهل نجد ورأسها، سلطان البحرين والقطيف، فإنَّ صلته لم تقف عند حدِّ ثقته به في تولي توزيع صدقاته وهباته على أهل المدينة، بل تجاوزت ذلك إلى أنه رغب إليه هذا السلطان أنْ يختار من علماء المدينة من يتولى وظائف علمية ودينية في الأحساء قاعدة ملكه، فكان أنْ انتقل من المدينة إلى الأحساء جدَّا أُسرتي آل جعفر السادة المعروفين في بلدة الكوت في الهفوف، وآل عبد القادر من الأنصار في مدينة المبرز، وعُرف من هاتين الأسرتين علماء وأدباء إلى عصرنا الحاضر، كما قال حمد الجاسر[4].

ويقول حمد الجاسر أيضاً: «ولعل أبرز عملٍ قام به هذا العالم الذي تلقى العلم عن مشاهير عصره وتتلمذ له طلاب نجباء كثيرون، هو تصديه لتسجيل تاريخ هذه البلدة الطيبة بطريقة لم يسبقه إليها من قبله، وقد لا يلحقه من بعده لكونه شاهد أشياء وسجَّل أموراً، ودوَّن معلومات، ولو لم يقم بذلك لفقد الباحثون في تاريخ المدينة علماً غزيراً»[5]، فقد صرف السمهودي همَّه وحصره في تدوين كلِّ ما يتعلق بالمدينة من تاريخها وإيضاح مواضعها الأثرية، ووصفها وتحديد معالمها،

---

(١) حمد الجاسر، مقدمة كتاب الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ٢٨ والفيض الشهودي ص ٣٠٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٩.

(٣) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٨٥ والضوء اللامع ٥/ ٢٤٧.

(٤) مقدمة الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ٢٩. .

(٥) المصدر نفسه ٢٧.

فأتى من جميع ذلك بما لم يأت به غيره، وجمع منه ما لم يتيسر لأحدٍ جمعه[1]، ولم يبالغ في كلٍّ ذلك، فقد كان السمهودي رحمه الله وإيانا آثارياً خُططيّاً جغرافياً ومؤرخاً ناقداً وآثاريّاً بارعاً في وقت واحد في كتابه هذا، إضافة إلى كونه فقيهاً محدثاً أصولياً مناظراً مُلمَّـا بفنون عصره».

تلامذتــه:

ذكر السخاوي أنه: قلَّ أنْ لا يأخذَ عن السمهودي أحدٌ من أهل المدينة، وذكر أيضاً بعض من أخذ عنه من أهلها، فقال: وجلس في غضون ذلك للإقراء، وأخذ عنه جماعة من الطلبة في الحرمين، ومن أجّل من أخذ عنه من أهل المدينة الشريفة:

من الشافعية:

١) شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله المسكين[2].

٢) زين الدين عبد الرحمن بن أبي الهدى الكازروني[3].

٣) شمس الدين محمد بن زين الدين عبد الرحمن القطّان[4].

ومن الحنفية:

١) شمس الدين محمد بن جلال الدين أحمد بن طاهر الخجندي[5].

ومن المالكية:

١) نجم الدين محمد بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكي[6].

٢) مسعود بن علي بن أحمد الركراكي المصمودي المغربي[7].

---

(١) المصدر نفسه ٣٤.

(٢) ترجم السخاوي لوالده محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٨٥٨هـ ٢/٤٩٦، وقال: «والد محمد الآتي» ولما كانت **التحفة اللطيفة** المنشورة ناقصة كثيراً فان ترجمته سقطت في ما سقط منها.

(٣) **التحفة اللطيفة** ٢/١١٨، ٢٨٤.

(٤) المصدر نفسه ٢/٢٨٤، ٥١٠.

(٥) المصدر نفسه ٢/٢٨٤، ٤١٥.

(٦) المصدر نفسه ٢/٥٣٢ ـ ٥٣٣.

(٧) **الضوء الامع** ١٠/١٥٦.

وذكر السخاوي في تراجم أعلام المدينة في **التحفة اللطيفة** من تلامذته أو من أخذ عنه أيضا:

١) عبد السلام بن محمد بن صالح[١].

٢) عبد الكافي بن محمد بن أبي الفضل النفطي[٢].

٣) محمد بن أحمد بن شرف الدين محمد الششتري[٣].

٤) محمد بن عبد الله بن محمد، ابو الفتح الأنصاري الزرندي الحنفي[٤].

٥) أحمد بن محمد بن محمد، شهاب الدين الكازروني[٥].

٦) علي بن محمد الكازروني[٦].

٧) محمد بن سعيد بن أبي بكر بن صالح[٧].

٨) عبد الكافي بن محمد النفطي[٨].

٩) محمد بن علي بن عمر البنا[٩].

١٠) صلاح الدين ابن صالح، أخو القاضي الزكوي[١٠].

١١) أحمد بن الحسين المعروف بابن الغُلَيف[١١]

ومن طلبته أيضاً: عز الدين عبد العزيز ابن فهد المكي[١٢] صاحب كتاب **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، الذي قرأ عليه التفسير والحديث وعلومه

---

(١) **التحفة اللطيفة** ٢/ ١٧٥.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٩٦.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٤٣٦.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٥٠٠.

(٥) المصدر نفسه ١/ ١٤٧.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٨ توفي سنة ٨٩٢هـ.

(٧) المصدر نفسه ٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

(٨) المصدر نفسه ٢/ ١٩٦.

(٩) المصدر نفسه ٢/ ٥٤٦.

(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٢.

(١١) المصدر نفسه ٢/ ١٠٦.

(١٢) **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة** للغزي ١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ وانظر: مقدمة كتاب غاية المرام ١٢.

والفقه والأصول والنحو وعلوم اللغة وغيرها، ولما التمس السمهودي من والده تخريج شيء مما تقدم له فعل، وعمل له مشيخة وعظَّمه في الخطبة وزاد، ومات قبل إكمالها فبيَّضها ولده عبد العزيز متمماً لما أمكنه فيها[1].

ولو تتبعنا تراجم كتاب **الضوء اللامع** لوجدنا الكثير من أهل المدينة أو الواردين عليها من أخذ منه وعنه، فلعل غيرنا ممن أوتي صبراً وجلداً وهِمَّة أكيدة يقوم بذلك فيضيف إلى معرفتنا عن السمهودي ونشاطه العلمي ما يُغني معرفتنا عن النشاط العلمي في المدينة الشريفة في عصره.

وفاتـــه:

ناقش الشيخ حمد الجاسر اختلاف الروايات في تاريخ وفاته، وخلص إلى أنَّ ما جاء في زيادات **التحفة اللطيفة** للسخاوي، التي يظهر أنَّ عز الدين عبد العزيز ابن فهد المكي قد أضافها فيها، هـو الأقرب للصواب، ونصها: «واستمر على ذلك حتى مرض ثلاثة أيام، ومات في يوم الخميس ثامن عشري ذي القعدة عام أحد عشر[2] وتسع مئة، وصُلِّيَ عليه بالروضة الشريفة بعد صلاة العصر، ووُقِفَ بجنازته عند وجه جده المصطفى ﷺ ودُفِنَ بالبقيع خلف قبة الإمام مالك بالقرب من شيخه شهابُ الدين أحمد الأبشيطي[3]، بوصيةٍ منه، رحمه الله ورضي عنه[4].

وعلى هذا فإنَّ السمهودي، رحمه الله وأيانا وجعل الجنة إنْ شاء الله مأواه ومأوانا، قد توفي عن سبعٍ وستين سنة هلالية.

---

(١) **الضوء اللامع** ٥/٢٤٧، ونسب محمد الحبيب الهيلة هذه المشيخة لأحمد بن عبد الله السمهودي، في: **التاريخ والمؤرخون بمكة** ١٥٤، وهو وهم بيِّن، مع أنه ذكر أنَّ وفاته كانت في سنة ٩١١هـ.

(٢) في **التحفة والفيض الشهودي**: "إحدى عشرة".

(٣) هو شيخه شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر الإبشيطي الشافعي، المتوفى سنة ٨٨٣هـ، ودفن بالبقيع بالقرب من قبر مالك، **التحفة اللطيفة** ١/١٠٢.

(٤) حمد الجاسر، مقدمة **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ٣٢، وقد لفقنا بين النص الذي ذكره حمد الجاسر من **التحفة** وفيه بعض التصحيفات ونص كتاب **الفيض الشهودي** المنقول من **التحفة** أيضاً.

الباب الرابع

في ما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوي والحجرات المنيفات وما كان مُطيفاً به من الدور والبلاط وسوق المدينة ومنازل المهاجرين واتخاذ السور وفيه سبعة وثلاثون فصلاً

الفصل الأول

في أخذه ﷺ لموضع مسجده الشريف وكيفية بنائه

تقدم أنَّ ناقته ﷺ لما بركت عند باب المسجد، قال ﷺ: «هذا المنزل إنْ شاء الله»[١].

وفي كتاب يحيى عن الزهري: أنها بركت عند مسجد الرسول ﷺ، وهو يومئذٍ يصلِّي فيه رجال من المسلمين، وكان مِربَداً لغلامين يتيمين في حِجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته: «هذا إنْ شاء الله المنزل»[٢]، وقال: «اللهمَّ أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المُنزِلين[٣]، قاله أربع مرات».

وروى رزين نحوه عن أنس، ولفظه: فقال رسول الله ﷺ: «رَبِّ أَنْزِلْنِي مَنْزِلاً مُبَارَكاً وَأنتَ خَيْرُ المُنْزِلِين[٤]، ولم يقل: قاله أربعاً».

وفي كتاب يحيى عن الزهري أيضاً: أنَّ المِربَد كان لسَهل وسُهيل، وأنهما كانا في حجر أبي أُمامة أسعد بن زُرارة، وأنَّ النبي ﷺ قال حين بركت به راحلته: «هذا المنزل إنْ شاء الله، ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا[٥]: بل نَهِبُهُ لك يا رسول الله فأبى أنْ يقبله هِبَةً حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً».

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٣١ والتعريف للمطري ٤٠ وتحقيق النصرة للمراغي ٣٩.

(٢) فتح الباري ٧/ ٣٣٩.

(٣) إشارة إلى: سورة المؤمنون ٢٩ ﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾.

(٤) سورة المؤمنون ٢٩.

(٥) ص: فقال.

قال يحيى تبعاً لابن زبالة: وقال بعضهم: كان لغلامين يتيمين لأبي أيوب هما سهل وسهيل ابنا عمرو، فطلب المربد من أبي أيوب، فقال أبو أيوب: يا رسولَ الله المربد ليتيمين، وأنا أُرضيهما، فأرضاهما، فأعطاه لرسول الله ﷺ، فاتخذه مسجداً.

وعند ابن إسحاق: أن النبي ﷺ قال: لمن هذا؟ يعني: المربد، فقال له معاذ بن عفراء: هو لسهل وسهيل ابني عمرو؛ يتيمان[1] لي، وسأرضيهما منه[2]، فاتَّخَذَهُ مسجداً، فأمر به أنْ يُبْنَى[3].

ويؤيده أنه وقع في مُرسل ابن سيرين عند أبي عبيد في **الغريب**: أنهما كانا في حجر معاذ بن عفراء[4].

والذي في **صحيح البخاري**: أنهما كانا في حجر أسعد بن زرارة، كذا هو في رواية الجميع إلاَّ أبا ذر، ففي روايته: سعد بإسقاط الألف، ورواية الجماعة هي الوجه، إذ كان أسعد من السابقين إلى الإسلام، وهو المُكَنَّى بأبي أُمامة، وأما أخوه: سعد فتأخر إسلامه.

وقد يُجْمَع باشتراك من ذُكِر في كونهما كانا في حجورهم، أو بانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذُكر واحداً بعد واحد[5]، سيما وقد روى ابن زبالة عن ابن أبي فديك، قال: سمعت بعض أهل العلم يقولون: إنَّ أسعد توفي قبل أن يُبنى المسجد، فابتاعه النبي ﷺ من ولي سهل وسهيل[6].

وروى ابن زبالة في خبرٍ: كان مسجد النبي ﷺ لسهل وسهيل ابني أبي عمرو من بني غنم، فأعطياه رسول الله ﷺ فبناه مسجداً.

وفي **الصحيح**: أنَّ النبي ﷺ أرسل إلى ملأ بني النجار بسبب موضع

---

(١) في السيرة النبوية ١/٣٣٦: «وهما يتيمان لي».
(٢) فتح الباري ٧/٢٤٦.
(٣) السيرة النبوية ١/٣٣٦: «قال فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبْنى».
(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/٢٤٦.
(٥) نقلاً من فتح الباري ٧/٢٤٦.
(٦) تحقيق النصرة للمراغي ٤١.

المسجد، فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلاَّ إلى الله[١].

وعند الإسماعيلي: «إلاَّ من الله» وهو ظاهر في أنهم لم يأخذوا له ثمناً[٢].

وفي رواية في باب الهجرة من الصحيح بعد ذكر تأسيس مسجد قُباء: «ثم ركب رسول الله ﷺ راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذٍ رجالٌ من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل؛ غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسولُ الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إنْ شاء الله المنزل» ثم دعا الغلامين فساوَمهما بالمربد ليتَّخِذَه مسجداً، فقالا: بل نَهبُهُ لك يا رسولَ الله، فأبى أنْ يقبله منهما هِبَـةً حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً»[٣].

ووقع في رواية ابن عُيَينة: فكَلَّمَ عمَّهما ـ أي: الذي كانا في حجره ـ أنْ يبتاعه منهما، فطلبه منهما، فقالا: ما تصنعُ به؟ فلم يجد بُدَّاً من أنْ يصدقهما[٤]، فأخبرهما أنَّ رسول الله ﷺ أراده، فقالا: نحن نعطيه إياه، فأعطياه رسولَ الله ﷺ فَبَناه، أخرجه الجَنَدي[٥].

وطريق الجمع بين ذلك ـ كما أشارإليه الحافظ ابن حجرـ أنهم لما قالوا: لا نطلب ثمنَه إلاَّ إلى[٦] الله، سأل عن من يختص بملكه منهم، فعيَّنوا له الغلامين، فابتاعه منهما أو من وليهما إنْ كانا غيرَ بالِغيَنِ، وحينئذ فيحتمل أنَّ الذين قالوا: «لا نطلب ثمنه إلا إلى الله»[٧] تحمَّلوا عنه للغلامين بالثمن[٨].

---

(١) انظر: فتح الباري ١/ ٥٢٤، ٧/ ٢٤٦، ٢٦٤ وشرح صحيح مسلم ٣/ ٨ مع شرحه.
(٢) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥٢٦.
(٣) فتح الباري ٧/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ والدرة الثمينة ٢/ ٣٣١.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٦.
(٥) فضائل المدينة ٣٧.
(٦) ص: من.
(٧) فتح الباري ٧/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(٨) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٦.

فقد نقل ابن عقبة: أنَّ أسعد عوَّضَ الغلامين عنه نخلاً له في بني بياضة[1].

وتقدم أن أبا أيوب قال: هو ليتيمين لي، وأنا أُرضيهما، فأرضاهما[2]، وكذلك معاذ بن عفراء، فيكون ذلك بعد الشراء.

ويحتمل أنَّ كلاً من أسعد وأبي أيوب وابن عفراء أرضى اليتيمين بشيء فنسب ذلك لكلٍّ منهم.

وقد رويَ: أنَّ اليتيمين امتنعا من قبول عِوَضٍ، فيحتمل ذلك على بَدْءِ الأمر، لكن يشكل على هذا ما نقل عن التاريخ الكبير لابن سعد: أنَّ الواقدي قال: إنه ﷺ اشتراه من ابني عفراء بعشرة دنانير ذهباً، دفعها[3] أبو بكر الصديق[4].

وقد يقال: إنَّ الشراء وقع من ابني عفراء، لأنهما كانا وَليَّين لليتيمين، ورغب أبو بكر في الخير، كما رغب فيه أسعد أبو أُمامة[5] ومعاذ بن عفراء فدفع لهم أبو بكر العشرة، ودفع كلٌّ من أولئك ما تقدم، ولم يقبله ﷺ بلا ثمن أولاً لكونه لليتيمين[6].

لكن ابن سيد الناس نقل عن البلاذري: أنه قال عقب كلامه الآتي: فعرض ـ يعني: أسعد ـ على النبي ﷺ أن يأخذها ويغرم لليتيمين ثمنها، فأبى رسول الله ﷺ ذلك، وابتاعها منه بعشرة دنانير أدَّاها من مال أبي بكر[7]، انتهى.

فيحتمل أنه ﷺ أخذ أولاً بعضَ المربد، ثم أخذ بعضاً آخر، لما سيأتي من أنه زاد فيه مرةً أخرى، فليست القصة متحدة.

ورأيت بخط الأقشهري في كلام نقله عن أبي جعفر الداوودي عن عبد الله بن

---

(١) تحقيق النصرة للمراغي ٤١.

(٢) فتح الباري ٧/٢٤٦.

(٣) ص: دفها.

(٤) طبقات ابن سعد ١/٢٣٩.

(٥) في الأصول: "وأبو أمامة"، وابو أمامة هو أسعد بن زرارة، كما سيأتي عند السمهودي بعد قليل.

(٦) تحقيق النصرة للمراغي ٤١.

(٧) عيون الأثر ١/٣١٦.

نافع صاحب مالك: أنَّ المسجد كان مربداً لابني عفراء[1].

قلت: يحتمل نسبته إليهما لولايتهما على اليتيمين، أو أنَّ لليتيمين أُمّاً تسمَّى: عفراء، وأما ابنا عفراء المشهوران، فهما معاذ ومُعَوّذ: ابنا الحارث[2]، والذي في **الصحيح** من تسمية الغلامين: سهل وسهيل، أَصَحُّ، والله أعلم.

وفي كتاب يحيى ما يقتضي أن أسعد بن زُرارة كان قد بنى بهذا[3] المربد مسجداً قبل مسجد الرسول ﷺ، فإنَّه قال: حدثنا بكر ثنا محمد بن عمر ثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: سمعت أمَّ سعد بنت سعد الربيع تقول: أخبرتني النوار بنت مالك أمُّ زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلي بالناس الصلوات الخمس، ويُجَمِّع بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل ابني رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار[4]، قالت: فأنظر إلى رسول الله ﷺ لما قدم صلَّى بهم في ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم.

ونقل ابن سيِّد الناس عن ابن إسحاق: أنَّ الناقة برَكَتْ على باب مسجده ﷺ وهو يومئذٍ ليتيمين من بني مالك بن النجار في حجر معاذ بن عَفْرَاء: سهل وسهيل ابني عمرو[5].

ثم قال: وذكر أحمد بن يحيى البلاذُري، قال: فنزل رسول الله ﷺ عند أبي أيوب، ووهبت له الأنصار كلَّ فضلٍ كان في خططها، وقالوا: يا نبي الله إنْ شئت فخُذ منازلنا، فقال لهم خيراً، قالوا: وكان أبو أُمامة أسعد بن زرارة يُجَمِّعُ بمن يليه في مسجد له، فكان رسول الله ﷺ يصلي فيه، ثم إنه سأل أسعد أنْ يبيعه أرضاً متَّصِلة بذلك المسجد كانت في يدِه ليتيمين في حجره يقال لهما: سهل وسهيل،

---

(١) الروضة الفردوسية ورقة ١٢ب.
(٢) ذكرهما خليفة بن خياط في كتاب الطبقات ٩٠.
(٣) ص: هذا.
(٤) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٩ اورد قسماً من الخبر وانظر: المغانم المطابة ص١٦٠.
(٥) عيون الأثر ١/ ٣١٤.

ابنا رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم[1].

كذا نسبهما البلاذري، وهو يخالف ما سبق عن ابن إسحاق وغيره، والأول أشهر، انتهى.

وتشهيره للأول ـ وهو كون الغلامين ابني عمرو ـ تقدم ما يقتضيه، لكن تقدَّم أيضاً ما يقتضي الثاني، وهو الأرجح.

فقد صَرَّح ابن حزم في **الجمهرة**[2] ورواه ابن زبالة عن ابن شهاب، وكذا ذكره ابن عبد البَر[3].

وذكر السهيلي، في ما نقله عنه الذهبي ما يحصل به الجمع ويرفع الخلاف إلا أنَّ فيه بعض مخالفة لما تقدَّم، فقال: سهل بن عمرو الأنصاري النجاري أخو سهيل صاحب المربد، وكانا في حجر أسعد بن زرارة، ينسبان إلى جدهما، وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن النجار[4]، انتهى.

فعلى هذا يكون سقط من الرواية المتقدمة ابن عمرو بين رافع وأبي عمرو وتصحَّف عبيد بعائذ، والله أعلم.

وقال المجد: ذكر البيهقي[5] المسجدَ، فقال: كان جداراً مُجَدَّراً ليس عليه سقف وقبلته إلى القدس، وكان أسعد بن زرارة بناه، وكان يُصَلِّي بأصحابه فيه ويُجَمِّع بهم فيه الجمعة قبل مَقْدَم رسولِ الله ﷺ[6]، فأَمَر رسول الله ﷺ بالنخل التي في الحديقة وبالغَرْقَد أنْ يُقْطَع، وكان فيه قبور جاهلية فأمر بها فَنُبِشت، وأمر

---

(١) المصدر نفسه ٣١٥ ـ ٣١٦ والسيرة النبوية ١/ ٣٣٦.

(٢) جمهرة أنساب العرب ٣٤٩.

(٣) الاستيعاب ٢/ ١٠٧.

(٤) الروض الأنف ٤/ ٢٦٢ والذهبي: تجريد أسماء الصحابة ١/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٥) الظاهر أن «البيهقي» هنا قد تصحفت على الفيروزأبادي من «الواقدي». والخبر في المغانم المطابة ص١٦٠ عن البيهقي مع زيادة الفيروزابادي التي رسمها الناسخ هكذا: «وكان في المربد ماء مسحل فسيروه حتى ذهب المسحل بمسر ما المطر»،ورسم الناسخ فوق كلمة: «بمسر» حرف: «ظ» ليقول: في قراءته نظر، أو «ينظر»، فقرأها السمهودي: «ممشى»، وفي هذه القراءة نظر أيضاً.

(٦) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٩وفتح الباري ٧/ ٢٤٦ وتحقيق النصرة ٤١ ـ ٤٢.

بالعظام أنْ تُغَيَّبَ، وكان في المربد ماءٌ مسْتَنْجِل[1] فسيَّره حتى ذهب، والمستنجل: ممشى[2] ماء المطر[3]، انتهى.

ولم أرَه في **المعرفة** للبيهقي، ولا في **السنن الكبير**، ولا في **الدلائل**.

والمعروف أنه كان مربداً للتمر، أي: يُجَفَّف فيه التمر، وكأنه سمَّاه حديقة لاشتماله على نخلٍ.

ففي **الصحيحين**: أنَّ النبي ﷺ: «لما أخذه كان فيه نخلٌ وقبور المشركين وخِرَب»[4]، فأمر النبي ﷺ بالنخل فَقُطِع وبقبور المشركين فَنُبِشَتْ وبالخِرَب فسُوِّيَتْ، فصفُّوا النخلَ قبلةً له، وجعلوا عضادتيه حجارة»[5].

وقد قدَّمنا الكلام على قطع هذا النخل في **أحكام الحرم**، وكأنَّ معنى صفِّ النخل قبلةً له: جعلها سَواريَ في جهة القبلة ليسَقَّفَ عليها، كما في **الصحيح**: «كان المسجدُ على عهد رسول الله ﷺ مبنيّاً باللَّبِنِ وسقفه الجَريد وعُمُدُه خَشَب النخل»[6].

وسيأتي في ما أسند يحيى: أنه كان في جوف الأرض ـ أي: أرض

---

(١) ر، س، ت: مسحل ؛ م١، م ٢، خ: مُسجل، والمسحل: المطر الجود، **تاج العروس** ٧/ ٤٧٢ وكلها تصحيف: مُستنجل: من النجل وهو الماء النزر المستنقع الآجن، وقد مَرَّ الحديث: "كان واديها يجري نجلاً"، "يقال استنجل الوادي إذا ظهر نزوزه"، وانظر: **تاج العروس** ٨/ ١٢٧ و**فتح الباري** ٤/ ١٠١ و**طبقات ابن سعد** ١/ ٢٣٩ وستأتي اللفظة على الصواب في النص بعد قليل.

(٢) لعل كلمة «ممشى» تصحفت من «عثير» لأنها في خطها أشبه بما ورد في مخطوطة **المغانم**، والنخل العثري هو الذي يشرب بعروقه من ماء المطر يجتمع في حفيرة، **النهاية** ٣/ ١٨٢ و**تاج العروس** "عثر" ولعل «ممشى» تصحيف : مسير.

(٣) الخبر بنصه إلاَّ : «ممشى ماء المطر» (وهي من زيادات الفيروزأبادي) في **طبقات ابن سعد** ١/ ٢٣٩.

(٤) **النهاية في غريب الحديث** ٢/ ١٨، وانظر: **فتح الباري** ١/ ٥٢٦ فقد أورد أقوال العلماء المختلفة فيها.

(٥) **فتح الباري** ١/ ٥٢٤، ٧/ ٢٦٥، **صحيح البخاري** مناقب الأنصار ٤٦، كتاب الصلاة ٤٨، **صحيح مسلم** مساجد ٩.

(٦) **صحيح البخاري** كتاب الصلاة ٦٢ "كان سقف المسجد من جريد النخل.." وانظر: **فتح الباري** ١/ ٥٤٩ـ٥٤٠ و**صحيح مسلم** كتاب الصيام ٢١٥، و**المسالك والممالك** لابي عبيد البكري، ١/ ٤٠٨ نقلاً من سنن أبي داود، وهذه النشره لا يُعتمد عليها اطلاقاً لشيوع التصحيفات والتحريفات فيها.

المربد ـ قبورٌ جاهلية، فأمرَ رسول الله ﷺ بالقبور فنبشت، فرميَ بعظامها فأمَر بها فغيِّبتْ، وكان في المربد ماءٌ مُسْتَنْجِلٌ فَسَيَّره حتى ذهب[1].

ووقع في رواية عطاف بن خالد عند ابن عائذ: أنه ﷺ: صَلَّى فيه، وهو عريش، اثني عشر يوماً، ثم بناه وسَقَّفَه[2]، وسيأتي ما يشهد له.

وأسند ابن زبالة عن أنس، قال: بناه رسول الله ﷺ ـ يعني: المسجد ـ أولَ ما بناه بالجريد، قال: وإنما بناه باللَّبِن بعد الهجرة بأربع سنين.

قلت: هو وَاهٍ أو مُؤَوَّلٌ، والمعروف خلافه.

وأسند أيضاً عن شهر بن حَوشَب، قال: لما أراد رسول الله ﷺ أنْ يحجر[3] بناء المسجد، قيل له: عريش كعريش أخيك موسى سبع أذرع.

وأسنده يحيى من غير طريقه عن شهر أيضاً بلفظ: «لما أراد رسول الله ﷺ يبني المسجد».

وأورده رزين بلفظ: «لما أراد رسول الله بناء المسجد، قال: قيل لي: عريش كعريش أخيك موسى سبع أذرع، ثم الأمر أعجل من ذلك».

وأسند يحيى عن الحسن، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، قال: «ابنوا لي مسجداً عريشاً كعريش موسى، ابنُوه لنا من لَبِن».

وأورده رزين بلفظ: «لما أخذ في بناء المسجد، قال: ابنوا لي عريشاً كعريش موسى؛ ثُمَامات وخَشَبات وظُلَّة كظُلَّةِ موسى، والأمر أعجل من ذلك[4]، قيل: وما ظلة موسى؟ قال: كان إذا قام فيه أصابَ رأسَه السقفُ»[5]، وعمل فيه بنفسه ﷺ ترغيباً لهم.

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٩.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٦.

(٣) يقال: حجرتُ الأرض واحتجرتُها إذا ضربت عليها مَناراً تمنعها به من غيرك، و معناه هنا: أراد أن يحدد حدوده، النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٤١.

(٤) طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٠ والمغانم المطابة ١٥٨.

(٥) الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٥٦ والمغانم المطابة ص١٥٨.

ففي الرواية المتقدمة في **الصحيح** عقب قوله: حتى ابتاعه منهما «وطَفِقَ رسولُ الله ﷺ ينقل اللبن في بنائه، ويقول وهو ينقل اللبن:

هـذا الحِمَـالُ لا حِمَـالُ خَيبَرْ هـــذا أبَــرُّ رَبَّنَــا وأطْهَــرْ

ويقول:

اللهـمَّ إنَّ الأجـرَ أجْـرُ الآخـرةْ فـارْحَـمِ الأنصَـارَ والمُهَـاجِـرَةْ[1]

قال ابن شهاب: فتمثَّلَ ﷺ بشعر رجلٍ من المسلمين، ولم يبلغنا في الأحاديث أنه تَمَثَّلَ ببيت شعر تام غير هذه الأبيات[2]؛ زاد ابن عائذ في آخره: التي كان يرتجزهنَّ وهو ينقل اللبن لبناء المسجد»[3].

والحِمال ـ مُخَفَّفٌ بمهملة مكسورة ـ أي: هذا المحمول من اللَّبِن أبرُّ عند ربنا من حمال خيبر، أي: ذات التمر والزبيب[4].

وقوله: «ربَّنـا» أي: يا ربَّنا.

وأسند يحيى عن الزهري، في معنى قوله: «هذا الحمال لا حمال خيبر» قال: كانت يهود إذا صرمت نخلها جاءتهم الأعراب بركائبهم فيحملون لهم عروة بعروة إلى القُرى فيبيعون؛ يكون لهذا نصف الثمن ولهؤلاء نصفه، فقال النبي ﷺ ذلك.

وفي الرواية المتقدمة في **الصحيح** عقب قوله: «وجعلوا عضادتيه حجارة» فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم، يقولون:

اللهمَّ لا خَيْرَ إلاَّ خيرُ الآخِرةْ فـانْصُـرِالأنصـارَ والمُهَـاجـرهْ[5]

ويُذكر أنَّ هذا البيت لعبد الله بن رواحة[6].

---

(١) فتح الباري ٧/ ٢٤٠.
(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٤١ وفتح الباري ٧/ ٢٤٠.
(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ٢٤٧.
(٤) المصدر نفسه ٧/ ٢٤٦.
(٥) فتح الباري ٧/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(٦) فتح الباري ٧/ ٢٤٧.

وعن الزهري: بلغني أنَّ الصحابة كانوا يرتجزون به، وكان رسولُ الله ﷺ ينقل معهم ويقول:

اللهُمَّ لا خير إلا خير الآخرهْ   فارحم المهاجرين والأنصار

وكان لا يُقيم الشعر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾[1] وفعل ذلك احتساباً وترغيباً في الخير، ليعمل الناسُ كلهم، ولا يرغب أحدٌ بنفسه عن نفس رسول الله ﷺ ولهذا أسند ابنُ زبالة عن مجمع بن يزيد[2] أنه قال عقب ذلك: وعملوا فيه ودَأَبُوا، فقال قائل من المسلمين:

لَئِنْ قَعَدنَا والنَّبيُّ يَعْمَلُ   ذَاكَ إذاً لَلْعَمَلُ المُضَلَّلُ[3]

وأسند أيضاً: أنَّ عليّ بن أبي طالب كان يرتجز وهو يعمل فيه ويقول:

لا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ المَسَاجِدا   يَدْأَبُ فيها قَائِمَاً وَقَاعِدا

ومَنْ يُرى عن الغُبَارِ حَائِدا[4]

وأسند هو أيضاً ويحيى من طريقه، والمجد ـ ولم يخرجه ـ عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: بنى رسول الله ﷺ مسجده، فقُرِّبَ اللَّبِنُ وما يحتاجون إليه، فقام رسول الله ﷺ فوضع رِدَاءَه، فلما رأى ذلك المهاجرون الأولون والأنصار ألقوا أرديتهم وأكسيتهم، وجعلوا يرتجزون ويعملون، ويقولون:

* لئن قعدنا والنبي يعمل *البيتَ.

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه رجلاً نظيفاً متنظفاً، وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه، فإذا وضعها نَفَضَ كُمَّه، ونظر إلى ثوبه، فإنْ أصابه شيء من التراب نَفَضَه، فنظر إليه علي بن أبي طالب فأنشأ يقول:

* لا يستوي مَنْ يَعْمُرُ المساجدا *

---

(١) سورة يس ٦٩.
(٢) انظر عنه: الإصابة ٣/ ٣٦٦ وميزان الاعتدال ٣/ ٤٤٠ والاستيعاب ٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥.
(٣) السيرة النبوية ١/ ٣٣٧ وفتح الباري ٧/ ٢٤٧.
(٤) السيرة النبوية ١/ ٣٣٧ وفتح الباري ٧/ ٢٤٧.

الأبيات المتقدمة، فسمعها عمَّار بن ياسر، فجعل يرتجز بها وهو لا يدري مَنْ يعنى بها، فَمَرَّ بعثمان فقال: يا ابن سُمَيَّة! ما أعرَفِني بمن تُعَرِّض، ومعه جريدة فقال: لتكُفَّنَّ أو لأعترضَنَّ بها وجهَكَ، فسمعه النبي ﷺ وهو جالس في ظلِّ بيتي[1] ـ يعني: أمَّ سلمة.

وفي كتاب يحيى: في ظل بيته، فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: إنَّ عمار ابن ياسر جِلْدَةُ ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من المرء فقد بلغ[2]، ووضع يده على عينيه، فكَفَّ الناسُ عن ذلك[3].

ثم قالوا لعمار: إنَّ النبي ﷺ قد غضب فيك، ونخاف أنْ ينزل فينا القرآن فقال: أنا أُرضيه كما غضب، فقال: يا رسولَ مالي ولأصحابك؟ قال: مالك وما لهم؟ قال: يريدون قتلي؛ يحملون لَبِنَةً لبنةً ويحملون عليَّ اللَّبِنَتَينِ والثلاث، فأخذ بيده فطاف به في المسجد، وجعل يمسح وَفْرَتَه بيده من التراب ويقول: يا ابن سمية لا يقتلك أصحابي، ولكن تقتلك الفئة الباغية[4].

وقد ذكر ابن إسحاق القصة بنحوه كما في **تهذيب ابن هشام**، قال: وسألت غيرَ واحدٍ من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أنَّ عليَّ بن أبي طالب ارتجز به، فلا ندري أهو قائله أم غيره[5].

وإنما قال ذلك علي رضي الله عنه مُطايبةً ومباسطةً، كما هو عادة الجماعة إذا اجتمعوا على عمل، وليس ذلك طعناً[6].

---

(١) **المغانم المطابة** ص١٥٩.

(٢) في **السيرة النبوية** ١/٣٣٨: "فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُسْتَبْقَ فاجتنبوه"، وفي **العقد الفريد** ٣/١١٥: "فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني".

(٣) نقلاً من **المغانم المطابة** ص١٥٩.

(٤) نقلاً من **المغانم المطابة** ص١٥٩ ـ ١٦٠ وانظر: **العقد الفريد** لابن عبد ربه ٣/١١٥ وأورد ابن أبي شيبة "تقتل عماراً الفئة الباغية" في **المصنف** ٨/٧٢٣، ٧٢٨ وانظر: **جامع الأصول** ٩/٤٢ ـ ٤٥ و**شعب الإيمان** للبيهقي ٣/٢٥٢.

(٥) **السيرة النبوية** ١/٣٣٧ ـ ٣٣٨.

(٦) هذا من كلام السمهودي.

وأخرج ابن شبّة[1] من مرسل أبي جعفر الخطمي، قال: كان رسول الله ﷺ يبني المسجد وعبد الله بن رواحة يقول:

* أفلح من يعالج المساجدا *

فيقولها رسول الله ﷺ، فيقول ابن رواحة:

* يتلو الْقُرْآنَ قائماً وقاعدا *

فيقولها رسول الله ﷺ[2].

وفي **الصحيح** في ذكر بناء المسجد: كنَّا نحمل لَبِنَةً لَبِنَةً وعمارٌ لَبِنَتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب[3] عنه ويقول: «وَيْحَ عَمَّارٍ تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال[4]: يقول عمار: أعوذ بالله من الفِتَن»[5].

وأسند ابن زبالة ويحيى عن مجاهد، قال: رآهم رسول الله ﷺ وهم يحملون الحجارة على عمار، وهو يبني المسجد، فقال: «ما[6] لَهُم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، وذلك فعل الأشقياء الأشرار»[7].

وأسند الثاني أيضاً عن أمِّ سَلَمة، قالت: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، فجعل أصحاب النبي ﷺ يحمل كلُّ رجلٍ منهم لَبِنَةً لبنةً وعمار بن ياسر لَبِنَتَين؛ لَبِنَةً عنه ولَبِنَةً عن رسول الله ﷺ فقام إليه رسول الله ﷺ فمسح ظهره وقال:

---

(١) في الأصول: ابن أبي شيبة، وهو وهم بيِّنٌ وقد ورد على الصواب في الفصل العاشر من الجزء الأول.

(٢) **تاريخ المدينة** لابن شبة ١/ ٥٢.

(٣) لفظ البخاري: "فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه" وهنا رواية الكشميهني كما في **فتح الباري** ١/ ٥٤٢.

(٤) ر، ص: وقال.

(٥) **جامع الأصول** ٩/ ٤٤ ـ ٤٥ و**دلائل النبوة** للبيهقي ٢/ ٥٤٦ و**فتح الباري** ١/ ٥٤١، ٦/ ٣٠ ورواه مسلم في كتاب الفتن والترمذي في مناقب عمار بن ياسر وأحمد في مسنده ٢/ ١٦١وروى ابن أبي شيبة قسماً منه في **المصنف** ٧/ ٥٢٣.

(٦) سقطت من ص.

(٧) نقلاً من **المغانم المطابة** ص١٦٠.

يا ابن سُميّة لك أجران وللناس أجرٌ، وآخرُ زادِك من الدنيا شَرْبَةٌ من لَبَنٍ، وتقتلك الفِئَةُ الباغية[1].

وفي **الروض** للسهيلي: أن مَعْمَر بن راشد رَوَى ذلك في **جامعه** بزيادة في آخره، وهي: فلما قُتِلَ يوم صِفِّين دخل عمرو[2] على معاوية رضي الله عنه فَزِعاً فقال: قُتِلَ عَمَّار، فقال معاوية: فماذا؟ فقال عمرو: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، فقال معاوية: دحضت[3] في بولك! أنحن قتلناه؟ إنما قتله مَن أخرجَه[4].

وروى البيهقي في **الدلائل** عن أبي عبد الرحمن السلمي: أنه سمع عبدَ الله بن عمرو بن العاص يقول لأبيه عمرو: قد قَتَلنا هذا الرجل، وقد قال رسول الله ﷺ فيه ما قال، قال: أيُّ رجلٍ؟ قال: عمار بن ياسر، أما تذكر يوم بنى رسولُ الله ﷺ المسجدَ؛ فكنَّا نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين فَمَرَّ على رسول الله ﷺ فقال: تحمل لبنتين لبنتين وأنت ترحض[5] أما إنك ستقتلك الفئة الباغية، وأنت من أهل الجنة؟، فدخل عمرو على معاوية فقال: قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسولُ الله ﷺ ما قال، فقال: اسكت فوالله ما تزال تدحض في بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله عليٌّ وأصحابه، جاءوا به، حتى ألقوه بيننا[6].

قلت: وهو يقتضي أنَّ هذا القول لعمار كان في البناء الثاني للمسجد، لأنَّ إسلام عمرو كان في الخامسة كما سبق.

وأسند ابن زبالة عن حسن بن محمد الثقفي، قال: بينا رسولُ الله ﷺ يبني في أساس مسجد المدينة ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فَمَرَّ به رجل

---

(١) **دلائل النبوة** للبيهقي ٢/ ٥٥٠ والمغانم المطابة ص١٦٠ و**الكامل** لابن عدي ٤/ ١٧٨.

(٢) يريد: عمرو بن العاص.

(٣) دحض: زلق، ويروى: بالصاد، والمعنى هنا: تبحث في بولك، **النهاية في غريب الحديث** ٢/ ١٠٥.

(٤) **الروض الأنف** للسهيلي ٤/ ٢٦٥ و**دلائل النبوة** للبيهقي٢/ ٥٥١ ومسند أحمد ٤/ ١٩٩.

(٥) رحض: غسل يده، وهنا : تسيل عرقاً.

(٦) **دلائل النبوة** للبيهقي ٢/ ٥٥٢

فقال: يا رسولَ الله ما معك إلاَّ هؤلاء الرهط؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «هؤلاء ولاة الأمر من بعدي»[١].

وروى أبو يَعلى برجال **الصحيح**، إلا أنَّ التابعي لم يُسَمَّ، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لمَّا أَسَّسَ رسول الله ﷺ مسجْدَ المدينة جاء بحَجَرٍ فوضعه، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه، وجاء عمر بحجر فوضعه، وجاء عثمان بحجر فوضعه[٢]، قالت: فَسُئل رسولُ الله ﷺ عن ذلك، فقال: هذا أمر الخلافة من بعدي[٣].

وتقدَّم في تأسيس مسجد قُباء نحو ذلك من غير أمر الخلافة.

وقال الأقشهري في **روضته**: روى[٤] صاحب السيرة ـ ولم يُسَمِّه ـ: أنَّ جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وقال: يا محمد، إنَّ الله يأمرك أن تبني له بيتاً، وأنْ ترفعَ بنيانه بالرهص والحجارة ـ والرهص: الطين الذي يُتَّخَذُ منه الجدار ـ فقال: كم أرفعه يا جبريل؟ قال: سبعة أذرع ـ وقيل: خمسة أذرع ـ ولما أبتدأ في بنائه أمر بالحجارة وأخذ حَجَراً فوضعه بيده أولاً، ثم أمر أبا بكر فجاء بحجر فوضعه إلى جنب حجر النبي ﷺ ثم جاء[٥] عمر كذلك، ثم عثمان كذلك ثم علياً، انتهى ما ذكره الأقشهري[٦] ومن خطه نقلته.

وروى البيهقي في **الدلائل** عن سفينة، مولى رسول الله ﷺ قال: لما بنى النبي ﷺ المسجدَ وضَعَ حجراً، ثم قال: ليضعْ أبو بكر حجره إلى جنب حجري، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر، ثم قال: ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر، فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء الخلفاء من بعدي»[٧].

---

(١) المستدرك ٣/ ١٣ والمغانم المطابة ص١٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٥٣.

(٢) الروضة الفردوسية ورقة ٢٥أ، ٥٢أ.

(٣) البيان والتحصيل لابن رشد ١/ ٤٠٧ ومسند أبي يعلى ٨/ ٢٩٥ ومجمع الزوائد ٥/ ١٧٦والمستدرك ٣/ ١٣ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٥٣ مع مصادر وروده.

(٤) في الروضة الفردوسية ورقة ٢٥أ : «وقال صاحب السيرة أتى جبريل. . .».

(٥) سقطت من ص، ر.

(٦) الروضة الفردوسية ورقة ٢٥أ في الحاشية العليا وأعاد الخبر في ورقة ٥٢أ دون ذكر علي رضي الله عنه.

(٧) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٥٣ والمستدرك ٣/ ١٣، ٩٦ والكامل لابن عدي ٢/ ٢٥٦ والسنة لابن أبي =

وأسند يحيى عن أُسامة بن زيد عن أبيه، قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه حجر، فلقيه أَسَيْدُ بن حُضَير فقال: يا رسول الله أَعْطِنيهِ، فقال: اذْهَبْ فاحتمل غيره، فلست بأفقر إليه منِّي[(١)].

وعن مكحول قال: لما كثُرَ أصحابُ رسول الله ﷺ قالوا: اجعل لنا مسجداً، فقال: خَشَبَات وثُمامات، عريشٌ كعريش أخي موسى صلوات الله عليه، والأمر أعجل من ذلك[(٢)].

ورواه رزين، وزاد فيه: فطَفِقُوا ينقلون اللَّبِنَ وما يحتاجون إليه ورسولُ الله ﷺ ينقل معهم، فلقيه رجلٌ ومع رسول الله ﷺ لبنة فقال: أعطنيها يا رسولَ الله، فقال: اذْهَبْ فَخُذ غيرَها، فلست بأفقَرَ إلى الله منِّي.

ونقل المجدُ عن رواية محمد بن سعد نحوه، قال: وجاء رجلٌ يُحسنُ عَجْنَ الطين، وكان من حضرموت، فقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ الله امرأً أحسن صنعته» وقال له: «الزم أنت هذا الشغل فإني أراكَ تُحْسِنُه»[(٣)].

وفي كتاب يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهري: كان رجلٌ من أهل اليمامة، يقال له: طلق من بني حنيفة، يقول: قدمت على النبي ﷺ وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون فيه معه، وكنتُ صاحبَ علاجٍ وخَلطِ طينٍ فأخذتُ المِسحَاةَ أَخْلِطُ الطينَ والنبي ﷺ ينظر إليَّ ويقول: إنَّ هذا الحَنَفِيَّ لصاحبُ طينٍ[(٤)].

وروى أحمد عن طلق بن علي، قال: بنيتُ المسجدَ مع النبي ﷺ فكان يقول: قَرِّبوا اليمامي من الطين فإنه أحسنُكم له مسكاً واشدُّكُم منكباً[(٥)].

= عاصم ٢/ ٥٥٠ وجامع الأحاديث للسيوطي ٧/ ٦٦١ ومسند أبي يعلى ٨/ ٢٩٥ ومجمع الزوائد ٥/ ١٧٦.

(١) المغانم المطابة ص١٥٨.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ٢٤٠.

(٣) المغانم المطابة ص١٥٩ عن محمد بن سعد.

(٤) في دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٤٢ خبر شبيه به.

(٥) فتح الباري ١/ ٥٤٣ وفيه: «أحسنكم له مساً واشدكم له سبكاً» عن أحمد، وانظر: دلائل النبوة =

وعنه أيضاً، قال: جئت إلى النبي ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، قال: فكأنَّه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذتُ المسحاةَ فَخَلَطتُ بها الطين، فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملي، فقال: دَعُوا الحَنَفيَّ والطينَ فإنه من أصنعكم للطين[1].

وأسند ابنُ زبالة ويحيى من طريقه، في أثناء كلامٍ عن ابن شهاب في قصة أخذ المربد، قال: فبناه مسجداً، وضربَ لَبِنَهُ من بقيع الخَبْخَبَة[2] ناحية بئر أبي أيوب بالمناصع[3]، والخبخبة: شجرة كانت تنبت هناك.

وأسند يحيى من طريق عبد العزيز بن عمر عن يزيد بن السائب عن خارجة بن زيد بن ثابت، قال: بنى رسول الله ﷺ مسجده سبعين في ستين ذراعاً أو يزيد، ولَبَّنَ لَبِنَهُ من بقيع الخبخبة[4]، وجعله جداراً، وجعل سَوارِيه خشباً: شقةً شقةً، وجعل وسطه رحبة، وبنى بيتين لزوجتيه[5].

قال عبد العزيز: فسألت زيداً: أين بقيع الخبخبة؟ قال: بين بئر أبي أيوب وتلك الناحية، وهذا بقيع الغرقد لبقيع المقبرة.

وقال: سألت عبد العزيز عن بقيع الخبخبة فقال: هي ـ أي: الخبخبة ـ يسار بقيع الغرقد حين تقطع الطريق وتلقاها عند مسجد يحيى.

= للبيهقي ٥٤٢/٢ ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ١٦/٣ ـ ١٧: "من احسنكم له مساً واشدكم له ساعداً"، وانظر ترجمته في الإصابة لابن حجر ٢٣٢/٢.

(١) فتح الباري ٥٤٣/١ عن أحمد وفيه: «فإنه أضبطكم للطين» والكامل لابن عدي ٣٥٢/١ والمعجم الكبير للطبراني ٣٣٢/٨، ٣٣٥.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٦/١: "بقيع الخبخبة، هو بفتح الخاءين وسكون الباء الأول، موضع بنواحي المدينة"، ورواه الفيروزأبادي في المغانم المطابة ٦٣ ـ ٦٤ باسم: "الخبجبة"، وقال: "الخبجبة شجر عُرف به هذا الموضع، قاله السهيلي في الروض وهو غريب، وسائر الرواة ذكروه بجيمين".

(٣) سوف يحدده السمهودي في ما بعد.

(٤) المغانم المطابة ٦٣ "الخبجبة" بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة وفتح الجيم والباء بعدها، وذكر السمهودي في أخر كتابه: أنه: الخبجبة عند أبي داود في سننه، وعند ابن الأثير في نهايته (٦/٢): الخبخبة (بفتح الخائين).

(٥) نقلاً من المغانم المطابة ١٦٠.

فقلت: ومن يحيى صاحب المسجد الذي ذكرت؟ فقال: يحيى بن طلحة بن عبيد الله.

قلت: بقيع الخبخبة لا يُعرف اليوم[١]، كما ذكره شيخ مشايخنا الزين المراغي، لكن الخارج من درب البقيع إذا مشى في البقيع لجهة مشهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وصار مشهد سيدنا إبراهيم بن رسول الله ﷺ على يمينه يكون على يساره طريق تمرُّ بطرف الكومة، فأذا سلكها انتهى بعد رأس العطفة التي على يمينه إلى حديقة تعرف قديماً بأولاد الصَفِيِّ بها بئر ينزل إليها بدرج تُعرف ببئر أيوب قديماً وحديثاً، وعن يسار الخارج من درب البقيع أيضاً إذا سلك طريق سيدنا حمزة في شامي الحديقة المعروفة بالرومية؛ حديقة تُعرف بالرباطية وقف رباط اليَمَنية[٢] بها بئر[٣].

قال المراغي: تُعرف ببئر أيوب أيضاً، يَتَبركُ بها الناسُ، وهي بالقرب من الحديقة المعروفة بدار فَحْل، وهي عن يسار بقيع الغَرْقَد أيضاً[٤].

قال الزين المراغي: ولعلها أقرب إلى المراد[٥].

قلت: والذي يظهر أنَّ الأُوْلَى هي المراد، لما سنبينه في الآبار.

وفي كتاب رزين ما لفظه: عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: كان بناء مسجد رسول الله ﷺ بالسميط لَبِنَةً على لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أُخرى ثم كثروا، فقالوا: يا رسولَ الله لو زيد فيه، ففعل، فبنى بالذكر والأنثى، وهي لبنتان مختلفان، وكانوا رفعوا أساسه قريباً من ثلاث أذرع بالحجارة، وجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخَّره مئة ذراع، وكذا في العرض، فكان مربعاً[٦].

---

(١) **تحقيق النصرة** ٤٤، قال المراغي: "والخبخبة شجرة تنبت هناك . . . ولا يعرف اليوم ذلك ولكن في حديقة تعرف بوقف رباط اليمنية".

(٢) في الأصول: اليُمَنَة وهو جمع عامي شائع يطلق على أهل اليمن.

(٣) **تحقيق النصرة** ٤٤، لم ترد الا أجزاء من النص هنا.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه ٤٥: "ولعل الأولى أقرب إلى المراد والله أعلم".

(٦) نقلاً من **تحقيق النصرة** للمراغي ٤٤ عن **الدرة الثمينة** ٢/٣٥٦.

وفي رواية جعفر: ولم يسطَّحْ، فشكوا الحرَّ فجعلوا خشبه وسواريه جذوعاً، وظللوا بالجريد ثم بالخَصَف[1]، فلما وكَفَ[2] عليهم طيَّنوه بالطين، وجعلوا وسطه رحبة، وكان جداره قبل أنْ يُظَلل قامة وشيئاً[3]، انتهى.

والظاهر أنه ليس جميعه من كلام جعفر، بدليل قوله في الأثناء: وفي رواية جعفر.

وقد ذكر ابن زبالة ويحيى من غير طريقه كلام جعفر متمحضاً فأسندا عنه: أنَّ النبي ﷺ كان بَنَى مسجده بالسميط لبنة لبنة، ثم إنَّ المسلمين كثروا فبناه بالسعيدة، فقالوا: يا رسولَ الله لو أمرتَ مَنْ يزيد فيه، فقال: نعم، فأمر به فَزيدَ فيه، وبنى جداره بالأنثى والذكر، ثم اشتدَّ عليهم الحرُّ فقالوا: يا رسولَ الله لو أمرتَ بالمسجد فَظُلِّل، قال: نعم، فأمر به فأقيمت فيه سواري من جُذُوع النخل، ثم طرحت عليها العوارض والخَصَفُ والإذخر فعاشوا فيه، وأصابتهم الأمطار، فجعل المسجد يَكِفُ عليهم، فقالوا: يا رسول الله لو أمرتَ بالمسجد فَطُيِّنَ، فقال: لا، عريش كعريش موسى[4]، فلم يزل كذلك حتى قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وكان جداره قبل أنْ يُظلل قامةً[5]، فكان إذا فاء الفيء ذراعاً ـ وهو قدمان ـ يُصَلِّي الظهر، فإذا كان ضِعفَ ذلك صَلَّى العصر، ثم نقلا عنه تفسير السميط والسعيدة والأنثى والذكر بما تقدم ولم يذكرا ذرعاً[6].

وفي **الإحياء**[7] عن الحسن مرسلاً: لما أراد ﷺ أنْ يبني مسجد المدينة أتاه جبريل فقال: ابْنِهِ سبعة أذرع طولاً في السماء، ولا تزخرفه ولا تنقشه، انتهى.

---

(١) الخصف: هي الحُصُر المصنوعة من خوص النخيل أو هي الجُلة التي يُكبَس فيها التمر، وفي العراق تسمى: الخِصَّافَة، انظر: **النهاية في غريب الحديث** ٢/ ٣٧.
(٢) وكف البيت: أي قطر فيه الماء وتقاطر المطر من سقفه، ووكف المطر: إذا نزل.
(٣) نقلاً من **تحقيق النصرة** للمراغي ٤٤ ـ ٤٥ وانظر: **المغانم المطابة** ص١٥٨.
(٤) **دلائل النبوة** للبيهقي ٢/ ٥٤٢.
(٥) **المغانم المطابة** ص١٥٨.
(٦) **الدرة الثمينة** لابن النجار ٢/ ٣٥٦ و**تحقيق النصرة** للمراغي ٤٤ ـ ٤٥.
(٧) يريد: كتاب **إحياء علوم الدين** للغزالي.

وتقدم في ما نقله الأقشهري عن صاحب السيرة عن جبريل عليه السلام في ارتفاعه سبعة أذرع، وقيل: خمسة.

وأسند يحيى عن أسامة بن زيد عن أبيه، قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه حجر، فلقيه أسيد بن حُضَير، وذكر ما قدَّمناه.

ثم قال: قال ـ يعني: زيداً ـ: ورفعوا الأساس قريباً من ثلاث أذرع على الأرض بالحجارة، وكان في جوف الأرض قبور جاهلية، فأمر بالقبور فنُبشت فَرُمِيَ بعظامها، وأمرَ بها فغُيِّبَتْ، وكان في المربد ماءٌ مستنجلٌ فَسَرَّبَهُ[1] حتى ذهبَ، وكان الذين أسَّسوا المسجد جعلوا طولَه مما يلي القبلة إلى مؤخره مئة ذراع، وفي الجانبين الآخرين مثل ذلك، فهو مربَّع.

ويقال: إنه كان أقلَّ من مئة ذراع، وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب في مؤخره، أي: وهو في جهة القبلة اليوم، وباب عاتكة الذي يُدعى باب عاتكة، ويقال: باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه رسول الله ﷺ وهو باب آل عثمان اليوم[2].

وهذان البابان لم يُغَيرا بعد أنْ صُرِفَتْ القبلة، ولما صُرِفَتْ القبلة سَدَّ النبي ﷺ البابَ الذي كان خلفه وفتح هذا الباب، وحذاءَ هذا الباب ـ أي: ومحاذيَه ـ هذا البابُ الذي سُدَّ.

وعبَّر ابن النجار عن ذلك بقوله: ولمَّا صُرفت القبلة سَدَّ الباب الذي كان خلفه وفتحَ باباً حذاءه[3].

قال المجد: أي: تُجاهه[4]، انتهى.

وذكر الأقشهري في خبرٍ عن ابن عمر ما يخالف هذا، فإنه قال: وعن عبد الله بن عمر، قال: كان مسجد رسول الله ﷺ في زمانه من اللَّبِن وسَقْفُه من

---

(١) في المغانم المطابة ص١٦٠: "فسيَّروه".

(٢) الدرة الثمينة ٢/٣٥٦.

(٣) الدرة الثمينة ٢/٣٥٦ وقد اختصر السمهودي نص ابن النجار.

(٤) المغانم المطابة ص١٦١.

غصن النخل، وله ثلاثة أبواب: باب في مؤخره، وباب عاتكة وهو باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه وهو باب عثمان، وهو الذي يُسَمَّى: باب جبريل، ولما صُرِفَتْ[1] القبلة سُدَّ الباب الذي خلفه وفُتِحَ الباب الآخر، وهو الذي يسمى: باب النساء[2]، انتهى.

وهو غريب، ولعلَّ قوله: "وهو الذي يسمى: باب النساء" من تصرفه وفهمه في معنى الخبر، ولذلك أورد عقبه حديث أبي داود مرفوعاً: «لو تركنا هذا الباب للنساء»، لكنْ أبو داود بيَّن أنَّ الأصح أنه من قول عمر، كما سيأتي.

وعلى ما ذكره فلم يجعل للمسجد بعد التحويل باباً خلفه، ويرده قول يحيى ما تقدم عنه: فكان المسجد له ثلاثة أبواب: باب خلفه، وباب عن يمين المصلى، وباب عن يسار المصلى، ثم انتهوا إلى البناء باللبن، فجعل رسول الله ﷺ يحمل معهم اللَّبن في ثيابه[3]، ويقول: هذا الحِمالُ لا حِمَالُ خيبر[4]، الرجز المتقدم.

وروى أحمد عن أبي هريرة: أنهم كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد ورسول الله ﷺ معهم، قال: فاستقبلتُ رسولَ الله ﷺ وهو[5] عارضٌ لبنةً على بطنه، فظننت أنها شَقَّتْ عليه، فقلت: ناولنيها يا رسول الله، قال: خذ غيرها يا أبا هريرة فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة[6].

قلت: وهذا في البناء الثاني، أي: لأنَّ أبا هريرة لم يحضُر البناء الأول لأنَّ قدومه عام فتح خيبر.

وأسند ابنُ زبالة من طريق ابن جُرَيج عن جعفر بن عمر، قال: كان المِرْبَدُ لسهل وسهيل ابني عمرو فأعطياه رسولَ الله ﷺ فبناه، وأعان أصحابه أو بعضهم

(١) ر، ص: حرفت.
(٢) الروضة الفردوسية ورقة ٢٥أ في الحاشية المطموسة.
(٣) ر، ص: بنائه.
(٤) الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٥٦.
(٥) ص: يحمل وهو عارض.
(٦) مسند أحمد (المكتب الإسلامي) ٢/ ٥٠١.

بنفسه في عمله، وكان عليٌّ بن أبي طالب يرتجز وهو يعمل فيه، قال: وبناه النبي ﷺ مرتين: بناه حين قدم أقلَّ من مئة في مئة، فلما فتح الله عليه خيبر بناه وزاد عليه مثله في الدور(١).

وروى الطبراني ـ بإسناد فيه ضعيف ـ عن أبي المليح(٢) عن أبيه، قال: قال النبي ﷺ لصاحب البقعة التي زِيدَتْ في مسجد المدينة ـ وكان صاحبها من الأنصار ـ فقال النبي ﷺ: «لك بها بيت في الجنة»، قال: لا، فجاء عثمان فقال له: لك بها عشرة آلاف درهم، فاشتراها منه، ثم جاء عثمان إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله اشترِ مني البقعة التي اشتريتها من الأنصاري فاشتراها منه ببيت في الجنة، فقال عثمان: إني اشتريتها بعشرة آلاف درهم، فوضع النبي ﷺ لَبِنَةً، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة، ثم دعا عمر فوضع لبنة، ثم جاء عثمان فوضع لبنة، ثم قال للناس: ضعوا فوضعوا(٣).

وروى الترمذي ـ وحَسَّنَه ـ في قصة إشراف عثمان على الناس يوم الدار(٤) عن ثمامة بن حَزن القُشيري: أنَّ عثمان رضي الله عنه قال: أَنْشُدُكُم بالله وبالإسلام هل تعلمون أنَّ المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخيرٍ له منها في الجنة فاشتريتها من صُلبِ مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أُصَلِّي فيها ركعتين قالوا: اللهمَّ نعم»(٥)، الحديث.

وأخرجه الدارقطني أيضاً، وكذا أحمد(٦) نحوه.

---

(١) انظر: الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٥٦.

(٢) قال الحاكم في المستدرك ١/ ٤٩١: "أبو صالح الخوزي وأبو المليح الفارسي لم يُذكَرا بالجرح، إنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث".

(٣) المعجم الكبير ١/ ١٦٣ ومجمع الزوائد ٩/ ٨٦ وعن أبي المليح، انظر: التاريخ الكبير والضعفاء الصغير كلاهما للبخاري ٣/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ والجرح والتعديل ٣/ ٥٤١.

(٤) أي: حين أشرف عثمان رضي الله عنه من أعلى داره على الخارجين عليه حين حاصروه في داره. أنظر: كتاب الردة والفتوح و كتاب مسير علي وعائشة لسيف بن عمر التميمي ١٢١ ـ ٢١٠ ووقعة الدار ومقتل عثمان رضي الله عنه مبسوطة في كتب التواريخ .

(٥) جامع الترمذي ٦/ ٧١ (بشار) وورد مثله في الردة والفتوح ١٧٥ وتاريخ المدينة ٤/ ١٢٨٧ .

(٦) مسند أحمد (المكتب الإسلامي) ١/ ٩٠.

وأخرجا أيضا حديثاً طويلاً عن الأحنف بن قيس، فيه: أنَّ عثمان رضي الله عنه قال: أها هنا عليّ؟ قالوا: نعم، قال: أها هنا طلحة؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله الذي لا إلَهَ إلاَّ هو أتعلمون أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: مَن يبتاع مِربَد بني فلان غفر الله له؟ فابتعته بعشرين ألفاً أو خمسة وعشرين ألفاً، فأتيت النبي ﷺ فقلت: قد ابتعته، فقال: اجعله في مسجدنا وأجره لك، قالوا: اللهمَّ نعم[1].

وأخرج خيثمة بن سليمان[2] في فضائل عثمان عن قتادة، قال: كانت بقعة إلى جَنب المسجد، فقال النبي ﷺ: «مَن يشتريها ويُوَسِّعها في المسجد له مثلها في الجنة؟ فاشتراها عثمان فوسعها في المسجد».

وأسند ابنُ زبالة عن خالد بن مَعْدان[3]، قال: خرج رسولُ الله ﷺ على عبد الله بن رواحة وأبي الدرداء ومعهما قَصَبَة يَذرَعانِ بها المسجد، فقال: ما تصنعان؟ فقالا: أردنا أن نبني مسجدَ رسول الله ﷺ على بنيان الشام، فَنُقَسِّم ذلك على الأنصار، فقال: هاتياها، فأخذ القصبةَ منهما، ثم مشى بها حتى أتى الباب فَدَحَا بها[4] وقال: كلا! ثُمَام وخُشَيبَات وظُلَّة كظلة موسى، والأمر أقرب من ذلك[5]، قيل: وما ظلة موسى؟ قال: إذا قام أصاب رأسَهُ السقفُ[6].

وروى البيهقي في **الدلائل** من طريق يَعلى بن شدَّاد عن عُبادة: أنَّ الأنصار جَمعوا مالاً فأتوا به النبي ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله ابْنِ بهذا المسجدَ وزيِّنْهُ، إلى متى نصلي تحت هذا الجريد؟ فقال: ما بي رغبة عن أخي موسى، عريش كعريش موسى[7].

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٨٤.

(٢) خيثمة بن سليمان بن حيدرة، أبو الحسن القرشي المتوفى سنة ٣٤٣هـ، مؤلف **فضائل الصحابة** وغيره، انظر: سزكين ١/ ١٨٥و**سير أعلام النبلاء** ١٥/ ٤١٢ مع مصادر ترجمته و**معجم المؤلفين** ٤/ ١٣١.

(٣) **سير أعلام النبلاء** ٤/ ٥٣٦ مع مصادر ترجمته.

(٤) دحا بها: يقال: دحا المطر الحصى عن وجه الأرض دفعه، والمعنى هنا: رمى بها خارج المسجد.

(٥) **فضائل المدينة** للجندي ٣٦ بالفاظ مختلفة.

(٦) **الدرة الثمينة** لابن النجار ٢/ ٣٥٦ و**المغانم المطابة** ص١٥٨.

(٧) **دلائل النبوة** للبيهقي ٢/ ٥٤٢.

وروى البيهقي أيضاً عن الحسن في بيان عريش موسى، قال: إذا رفع يَدَهُ بلغ العريش، يعني: السقف[1].

وعن ابن شهاب: كانت سَوَاري المسجد في عهد رسول الله ﷺ جذوعاً من جذوع النخل، وكان سقفه جريداً وخوصاً، ليس على السقف كثيـر طين إذا كان المطر امتلأ المسجد طيناً؛ إنما هو كهيئة العريش.

وفي **الصحيح** في ليلة القدر: «وإني أُريتُ أني أسجد في ماء وطين، فمن كان اعتكف مع رسول الله ﷺ فليرجع، فرجعنا وما نرى في السماء قزعة، فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد، وكان من جريد النخل، وأُقيمت الصلاة، فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته»[2].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٤٢.

(٢) فتح الباري ٤/ ٢٨٠ "باب الإعتكاف" : "حتى رأيت الطين في أرنبته وجبهته" والمعجم المفهرس ٥/ ٣٧٧ عن البخاري : في ثلاثة مواضع ومسلم في الصيام والنسائي في الاستسقاء وأحمد في ثلاثة مواضع.

الفصل الثاني
في ذرعه وحُدُوده التي يتميز بها عن سائر المسجد اليوم

اعلم: أنَّ الذراع حيث أُطلق فالمراد به ذراع الآدمي، وقد قدَّمنا في تحديد الحرم أنه ذراع غير ثُمنٍ من ذراع الحديد المستعمل بمصر ومكة، وهو شبران تقريباً، وقد تحصَّلنا ـ كما تقدم ـ في ذرع المسجد على أربع روايات:

الأولى: سبعون ذراعاً في ستين أو يزيد.

الثانية: مئة ذراع في مئة، وأنه مربع.

الثالثة: أنه أقل من مئة ذراع، وهذا صادق بالأولى فليحمل عليه.

الرابعة: أنه بَنَاه أولاً أقلَّ من مئة في مئة، ثم بناه وزاد عليه مثله في الدور، ولا يَصِحُّ أنْ يُرادَ بذلك الأذرع قطعاً؛ لأنها تقتضي أنه بعد البناء الثاني صار أحد امتداديه إما الطول أو العرض نحو مئتي ذراع، والامتداد الآخر نحوها، ولا شكَّ أنَّ حَدَّ مسجده ﷺ من جهة المشرق غايته الحجرة الشريفة، فعرضه من جدارها إلى جدار المسجد الغربي، وذرع هذا القدر اليوم بعد الزيادة المجمع عليها لا تبلغ مئة وخمسين ذراعاً ـ كما اختبرته، بل تنقص أزيد من ستة أذرع.

وقد أجمع المؤرخون على أنَّ عمر وعثمان رضي الله عنهما زادا في المسجد من هذه الجهة، ثم غيرهما من الخلفاء؛ فالظاهر أنَّ المراد من هذه الرواية الأشبار لا الأذرع، فيقتضي أنَّ المسجد النبوي بعد البناء الثاني صار أَحَدُ امتداديه مئتي

شبر، والامتداد الآخر نحوها، فيوافق رواية مئة ذراع في مثلها، على أنَّ ما ذكره المتأخرون من التحديد بالأمور الآتية يقتضي أنه لم يكن مئة ذراع، فهو مقتضٍ لترجيحهم الرواية الأولى وهي سبعون ذراعاً في ستين، وتكون السبعون للطول والستون للعرض.

وقد نقل النووي ذلك في منسكه عن خارجة بن زيد[(١)]؛ أحدِ فقهاء المدينة السبعة، ولفظه: بَنَى رسول الله ﷺ مسجده سبعين ذراعاً في ستين أو يزيد[(٢)]؛ وهو الذي جزمَ به ابن النجار، فقال: بنى رسول الله ﷺ مسجده مربعاً، وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وطوله سبعين ذراعاً في ستين ذراعاً أو يزيد[(٣)]، انتهى.

هذا، وقد قال يحيى قُبيل ما جاء في حُجَر أزواج النبي ﷺ: حدثني هارون قال: حدثنا محمد بن يحيى[(٤)] ـ يعني: صاحب مالك ـ قال: في ما كان انتهى إلينا من ذَرْعِ مسجد النبي ﷺ من القبلة إلى حدِّه الشامي أربعة وخمسون ذراعاً وثلثا ذراع، وحدُّه من المشرق إلى المغرب ثلاثة[(٥)] وستون يكون ذلك مكسَّراً ثلاثة آلاف وأربع مئة وأربعة وأربعين ذراعاً، انتهى.

وقال ابن النجار: اعلم أنَّ حدود مسجد رسول الله ﷺ ـ أي: الذي كان في زمنه ـ من القبلة الدرابزيناتُ التي بين الأساطين التي في قبلة الروضة، ومن الشام الخَشَبَتان المغروزتان في صحن المسجد، وأما من المشرق إلى المغرب فهو من حجرة النبي ﷺ إلى الأسطوان الذي بعد المنبر، وهو آخر البلاط[(٦)]، انتهى.

وفي ما ذكره ابن النجار مناقشة: أما ما ذكره من التحديد بالدرابزينات من جهة القبلة وبالخشبتين من جهة الشام، فالخشبتان اليوم غير معروفتين وقد نبَّه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٤٣٧ مع مصادر ترجمته.

(٢) متن الإيضاح في المناسك للنووي ١٦٤.

(٣) الدرة الثمينة ٢/٣٥٦.

(٤) محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري النجاري المدني، من أعيان مشيخة مالك، المتوفى سنة ١٢١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥/١٨٦ مع مصادر ترجمته.

(٥) في الأصول: ثلاث، وهو صحيح أيضاً، لأنَّ الذراع يذكر ويؤنث.

(٦) الدرة الثمينة ٢/٣٧٨ وقد اسقط السمهودي ألفاظاً من النص.

على فَقْدهما الزين المراغي[1]، وكلام المطري يفهمه[2]، ولم أرَ لهما ذكراً في كلام المتقدمين.

نعم ذكر ابن زبالة كلاماً فيه غموض يقتضي تحديدَ بعض جهات المسجد بعُودينِ عَلا[3] الكَبْسُ[4] على أحدهما، وأنَّ الآخر كان موجوداً في زمانه[5].

فلعل ذلك مأخَذُ ابن النجار.

وعبارة ابن زبالة تنبو[6] عن ذلك، إذ لم يذكرهما في حدِّ جهة الشام، والحدُّ من هذه الجهة اليوم ـ على ما يُعرفُ في زماننا ـ الحَجَران الآتي ذكرهما في صحن المسجد، وسيأتي ما يقتضي ردَّ ذلك.

وذكر ذلك ابن جماعة[7] في منسكه فقال: قد عَرَّف المتأخرون مِقْدَارَ المسجد الذي كان عليه أولاً، فقالوا: كان على التربيع من الحجرة المقدسة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب، ومن موضع الدرابزين الذي هو بين الأساطين المتصل بالصندوق أمام المصلَّى الشريف إلى موضع الحجرين المغروزين في صحن المسجد الشريف، انتهى.

ومستنده في ذلك قول المطري في الحجرين المذكورين، يذكر إنهما حدُّ المسجد من جهة الشام والمغرب، قال: لكنهما ليسا على سَمْتِ المنبر الشريف، بل هما داخلان إلى جهة المشرق بمقدار أربعة أذرع أو أقل، وكذا متقدمان إلى

---

(١) **تحقيق النصرة** ٥٥، ٦٢ ـ ٦٣، ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) **التعريف** ٣٩.

(٣) س، ر : على .

(٤) علا الكبس: أي طَمَّه التراب فاندفن.

(٥) انظر: كتاب **المناسك** للحربي ٣٩٦ وفيه "الكلس" بدلاً من "الكبس" وهو تصحيف بيِّنٌ.

(٦) نبا ينبو: تجافى وتباعد.

(٧) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي، المتوفى بمكة المكرمة سنة ٧٦٧هـ، مؤلف **هداية السالك إلى معرفة المذاهب الأربعة في المناسك** (منه نسختان في القاهرة ومختصر له في المكتبة البريطانية) وغيره، انظر: بروكلمان ١/ ٧٢ وملحقه ١/ ٧٨ و**معجم المؤلفين** ٥/ ٢٥٧ مع مصادر ترجمته.

القبلة بمثل ذلك[1].

قال: لأني اعتبرتُ ذلك بالذراع فوجدتهما ليسا على[2] ذرعة المسجد الأول[3].

قلت: كونهما داخِلَين عن سَمْتِ المنبر إلى جهة المشرق ـ بما ذكر ـ لا يقدح في كونهما الحدَّ المذكور، لأنَّ المرادَ أنَّ جهة المغرب هناك في سمتهما، كما أنَّ المرادَ أنَّ جهة الشام في سمتهما، لا أنها ما يحاذي الحجرين فقط، ووقع الاستغناء عن تحرير ابتداء جهة المغرب بما تقدَّم له نقلاً عن ابن النجار من الاسطوانة التي تلي المنبر من تلك الجهة، كما استُغْنِيَ بكون الحجرة الشريفة حدَّه من جهة المشرق، إذ لم يذكر حدٌّ لجهة المشرق مما يلي الحجرين في جهة الشام، وفي الحقيقة لم يقصد بهما سوى بيان جهة الشام.

على أنَّهُ يحتمل أنَّ مقدم المسجد كان أعرضَ من مؤخره كما هو موجود اليوم، فيكون الحجران حدَّه من جهة المغرب حقيقة.

وأما قوله: «إنهما متقدمان إلى القبلة بأربعة أذرع، وإنهما ليسا على ذرعة المسجد الأول» ـ يعني: السبعين التي ذكرها ابن النجار ـ فقد بناه على ما قاله أيضاً: من أنَّ الدرابزينات التي ذكرها ابن النجار من جهة القبلة متقدمة على موضع الحائط القبلي، لأنَّ الحائط القبلي كان محاذياً لمصلَّى رسول الله ﷺ وإنما جعل هذا الصندوق الذي في قبلة المصلَّى الشريف ـ أي: بين المصلَّى والدرابزينات ـ سترة بين المقام الشريف وبين الاسطوانات.

قال: وورد أيضاً أنه كان بين الحائط القبلي وبين المنبر ممر الشاة، وبين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع وربع ذراع، والمنبر لم يغيَّر من جهة القبلة، وكذا المصلَّى الشريف[4]، انتهى.

---

(١) بالنص في التعريف للمطري ٣٠ والمغانم المطابة ص١٦١.

(٢) في التعريف للمطري ٣٠: "على حد ذرعة".

(٣) التعريف للمطري ٣٠.

(٤) المصدر نفسه، وقد قدَّم السمهودي وآخَّر في النص.

فلم يعتبر الذرع من الدرابزينات.

وقد اختبرتُ أنا ذلك من الدرابزينات المذكورة إلى الحجرين المذكورين فكان سبعين ذراعاً بذراع اليد المتقدم ذكره.

وقد قال ابن جماعة: إنه اختبر ذلك بذراع العمل فكان ستة وأربعين ذراعاً وثلثي ذراع، فهو موافق لذرعنا، بل يرجح قليلاً، لأنَّ ذراع العمل ذراع ونصف راجح من ذراع اليد.

وأما ما ذكره المراغي في كتابه من الذَّرع فغير موافق لذرعنا، لأنه اعتمد في ذلك ـ كما صرَّح به ـ على ذراع المدينة الشريفة اليوم[1].

وقد اختبرته فوجدته يزيد على ذراع اليد الذي حررناه بأكثرمن قيراط.

وقول المطري: «إنَّ بين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع وربع»[2] مخالف لما اختبرناه، فإنَّ بينهما ثلاثة[3] أذرع ونصف بالذراع الذي حررناه، لكن سيأتي أنَّ المنبر اليوم ليس هو ذلك، وأنه قد اتضح لنا عند الحفر لتأسيس المنبر الرخام ـ الآتي ذكره ـ صحة ما قاله المطري، وأنَّ المنبر الذي أدركناه قُدِّمَ عن محل المنبر الأصلي لجهة القبلة أزيدَ من نصف ذراع، كما سنوضحه إنْ شاءَ الله تعالى.

وقد ذكر ابن زبالة ويحيى من طريقه نقلاً عن غير واحد من أهل العلم تحديدَ المسجد الشريف من هذه الجهة فقالا: وعلامته في القبلة حروف المرمر الذي المنبرُ وسطه، وعلامته من الشام أربعة طيقان من ناحية المشرق والمغرب، وعلامة الطيقان الأربع إنَّهَنَّ مُخَضَّرَات الأجواف بالفسيفساء كلهنَّ[4].

قلت: والمرمر اليوم لا يظهر منه شيء، لكن يؤخذ من كلام ابن زبالة في وصف هذا المرمر أنه كان دكة مرتفعة حول المنبر قدر الذراع، وأنه ممتد من

---

(١) تحقيق النصرة ٥٤.

(٢) التعريف ٣٠.

(٣) ثلاث وثلاثة: كلاهما صحيح وذلك لأن الذراع يذكَّر ويؤنَّث.

(٤) انظر: كتاب المناسك للحربي ٣٦٠ عن أبي توبة عن سليمان عن أبيه.

المغرب قدر ثلاثة أذرع، ومن المشرق ثلاثة ومن القبلة ثلاثة، فإنه قال: حدثني محمد بن إسماعيل، قال: رأيت طَنْفِسَة[1] كانت لعبد الله بن حسن بن حسن[2] تُطرح قبالة المنبر على مرمر كان هناك، قال: فَحُبِس عبد الله بن حسن سنة أربعين ومئة[3]، وبقيت الطنفسة بعده أياماً ثم رفعت، قال: ثُمَّ إنَّ الحسن بن زيد بن الحسن بن علي[4] رضي الله عنهم لما وليَ المدينة سنة خمسين ومئة في خلافة أبي جعفر نقضَ المرمر ووسَّعه من جوانبه كلها حتى ألحقه بالسواري، فكلَّمه أبو مودود عبد العزيز بن أبي سليمان[5] أنْ يَدَعَ مُصَلَّاه فتركه[6] ولم يلحق المرمر بالأساطين المقدمة، فالمرمر اليوم هو الذي عمل الحسن بن زيد، والمرمر الذي حول المنبر المرتفع على المرمر الذي عمل الحسن بن زيد بين ستة أساطين: ثلاثة أذرع من قبل القبلة وثلاثة أذرع من قبل المشرق وثلاثة أذرع من قبل المغرب[7]، وهو مرتفع عن الأرض نحواً من ذراع، انتهى.

وقال في موضع آخر: عرضُ المرمر الذي حول المنبر ثمانية[8] أذرع، وطوله ثماني عشرة ذراعاً[9].

وسمَّاه في موضع آخر: رخاماً، وهو يُطلق عليه لغةً، وسيأتي ذكر هذه الدكة التي المنبرُ في وسطها عن ابن النجار حيث قال: وارتفاع الدكة التي المنبر عليها شبر وعقد[10]، فكأنَّ الكَبْسَ علا، فإنها كانت ذراعاً في زمن ابن زبالة، وفي زمن

---

(١) الطنفسة: بفتح الطاء وكسرها، واحدة الطنافس وهي البساط.

(٢) انظر: كتاب نسب قريش لمصعب الزبيري، تح ليفي بروفنسال ٥١.

(٣) عبد الله بن حسن مات في سجن المنصور بالكوفة، طبقات ابن سعد ٥/ ٣١٩.

(٤) هو الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان والياً للمنصور العباسي على المدينة، انظر: نسب قريش للزبيري ٢٨٠ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٩ والتحفة اللطيفة ١/ ٢٧٦.

(٥) هو عبد العزيز بن أبي سليمان الهذلي مولاهم، أبو مودود المدني القاص، انظر عنه: التحفة اللطيفة ١/ ٥٦، ٢/ ١٨١.

(٦) نقلاً من نصيحة المشاور ورقة ٤ب.

(٧) تاريخ المدينة ١/ ١٧ ـ ١٨.

(٨) ر، ص: ثمان.

(٩) ذراع اليد يذكَّر ويؤنَّث، وسترى ذلك قريباً في ذرع المنبر النبوي الشريف.

(١٠) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٣: «والدكة التي هو عليها طول شبر وعقد» كذا ورد النص ولا بدَّ أنَّ فيه تحريفاً.

ابن النجار شبراً وعقداً، ثم علا الكبس فلم يوجد اليوم.

وقد ظهر أثرها وأثر الرخام المذكور عند حفر ما حول المنبرالشريف، وشاهدتُ الرخام الذي في قبلته ـ كما سيأتي ـ وتلخص من هذا أنَّ المرمر كان في جهة القبلة ثلاثة أذرع بعد المنبر، والظاهر أنَّ عرضَ جدار المسجد الشريف أدخل في ذلك من جهة القبلة، فقد روى يحيى في ترجمة ما جاء في زيادة الوليد: أنَّ عمر بن عبد العزيز أحْضَرَ رجالاً من قريش فأرَوهُ مسجد رسول الله ﷺ الذي زاد فيه عمر والذي زاد فيه عثمان، فعَلَّمَ عمر بن عبد العزيز المسجد الأول الذي كان على عهد رسول الله ﷺ فكان جدار القبلة من وراء المنبر ذراعاً وأكثر من ذراع.

وروى ابن زبالة أخباراً تتضمن أنَّ جدار القبلة كان بينه وبين المنبر قدر ممر العَنْزِ.

وفي **العتبيّة**: ممرُّ الرجل منحرفاً[١].

وفي **الصحيح** عن سهل: كان بين مصلى رسول الله ﷺ وبين الجدار ممر الشاة[٢].

وفيه أيضاً عن سلمة: كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزه[٣]، فتعين ما أشرنا إليه من إدخال جدار المسجد في ذلك الممر الذي جعل علامة في جهة القبلة، وأما الطاقات الأربع التي ذكرها علامةً لنهاية المسجد من جهة الشام فغير معروفة اليوم، إلا أنه سيأتي في ما نقله المرجاني[٤] عن الحارث

---

(١) نقلاً من تحقيق النصرة ٥٦ وانظر: **البيان والتحصيل** ١٨/ ١٦٣.

(٢) **فتح الباري** ١/ ٥٧٤ وكتاب **المناسك** للحربي ٣٩٥.

(٣) **فتح الباري** ١/ ٥٧٤.

(٤) هوعبد الله بن عبد الملك بن عبد الله الشيخ ابي محمد القرشي البرمكي المرجاني مؤلف **بهجة الأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار**، اقتبس منه الفاسي في **شفاء الغرام** ١/ ٥٣، ٢٨٤ ومنه نسخة في .Calc Medr برقم: 330 جاء هذا في بروكلمان ملحق ٢/ ٩٢٧، بعنوان: **بهجة النفوس والاسرار في تاريخ دار هجرة المختار**، وقد بلغني أنَّ د/ محمد بن عبد الوهاب فضل بجامعة ام القرى يعمل على تحقيقه.

المحاسبي[1] ما يبين محلها.

وأما الجواب عن ما ذكره المطري: من كون الدرابزينات متقدمة، فالظاهر أنَّ ابن النجار فَهِمَ أنَّ المراد إدخال عرض الجدار الذي كان موجوداً في زمنه ﷺ، لِمَا تقرر عندنا من أنَّ جدار المسجد من جملة المسجد، ويؤيده ما تقدَّم من التحديد بالمرمر من تلك الجهة.

وما سيأتي في **الفصل الثاني عشر** من رواية أحمد عن نافع: أنَّ عمر رضي الله عنه زاد في المسجد من الاسطوانة ـ أي: التي عند المصَلَّى الشريفِ ـ إلى المقصورة، لأنَّ ذلك الرواق الذي بين الأساطين التي في قبلة الروضة وبين الأساطين التي تليها في القبلة.

وقد قال المراغي: إنَّ الذي ظهر له أنَّ الصندوق الذي في قبلة المُصَلَّى الشريف جُعِلَ في مكان الجدار القديم[2].

ويشهد له ما سيأتي عن يحيى في ذَرْعِ ما بين المصلَّى الشريف وجدار القبلة اليوم، لكن عرض هذا الصندوق ذراعان، وبينه وبين الدرابزين أرجح من نصف ذراع، وذلك في ما يظهر أزيد من عرض الجدار القديم بنحو الذراع، لأني شاهدت لَبِنَاً أُخرج من جدارات الحجرة الشريفة، في العمارة التي أدركناها أولاً، يزيد في الطول على الذراع، وعرضه نصف ذراع وسمكه ربع ذراع، وفيه شيء مرتفع؛ طوله وعرضه وسمكه واحد، وكل ثنتين منه طول لَبِنَة مما قدَّمناه، والذي يظهر أنه كان من بقايا لبن الحجرة الشريفة التي كانت مبنية به أولاً جُعِلَ للتبرك، لأنَّه نَيِّءٌ غيرُ مَشْوِيٍّ، والجدار مبني بالحجارة الوجوه المحكمة وبالقَصَّة[3]؛ فلا يناسبه وضع ذلك فيه، ولهذا جُعِلَ بين الحجارة الوجوه في أعالي الجدار.

---

(١) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي المتوفى سنة ٢٤٣هـ، صاحب مصنفات كثيرة، انظر: بروكلمان ١/١٩٨ وملحقه ١/٣٥١ وسزكين ٦٣٩ وسير أعلام النبلاء ١٢/١١٠ مع مصادر ترجمته.

(٢) تحقيق النصرة ٥٦.

(٣) القصة بلغة أهل الحجاز هي الجص وقد يقال لها: النورة.

وقد تقدم أنَّ الذي استقر عليه عرض الجدار في زمنه ﷺ الأنثى والذكر وهما لبنتان مختلفتان، واللبنتان المختلفتان من هذا اللبن الذي رأيناه أو اللبنة ونصف الأخرى وهو السعيدة يزيد على ذراع ونصف يسيراً، فيكون ذلك هو عرض الجدار في زمنه ﷺ، ويشهد له ما شاهدناه أيضاً في عرض جدار الحجرة الشريفة على ما سنذكره.

ثم اتَّضَحَ الحال بظهور المرمر الذي في قبلة المنبر، فإنَّا وجدنا بينه وبين الدرابزين المذكور أرجح من ذراع، وبينه وبين طرف محل المنبر الأصلي من جهة القبلة ثلاثة أذرع سواء، كما ذكر ابن زبالة؛ فذلك هو عرض الجدار مع ما كان بين المنبر وبينه.

وأما ما ذكره ابن النجار من التحديد بالأسطوانة التي تلي المنبر من جهة المغرب وأنها آخر البلاط وبالحجرة الشريفة من جهة المشرق، فالبلاط الذي ذكره لا يوجد اليوم، وكأنه يريد به الرخام الذي كان المنبر وسطه[1].

وقد عبَّر عن ذلك ابن جماعة ـ كما تقدَّم ـ بقوله: من الحجرة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب، فإنَّ السابعة من صفِّ الأساطين المذكورة هي التي تلي المنبر من المغرب إنْ عَدَدنَا الأسطوان الملاصق للحجرة، ولم أرَ لما ذكره ابن جماعة مستنداً في كلام المؤرخين سوى ما ذكره ابن النجار؛ فيتعين الحمل على الأسطوانة المذكورة، وقد ذرَعْتُ ما بين الأسطوانة التي تلي المنبر عند ظهره من المغرب إلى حائز عمر بن عبد العزيز الذي داخله الحجرة الشريفة بمقطِ[2]، فكانت مساحته سبعة وخمسين ذراعاً ونصف ذراع راجح، وعرض الحائز المذكور ذراع وربع راجح، كما تحرَّرَ لي عند عمارة ما نُقِضَ منه، وليس بينه وبين جدار الحجرة من هذه الجهة فضاء أصلاً، بل هو لاصقٌ به ليس بينهما مغرز إبرة، خلاف ما ذكره المؤرخون، فيكون ما بين الأسطوانة المذكورة والحجرة

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٨.

(٢) في الأصول: بمقط، فلعله يريد: بمِقَاط، على وزن كتاب وهو الحبل الصغير الشديد الفتل، يكاد يقوم من شدة فتله وجمعه: مُقُطٌ، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٤٧.

الشريفة تسعة وخمسون ذراعاً ينقص يسيراً، وكأنَّ ابن النجار جرى على قول من تقدمه من المؤرخين في أنَّ بين الحائز وجدار الحجرة فضاء من هذه الجهة، وظنَّ أنَّ عرض الحائز أكثر مما ذكرناه، فجعل نهاية قولهم في عرض المسجد ستين ذراعاً أو يزيد إلى الاسطوانة التي تلي المنبر، أو أنَّ ذلك القدر الناقص لتفاوت الأذرعة، على أنَّ الظاهر أنَّ ابن جماعة لم يعتبر الاسطوانة اللاصقة بالحجرة، وأنه جعل السارية السابعة هي التي تلي السارية التي تلي المنبر في جهة المغرب، وهي الثانية من المنبر في تلك الجهة، فإنه قال: إنه ذَرَعَ ما بين الاسطوانة السابعة إلى حائز الحجرة الشريفة فكان ذلك اثنين وأربعين ذراعاً وثلثي ذراع بذراع العمل.

قلت: وقد اعتبرت ما ذكره من الذرع بذراع العمل فرأيته ينتهي إلى الاسطوانة الثانية من المنبر في جهة المغرب، وذرعته بذراع اليد الذي حررناه فكان خمساً وستين ذراعاً، وهو مطابق لما قاله ابن جماعة، ولما اختبرناه بذراع العمل، لأنَّ ذراع العمل ذراع وثلث من ذراع الحديد المستعمل بمصر، وذلك اثنان وثلاثون قيراطاً، والذراع الذي حررناه أحد وعشرون قيراطاً، فذراع العمل ذراع ونصف قيراط بالذراع الذي حررناه وقد مال المراغي إلى اعتبار التحديد بهذه الاسطوانة ـ أعني: الثانية من المنبر ـ فإنه ذكر عدم وجود البلاط اليوم[1].

ثم قال: لكني اعتبرت ذَرْعَه من المشرق إلى المغرب ـ على رواية يحيى ـ ثلاثة وستين، وهي من أقل الروايات، فكان من جدار الحجرة الشريفة ـ يعني: الحائز الظاهر ـ إلى الاسطوانة الثانية من المنبر لا التي بعده ستين[2] ذراعاً تقريباً[3].

قال: وعلى هذا يكون عرض جدار عمر بن عبد العزيز وما بينه وبين جدار

---

(١) تحقيق النصرة ٥٥.

(٢) في الأصول: ستون، وهو على الصواب في تحقيق النصرة.

(٣) تحقيق النصرة ٥٥.

الحجرة الشريفة الأصلي ثلاثة[1] أذرع[2] تقريباً، انتهى.

ولا يخفى ما فيه، لأنه جعل المسافة المذكورة ستين ذراعاً تقريباً وهي خمسة وستون تحريراً[3]، وتبع من تقدمه من المؤرخين في ثَبَات فضاء بين حائز عمر بن عبد العزيز وجدار الحجرة، فخَمَّنَ أنَّ ذلك مع عرض الحائز ثلاثة أذرع، وقد علمت أنَّ عرض الحائز ذراع وربع يرجح يسيراً وليس بينه وبين جدار الحجرة شيء.

وقد روى ابن زبالة ويحيى من طريقه أشياء في تحديد المسجد وذَرْعِه يقتضي أنَّ حَدَّ المسجد الشريف في زمنه ﷺ من جهة المشرق لم ينته إلى حائز عمر بن عبد العزيز، بل الحائز وبعض ما يليه من المغرب في موضع حجرة عائشة رضي الله عنها، وأنَّ جدار حجرة عائشة كان في ما بين الأساطين اللاصقة بجدار القبر وبين الأساطين التي بينها المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة، وأنه ﷺ كان قد بَنَى المسجد أولاً وجعله ثلاث أساطين عن يمين المنبر في المغرب وثلاث أساطين عن يساره في المشرق، وأنَّ نهايته من جهة المشرق كانت أولاً اسطوان التوبة[4]، لأنها تكون في موضع الجدار بعد الأساطين الثلاث، وأنَّ مساحة ذلك من المشرق إلى المغرب ثلاث وستون ذراعاً؛ وقيل: خمس وخمسون، وأنه زاد فيه بعد ذلك من المشرق والمغرب، ومع ذلك لم تَنْتَهِ زيادته في المشرق إلى موضع حائز عمر بن عبد العزيز، وأنه لم يزد فيه من جهة القبلة ولا من جهة الشام.

قلت: وهو موافق لما رُوِيَ أنه كان مئة ذراع ـ كما سنبيِّنه ـ ويُرَجِّحُه عندي أنَّ المنبر الشريف يكون حينئذ متوسطاً للمسجد، إذ يبعد أنه ﷺ لا يتوسط أصحابه ويقف على منبر في طرفهم.

وكون المسجد النبوي لا ينتهي إلى موضع حائز عمر بن عبد العزيز ـ كما

---

(١) في الأصول: ثلاث، وهو صحيح أيضاً لأن الذراع تذكر وتؤنث.

(٢) في تحقيق النصرة ٥٦: «ثلاثة أذرع أو أربعة تقريباً».

(٣) في حاشية خ كتب عبد الله بن أحمد الشهابي الحسني السمهودي: "لعله تحديداً".

(٤) اسطوانة التوبة: هي التي ارتبط فيها ابو لبابة بشير بن عبد المنذر الأوسي الأنصاري حين اختاره يهود خيبر حكماً في حديث رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية ١/ ٦٨٦.

قدَّمناه ـ خلافُ ما عليه متأخرو المؤرخين، لكنه حسن ـ إذ يبعد أن يبني عمر بن عبد العزيز حائزه في شيء من المسجد وينتقص الروضة الشريفة به، حاشاه من ذلك، والذي صحَّ أنَّ محلَ القبور الشريفة في صُفَّة بيت عائشة، ولا بُدَّ للصفة من مرافق، فيظهر أنَّ الحائط الذي في جوف الحائز هو حائط الصفة، والحائز في ما خرج عنها من بقية البيت.

ثم ظفرت في كلام المرجاني نقلاً عن الحارث المحاسبي[1] بما يصرح بذلك، لما سيأتي من أنه ذكر في تحديد المسجد ستة أساطين من جهة شرقي المنبر، ثم قال: "والروضة ما بين القبـر والمنبر، فما كان منها في الإسطوانة السادسة التي حددت لك عن يمين المنبر فليس من المسجد الأول، إنما كان من حجرة عائشة رضي الله عنها فَوُسِّع به المسجد، وهو من الروضة"، انتهى.

ولنورد عبارة ابن زبالة؛ فإنَّ يحيى رَوَى ذلك عنه من غير زيادة ولا مخالفة مع ما فيها من أشياء لا تُعرف اليوم، ولكن إفادة هذه الأمور الغريبة التي لم يذكرها متأخرو[2] المؤرخين اقتضت إيرادنا لذلك، فنقول: أسند ابن زبالة عن عبيد بن عمر بن حفص بن عاصم أنَّ مسجد رسول الله ﷺ كان ثلاث أساطين مما يلي المشرق، وثلاث أساطين مما يلي المغرب، سوى ما خرج في الرحبة، أي: الأساطين المصفوفة من الرحبة إلى القبلة، ولولا ما سيأتي من التصريح بأنَّ هذه الست كانت ثلاثة منها على يمين المنبر وثلاثة عن يساره ـ يعني: في البناء الأول ـ لحملنا ذلك على أنَّ ابتداء هذه الست من الاسطوانة التي تلي المنبر، فيكون نهايتها الاسطوان التي يلي إسطوان التوبة، ويكون جدار الحجرة بعدها، فيوافق التحديد المتقدم، لكنه قال عقبه: وقال جمهور الناس من أهل العلم وغيرهم[3]: هو إلى الفرضتين اللتين في الاسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية والتي في القبر.

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) ص: متأخر، ر، س، م١: متوخروا.

(٣) ساقطة من خ.

قلت: لا تُعرف اليوم في المسجد القديم مربعة غربية، غير أنَّ الذي ظهر لي من مقابلتها بمربعة القبر ومما سيأتي في بيان الحائز الذي عُملَ لمنع ماء المطر أنْ يغشى المسقف القبلي، أنها الاسطوانة العظيمة المثمنة اليوم في المسقف القبلي، فإنها كانت ركن رحبة المسجد في هذا المسقف من جهة المغرب، كما أنَّ مربعة القبر كانت ركن الرحبة في جهة المشرق قبل زيادة الرواقين اللذين ذكرهما في المسقف القبلي، كما يؤخذ من مواضع في كلام ابن زبالة ويحيى.

والذي يظهر أنَّ تثمين[1] الاسطوانة المذكورة حَادِثٌ، وإنما كانت مربعة، كما ثمَّنوا ما ظهر من مربعة القبر وما يلي الحجرة منها باقٍ على تربيعه، ومربعة القبر هي التي في نهاية الصفحة الغربية من الحائز الدائر على الحجرة من جهة الشام، وتُعرف باسطوان مقام جبريل عليه السلام ـ كما سيأتي إيضاحه ـ والإسطوان التي دونها هي الملاصقة بالشباك الدائر على الحجرة اليوم، وهي بين المربعة وبين اسطوان الوفود، فيكون جدار الحجرة على هذا كان في ما بين مربعة القبر والتي تليها.

قال ابن زبالة، عقب ما قدمناه عنه: واحتجوا بأنَّ رسول الله ﷺ كان يعتكف في المسجد في موضع مجلس بني عبد الرحمن بن الحارث[2]، وأنَّ عائشة رضي الله عنه كانت تُرَجِّلُ رأسه وهو معتكف في المسجد وهي في بيتها، وكان مالك بن أنس يقول: الجدار من المشرق في حد القناديل التي بين الأساطين التي في صَفِّها اسطوان التوبة وبين الأساطين التي تلي القبر وأُرْفَة[3] عمر بن عبد العزيز من ورائها في الاسطوانة التي تلي القبر.

---

(١) أي: ذات ثمانية أضلاع.

(٢) انظر عنه: الإصابة لابن حجر ٣/٦٦.

(٣) م١، س، ش: واروقة، م٢: أروقة، وفي حاشية س: "لعله اروقة"، ر: "لعله واروقة"، والأرف: جمع أُرْفَة وهي الحدود والمعالم، ويقال بالثاء المثلثة أيضاً، **النهاية في غريب الحديث** ١/٣٩. وجاء في حاشية ص: «والأرفة بضم الهمزة وسكون الراء المهملة بعدها فاء هو الحد بين الأرضين، كما في القاموس، والله أعلم، ولعل المصنف رحمه الله تعالى تصحف عليه بالأزفة بالزاي المعجمة كما هو في نسخ الكتاب، فلذا قال: لا أدري ما معنى قوله بازفة والله أعلم».

قلت: ما نقله عن مالك صريح في ما قدمناه من أنَّ جدار المسجد الشرقي كان في ما بين الأساطين اللاصقة بالقبر وبين الأساطين المقابلة لها، فيكون في محاذاة القناديل الآخذة من القبلة إلى الشام في ما بين الأساطين ويكون عمر بن عبد العزيز أخَّرَه إلى الاسطوان اللاصق بجدار القبر، وسيأتي ما يصرح بذلك من كلام المحاسبي أيضاً.

وأما قوله: "واحتجوا... الى آخره"، فوجه الاحتجاج أنَّ معتكفه ﷺ كان لاصقاً بحجرته بحيث إنَّ عائشة رضي الله عنها كانت تُرَجِّل رأسه وهو في معتكفه وهي في بيتها، ولهذا أورد ابن زبالة عقبه حديثَ: «كان يُدنِي إليَّ رأسه وأنا حائض فأرَجِّله وهو مجاور في المسجد»[1].

ومجلس بني عبد الرحمن بن الحارث الذي ذكره ابن زبالة لا يعرف اليوم.

لكن روى ابن زبالة ويحيى في بيان معتكفه ﷺ أشياء سنذكرها إن شاء الله تعالى، والمناسبُ لما نحن فيه منها:

أنه كان للنبي ﷺ سرير من جريد فيه سَعَفُه يوضع[2] بين الاسطوان التي وُجَاه القبر وبين القناديل، كان يضطجع عليه ﷺ[3].

وقوله: «التي وُجَاه القبر»، يريد به المواجهة له، وهي اللاصقة بالشباك الدائر على الحجرة اليوم في صَفِّ اسطوان التوبة، بل قيل: إنها اسطوان التوبة ـ كما سيأتي ـ وهذا مطابق لما ذكره مالك من أنَّ الجدار كان في حَدِّ القناديل المذكورة.

وأسند ابن زبالة أيضاً عن غير واحد من أهل العلم أنَّ مسجد رسول الله ﷺ كان ثلاث أساطين عن يمين المنبر وأنت مستقبل القبلة في موضع معتكف حسن بن

---

(١) فتح الباري ١/٤٠٣؛ ٤/٢٧٣ ـ ٢٧٤ : "كان يخرج رأسه إليَّ وهو معتكف فأغسله وأنا حائض".

(٢) في نصيحة المشاور ورقة ٤ب: «يوضع له في ما بين».

(٣) نصيحة المشاور ورقة ٤ب والتعريف للمطري ٣١وتحقيق النصرة للمراغي ٥٩: "طرح له فراشه ووضع له سريره وراء اسطوانة التوبة".

زيد[1] الذي كان يعتكف فيه، ومن الشق الآخر إلى اسطوان التوبة، وكان ذرعه من المشرق إلى المغرب ثلاثة وستين ذراعاً.

وقال عبد الرحمن بن سعد[2] عن أشياخه: كان خمسين في خمسين.

قلت: فتكون الحُجَر التي في شرقي المسجد أُدخلت بعد أو بعضها في الزيادة الآتية أو أنها لم تستقر في شرقية إلاّ بعد ذلك.

ثم قال ابن زبالة: قالوا: «وعلامة مسجد رسول الله ﷺ» أي: الذي بَنَى عند مقدمه من مكة، وذكرَ علاماتٍ كانت في السقف المحترق والفسيفساء التي زالت فلا تُعرف اليوم.

ثم قال: وعلامة مسجد رسول الله ﷺ الذي بَنَى مَقْدَمَهُ من خيبر، قالوا: ترك رسول الله ﷺ المسجد من القبلة في تلك البنية على حَدِّه الأول، وزاد فيه من ناحية المشرق إلى الإسطوان التي دون المربعة التي عند القبر، وعلامة تلك الاسطوان أن لها نجافاً[3] طالعاً في الرحبة من بين الأساطين، ومن المغرب إلى الاسطوان التي تلي المربعة التي لها نجاف أيضاً من بين الأساطين، وصُمِّدَ[4] ذلك؛ أي: المسجد بحجارة ـ وعبارة يحيى: وقد صُمِّدَ بحجارة تحت الحصباء ـ منها أُرْفَةٌ[5] عند الاسطوان التي بين اسطوان التوبة وبين القبر في صفِّ الاسطوان التي لها نِجَافٌ، ومن المغرب مثل ذلك بأُرْفَةٍ من حجارةٍ في الأرض مبنيةٍ، وتركَ[6] مما يلي الشام لم يَزِدْ فيه[7]، انتهى كلام ابن زبالة بحروفه[8].

---

(١) هو الحسن بن زيد، وقد سبقت ترجمته.

(٢) لعله يريد عبد الرحمن بن سعد بن أبي وقّاص، ترجم له ابن سعد ترجمة قصيرة في **الطبقات** ٥/ ١٧٠

(٣) النجاف ككتاب: اسكفة الباب، ويقال: عتبة الباب، انظر: **النهاية في غريب الحديث** ٥/ ٢٢.

(٤) في الأصول: وصهر ذلك ؛ وصمَّدَ الشيءَ يُصَمِّده أذا أثبته وصمدت القارورة أصمدتها إذا سددتها، **تاج العروس**: "صمد".

(٥) الأرفة: هي الحدُّ والمعالم كما سبق ذكره.

(٦) في **كتاب المناسك**: «واثبت المسجد مما يلي الشام».

(٧) بالنص في **كتاب المناسك** للحربي ٣٦١.

(٨) الجملة: "وعبارة. يحيى ... الحصباء"، جملة معترضة أراد بها السمهودي أيراد الفرق بين =

وقوله: «من المغرب مثل ذلك»: أي: صُمَّدَ[1] الحدُّ بأُرفَةِ حجارة في الأرض، ولا أدري معنى قوله: «بأرفة»[2].

وذكر ابن زبالة أيضاً في موضع آخر ذَرعَ مسجد النبي ﷺ الذي كان في زمنه، يعني: ما استقر عليه في آخر الأمر، ثم قال: وحَدُّه من شرقي المنبر أربع أساطين، ومن غربيه أربع أساطين، انتهى.

والعجب من ابن النجار فمن بعده من المؤرخين حيث لم يتعرضوا لهذا، لكن ابن النجار اعتذر في أول كتابه بأنه كان مجاوراً بالمدينة ولم تكن كتبه حاضرة عنده، وذكر ما يقتضي أنه كتب ذلك مما علق بفكره[3]، والمطري جرى على منواله، وابن زبالة ويحيى عمدة في ذلك، فإنهما أقدم مَن أرَّخَ للمدينة، لأنَّ ابن زبالة هو محمد بن الحسن، أحد أصحاب الإمام مالك بن أنس، ويؤخذ من كلامه أنه وَضَعَ كتابه في صفر سنة تسع وتسعين ومئة.

وأما يحيى فهو من أصحاب أصحابه، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين ومئتين عن ثلاثٍ وستين سنة.

وأما ابن شَبَّة فكان معاصراً ليحيى وقبله بيسير، ولم أظفر من كتابه بهذا المحل المشتمل على ذكر المسجد، ولو ظفرت به لكان الشفاء، فإنه يوضح الأمور إيضاحاً تاماً، وهو إمام ثقة.

وابن زبالة وإنْ كان ضعيفاً لكن اعتضد بموافقة يحيى له وروايته لكلامه من غير تعقيب.

ثم ظفرت في كلام المرجاني نقلاً عن المحاسبي بما يوافق كلامه، فهو العمدة عندي.

= روايتي ابن زبالة ويحيى الذي ينقل منه في: «وصهر ذلك» و«صمد». والظاهر أن اللفظة في رواية ابن زبالة محرفة.

(1) في الأصول: ظهر، صهر.

(2) انظر عنها: **النهاية في غريب الحديث** ١/٣٩ وقد سبق لنا شرح معناها.

(3) **الدرة الثمينة** ٢/٣٢١ "مقدمة المؤلف".

قال المرجاني: قال الحارث بن أسد المحاسبي: حَدُّ المسجد الأول ستة أساطين في عرضه عن يمين المنبر إلى القناديل التي حذاء الخوخة[1]، وثلاث سَوَارٍ عن يساره من ناحية المنحرف[2] منه، ومنتهى طوله من قبلته إلى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقان المسجد اليوم ـ اي: في زمنه ـ وما زاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الأول.

قال ـ يعني: المحاسبي ـ: وقد رُوي عن مالك، أنه قال: مؤخر المسجد بحذاء عضادة الباب الثاني من الباب الذي يقال له: باب عثمان، أعني: العضادة الآخرة السفلى، وهو أربع طيقان من المسجد.

ثم قال: والروضة ما بين القبر والمنبر، إلى آخر ما قدَّمناه عنه.

وقوله: «عن يمين المنبر» أي: في جهة المشرق، لما سبق عنه خلاف ما تقدم في كلام ابن زبالة، فإنه عَنْ[3] يمين مستقبل المنبر، والطيقان التي ذكرها، لها ذكر في كلام ابن زبالة ويحيى كما تقدم، وهي غير موجودة اليوم.

والباب الثاني من باب عثمان هو المعروف اليوم بباب النساء، فهو صريحٌ في ردِّ ما تقدم من تحديد جهة الشام بالحجرين الموجودين اليوم في صحن المسجد، ومؤيدٌ للرواية المتقدمة في الذرع، وهي رواية مئة ذراع في مئة ذراع، لأنه يَقْرُبُ من ذلك.

وقد تَحَصَّلنا من هذا مع ما تقدم عن المتأخرين على خلاف في نهاية المسجد النبوي من جهة المغرب.

فأحد الأقوال: أنه إلى الاسطوانة التي تلي المنبر من تلك الجهة، وهو الذي عَوَّلَ عليه ابن النجار[4] ومن اتَّبَعَه.

---

(١) في حاشية ص: «بخط المؤلف لعله الحجرة أو المراد خوختها».

(٢) في حاشية ص: «بخط المؤلف لعله المغرب»، وفي حاشية س، ر: «العله المغرب».

(٣) خ: عني.

(٤) الدرة الثمينة ٢/٣٥٦.

والثاني: أنه إلى التي تليها، وهي الثانية من المنبر من تلك الجهة أيضاً، وهما بعيدان.

والثالث: أنه إلى الإسطوانة الثالثة من المنبر في تلك الجهة، وقد اقتضى كلام ابن زبالة: أنَّ ذلك حَدُّ المسجد قبل زيادة النبي ﷺ فيه، خلاف ما يظهر من كلام المحاسبي.

والرابع: أنه إلى الاسطوانة الرابعة من المنبر، لما تقدم من أنه كان على ثلاثة أساطين عن يمين المنبر، فيكون جداره الغربي في موضع الاسطوانة الرابعة في صَفِّها من جهة القبلة اسطوان مربع من أسفله رفع عن الأرض بقدر الجلسة، وفي صَفِّهِ من جهة الشام إسطوان محراب الحنفية المحدث.

والخامس: أنه إلى الإسطوانة الخامسة من المنبر، لما تقدم من أنَّ النبي ﷺ زاد فيه بعد فتح خيبر من جهة المغرب بقدر اسطوان آخر، كما يؤخذ مما تقدم ولِمَا صَرَّحَ به ابن زبالة كما قدَّمناه أيضاً حيث قال في حَدِّه: وعن غربيه أربع أساطين، فينتهي حَدُّهُ إلى الاسطوانة الخامسة من المنبر، وهي التي تلي الاسطوانة المذكورة في جهة المغرب في صَفِّها، وهي مربعة من أسفلها بقدر الجلسة أيضاً، وفي صَفِّها من جهة الشام الإسطوان التي تلي محراب الحنفية من جهة المغرب، فهاتان المربعتان هما اللتان بتردد في ما يكون منهما في موازاة حَدِّ المسجد النبوي من جهة المغرب، وقد ذهب تربيعهما في العمارة المتجددة في زماننا بعد الحريق، والمربعة الثانية ـ أعني الخامسة من المنبر ـ هي التي يترجح عندي أيضاً، لأنَّ تجاهها في حائط القبلة طراز آخذ من السقف نازل إلى العصابة السفلى الظاهرية، لكنه انقشر بعضه عند إصلاح العصابة العليا وتبييض الجدار في العمارة التي أدركناها أولاً، وذهب منه ما كان بين العصابتين وبعض ما فوق العليا، وبقي منه ما بين العصابة العليا والسقف، ثم ذهب بقيته في الحريق الحادث في زماننا، وبقي موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين، وقد ذهب ذلك عند هدم الجدار القبلي، فالظاهر أنه علامة نهاية المسجد النبوي من هذه الجهة، خلاف ما سيأتي عن المطري في جَعْلِه علامةً لنهاية زيادة عثمان رضي الله عنه، لوجوه:

الأول: أني ذَرَعْتُ من الاسطوان التي تلي المنبر إلى الاسطوان المحاذية لهذا الطراز، فكان ذلك سبعاً وثلاثين ذراعاً، فإذا أضفنا ذلك إلى الذَّرع المتقدم في ما بين الاسطوان التي تلي المنبر وبين الحجرة الشريفة، وهي نحو الستين ذراعاً، كما تقدم، قارَبَ ذلك المئة التي تقدمت الرواية بها.

الثاني: أنه يبعد أنْ يجعل هذا الطراز لزيادة عثمان رضي الله عنه ـ كما زعمه المطري ـ ويترك التعليم للمسجد الأصلي والاعتناء به أشدُّ، وقد قال ابن زبالة: إنَّ له علامات في الفسيفساء، والظاهر أن الفسيفساء لما زالت جُعِلَ هذا بدَلَها.

الثالث: أنه سيأتي، أنَّ عمر لما زاد في المسجد جعل عرضه مئة وعشرين ذراعاً، وأنه لم يزد فيه من جهة المشرق شيئاً، فيكون نهاية المسجد في زمنه من جهة المشرق الحجرة الشريفة، وقد علمت أنَّ من الحجرة الشريفة إلى ما يحاذي الطراز المذكور ينقص عن المئة، فكيف يكون نهاية زيادة عثمان؟ وعثمان قد زاد اسطواناً من جهة المغرب على زيادة عمر، فلو كان ذلك الطراز نهاية زيادة عثمان لزم أنْ يكون عرض المسجد في زمن عمر التسعين، ولا قائلَ به.

الرابع: أنه سيأتي، أنَّ عثمان رضي الله عنه لم يزد في جهة المغرب غير اسطوانة واحدة، وأنَّ زيادة الوليد من المغرب اسطوانتان، ولا شك أنَّ من الاسطوانة التي تحاذي الطراز المذكور إلى جدار المسجد الغربي خمس أساطين، فأذا سقط منها ثلاث أساطين لعثمان رضي الله عنه وللوليد بقي اسطوانتان لزيادة عمر رضي الله عنه، وهما يقربان من عشرين ذراعاً التي زادها عمر رضي الله عنه على المئة، كما سيأتي.

الخامس: أنَّ موضع المنبر لم يغير، كما سيأتي، ويبعد كلَّ البعد أنْ يجعلَ النبي ﷺ موضع منبره في طرف مسجده ولا يتوسط أصحابه في حال قيامه.

السادس: أنه سيأتي، أنَّ عمر رضي الله عنه زاد في المسجد شيئاً من دار العباس وأنَّ ما بقي منها زاد عثمان رضي الله عنه بعضه، وما بقي دخل في دار مروان بن الحكم.

وروى يحيى في قصة زيادتها ما يصرح بأنها كانت ملاصقة لجدار[1] المسجد النبوي، بل روى أنه كان لها ميزاب يصب فيه.

وقد نقل يحيى أنها كانت في ما بين الاسطوان المربعة التي تلي دار مروان بن الحكم، أي: والباب الذي يلي دار مروان بن الحكم، لما تقدم من دخول بعضها في دار مروان، فوجب أن تكون المربعة المذكورة أول دار العباس وآخر المسجد النبوي.

السابع: ما قدَّمناه من أنَّ المربعة الغربية إذا أطلقت فالمراد بها الإسطوانة التي كانت ركن صحن المسجد في المغرب عند نهاية المسقف القبلي قبل زيادة الرواقين الآتيين فيه، وهي المثمنة اليوم، فهي المرادة بما تقدم عن الجمهور من أنَّ المسجد النبوي كان إلى الفرضتين اللتين في الاسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية والتي في القبر، كما نقله ابن زبالة، ولا شك أنَّ الاسطوانة الخامسة من المنبر في جهة المغرب دون المربعة المذكورة، لأنَّ المربعة المذكورة هي السادسة من المنبر، فوضح أنها المراد بذلك، فيكون الجمهور على رواية: أنَّ المسجد كان مئة في مئة.

ومما يرجح هذه الرواية أيضاً ما تقدم عن المحاسبي من تحديد مؤخر المسجد الأول نقلاً عن مالك بعضادة الباب الثاني من باب جبريل ـ وهو باب النساء ـ وما سيأتي من أنَّ باب الرحمة ـ ويعرف بباب عاتكة ـ لم يغيره عمر رضي الله عنه، يعني: أنه نقله فأخَّرَه فقط وجعله تجاه الباب الأول، لأنه زاد في المسجد من جهة المغرب، وبين باب الرحمة وبين الحجرين اللذين ذكر أنهما حَدُّ المسجد من جهة الشام، تفاوت ظاهر لتأخره عن موازاتهما كثيراً، وكأنهما إنما جُعِلا هناك تميزاً لفوهتي بالوعةٍ يُمَيِّزُهُمَا[2] الحجران المذكوران هناك.

فالذي يترجح عندي في النقد رواية المئة، وما ذكرناه من التحديد، ويحتمل أن ابن النجار لما رأى اختلاف الروايات أراد الأخذ بالأقلّ لأنه المحقق فذكر

---

(١) ص: بجدار.

(٢) م١، ش: تمييزهما؛ س: عندهما، وكُتِبَ فوقها: «يميزهما»، ر، م٢: يميز بهما.

التحديد المتقدم، وتبعه من جاء بعده، على أنه اعتذر في أول كتابه بغيية كتبه[١]، وأنَّ الحفظ قد يزيد وينقص.

ولما اتَّضح ذلك للمَقَرِّ الشجاعي شاهين الجمالي[٢]، ناظر الحرم الشريف النبوي وشادِّ عمائره وشيخ خدَّامه، اتَّخَذ لأعالي الاسطوانة الخامسة من المنبر من صفِّ الآساطين التي في قبلة المنبر طرازاً متصلاً بالسقف منقوشاً فيه: أنَّ ذلك هو الذي استقر عليه الأمر في نهاية المسجد النبوي وحَدِّه، فالله تعالى[٣] يوفقه للمداومة على حفظ الحدود ويلحقه بالمقربين الشهود.

ويتفرع على ذلك مسألة ذكرها النووي، فقال في **شرح مسلم** و**المناسك** وغيرهما: إنَّ الصلاة إنما تتضاعف في المسجد الذي كان في زمنه ﷺ[٤] دون بقية الزيادات، ولم يحك غيره[٥].

لكنَّ الخطيب ابن جملة[٦] نقل عن المحب الطبري[٧]: أنَّ المسجد المشار إليه في حديث المضاعفة هو ما كان في زمنه ﷺ مع ما زِيْدَ فيه، لأخبارٍ وآثارٍ وردت في ذلك، واستحسنه ابن جملة على ما ذهب إليه النووي في كتبه من

(١) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٢١ "مقدمة المؤلف".

(٢) تولى نيابة جدة في سنة ٨٨٦هـ وعزل ثم أعيد في سنة ٨٩٣هـ، انظر: **بدائع الزهور في وقائع الدهور** لابن إياس الحنفي ٣/ ١٨٢، ٢٥٢ وكان شيخ الخدام بالمسجد النبوى وإليه الحسبة بها وتملك بها بئر البصة أو البضة، وترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ١/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠ **والضوء اللامع** ٣/ ٢٩٣ ترجمة طويلة.

(٣) "يوفقه . . . الشهود" بياض في خ، وفي الحاشية كتب الناسخ: "كذا في الأصل".

(٤) متن **الإيضاح في المناسك** للنووي ١٦٥: "فينبغي أن تعنى بالمحافظة على الصلاة في ما كان في عهد رسول الله ﷺ".

(٥) قال النووي: "ينبغي أن يحرص المصلي على الصلاة في الموضع الذي كان في زمانه ﷺ دون ما زيد فيه بعده، لأنَّ التضعيف إنما ورد في مسجده"، **فتح الباري** ٣/ ٦٦ وانظر: **شرح صحيح مسلم** للنووي ٥/ ١٧٩.

(٦) هو محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة الشافعي خطيب الجامع الأموي بدمشق المتوفى سنة ٧٦٤هـ، وقد سبق التعريف به في الجزء الأول.

(٧) هو أحمد بن عبد الله المكي محب الدين شيخ الحرم المتوفى سنة ٦٩٤هـ، مؤلف **الرياض النضرة في فضائل العشرة** وغيرها، انظر: بروكلمان ١/ ٣٦١ وملحقه ١/ ٦١٥.

التخصيص، مع أنَّ البرهان ابن فرحون[1] نقل في شرحه لابن الحاجب الفرعي[2]: أنه لم يخالف في هذه المسألة غير النووي، وأنَّ الشيخ محب الدين الطبري نقل في كتابه **الإحكام**[3]: أنَّ النووي رجع عن ذلك[4].

ونقل عبد[5] الله بن فرحون[6] في شرح **مختصر الموطأ**: أنه وقف على كتاب من كتب المالكية فيه: أنَّ مالكاً سُئِلَ عن ذلك فقال: ما أراه عليه السلام أشار بقوله: «في مسجدي هذا» إلاَّ لما سيكون من مسجده بعده، وأنَّ الله أطلعه على ذلك[7]، انتهى.

قلت: أما قوله: «إنه لا يخالف في ذلك إلاَّ النووي» فممنوع، فقد نقل ذلك ابن الجوزي في **الوفا** عن ابن عقيل الحنبلي[8].

وأما ما نقله عن **الإحكام** للطبري فقد راجعتها فرأيته ترجم لبيانٍ: أنَّ

---

(١) هو برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري الأندلسي المتوفى سنة ٧٩٩هـ، مؤلف كتاب **الديباج المذهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب وإرشاد السالك في أفعال المناسك** ومنه نسخة في جامع الزيتونة بتونس وغيرها، بروكلمان: ٢/ ١٧٥ وملحقه ٢/ ٢٢٦ **ومعجم المؤلفين** ١/ ٦٨.

(٢) هو **شرح مختصر الفرع (أو الفروع)** لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ ويسمى: **تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات**، ومن هذا الشرح نسخة واحدة في المتحف البريطاني برقم: ٨٧٢، انظر: بروكلمان: ملحق ٢/ ٢٢٦ وذكرت له شروح كثيرة في تراجم **الديباج المذهب** باسم: الفرعي والفروعي.

(٣) هو كتاب **غاية الإحكام في الأحاديث والأحكام**، انظر: بروكلمان ١/ ٥٦٢ وملحقه ١/ ٦١٥ فقد ذكر أجزاءه العشرة وأماكن وجودها.

(٤) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٦٥.

(٥) في الأصول: "أبو عبد الله"، ولعلها كانت "أبومحمد عبد الله" فسقطت وتواتر السقط، وقد ذكره السمهودي في ما سبق باسم البدر ابن فرحون واقتبس من شرح **مختصر المؤطأ أو شرح الموطأ**. ويؤكد هذا أنَّ السمهودي نقل هذا النص في **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٦٥ فقال: "ونقل عبد الله بن فرحون في **شرح مختصر الموطأ**.

(٦) هو بدر الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي المدني المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٧٦٩هـ، مؤلف **الدر المخلص من التقصي والمخلص وكشف المغطا في شرح مختصر الموطا** وهو شرح الكتاب الأول وغيرهما، انظر: **الدرر الكامنة** ٢/ ٣٠٠ **والديباج المذهب** ١٤٤ ـ ١٣٥ **ومعجم المؤلفين** ٦/ ١٣٧ ودرَّة **الحجال في أسماء الرجال** لابن القاضي ٣/ ٤٩.

(٧) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** للسمهودي ١٦٥.

(٨) **الوفا بأحوال المصطفى** ١/ ٤٠٣ و٢٥٦ تح عبد الواحد مصطفى.

مسجده ﷺ المشار إليه بالتفضيل هو الموجود في زمنه مع ما زيد فيه، وأورد بعضَ الأخبار الآتي ذكرها في آخر **الفصل الثاني عشر**.

ثم قال: وقد يتوهم بعضُ مَنْ لم يبلغه ذلك قَصْرَ الفضيلةِ على الموجودِ في زمنه ﷺ لمكان الإشارة، وقد وقع ذلك لبعض أئمة العصر، فلما رويتُ له ما سبق جَنَحَ إليه وتلقاه بالقَبول، انتهى.

فكأنَّ ابن فرحون فَهِمَ أنَّ المراد من قوله: بعض أئمة العصر: النووي.

وأما ما حكاه عن مالك، فقد نقله الأقشهري[1] في **روضته** عن عبد الله ابن نافع صاحب مالك عن مالك، ولفظه في أثناء كـلامٍ: قيل له ـ أي: لمالك ـ فَحُدُّ المسجد الذي جاء فيه الخبرُ هو على ما كان في عهد النبي ﷺ أو على ما هو الآن؟ قال: بل هو على ما هو الآن، قال: لأنَّ النبي ﷺ قد أُخبِرَ بما يكون بعده، وزُوِيَتْ له الأرض فأُرِيَ مشارِقَها ومغاربَها، وتَحَدَّثَ بما يكون بعده، فحفظ مَنْ حفظه في ذلك الوقت، ونَسِيَ ذلك من نَسيه ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون المهديون أنْ يزيدوا فيه بحضرة الصحابة ولم يُنْكِر عليهم ذلك مُنْكِرٌ[2]، انتهى.

قلت: ومتمسَّكُ من ذهب إلى التخصيص، الإشارة في قوله: «مسجدي هذا»[3]، ولعله ﷺ إنما جاء بها ليدفع تَوَهُّمَ دخول سائر المساجد المنسوبة إليه بالمدينة غير هذا المسجد، لا لإخراج ما سيزاد فيه، وقد سَلَّم النوويُّ أنَّ المضاعفة في المسجد الحرام تَعُمُّ ما زيد فيه[4]، فليكن مسجد المدينة كذلك، كما أشار إليه ابن تيمية، قال: وهو الذي يدل عليه كلام الأئمة المتقدمين وعملهم، وكان الأمر عليه في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، فإنَّ كلاًّ منهما زاد في قبلة المسجد،

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري (نسبة إلى آق شهر) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٧٣١هـ، وله من الكتب **الروضة الفردوسية**، ومنه نسخة في مكتبة دحداح وأخرى في برلين بخط المؤلف برقم: ٢٠٨٢لم ترد عند بروكلمان لأنها من المقتنيات الحديثة، انظر: بروكلمان: ملحق ٢/ ٩٢٨ **معجم المؤلفين** ٨/ ٢٣٥.

(٢) **الروضة الفردوسية** ورقة ١٠ب و**الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** للسمهودي ١٦٥.

(٣) **جامع الأصول** ٩/ ٣٣٠.

(٤) **فتح الباري** ٣/ ٦٦ ـ ٦٧.

وكان مقامه في الصلوات الخمس في الزيادة وكذلك مقام الصف الأول الذي هو أفضل ما يقام فيه، ويمتنع أنْ تكون الصلاة في غير مسجده أفضلَ منها في مسجده، وأنْ يكون الخلفاء والصفوفُ الأُوَلُ كانوا يصلون في غير مسجده.

قال: وما بلغني عن أحد من السلف خلاف هذا، إلاَّ أنَّ بعضَ المتأخرين ذكر أنَّ الزيادة ليست من مسجده، وما علمت له سلفاً في ذلك[1].

وسيأتي في زيادة عمر بن الخطاب ما ورد من الأخبار والآثار المقوِّية لذلك.

وليست مسألة الحلف على أنْ لا يدخل هذا المسجد، فزيد فيه من هذا القبيل لأنَّ الأَيْمَان مَبْنَاها على العرف.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧/٤١٩ ـ ٤٢٣ حيث جاء فيها معنى قوله. وقال في بيان مناسك الحج: "وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الأحكام" ٢٦/١٤٦.

الفصل الثالث

في مقامه الذي كان يقوم به ﷺ قبل تحويل القبلة وبعد وما جاء في تحويلها

رويناً في البخاري عن البَراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي نحوَ بيتِ المقدس ستةَ عشرَ[1] أو سبعةَ عشرَ شهراً، وكان رسول الله ﷺ يُحِبُ أنْ يُوَجَّهَ إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[2] فتوجه نحوَ الكعبة، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] فَصَلَّى مع النبي ﷺ رجلٌ، ثم خرج بعد ما صلى، فَمَرَّ على قومٍ من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجَّه نحو الكعبة، فتحرَّفَ القومُ حتى توجهوا نحو الكعبة[4].

وأسند يحيى عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا وقفَ يُصلي انتظر أمْرَ الله في القبلة، وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم يُنْهَ عنها من فعل أهل الكتاب.

قال: فبينما رسول الله ﷺ يصلِّي، فأشار له جبريل: يا محمد صَلِّ إلى

---

(١) تاريخ المدينة ٢/ ٤٩٢.

(٢) سورة البقرة ١٤٤.

(٣) سورة البقرة ١٤٢.

(٤) فتح الباري ١/ ٩٥، ٥٠٢.

البيت، وصلَّى جبريلُ عليه السلام إلى البيت، قال: فدَار النبي ﷺ إلى البيت.

قال: فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [1] إلى ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [2].

قال: فقال المنافقون: حَنَّ محمد إلى أرضِهِ وقومِه.

وقال المشركون: أراد محمدٌ أنْ يجْعَلَنا له قِبلةً، وأنْ يجعلنا له وسيلةً، وعرف أنَّ ديننا أهدى من دينه.

وقالت اليهود للمؤمنين: ما صَرَفكم إلى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء؟ والله ما أنتم إلاَّ تَعْبَثُون[3].

وقال المؤمنون[4]: لقد ذهب منا قوم ماتوا، ما ندري أكُنَّا نحنُ وهم على قبلةٍ أم لا؟[5] فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6].

وروى ابن زبالة عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: كان رسول الله ﷺ إذا وقفَ يُصلِّي انتظَرَ أمْرَ الله في القبلة، وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم يُنْهَ عنها من فعلِ أهلِ الكتاب، فبينا رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي الظهر في مسجده قد صَلَّى ركعتين إذ نزلَ عليه جبريلُ فأشار إليه أنْ صَلِّ إلى البيت وصلى جبريل إلى البيت، وذكر نحو ما تقدم.

وأسند يحيى عن رافع بن خديج، قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين وأُمِرَ أنْ يُوَجِّه[7] إلى المسجد الحرام، فاستدار، قال رافع: فأتانا آتٍ ونحن نُصَلِّي في بني عبد الأشهل فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قد أُمِرَ

---

(١) سورة البقرة ١٤٤.
(٢) سورة البقرة: الآية نفسها..
(٣) **عيون الأثر** ١/٣٦٧، اورد ابن سيد الناس أقوال المنافقين واليهود والمؤمنين.
(٤) **فتح الباري** ١/٩٥.
(٥) انظر **عيون الأثر** ١/٣٦٧.
(٦) سورة البقرة ١٤٢ ـ ١٤٣.
(٧) في الحديث: "اين تُوَجِّه؟ أي: تُصَلِّي وتُوَجِّه وجهَكَ"، **النهاية في غريب الحديث** ٥/١٥٨.

أنْ يُوَجِّه إلى الكعبة، قال: فأدارَنَا إمامُنَا إلى الكعبة ودُرْنَا معه.

وعن ابن عمر، قال: بينما نحن في صلاة الصبح بقُباء جاءهم رجلٌ فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أُنْزِلَ عليه الليلة قرآنٌ، وقد أُمِرَ أنْ يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها، وكانت قبلة الناس إلى الشام، فاستداروا وتوجَّهوا إلى الكعبة.

وهو في **الصحيحين** بلفظ: «كانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[1].

وفي لفظ: كانوا ركوعاً في صلاة الصبح[2].

وعن عثمان بن محمد بن الأخنس[3]، أنه ﷺ صَلَّى بأصحابه فيه ـ يعني: في مسجد القبلتين ـ الظهر، فلما صلى ركعتين أُمِرَ أنْ يُوَجَّهَ إلى الكعبة، فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة، واستقبل الميزاب[4].

وعنه أيضاً: نحوه، وأنَّ الفريضة كانت الظهر، وأنها كانت يومئذ أربع ركعات.

وعن سعيد بن المسيب، قال: صلى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس سبعةَ عَشَرَ شهراً، وصُرِفَت القبلة قَبْلَ بدرٍ بشهرين[5].

والثبت عندنا أنها صُرِفَتْ في الظهر في مسجد القبلتين[6].

وفي رواية اخرى عنه: صلى رسول الله ﷺ بعد أنْ قدم المدينة نحو بيت

---

(١) **فتح الباري** ١/٥٠٦ "كتاب الصلاة"، ١٣/٢٣٢ "أخبار الآحاد".

(٢) **فتح الباري** ١٣/٢٣٢: "وهم ركوع في صلاة العصر" و**عيون الأثر** ١/٣٦٦ "وهم ركوع في صلاة الفجر"، "كانو يصلون الصبح فانحرفوا وهم ركوع".

(٣) قال الذهبي "صدوق، وثقه ابن معين، وله ما ينكر، روى عن سعيد بن المسيب مناكير، واسم جده المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي"، **ميزان الإعتدال** ٣/ ٥٢.

(٤) جمع السمهودي بين روايتين وردتا في **طبقات ابن سعد** ١/٢٤١ ـ ٢٤٢ وجاء بينهما: "ويقال"، وهما في **فتح الباري** ١/٥٠٣ و**عيون الأثر** ١/٣٦٥.

(٥) **طبقات ابن سعد** ١/٢٤٢.

(٦) هذا قول الواقدي كما ورد في **طبقات ابن سعد** ١/٢٤٢ وانظر: **التعريف** للمطري ٥١ عن ابن النجار.

المقدس ستة عشر شهراً، ثم حُوِّلَتْ القبلة قبل بدرٍ بشهرين[١].

وعن كثير بن عبد الله المزني[٢] عن أبيه عن جده، قال: صُرِفَتْ القبلة يوم الاثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً[٣].

وفي مسلم عن البَراء بن عازب: صَلَّيت مع النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التي في البقرة: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[٤] فنزلت بعد ما صلى النبي ﷺ فانطلق رجلٌ من القوم فَمَرَّ بناسٍ من الأنصار وهم يُصَلُّون، فحَدَّثَهُم بالحديث، فولَّوا وجوههم قبل البيت[٥].

وفي رواية له عنه أيضاً: ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، على الشك[٦].

وعند الزمخشري: صُرِفَت القبلة ورسولُ الله ﷺ في مسجد بني سلمة ـ يعني: مسجد القبلتين ـ وقد صَلَّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحوَّل في الصلاة، واستقبل الميزاب، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال[٧].

وروى ابن أبي حاتم[٨] في تفسيره من طريق تُوَيْلَة بنت أسلم[٩]، قالت: صَلَّيت الظهر أوالعصر في مسجد بني حارثة، فاستقبلت مسجد إيلياء، فصلينا سجدتين ـ أي: ركعتين ـ ثم جاءنا مَنْ يخبرنا أن النبي ﷺ قد استقبل البيت

---

(١) جمع السمهودي بين أكثر من رواية وردت في **طبقات ابن سعد** ١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ وانظر: **التعريف للمطري** ٥١.

(٢) ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٣٩٣ وذكر أقوال علماء الحديث في تضعيفه بل كذبه.

(٣) **طبقات ابن سعد** ١/ ٢٤٢: " كنا مع رسول الله ﷺ حين قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً"، والظاهر أنَّ السمهودي نقل من نسخة تامة منها فإن النسخة المطبوعة كثيرة السقط والتحريف.

(٤) سورة البقرة ١٤٤.

(٥) **صحيح مسلم** ٢/ ٦٥ ـ ٦٦ **وشرح صحيح مسلم للنووي** ٣/ ١٢.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦٦ **وفتح الباري** ١/ ٩٥.

(٧) **فتح الباري** ١/ ٥٠٦.

(٨) سبقت ترجمته.

(٩) في **فتح الباري** ١/ ٩٧ : "طويلة بنت أسلم" وفي ١/ ٥٠٦ : "ثويلة" بالثاء، وكلاهما مصحف، وهي "تويلة" بالتاء في **تجريد أسماء الصحابة** ٢/ ٢٥٣ وفي **الإصابة** ٤/ ٢٥٦ وذكر الحديث.

الحرام، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، فصلينا السجدتين الباقيتين إلى البيت الحرام[1].

قال الحافظ ابن حجر: وهـذه القصة المرادة بقوله فـي الحديث المتقدم: «فَمَرَّ على قوم من الأنصار يصلون في صلاة العصر نحو بيت المقدس»، فهؤلاء القوم هم بنو حارثة، والمَارُّ عباد بن بشر[2]، ووصل الخبر وقت الصبح إلى أهل قُباء، فلا منافاة بين الحديثين[3].

وسيأتي في مسجد القبلتين: أنَّ ابن زبالة نقل: أنَّ القبلة صُرِفَت ونَفَرٌ من بني سلمة يصلون الظهر في مسجد القبلتين، فأتاهم آتٍ فأخبرهم وقد صَلَّوا ركعتين فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة، فبذلك سُمِّي: مسجد القبلتين[4].

قال المجد: فعلى هذا كان مسجد قُباء أولى بهذه التسمية[5].

وعند أبي القاسم القشيري[6] في **لطائف التفسير**: صَلَّى رسولُ الله ﷺ إلى بيت المقدس بعد قُدُومِه المدينة مهاجراً ستة عشر شهراً عن قتادة[7]؛ وقيل: سبعة عشر شهراً عن ابن عباس[8]؛ وقال أنس: كان تسعة أشهر أو عشرة أشهر؛ وقال معاذ بن جبل: ثلاثة عشر شهراً استمالة لقلوب اليهود أنْ يُصَلِّي إلى قبلتهم ربما يرغبون في دينه، ثم إنه ﷺ كره موافقتهم في أمر القبلة لما قالوا: لولا أنَّ ديننا حقٌّ لما صَلَّى إلى قبلتنا، ولما اسْتَنَّ بسنتنا فقال ﷺ لجبريل: وَدِدتُ أنَّ ربي صَرَفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، فقال جبريل: إنما أنا مَلَكٌ عبدٌ، لا أملك شيئاً، فَسَلْ

---

(١) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥٠٣، ٥٠٦.

(٢) عباد بن بشر بن قيظي الأنصاري الأوسي، انظر: **الإصابة** ٢/ ٢٦٣ وذكر معنى الخبر.

(٣) **فتح الباري** ١/ ٥٠٦.

(٤) **صحيح ابن خزيمة** ١/ ٢٢٣.

(٥) **المغانم المطابة** ص٢٢١.

(٦) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٥هـ، مؤلف **الرسالة القشيرية** وكتاب **المعراج** و**لطائف الإشارات** وغيرها، انظر: بروكلمان ١/ ٤٣٢ وملحقه ١/ ٧٧٠ وسير **أعلام النبلاء** ١٨/ ٢٢٧ و**معجم المؤلفين** ٦/ ٦ مع مصادر ترجمته في كليهما.

(٧) **تاريخ الطبري**، نشرة دي خويه ١/ ١٢٨٠.

(٨) **فتح الباري** ١/ ٩٦.

ربَّكَ، فصعد جبريل السماء[1] وخرج رسول الله ﷺ إلى الصحراء نحو أُحدٍ يصلي ها هنا ركعتين وها هنا ركعتين، ويدعو الله أنْ يُجيزَ له في ذلك، فلم يزل يديم النظر إلى السماء حتى دخل ناحية أُحد، فأنزل الله تعالى في رجب بعد زوال الشمس، قبل الظهر: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ . . . ﴾ الآية[2] وصُرفت القبلة وذلك قبل بدر بشهرين[3].

وفي السير لابن حِبَّان: حولت بعد سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام[4].

وحديث البَراء المتقدم رواه ابن خُزَيمة[5] في صحيحه: «ستة عشر شهراً» على الجزم كرواية مسلم الأولى[6].

وقال الشيخ شرف الدين الدمياطي[7]: حُوِّلت القبلة نصف رجب بعد خمسة عشر شهراً ونصف[8].

ونقل النووي في سير الروضة عن محمد بن حبيب الهاشمي: أنَّ التحويل يوم الثلاثاء النصف من شعبان من السنة الثانية[9].

---

(١) كذا في الأصول. فلعل الأصل كان: "إلى السماء" أو: "للسماء".

(٢) سورة البقرة ١٤٤.

(٣) نقلاً بالنص من المغانم المطابة ص٢٢٠ وانظر: سنن ابن ماجة ١/٣٢٢ ـ ٣٢٣ وطبقات ابن سعد ١/٢٤١ والدر المنثور للسيوطي ١/١٤١ ـ ١٤٢ و مسند أحمد بن حنبل، القاهرة ١٣١٣هـ، ٥/٢٤٦ والخصائص الكبرى للسيوطي ١/٤٨٦ ومجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي ١/١٢.

(٤) نقلاً من المغانم المطابة ص٢١٩ وانظر: فتح الباري ١/٩٧.

(٥) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري المتوفى سنة ٣١١هـ، وقد فصل محمد مصطفى الأعظمي القول في سيرته في مقدمته لـ: "صحيح ابن خزيمة"، وانظر: سزكين ١/٦٠١.

(٦) صحيح ابن خزيمة ١/٢٢٦. وروى حديث البراء: «ستة عشر أو سبعة عشر» فيه ايضاً ١/٢٢٢.

(٧) هو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥هـ، مؤلف المختصر في سيرة سيد البشر وقبائل الخزرج وغيرهما، انظر: بروكلمان ٢/٧٣ وملحقه ٢/٨٩ ومعجم المؤلفين ٦/١٩٧ مع مصادر ترجمته.

(٨) نقلاً من المغانم المطابة ص٢١٩

(٩) انظر: فتح الباري ١/٩٧ ورد ابن حجر على النووي وقوله: "وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح" وتحقيق النصرة ١٤١.

ونقل المجد[1] عن ابن حبيب: أنها حُوِّلَتْ في النصف من شعبان[2] في الركعة الثالثة[3].

وقيل: في صلاة العصر[4].

وعند النحاس: بعد بضعة عشر شهراً[5].

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: صُرِفَتْ في جُمَادى، قال: وهو أولى الأقوال بالصواب[6].

وقال ابن جرير، عن معاذ: بعد ثلاثة عشر شهراً من مقدمه المدينة[7].

قال: وعن أنس: عشرة أو تسعة أشهر، انتهى ما نقله المجد[8].

وقال ابن سعد: يقال: إنه ﷺ صَلَّى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أُمِرَ أن يتوجَّه إلى المسجد الحرام، فاستدار ودار معه المسلمون[9].

ويقال: زار النبي ﷺ أُمَّ بشر بن البَرَاء بن مَعْرور في بني سلمة وصنعت له طعاماً، وحانت الظهر فصلَّى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ثم أُمِرَ فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب، فَسُمِّيَ مسجد القبلتين، قال ابن سعد: قال الواقدي:

---

(١) المغانم المطابة ص٢١٩: «في المُحَبَّر».
(٢) فتح الباري ١/ ٩٧.
(٣) في المغانم: «الثانية».
(٤) نقلاً من المغانم المطابة ص٢١٩.
(٥) نقلاً من المصدر نفسه.
(٦) نقلاً من المصدر نفسه ص٢٢٠، وفي فتح الباري ١/ ٩٧: "وقد جزم موسى بن عقبة بأنَّ التحويل كان في جمادى الآخرة".
(٧) نقلاً من المصدر نفسه، وفي تاريخ الطبري ١/ ١٢٨٠: "قال أبو جعفر وقال آخرون إنما صرفت القبلة إلى الكعبة لستة عشر شهراً مضت من سني الهجرة". وروى ابن حجر في فتح الباري ١/ ٩٧: "فعند ابن جرير رواية سبعة عشر وفي رواية ستة عشر".
(٨) نقلاً من المغانم المطابة ص٢٢٠، و قال ابن حجر في فتح الباري ١/ ٩٧: "ومن الشذوذ أيضاً رواية ثلاثة عشر شهراً ورواية تسعة أشهر أو عشرة أشهر ورواية شهرين ورواية سنتين وهذه الأخيرة يمكن حملها على الصواب، وأسانيد الجميع ضعيفة والاعتماد على القول الأول".
(٩) طبقات ابن سعد ١/ ٢٤١.

هذا أثبت عندنا[١].

وفي **الصحيح**: أنَّ أول صلاة صلاها ـ أي: متوجهاً إلى الكعبة ـ صلاة العصر[٢].

قال الحافظ ابن حجر: التحقيق أنَّ أول صلاة صلاها في بني سلمة الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر[٣].

قال: وأسانيد الروايات المتقدمة ـ أعني: رواية ثلاثة عشر شهراً وتسعة عشر شهراً ونحوها ـ شاذة[٤].

قال: وأما رواية الصحيح فطريق الجمع بين رواية سبعة عشر شهراً وستة عشر، ورواية الشك في ذلك: أنَّ من جَزَم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً، وألغى الأيام الزائدة، ومن جزم بسبعة عشر شهراً عدها معاً، ومن شكَّ تردد في ذلك، وذلك أنَّ القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور[٥].

ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس[٦]، وقول ابن حبان: سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام، مبني على أنَّ القدوم كان في ثاني عشر ربيع الأول[٧].

وقال الربيع[٨]: كان النبي ﷺ في ابتداء الهجرة مخيراً في التوجه إلى بيت المقدس أو الكعبة، إلاَّ أنه اختار بيت المقدس، فكان التوجه إليه فرضاً، وإنْ كان

---

(١) نقلاً من **المغانم المطابة** ص ٢١٩ وانظر: **طبقات ابن سعد** ١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢.
(٢) **فتح الباري** ١/ ٩٥، ٥٠٦.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٩٧.
(٤) **فتح الباري** ١/ ٩٧.
(٥) نقلاً من **فتح الباري** ١/ ٩٦ ـ ٩٧.
(٦) **المستدرك** ٢/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧.
(٧) نقلاً من **فتح الباري** ١/ ٩٦ ـ ٩٧.
(٨) لعله يريد: الربيع بن سليمان المرادي صاحب الإمام الشافعي وراوية كتبه، انظر: **طبقات الشافعية** ٢/ ١٣٢ و**سير أعلام النبلاء** ١٢/ ٥٨٧ مع مصادر ترجمته فيهما.

مخيراً فيه كالمخيَّر في كفارة اليمين؛ أيُّ واحدٍ اختار فهو فرضٌ عليه، وقال ابن عباس: بل كان الفرض التوجه إلى بيت المقدس ثم نُسخ[١].

وقال ابن العربي[٢] وغيره: نُسخت القبلة مرتين[٣].

وقال ابن رشد في البيان[٤]: ولم يختلف في أنَّ صلاته ﷺ كانت بالمدينة إلى بيت المقدس حتى حُوِّلت القبلة، وإنما أُختُلِفَ في صلاته بمكة قبل قدومه المدينة[٥].

فرويَ أنها كانت إلى الكعبة.

ورويَ أنها كانت إلى بيت المقدس.

ورويَ أنه كان يُصَلِّي إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه، أي: بين الركنين اليمانيين[٦].

وحكى ابن عبد البرِّ الاختلافَ في صلاته ﷺ بمكة: هل كانت إلى الكعبة أو بيت المقدس؟ ثم قال: وأحسن من ذلك قول من قال: كان يُصَلِّي بمكة مستَقْبِلَ القبلتين؛ يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس[٧].

وروى الطبراني[٨] وغيره عن ابن عباس، قال: لما هاجر رسول الله ﷺ إلى

---

(١) نقلاً من المغانم المطابة ص٢٢٠.

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي المالكي المتوفى بفاس سنة ٥٤٣ هـ، مؤلف عارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي وأحكام القرآن في التفسير وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٧ مع مصادر ترجمته.

(٣) نقلاً من المغانم المطابة ص٢٢١.

(٤) ش: وقال ابن زبالة رشد في البيان وله يختلف في انه صلاته، وهو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ، مؤلف شرح العتبية وهو بعنوان: البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل ومنه نسخ في باليرمو بصقلية وجامع القرويين بفاس، انظر: بروكلمان ١/ ٣٨٤ وملحقه ١/ ٦٦٢ ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٢٨ مع مصادر ترجمته.

(٥) البيان والتحصيل ١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٦.

(٦) فتح الباري ١/ ٩٧.

(٧) البيان والتحصيل ١/ ٤٦٥.

(٨) ص، ر، ش، م١: الطبري.

المدينة واليهود أكثرُ أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أنْ يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها سبعة عشر شهراً[1]، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء فنزلت[2].

وهو ظاهر في أنَّ استقبال بيت المقدس كان بوحَيٍّ لا باجتهاد من النبي ﷺ وإنما وقع بعد الهجرة، لكن أخرج أحمد عن ابن عباس: كان النبي ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، فيجمع بأنه لما هاجر أُمِرَ بأنْ يستمرَّ على الصلاة لبيت المقدس[3].

وروى الطبراني أيضاً من طريق ابن جُرَيج، قال: صلى ﷺ أولَ ما صَلَّى إلى الكعبة، ثم صُرف إلى بيت المقدس وهو بمكة، وصلَّى ثلاثَ حججٍ وهاجر فصلَّى إليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً، ثم وَجَّهَه الله إلى الكعبة[4].

وقال ابن النجار: وصلَّى النبي ﷺ فيه ـ أي: في مسجده ـ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم أُمِرَ بالتحوُّل إلى الكعبة، فأقام رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا رسولَ الله ضَعِ القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة، ثم قال بيده هكذا، فأماط كلَّ جبل بينه وبينها فوضع القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يَحُولُ دون نظره شيء؛ فلما فرغ قال جبريل عليه السلام هكذا، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها، وصارت قبلته إلى الميزاب[5].

واسند يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن الخليل بن عبد الله الأزدي عن رجلٍ من الأنصار: أنَّ رسول الله ﷺ أقام رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل فقال: يا رسول الله ضَعِ القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة، ثم قال بيده هكذا فأماط كلَّ جبل بينه وبين القبلة، فوضع تربيع المسجد وهو ينظر إلى الكعبة

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٢/٦٨.

(٢) يريد أية تحويل القبلة: ﴿قد نرى تقلُّبَ وجهك في السماء فلنولينَّك قبلةً ترضاها﴾ من سورة البقرة ١٤٤.

(٣) مسند أحمد ١/٤٠٤(٢٩٩٢).

(٤) المعجم الكبير ١٢/٦٨.

(٥) الدرة الثمينة ٢/٣٥٦ والتعريف للمطري ٣٠ والبيان والتحصيل ١/٤٦٠.

لا يحول دون نظره شيء، فلما فرغ قال جبريل هكذا بيده، فأعاد الجبال والأشياء على حالها، وصارت قبلته إلى الميزاب.

وعن نافع بن جُبير من طرقٍ مرفوعاً: ما وَضَعْتُ قبلةَ مسجدي هذا حتى رُفِعْت إليَّ الكعبةُ فوضعتها أَؤُمُّهَا.

وعن ابن عجلان[1]، قال: وَضَعَ رسول الله ﷺ قبلةَ مسجدِهِ وجبريل قائم ينظر إلى الكعبة، ثم كُشِفَ له ما بينه وبينها[2].

وعن ابن شهاب، مرفوعاً: ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى فُرِجَ لي ما بيني وبين الكعبة فوضعتها أَؤُمُّهَا.

وأسند الغَرَّافي في ذيله[3] عن طريق أبي علي بن شَاذَان بسنده عن [محمد بن][4] إبراهيم بن دينار عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم، قال: قال ابن عمر: وضع جبريل عليه السلام القبلةَ لرسول الله ﷺ بالمدينة[5].

تفرد به عن مالك محمد بن إبراهيم[6].

قلت: وهو ثقة.

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عجلان القرشي المدني التابعي المتوفى سنة ١٤٨هـ، **ميزان الاعتدال** ٣/ ٦٤٤ و**تهذيب الأسماء واللغات** ١/ ٧٨ و**سير أعلام النبلاء** ٦/ ٣١٧ مع مصادر ترجمته.

(٢) أورد الحربي خبراً شبيهاً به في **كتاب المناسك** ٣٥٩ عن زيد بن أسلم.

(٣) ذكر السخاوي أن أبا العباس الغرافي ذيَّل في كرَّاسة على كتاب **الدرة الثمينة** لابن النجار ولم يزد، **علم التاريخ عند المسلمين**، لفرانز روزنتال، ترجمة أحمد صالح العلي، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، ٦٤٢، فلعله أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن أحمد الحسيني الغرافي، والد علي بن أحمد المتوفى سنة ٧٠٤هـ والذي ترجم له ابن حجر في **الدرر الكامنة** ٣/ ١٧ وابن العماد في **الشذرات**٦/ ١٠ والسيوطي في **حسن المحاضرة** ١/ ٣٨٧ وابن القاضي في **درة الحجال** ٣/ ٢١٥ و ٢١٦ وكان شيخ المطري فقد ذكره كثيراً في كتابه **التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة**.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من الأصول، والزيادة من **كتاب المناسك** للحربي ٣٥٩، ويؤيده قوله: "تفرد به عن مالك محمد بن إبراهيم".

(٥) بالنص وبعض الإسناد في **كتاب المناسك** للحربي ٣٥٩.

(٦) محمد بن إبراهيم بن دينار كان معاصراً لمالك بن أنس، سمعا من عبد الله بن يزيد بن هرمز المتوفى سنة ١٤٨هـ، انظر: **كتاب المعرفة والتاريخ** للبسوي ١/ ٦٥٢ وعن مالك وابن هرمز، انظر: **سير أعلام النبلاء** ٦/ ٣٨٠.

وفي العتبيّة[1]: قال مالك: سمعت أنَّ جبريل هو الذي أقام لرسول الله ﷺ قِبلةَ المسجد: مسجد رسول الله ﷺ مسجد المدينة[2]، انتهى.

وأسند ابن زبالة عن أبي هريرة، قال: كانت قبلة النبي ﷺ الشام، وكان مُصَلَّاهُ الذي يُصَلِّي فيه بالناس إلى الشام في مسجده، أنْ تّضع موضع الاسطوان المُخَلَّق اليوم خَلْفَ ظهرك ثم تمشي إلى الشام، حتى إذا كنت بيمنى باب آل عثمان كانت قبلته ذلك الموضع[3].

قال الذهبي: هذه القبلة كانت في شمالي المسجد، فلما حُوِّلتْ القبلة بَقِيَ حائط القبلة الأولى مكان أهل الصُفَّة[4]، انتهى.

والاسطوانة المخلَّقة هي التي تُدعى اسطوانة عائشة رضي الله عنها في ما قاله المطري[5].

وسيأتي ما نقله ابن زبالة فيها من أنَّ النبي ﷺ صَلَّى إليها المكتوبة بضعة عشر يوماً بعد أنْ حُوِّلَت القبلة، ثم تقدَّمَ إلى مُصَلَّاه الذي وُجَاه المحراب في الصف الأوسط، هذا لفظه بحروفه.

وقوله: «وُجَاه المحراب» يريد: المحراب العثماني الكائن في جدار القبلة.

وقال المطري: إنَّ الحائـط القبلي ـ أي: الأول ـ كان محاذياً لمصلَّى النبي ﷺ لِمَا ورد: أنَّ الواقفَ في مُصَلَّى رسول الله ﷺ تكون رمانة المنبر الشريف حَذْوَ منكبه الأيمن.

---

(١) هو كتاب المستخرجة العتبية لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي العتبي القرطبي المالكي المتوفى سنة ٢٥٥ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٣٥ مع مصادر ترجمته وبروكلمان ١/ ١٧٧ وملحقه ١/ ٣٠٠ ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٧٦ مع مصادر ترجمته أيضاً، ومن العتبية نسخة مخطوطة بباريس.

(٢) البيان والتحصيل ١٧/ ١٢٩.

(٣) بالنص في الدرة اليتيمة ٢/ ٣٥٦ رواية الزبير بن بكَّار عن ابن زبالة عن أبي هريرة. ومثله في كتاب المناسك للحربي ٣٦٠.

(٤) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٥) التعريف للمطري ٣١.

قال: فمقام النبي ﷺ لم يُغَيَّر باتفاق، وكذلك المنبر لم يؤخَّر عن منصبه الأول[1]؛ أي: من جهة القبلة لما سيأتي أنه زِيدَ فيه من جهة الشام.

قال: وإنما جعل هذا الصندوق الذي في[2] قبلة مصلى رسول الله ﷺ سترة بين المقام وبين الإسطوانات[3]، انتهى.

وسيأتي في ذكر الجذع الذي كان يخطب النبي ﷺ إليه اختلافٌ في محله؛ هل هو عن يمين المُصَلَّى الشريف أو عن يساره لجهة القبر الشريف؟

وسيأتي ما عَبَّرَ به ابن النجار في حكاية الرواية الأولى حيث قال: كان في موضع الإسطوانة المخلَّقَة التي عن يمين محراب النبي ﷺ عند الصندوق[4].

والرواية الثانية: هي المرادة بما أسنده يحيى عن ابن أبي الزناد وغيره من علماء المدينة: أنَّ رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذعٍ كان موضعه عند الإسطوانة المُخَلَّقَة التي تَلي القبر، اي: في جهة القبر التي عن يسار الإسطوانة المخلقة التي كان النبي ﷺ يصلِّي عندها، التي هي عند الصندوق.

هذا لفظه، والغرض من إيراده هنا قوله: "التي عن يسار الاسطوانة المخلقة... الى آخره"، فهي الإسطوانة المشار إليها ـ أعني: التي كان النبي ﷺ يُصَلِّي إليها ـ هي التي عن يمين الواقف في المُصَلَّى الشريف من جهة القبلة، وعلم أنَّ وضْعَ الصندوق هناك كان من الزمن القديم، لكنه كان صندوقَ مصحف، كما سيأتي.

وووصفها بالمُخَلَّقَة لا يُشْكِل عليك بما اشتهر من وصف اسطوانة المهاجرين ـ وهي اسطوانة عائشة ـ بالمخلقة، فالوصف بالمخلقة[5] يُطلَقُ على أساطين متعددة، كما سنوضحه، ولهذا اشتمل هذا الكلام على وصف كلٍّ من هاتين الإسطوانتين بهذا الوصف.

(١) التعريف للمطري ٣٠.
(٢) سقطت من الأصول وهي في التعريف.
(٣) المصدر نفسه، وفيه: "الاسطوانة".
(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦١.
(٥) سقطت من ص.

ونقل المرجاني: أنَّ في العتبية ما لفظه: أَحَبُّ مواضع التنفُّل في مسجد رسول الله ﷺ مُصلَّاه حيث العمود المُخَلَّق[1]، انتهى.

وقال ابن القاسم[2]: أَحَبُّ مواضع الصلاة في مسجده ﷺ في النفل العمود المُخلَّق، وفي الفرض في الصف الأول[3].

قال ابن رشد: في كون العمود المخلق كان قبلة النبي ﷺ أو أقرب إلى قبلته ﷺ قول ابن القاسم وسماعه[4].

قلت: وهو دالٌّ على أنَّ العمود المخلق هو الذي عند المُصَلَّى الشريف، ولهذا روى ابن وهب عن مالك أنه سُئِلَ عن مسجد رسول الله ﷺ وقيل له: أي المواضع أحبُّ إليك الصلاة فيه؟ قال: أما النافلة فموضع مُصَلَّاه، وأما المكتوبة فأول الصفوف، انتهى.

فَعَبَّرَ هنا عن العمود المخلق بِمُصَلَّاه.

ورأيت في جامع العتبية من البيان لابن رشد ما لفظه: قال مالك: ليس العمود المخلق قبلة النبي ﷺ وقبلة النبي ﷺ هو حذو قبلة الإمام وإنما قدمت القبلة حذو قبلة النبي ﷺ سواء.

قال ابن رشد عقبه: وقد مَرَّ في كتاب الصلاة عن ابن القاسم: أنَّ مُصَلَّى النبي ﷺ هو العمود المخلق، خلاف قول مالك هنا[5]، انتهى.

وقول مالك: «وإنما قُدِّمت القبلة» يشير إلى المحراب الذي في جدار القبلة بزيادة عثمان رضي الله عنه، وهذا الذي ذكره يكاد أنْ يكون قَطعياً وليس مراد ابن

---

(١) البيان والتحصيل ١/٣٦٩؛ ١٧/١٣٣.

(٢) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي تلميذ مالك بن أنس المتوفى سنة ١٩١هـ، مؤلف المدونة، انظر: سزكين ١/٤٦٥ وبروكلمان ١/١٧٧ وملحقه ١/٢٩٩ وكحالة ٥/١٦٥ وسير أعلام النبلاء ٩/١٢٠ مع مصادر ترجمته.

(٣) البيان والتحصيل ١/٣٦٩.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) في البيان والتحصيل ١/٣٦٩: "أن العمود المخلق ليس هو قبلة النبي ﷺ خلاف قول ابن القاسم أن العمود المخلق هو مصلَّى النبي ﷺ".

القاسم إلاَّ أنَّ العمودَ المخَلَّق أقرب شيء إلى قبلة النبي ﷺ فيُعْرَف به، ولهذا نقل ابن النجار عن مالك ما يقتضي أنَّ الإسطوانة المذكورة علمٌ لِمُصَلَّى النبي ﷺ فإنه قال: قال مالكُ بن أنس: أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القُرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير، وكان في صندوقٍ عن يمين الإسطوانة التي عُمِلَت عَلَماً لمقام النبي ﷺ[1].

وقال ابن زبالة في ما سيأتي عنه: إنَّ الخَيْزُرَان[2] لما أمَرَتْ بأنْ يُخَلَّق المسجد، أشار عليهم إبراهيم بن الفضل فزادوا في خَلوق اسطوانة التوبة والإسطوان التي هي علمٌ عند مُصَلَّى النبي ﷺ فخَلَّقوهَا حتى بلغوا بهما أسفلها، وزادوا في الخَلُوق في أعلاها[3]، انتهى.

وقد توهَّم جماعة أنَّ المرادَ من كلام ابن القاسم، وما نُقِل عن مالك، الاسطوانةُ المعروفةُ اليوم بالمُخَلَّقة، وهي التي بأوسط الروضة، وهو مردود؛ لأنَّ الإسطوانة المذكورة ليست علماً على مُصَلَّى الرسول عليه السلام اتفاقاً، ومنشأ الوهم ظنهم اختصاصها بوصف المُخَلَّقة، وممن اعتقد ذلك الحافظ ابن حجر، فقال في الكلام على قول يزيد بن عبيد: «كنت آتي مع سَلَمة بن الأكوع فيُصلِّي عند الاسطوانة التي عند المصحف»[4] ما لفظه: هذا دالٌّ على أنه كان للمصحف موضع خاص به، ووقع عند مسلم بلفظ: «يصلي وراء الصندوق» وكأنه كان للمصحف صندوق يوضع فيه، قال: والاسطوانة المذكورة حَقَّقَ لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة في الروضة، وأنها تُعرف بإسطوانة المهاجرين وأسَرَّت بها عائشة لابن الزبير، ثم وجدت ذلك في **تاريخ المدينة** لابن النجار، وذكره قبله محمد بن الحسن في **أخبار المدينة**، هذا كلام الحافظ ابن حجر[5].

---

(١) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٧٦، وجاء فيها: " عن يمين الاسطوان التي عملت على مقام النبي ﷺ".
(٢) زوج المهدي العباسي وأم الهادي والرشيد.
(٣) **كتاب المناسك** للحربي ٣٧٢.
(٤) **المعجم الكبير** للطبراني ٧/ ٣٤.
(٥) **فتح الباري** ١/ ٥٧٧.

ومراده بمحمد بن الحسن: ابنُ زبالة، وليس في كلامه ولا في كلام ابن النجار ما يقتضي أنَّ الإسطوانة التي عند الصندوق هي إسطوانة المهاجرين، إلاَّ من حيث وصف كلٍّ منهما بالمُخَلَّقة، فتوهم اتحادهما، وليس كذلك، والله أعلم.

وسيأتي أنَّ المسجد الشريف لم يكن له محراب في عهده ﷺ ولا في عهد الخلفاء بعده، وأنَّ أول مَنْ أحدثه عمر بن عبد العزيز في عمارة الوليد.

وزعم الأقشهري في روضته: أنَّ مُصَلَّى النبي ﷺ في موضع الصندوق وفي موضعه اليوم المحراب المرخم المرتفع عن المصلى الشريف وبنائه، فإنه قال ـ ومن خطه نقلت ـ : إنه قيل: إنَّ منبـر النبي ﷺ لم يتغير تقديماً ولا تأخيراً، فالزيادة وقعت في المنبر شمالياً لا غير، وحَدُّ المنبر الأصلي اليوم مساوية مع مُصَلَّى الإمام، ومُصَلَّى رسول الله ﷺ أمامه في موضع الصندوق اليوم فهو خارج عن حَدِّ المنبر[1]، انتهى.

واستنتجُ من ذلك أنْ يكون ما حاذى الصندوق يَمْنَةً ويَسْرَةً.

قال: وهو مما زاده عمر روضة من رياض الجنة[2].

قال: لأنَّ المصلى الشريف روضة بلا شك[3]، أي: فما حاذاه كذلك، وهو عجيب! لم أرَ من سبقه إليه.

وما زعمه من أنَّ حَدَّ المنبر ـ يعني من القبلة ـ مساوٍ لمصلى الإمام اليوم، يريد به: أنَّ نهاية مصلَّى الإمام اليوم مساوية لنهاية المنبر من جهة القبلة، فإنه صوَّرَ ذلك بخطه[4]، كما ذكرناه، وكأنَّه توهَّم أنَّ مُصَلاَّه ﷺ كان في محرابٍ بارزٍ عن سَمْتِ المسجد، لأنه جعل ما عن يمينه ويساره من زيادة عمر رضي الله عنه، ولم

---

(١) الروضة الفردوسية في جزازة تقع ما بين ورقة ١٣٨ب ـ ١٣٩أ.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ونص ما جاء في الروضة الفردوسية هو: «لا يشك أحدٌ أن االموضع الذي صلى فيه رسول الله ﷺ هو روضة بل جنة بعينه فيكون ما سامته يميناً وشمالاً إلى حد المنبر وحد البيت روضة فيدخل فيه ما زاده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد من جهة القبلة».

(٤) الصورة في أسفل الجزازة، وهي صورة صغيرة بدائية الرسم.

يقل به أحد، مع أنَّ ما زَعَمَه من الاستواء لا يشهد له عقل ولا نقل؛ لأنَّ المنبر الذي كان في زمنه هو المنبر الذي كان في زمن المطري فإنهما متعاصران، وقد سبق عن المطري في الفصل قبله: أنَّ بين المنبر والدرابزين الذي في القبلة مقدار أربع أذرع وربع، وأنه اتضح لنا صحة ما قاله، وذلك هو محل المنبر النبوي ـ كما سَنُوَضِّحَه ـ وعرض الصندوق المذكور وما بعده إلى الدرابزين المذكور ذراعان ونصف راجح، والمنبر الذي أدركناه أولاً لم يكن بينه وبين الدرابزين القبلي سوى ثلاثة أذرع ونصف راجحة، ومع ذلك فَحَدُّ المنبر متأخرٌ عن حَدِّ مُصَلَّى الإمام من جهة القبلة بنحو الذراع، وعلى ما ذكره المطري، وهو الصواب، يكون متأخراً بأزيَدَ من ذلك، وذلك في ما يظهر هو القدر الوارد في ما كان بين المنبر والجدار القبلي.

وأوضح من ذلك في الردِّ عليه أنَّ يحيـى نقل في كتابه عن محمد بن يحيـى ـ صاحب مالك ـ قال: وجدنا ذَرْعَ ما بين مسجد النبي ﷺ الذي كان بعَهْدِهِ إلى جدار القبلة اليوم الذي فيه المحراب عشرين ذراعاً وربعاً، وهذه هي الزيادة التي زيدت بعد النبي ﷺ، انتهى.

قال المراغي: وقد اعتبرتُه من وَجهِ سترة مُصَلَّى النبي ﷺ إلى جدار القبلة فكان كذلك، وبه يظهر أنَّ المُصَلَّى الشريف لم يُغَيَّر عن مكانه، وأنَّ الصندوق إنما جُعِلَ في مكان الجدار الأول[1]، انتهى.

وقد اعتبرت ما ذكره من جدار المسجد القبلي إلى طرف المُصَلَّى الشريف المحاذي لطرف صندوق السترة، فكان ذلك إحدى وعشرين ذراعاً ونصف وربع[2] يرجح قيراطاً، فإذا أُسقِط من ذلك عرض الجدار ـ وهو ذراع ونصف راجح ـ كان الباقي عشرين ذراعاً وربعاً، كما ذكره يحيـى، وقد علمت أنَّ الصندوق المذكور له أصل قديم هناك، فكيف يكون في موضع المصلى الشريف ولا ينبِّه عليه أحد؟ بل يذكرون ما يدل على خلافه، بل كيف يُمَكِّنُون من ذلك، ويحرمون المسلمين

(١) تحقيق النصرة للمراغي ٥٧.
(٢) كذا في الأصول، والصواب: ونصفاً وربعاً

التيمن بمكانه ﷺ؟ هذا مما يكاد العقل يُحِيله.

وقال النووي في منسكه ما لفظه: وفي **إحياء علوم الدين** أنه، أي: المُصَلِّي - يجعل المنبر حذاء منكبه الأيمن، ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه، فذلك موقف رسول الله ﷺ(١)، انتهى.

قلت: وكأنَّ المراد من استقبال السارية المذكورة جعلها عن جهة اليمين كما عليه وضع المصلى اليوم.

وقد ذكر ابن زبالة هذه الإسطوانة ثم قال: حدثني إبراهيم بن محمد عن غير واحد منهم خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: إذا عدلت عنها - أي: الاسطوانة المذكورة - قليلاً وجعلت الجزعة التي في المقام بين عينيك والرمانة التي في المنبر إلى شحمة أذنك قُمتَ في مَقَام رسول الله ﷺ.

وكأنَّ الرمانة المذكورة كانت في أعلى عمود المنبر النبوي ولذا عبَّر به في **الإحياء**.

وسيأتي، أنه لما حُفِرَ بعد الحريق الثاني لتأسيس المنبر الرخام وجدوا محل المنبر الأصلي شبه حوض من حجر، وفي جانبيه من المشرق والمغرب فرضتان منقورتان في الحجر بهما شيء من الرصاص بحيث لا يخفى على من أحاط علماً بصفة المنبر النبوي أنهما محلُّ عَموديه، كانا مُحْكَمَين بالرصاص فيهما، وقد وقفتُ في المصلى الشريف مما يلي مؤخرهُ، وتأملت الفرضة التي تلي الروضة فوجدتها في محاذاة يميني، فظهر أنها المرادة.

أما الجزعة، فذكر المطري: أنَّ هذه الجزعة كانت في المحراب القبلي المقابل للمصلى الشريف، وأنها أُزيلت منه، قال: وما حققه الغزالي عند ذكر المصلى الشريف بقوله: «إذا وقف المصَلِّي في مقام النبي ﷺ تكون رُمَّانةُ المنبر حذو منكبه الأيمن ويجعل الجزعة التي في القبلة بين عينيه فيكون واقفاً في مُصَلَّى

---

(١) متن الإيضاح في المناسك للنووي ١٥٧.

النبي ﷺ إنما كان قبل حريق المسجد، وقبل أن يجعل هذا اللوح القائم في قبلة مصَلَّى النبي ﷺ»[١]، أي: فأنه صار يحجب عن مشاهدة ما في المحراب القبلي.

قال: وإنما جعل بعد حريق المسجد.

قال: «وكان يحصل بتلك الجزعة فتنة كبيرة وتشويش على من يكون بالروضة الشريفة من المجاورين وغيرهم، وذلك أنه كان يجتمع إليها الرجال والنساء، ويقال: هذه خرزة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت عالية لا تُنال بالأيدي، فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترقى على ظهرها وكتفيها حتى تصل إليها، فربما وقعت المرأة وانكشفت عورتها وربما وقعتا معاً»[٢].

فلما كان سنة إحدى وسبع مئة جاور الصاحبُ زينُ الدين أحمد بن محمد المعروف بابن حنا المصري[٣]، فرأى ذلك فاستعظمه وأمرَ بقلعِ الجزعة، فَقُلِعَتْ؛ قال: وهي الآن في حاصل الحرم[٤].

ثم توجه إلى مكة في أثناء السنة فرأى أيضاً ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام، وتَعَلُّقَ الناس بعضهم ببعض، وحَمْلَ النساء على أعناق الرجال للاستمساك بالعروة الوثقى - في زعمهم - فأمر بقلع ذلك المثال، وزالت تلك البدعة أيضاً، ولله الحمد[٥].

قلت: والظاهر أن هذه الجزعة هي التي ذكرها ابن جُبير في رحلته في سنة ثمان وسبعين وخمس مئة لما قدم المدينة، قال: رأيت على المحراب مسماراً مُثْبَتاً في جداره فيه شِبْهُ حُقٍّ صغير لا يُعرف من أي شيءٍ هو، يزعمون أنه كأس كسرى، وشاهدت على رأس المحراب حجراً مربعاً أصفر قدر شبر في شبر ظاهرالبريق

---

(١) التعريف للمطري ٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) في التعريف للمطري ٣٢: «أحمد بن محمد بن علي بن محمد المعروف بابن حنا».

(٤) ترجم له ابن حجر ترجمة قصيرة في الدرر الكامنة ١/ ٢٨٣ وقال: توفي سنة ٧٠٤هـ والمقريزي في السلوك، الجزء الثاني، القسم الأول١٢.

(٥) النعريف للمطري ٣٢ - ٣٣.

والبصيص، يقال: إنه مرآة كسرى، والله أعلم بحقيقة ذلك كله[1]، انتهى.

ثم رأيت في **العقد** لابن عبد ربه ـ وهو أقدم من ابن جبير ـ أنَّ على ترس المحراب ـ يعني: العثماني ـ فضة ناتئة غليظة في وسطها مرآة مربعة، ذُكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنها، ثم فوقه إزار رخام فيه نقوش تحتها صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبي مُسَمَّرة، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مُخَلَّق بالخَلوق فيه الوَتِدُ الذي كان النبي ﷺ يتوكأ عليه في المحراب الأول عند قيامه من السجود، في ما ذكروا[2]، انتهى.

قلت: وقد سألت عن هذه الجزعة المتولي لأمر حاصل الحرم الشريف وخازن داره ـ وكان قديم الهجرة ـ وغيرهما، فقالوا: إنه ليس عندهم بالحاصل شيء من ذلك، ولعل ذلك ذهب في ما أخذه الأمير جماز عند كسر حاصل الحرم الشريف، وقد وسع المحراب القبلي عما كان عليه وزيد في طوله بعد هدم الجدار القبلي بعد الحريق الثاني.

وقال ابن زبالة: إنَّ ذَرْعَ ما بين المنبر ومقام النبي ﷺ الذي كان يصلي فيه حتى توفي ﷺ أربعة عشر ذراعاً وشبراً.

قلت: وقد ذَرَعتُ ما بين المنبر الموجود قبل الحريق الثاني وأعلى الحفرة الذي ينزل منه إلى درجتها من ناحية مؤخر المصلى الشريف، فكان أربعة عشر ذراعاً، وعرض الدرجة شبراً راجحاً[3]، فَصَحَّ ذلك، وأما حدُّه من جهة المشرق فسيأتي أنَّ جَعْلَهُ على هذه الهيئة الموجودة اليوم أمرٌ حادثٌ.

وقد قال ابن زبالة: إنَّ ذَرْعَ ما بين مُصَلَّى النبي ﷺ من مسجده الأول وبين اسطوان التوبة سبع عشرة ذراعاً، واسطوان التوبة في جهة المشرق وقد ذَرَعتُ ما بينها وبين درجة الحفرة الشرقية فكانت ست عشرة ذراعاً، فعلمنا بذلك أنَّ المُصَلَّى الشريف في جانب الحفرة الغربي، وأنَّ ما يلي المشرق منها ليس منه، ويشهد له ما

---

(١) رحلة ابن جبير، دار صادر، ١٧٢ وقد تصرف السمهودي بالنص تصرفاً يسيراً.

(٢) العقد الفريد ٤/ ٢٨٥ وانظر: كتاب المناسك للحربي ٣٩٦.

(٣) ص: شبرا راجح، خ، م٢: شبر، ، م١: شبراً، وسقط لفظ: راجح منهما.

سبق من كلام مالك والإحياء لذكرهما السارية التي عندها الصندوق.

بل في خط الأقشهري في مصنفه في الزيارة ضبط[1] قول ابن زبالة: «في ما بين المصلَّى الشريف واسطوان التوبة تسع عشرة ذراعاً»[2] ـ بتقديم التاء على السين ـ وقد ذرعت ما بين طرف اسطوان التوبة الشرقي وبين طرف الحفرة الغربي فكان كذلك.

ونقل الأقشهري عن أبي غسان[3] أَحَدِ أصحاب مالك: أنَّ ما بين الحجرة الشريفة ومقام النبي ﷺ الذي كان يقوم فيه ثمانية وثلاثون ذراعاً، وأنَّ ما بينه وبين المنبر الشريف مثل ما سبق[4] عن ابن زبالة، وقد اختبرت ما بين طرف الحفرة الغربي ورُخام جدار الحجرة الشريفة فكان ثمانية وثلاثين ذراعاً، فعلمنا أنَّ المحافَظَ عليه في حدِّ المُصَلَّى الشريف هو طرف الحفرة الغربي، ولم تكن هذه الحفرة في الزمن القديم، ولهذا قال المجد: حكى ابن النجار الإجماعَ على أنَّ المُصَلَّى الشريف لم يُغَيَّر بتقديم وتأخير، وإنما غُيِّرت هيئته في هذا العصر الأخير بجعل المصلى شبه حفير أو حوض صغير منخفض عن موقف المأمومين نحو ذراع بسبب ترخيمه وتكاثر الرمل المفروش به الروضة[5].

قلت: وهو الآن شبه حوض مربع ينزل إليه بدرجة طوله ذراعان ونصف وثمن، وعرضه ذراعان ونصف ونصف ثمن، لكن زاد وافي طوله في العمارة الحادثة بعد الحريق أرجح من نصف ثمن ذراع ونحوه في العرض[6].

قال البدر ابن فرحون[7] وغيره: وما زال العلماء الأئمة يتحرَّجون من ذلك

---

(١) سقطت من خ.

(٢) **الروضة الفردوسية** ١٢أ في الحاشية من باب الزيارة، وما بعد هذا هو كلام السمهودي.

(٣) هو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد الكناني، من أصحاب الإمام مالك، وكان عالماً بأخبار المدينة، روى عنه الزبير بن بكار، انظر: **سير أعلام النبلاء** ٢/٥٣٥، ٤/٥٦٣ و**المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز** ١٣٣.

(٤) **الروضة الفردوسية** ورقة ١٢ب، وما بعد هذا هو من كلام السمهودي.

(٥) **المغانم المطابة** ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ وقد اختصر السمهودي نص الفيروزابادي.

(٦) ص: الأرض.

(٧) هو عبد الله بن محمد اليعمري التونسي المتوفى سنة ٧٦٩هـ، ترجم له السخاوي ترجمة ضافية في =

وفي أيام القاضي السراج[1] ـ وهو أول قاضٍ وَلِيَ لأهل السنة ـ فمن بعده كانت ترفع تلك الحفيرة بالرمل حتى تزول الكراهة، إلى أيام الشرف الأميوطي[2] فأراد طمس الحفرة أو رفعها وإزالة[3] الخشب المنقوش أمامها ـ الآتي ذكره ـ فقام عليه بعض الناس من الخدام واستعانوا عليه بالأشراف فكفَّ، وانتقل عن المحراب وصار يصلي إلى الإسطوانة التي تقابل اسطوانة الوفود ـ أي: من مقدم الروضة ـ ولزمها إلى أن مات[4].

وصار الفقهاء من يرفع الكراهة بما يحصل من القرب إلى مقامه ﷺ وموضع قدمه، وهذه نزعة صوفية[5]، وقد كان النبي ﷺ وأصحابه في الموقف سواء، فمن خالف سنته بالهوى فقد غوى[6].

قلت: وهذه الحفرة بعيدة من موقف النبي ﷺ لعلوِّ الأرض، لما سيأتي عن البدر ابن فرحون: أنهم وجدوا عند تجديد المنارة التي بباب السلام باب مروان وتحصيب المسجد القديم بعد حفر قامة[7]، ولما اتَّضحَ لنا في العمارة الآتي ذكرُها.

= **التحفة اللطيفة** ٢/ ٨٥ ـ ٨٨ وسرد ما ذكره المجد الفيروزأبادي عنه في **المغانم المطابة**، وترجم له ابن حجر في **الدرر الكامنة** ٢/ ٣٠٠.

(١) هو سراج الدين عمر بن أحمد الأنصاري الدمنهوري الشافعي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ، ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٣٢٨ وما بعدها وابن فرحون في **نصيحة المشاور** ورقة ١١٩أ ـ ١٢٢ب و**الدرر الكامنة** ٣/ ١٤٩.

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الشهير بابن الأميوطي المتوفى سنة ٧٤٥هـ ترجم له الفيروزأبادي في **المغانم المطابة** ص ٥١٣ ـ ٥١٤ وابن فرحون في **نصيحة المشاور** ورقة ١٢٣أ ـ ١٢٥ب وابن جحر في الدرر الكامنة ٤/ ١٥٩والسخاوي في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٣٣١ عن ابن فرحون.

(٣) م٢: إزالت.

(٤) **نصيحة المشاور** ورقة ١٢أ ـ ١٢ب و**المغانم المطابة** ص٥١٣ و**الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٦٩.

(٥) في الأصول: «وهذه نزعة، وقد كان...» وفي **نصيحة المشاور**: «وهذه والله أعلم نزعة صوفية لا علمية ولا عملية»، وفي **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٦٩: «وهذه والله أعلم نزعة صوفية».

(٦) نقلاً من **نصيحة المشاور** ورقة ١٢ب ـ ١٣أ.

(٧) **نصيحة المشاور**، ورقة ٢١أ و**الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٧٠.

فقد اعتبَرْتُ أرض الحجرة الشريفة وأرض المسجد فكان بينهما من التفاوت ذراعان ونصف وأزيد، لكن مقتضى ما ظهر من الرخام الذي وصفه ابن زبالة حول المنبر ومشاهدتنا لما انكشف منه في ما بين المنبر والأساطين التي خلفه عدم بُعد أرض هذه الحفرة من محل الموقف الشريف في ذلك العصر، لأنَّ نسبة ما بين هذه الحفرة والرخام المذكور أقلُّ من نصف ذراع.

وقد حققت مسألة انخفاض المصلَّى الشريف في كتابي[1] الموسوم بـ: **كشف الجلباب والحجاب عن القدوة في الشباك والرحاب**[2]، ولم يتحرر لي ابتداء ترخيم المصلى الشريف وجعله على هذه الهيئة، وسمَّاه ابن جبير في رحلته بالروضة الصغيرة، وقال: إنَّ الإمام يصلي بالروضة الصغيرة المذكورة إلى جانبها الصندوق، وقال قبل ذلك في وصفها: وبإزائها لجهة القبلة عمود مطبق يقال: إنه على بقية الجذع الذي حَنَّ للنبي ﷺ وعلى حافتها في القبلة منها الصندوق[3]، انتهى.

ولم يذكر فيها ترخيماً ولا انخفاضاً، مع ذكره لذلك في المحل الذي عليه المنبر ـ كما سيأتي.

والظاهر أنَّ حدوث انخفاض المصلى الشريف بما حوله تجدد بعد الحريق الأول، وقد اقتضى رأي متولي العمارة الحادثة بعد الحريق الثاني أنْ يخفض أرض المسجد حتى تكون مساوية للمصَلَّى الشريف، فقطع من الأرض نحو ذراع، فكانوا يجدون طبقة من التراب وتليها طبقة من الرمل، حتى وصلوا إلى الأرض المساوية للمصلَّى الشريف، وظهر لهم الرخام الذي كان عليه المنبر الشريف بعد حفر نحو نصف ذراع، وحصل بذلك إزالة هذه البدعة، ولله الحمد والمنَّة.

وكان في قبلة المصلى الشريف صندوق خشب بديع الصنعة يعلوه محراب قد انتج الصناع فيه نتائج مبدعة من صناعة النجارة، والمحراب المذكور شبه باب

---

(١) م٢: كتاب.

(٢) انظر: مقدمة الجزء الأول «مصنفات السمهودي».

(٣) رحلة ابن جبير ١٧٠ ـ ١٧١.

مقنطر لموضع لطيف على ظهر الصندوق المذكور مكتوب في داخله أمام مستقبله بعد البسملة آية الكرسي، وعلى ظاهرالباب المقنطر بعد البسملة: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ الآية[1]، وفيه صنعةٌ عجيبةٌ وصبغٌ باللازورد وتَذهيبٌ عجيبٌ يشغل الخاطر، ويفرِّق القلب الحاضر، إذ لا قلبَ أجمع وأعلى وأرفع من قلب سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد قال في شأن الخميصة من أجل تلك الأعلام: «اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جَهْم وأتوني بأَنبجانية أبي جهم، فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي»[2].

وسيأتي أنه لما قال عمر بن عبد العزيز بعد زخرفة المسجد لعمرو بن عثمان رضي الله عنه: بناؤنا أحسن أم بناؤكم؟ فقال له: بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس[3].

وقال مالك في ما نقله عنه صاحب **التبصرة**[4]: كره الناس ما فعل في قبلة المسجد بالمدينة من التزويق، لأنه يشغل الناس في صلاتهم، وأرى أنْ يُزالَ كلُّ ما يشغل الناس عن الصلاة، وإنْ عَظُمَ ما كان أنفق فيه[5]، فالله تعالى يبعث لهذا المصلى الشريف من يُزيل عنه هذه الزخارف ويسوِّيه كما كان في زمن المصطفى ﷺ.

وقد أُدْعِمَ هذا المحراب الخشبي من ورائه بدعامة شبه التاج العظيم حتى اتَّصَلَ بالدرابزين الذي بين الأساطين في قبلة الروضة، وبرز عنها، وجعل في أعلاه وعن يمينة وشماله مع امتداد الروضة مغارز لفرخات القناديل المسماة بـ:

---

(١) سورة البقرة ١٤٤.

(٢) **صحيح البخاري**: كتاب الصلاة ١٤وفتح الباري ١/ ٤٨٢ وفيه شرح الخميصة والانبجانية.

(٣) كتاب **المناسك** للحربي ٣٦٨، ٣٧٠ والدرة **الثمينة** ٢/ ٣٧٤ وتحقيق **النصرة** ٤٩ وفي **الخلاصة** ٢٧١ عن يحيى: أن الوليد بن عبد الملك قال ذلك لأبان بن عثمان فأجابه أبان.

(٤) كتاب التبصرة لأبي الحسن علي بن محمد الربعي اللخمي المتوفى سنة ٤٩٨هـ، وهو تعليق على المدونة، أنظر: **الديباج المذهب** لابن فرحون ٢٠٣ والأعلام للزركلي ١٤٨/٥ ومعجم **المؤلفين** ١٩٧/٧.

(٥) نقلاً حرفياً من **نصيحة المشاور** ورقة ١٤أ وما بعده من كلام السمهودي.

البَزَّاقَات[1]؛ تُسرجُ في ليالي الزيارات، وفي داخله كسوة جليلة من الحرير من جنس كسوة الحُجرة الشريفة ذات طراز منسوج، وقد احترق ذلك كله في الحريق الثاني الآتي ذكره، وذلك بعد تمام هذا التأليف، فاقتضى رأي متولي العمارة الحادثة بعد ذلك إبداله بمحراب مُرَخَّم في دعامة تبنى في محل الصندوق المذكور، فحفروا هناك لأساسها نحو القامة، فوجدوا هناك قبراً بدا لحده مسدوداً باللبن؛ أخرجوا منه بعض العظام، ووجدوا الأقدمين لما أسسوا الأسطوانة التي عنده حرَّفوا أساسها عنه قليلاً، فتركوه على حاله، وأسسوا للمحراب المذكور، ورَخَّموه بالرخام الملون ترخيماً بديعاً فيه صبغ ذهبي وغيره، وهو أبهى منظراً من الأول، وجعلوا أرض المحراب المذكور مرتفعة قليلاً على المُصَلَّى الشريف؛ لأنه إنما جعل في محل الصندوق الذي كان أمام المصلى الشريف، فليتنبه لذلك، والله أعلم.

تنبيهــات:

الأول: قال البخاري في صحيحه: «باب قدر كم ينبغي أنْ يكون بين المصلي والسترة؟»، ثم روى عن سهل بن سعد، قال: كان بين مصلى رسول الله ﷺ وبين الجدار ممر الشاة[2].

ثم روى عن سَلَمة ـ يعني: ابن الأكوع ـ قال: كان جدار المسجد عند المنبر، ما كادت الشاة تجوزها[3] ـ أي: المسافة ـ وهي ما بين المنبر والجدار.

وقوله في الحديث الأول: «كان بين مصلى رسول الله ﷺ، أي: مقامه في صلاته، وكذا هو في رواية أبي داود».

وقوله: «وبين الجدار»، أي: جدار المسجد مما يلي القبلة، كما صرَّح به من طريق ابي غسان في الاعتصام[4]، ومنه يُعلم ما في قول النووي في شرح

(١) صنف من القناديل.
(٢) فتح الباري ١/٥٤٧..
(٣) المصدر نفسه.
(٤) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥٧٤، والاعتصام هو باب الاعتصام من سنن أبي داود.

مسلم: يعني بالمُصَلَّى: موضع السجود.

والحديث الثاني رواه الإسماعيلي بلفظ: كان المنبر على عهد رسول الله ﷺ ليس بينه وبين حائط القبلة إلا قدر ما تَمُرُّ العنز[1].

قال الكرماني في بيان مطابقته للتبويب: إنَّ ذلك من حيث إنه ﷺ كان يقوم بجنب المنبر ـ أي: ولم يكن لمسجده محراب ـ فتكون مسافة ما بينه وبين الجدار نظير ما بين المنبر والجدار، فكأنه قال: الذي ينبغي أن يكون بين المصلي وسترته قدر ما كان بين منبره ﷺ وجدار القبلة[2].

قلت: وكأنَّ الكرماني بنى ذلك على ما عهده في غالب المساجد من أنَّ مُصَلَّى الإمام يكون إلى جانب المنبر، وقد تقدم بيانُ ما بينهما من المسافة وحكايةُ الإجماع على أنه لم يغير؛ وأيضاً فلا يلزم من كونه ﷺ كان يصلي إلى جانب المنبر أن يكون بينه وبين الجدار نظير ما بين المنبر والجدار، كما لا يخفى.

وأوضح مما ذكره ـ كما قال الحافظ ابن حجر ـ ما ذكره ابن رُشْيَد[3]: من أنَّ البخاري أشار إلى حديث سهل بن سعد في «باب الصلاة على المنبر»[4]، فإنَّ فيه: أنه ﷺ: «قام على المنبر حين عُمل فصلى[5] عليه، فاقتضى ذلك: أنَّ ما بين المنبر والجدار يؤخذ منه موضع قيام المُصَلِّي»[6].

قلت: لكن يلزم من ذلك التأخر عند السجود، لأنَّ ذلك المقدار لا يتأتى فيه السجود، وقد ثبتَ رجوعه ﷺ القهقرى من أجل السجود لمَّا صلى على المنبر لعدم تأتِّيه عليه.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٥٧٥.

(٢) نقلاً حرفياً من فتح الباري ١/ ٥٧٥ بما في ذلك مناقشة ابن حجر للكرماني.

(٣) هو محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري السبتي المتوفى بفاس سنة ٧٢١هـ، مؤلف ترجمان التراجم في إبداء مناسبة تراجم صحيح البخاري وإفادة النصيح في رواية الصحيح وغيرهما، انظر: بروكلمان ٢/ ٢٤٥ وملحقه ٢/ ٣٤٤ ومعجم المؤلفين ١١/ ٩٣ مع مصادر ترجمته.

(٤) فتح الباري ١/ ٤٨٦: «باب الصلاة على السطوح والمنبر والخشب».

(٥) ص، خ: وصلى.

(٦) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥٧٥ وفيه: «... فاقتضى ذلك أن ذكر المنبر يؤخذ منه موضع قيام المصلي».

وقال ابن بطَّال: هذا أقلُّ ما يكون بين المُصَلِّي وسترته، يعني: قدر ممرِّ الشاة[1].

وقيل: أقلُّ ذلك ثلاثة أذرع، لحديث بلال: أنَّ النبي ﷺ: صَلَّى في الكعبة وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع[2]، كما في **الصحيح**[3].

وجمع الداوودي: بأنَّ أقلَّه ممر الشاة، وأكثره ثلاثة أذرع[4].

وجمع بعضهم: بأنَّ الأول في حال القيام والقعود، والثاني في حال الركوع والسجود، قاله الحافظ ابن حجر[5].

قلت: ويلزمه التأخر عن موقفه الأول عندهما ـ كما قدمناه ـ وهو متعين؛ إذ لا يتأتى السجود في أقل من ثلاثة أذرع، ولهذا كان حريم المُصَلَّى الذي يكون بينه وبين سترته ثلاثة أذرع عندنا.

وقال ابن الصلاح: قدروا ممر الشاة بثلاث أذرع[6].

قال الحافظ ابن حجر: ولا يخفى ما فيه[7].

قلت: الظاهر أنَّ البخاري إنما أورد حديث سلمة المشتمل على بيان ما بين المنبر والجدار ليستدل به على مقدار ممر الشاة، فإنَّ ما بينهما كان معلوماً عندهم، وقد تقدم عن **العتبية**: أنه كان بينهما قدر ما يمر الرجل منحرفاً، والذي اقتضى حمل ابن الصلاح ممر الشاة على ما ذكره أنَّ ذلك هو القدر الذي يتأتى فيه السجود مع الاستمرار في الموقف.

وقد قال البغوي: استحبَّ أهلُ العلم الدنُوَّ من السترة بحيث يكون بينه وبينها قدر إمكان السجود، وكذلك بين الصفوف.

---

(١) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥٧٥.
(٢) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥٧٥.
(٣) فتح الباري ١/ ٥٧٩ (كتاب الصلاة: ٩٧).
(٤) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥٧٥.
(٥) نقلاً من المصدر نفسه.
(٦) نقلاً من المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.

وقد ورد الأمر بالدنو من السترة مع بيان حكمة ذلك، وهو ما رواه أبو داود وغيره مرفوعاً: «إذا صلَّى أحدكم إلى سترة فَلْيَدْنُ منها لا يقطع الشيطانِ عليه صلاته»[1]، قال الحافظ ابن حجر: هو حديث حسن[2]، والله أعلم.

التنبيه الثاني: في العُود الذي كان في المُصَلَّى الشريف.

روينا في كتاب يحيى: عن مصعب بن ثابت، قال: طلبنا علم العود الذي كان في مَقَامِ النبي ﷺ فلم نقدر على أحدٍ يذكرُ لنا فيه شيئاً، قال مصعب: حتى أخبرني محمد بن مسلم بن السائب، صاحب المقصورة، قال: جلس إليَّ أنسُ بن مالك، فقال: تدري لِمَ صُنِعَ هذا العود؟ وما أسأله عنه، فقلت: لا والله ما أدري لِمَ صُنِع، فقال أنس: كان رسول الله ﷺ يضَعُ عليه يمينَه ثم يلتفت إلينا فيقول: استووا وعدلوا صفوفكم[3].

وعن أنس بن مالك، قال: لما سُرِقَ العوُد الذي كان في المحراب فلم يجده أبو بكر حتى وجده عمر رضي الله عنه عند رجل من الأنصار بقُباء قد دُفِنَ فأَرِضَ[4]؛ أكلته الأرَضَةُ، فأخذ له عوداً، فشقَّه فأدخله فيه، ثمَّ شَعَبه[5] فرده في الجدار، وهو العود الذي وضعه عمر بن عبد العزيز في القبلة، وهو الذي في المحراب اليوم ناتيءٌ فيه[6].

وعند أبي داود عن محمد بن أسلم، صاحب المقصورة، قال: صَلَّيتُ إلى جنبِ أنس بن مالك يوماً، فقال: هل تدري لِمَ صُنع هذا العود؟ فقلت: لا والله، قال: كان رسول الله ﷺ يضعُ يده عليه فيقول: «استووا واعدلوا صفوفكم»[7].

---

(١) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥٧٥ والحديث في سنن أبي داود: كتاب الصلاة ١٠٦ . .

(٢) لم يرد قول ابن حجر بعد نقله هذا الحديث.

(٣) التعريف ٣٣ وتحقيق النصرة ٦٣ كلاهما عن الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٧ والروضة الفردوسية ورقة ١٦أ.

(٤) أرِضَ: يقال أرضت الخشبة على ما لم يسمّ فاعله تُؤرَضُ أرضاً فهي مأروضة إذا أكلتها.

(٥) شعبه: جمعه، وهنا بمعنى ضمَّه بين الشقين وأغلقهما عليه.

(٦) كتاب المناسك للحربي ٣٩٦ والتعريف ٣٣ وتحقيق النصرة ٦٣ كلاهما عن الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٧ والروضة الفردوسية ورقة ١٦أ.

(٧) الروضة الفردوسية ورقة ١٦أ عن أبي داود.

قلت: سيأتي في الكلام على الجذع أنَّ الإسطوانة المتقدم ذكرها التي هي عَلَم المُصَلَّى الشريف كان بها خشبة ظاهرة محكمة بالرصاص، يقول الناس: إنها من الجذع الذي حَنَّ للنبي ﷺ وأنَّ المطري قال: إنَّ الأمر ليس كذلك[١]، وإنَّ العِزَّ ابن جماعة أمر بإزالتها، فأزيلت سنة خمس وخمسين وسبع مئة[٢].

قال المجد: ورأى بعض العلماء أنَّ إزالتها كانت وهماً منهما، وذلك أنَّ إتقان[٣] هذه الخشبة وترصيصها بين حجارة الإسطوان وابرازها لم يكن سُدىً، وأنما شاهد الحال يشهدُ بأنه كان من عمل عمر بن عبد العزيز، فالظاهر أنه كان من الجذع[٤].

قلت: بل الظاهر أنها ليست منه، إذ لم يُنقَل بقاء شيء منه، بل الظاهر أنها من العود المذكور، لما قدمناه فيه، ولما سيأتي عن ابن النجار.

وقول الزين المراغي: إنَّ احتمال ذلك كان يمكن تسليمه قبل حريق المسجد، أما بعده فلا[٥]، مردود؛ لأنه بقي من حريق المسجد بقايا خشب كثيرة، كما سنحققه.

وقول المؤرخين: «إنه لم يبق ولا خشبة واحدة»، مردود، فقد شاهدت عند إزالة هَدم الحريق من الحجرة الشريفة ما لا يحصى من أطراف الخشب المحترق، حتى ميزاب الحجرة الشريفة رأيته من عَرعَر، في ما أظنُّ؛ احترق بعضُه وبقيَ منه قَدر الذراع، وأخذ الناسُ كثيراً من تلك الأخشاب، واتخذ متولي العمارة وغيره منها سُبَحاً كثيرة.

وعبارة ابن النجار صريحة في ما ذكرناه من كون العود المذكور كان

---

(١) التعريف ٣٢.

(٢) الخلاصة ٢٢٩والمغانم المطابة ص١٨٥ وتحقيق النصرة ٦٣: «قد أمر بإخفائها شيخنا عز الدين ابن جماعة الكناني الشافعي عام مجاورته بالمدينة الشريفة سنة خمس وخمسين وسبع مئة، فليس لها اليوم أثر ونسيت».

(٣) م٢: اتفاق.

(٤) المغانم المطابة ص١٨٥.

(٥) تحقيق النصرة للمراغي ٦٤وفيه: «قلنا: هذا في ما قبل حريق المسجد يمكن تسليمه أما بعده فلا».

بالإسطوانة المذكورة، فإنه ترجم عليه بقوله: «ذكر العود الذي في الاسطوانة التي عن يمين القبلة»[1]، ثم روى عن أهل السير خبـرَ مُصعب بن ثابت المتقدم[2].

وشيوعُ أنَّ تلك الخشبة من الجذع قديم، فقد قال ابن جبير في رحلته: إنَّ بإزاء الروضة ـ يعني: المصلى الشريف ـ منها لجهة القبلة عموداً مطبقاً، يقال: أنه من بقية الجذع الذي حَنَّ للنبي ﷺ وقطعة منه وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويبادرون للتبرك بِلَمْسها ومسح خدودهم فيها، وعلى حافتها في القبلة منها الصندوق[3]، انتهى.

واستفيد منه أيضاً أنَّ وضع الصندوق هناك كان قبل حريق المسجد في زمنه، وسبب الشيوع المذكور في تلك الخشبة ـ ما سيأتي ـ من أنَّ الجذع كان قريباً من محل الاسطوانة المذكورة؛ فالظاهر أنَّ الخشبة المذكورة كانت قريباً منه في الجدار، فجعلت في تلك الإسطوانة لقربها من المحل الأول؛ فقد روى يحيى أيضاً عن أنس بن مالك: أنَّ النبي ﷺ «كان يستمسك بعود كان في القبلة، ثم يلتفت عن يمينه وعن شماله، فإذا استوت الصفوف كَبَّر».

وروى ابن زبالة عن عمرو بن مسلم، قال: «كان النبي ﷺ حين أَسَنَّ قد جُعِلَ له العود الذي في المقام، إذا قام في الصلاة توكأ عليه؛ قال: ثم أُلْصِقَ إليه عود معه».

وروى أيضاً، هو ويحيى من طريقه[4] عن مسلم بن خباب، قال: لما قَدَّم عمر رضي الله عنه القبلة فَقَدَ العود الذي كان مغروساً في الجدار، فطلبوه، فَذُكِرَ لهم أنه في مسجد بني عمرو بن عَوفٍ؛ أخذوه فجعلوه في مسجدهم، فأخذه عمر فردَّه إلى المحراب؛ وكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة أمسكه بكفِّه يعتمد

---

(١) الدرة الثمينة ٢/٣٦٧.

(٢) هو مصعب بن ثابت بن عباد بن عبد الله بن الزبير المتوفى سنة ١٥٧هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١/٢٩ مع مصادر ترجمته.

(٣) رحلة ابن جبير ١٧٠.

(٤) ص: «هو ويحيى من طريق مسلم...»

عليه، ثم يلتفت في شقه الأيمن فيقول: عَدِّلوا صفوفكم، ثم يلتفت إلى الأيسر فيقول مثل ذلك، ثم يكبِّر للصلاة، وذلك العود من طرفاءِ الغابة[(١)].

التنبيه الثالث: أسند يحيى، عقب ما تقدم، عن ابن عباس، قال: كنت أرى صفحةَ خَدِّ رسول الله ﷺ اليمنى في مسجده يَتَيَامَن.

وعن عروة: كان الزبير بن العوام وأناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يتيامنون ويقولون: إنَّ البيت تِهامي.

قال يحيى: وسمعت غير واحد من مشايخنا ممن يُقتَدى به يقول: المنبر على القبلة.

قلت: لعلَّ ما ذكره من التيامن في غير المُصَلَّى الشريف، والذي ذكره أصحابنا أنه لا يجتهد في محراب النبي ﷺ لأنه صواب قطعاً، إذ لا يُقَرُّ على خطأ، فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يُجْتَهَدَ في اليمنة واليسرة، بخلاف محاريب المسلمين[(٢)]، سيما وقد تقدم أنه وضعه وجبريل يَؤُمُّ به البيت[(٣)]، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مُصَلاَّه، فإنه لم يكن في زمنه ﷺ محراب، نعم إنْ ثَبَتَ تيامنه ﷺ في مكان مصلاه، فما نَقَلَهُ مُتَّجِهٌ، ويؤيده أنَّ الدَّكَة التي ظهرت في محل المنبر وَوُجِدَ بها آثارُ قوائم المنبر النبوي ـ كما سيأتي ـ متيامنة، ولذا حَرَصْتُ[(٤)] على بقائها على ما وُجِدَتْ عليه فبقيت على حالها، إلا أنهم وضعوا المنبر عليها غيرَ متيامن فصار مُنحَرِفاً[(٥)] عنها، وعبارة النووي في

---

(١) **الدرة الثمينة** ٢/٣٦٧ والطرفاء: شجرة الأثل، وعن الغابة، انظر: **المغانم المطابة** ٢٩٩، وهي ما تزال معروفة، وتقع شمال المدينة، غربي جبل أحد، انظر وصفها في **آثار المدينة المنورة** لعبد القدوس الأنصاري ١١٣ ـ ١١٥، واسهب في وصفها في عصرنا إبراهيم بن علي العياشي رحمه الله في: **المدينة بين الماضي والحاضر** ٥١٦ ـ ٥٢١ فأحسن، وسوف يذكرها السمهودي ويحدد موقعها في آخر الكتاب.

(٢) **إعلام الساجد بأحكام المساجد** للزركشي ٢٥٨.

(٣) **كتاب المناسك** ٣٥٩ و**الدرة الثمينة** ٢/٣٥٦ و**تاريخ المدينة** ١/٥١ «في مسجد قُباء».

(٤) م٢: صرحت.

(٥) م٢: محروفا، ص، ش، م١، س، ر: محرفاً.

التحقيق[١]: وكل موضع صلَّى فيه رسول الله ﷺ وضبط موقفه تعيَّن، ولا يُجتهد فيه بتيامنٍ ولا تياسرٍ، انتهى.

وقال الشيخ محب الدين الطبري في **شرح التنبيه** ـ ومن خطه نقلت ـ: إنْ قيل: محرابه ﷺ على عين الكعبة؛ إذ لا يجوز فيه الخطأ، فيلزم مما قلتم أنه لا تَصِحُّ صلاة من بينه وبينه من أَحَدِ جانبيه أكثر من سَمْتِ الكعبة إلاَّ مع الانحراف، قلنا: من أين لكم أنه على عين الكعبة؟ فيجوز أنْ يكون ذلك ولا خطأَ بناء، على أنَّ الفرض الجهة، نعم إنْ روى في **الصحيح** أنه نصب على العين، فنقول: مقتضى الدليل ما ذكرتموه على القولين: أما على العين فظاهر؛ وأما على الجهة، فإنما ذلك عند عدم المشاهدة، وهذا المحراب منزل منزلة الكعبة فَمُشاهِدُهُ كمشاهِدِها، إلاَّ أنَّ إجماع الصحابة رضي الله عنهم على بناء مسجد النبي ﷺ واسعاً وصلاتهم في أقطاره من غير أنْ يُنْقَل الانحراف عنهم دليل على طرد حكم البعد في كل مكان، سواء تحقق صَوبُ عين الكعبة أم لا، توسعةً وتعميماً للحكم، وتحقيقاً للقول بأن فرض البعيد هو الجهة مطلقاً، ولا أعلم أحداً تكلم في هذه المسألة، والظاهر فيها ما ذكرته[٢]، انتهى

وفيه نظر، بل صلاة مَنْ بينه وبين المُصَلَّى الشريف أكثر من سمت الكعبة صحيح مع اعتبار العين من غير انحراف لِمَا تقرر من أنَّ المسامتة تَصْدُقُ مع البعد، ألا ترى أنَّ الدائرة إذا عَظُمَتْ اتسعت الخطوط فَيُسامِتُ الخطُّ الخارجُ من جبين المُصَلِّي الكعبةَ ظناً، وهو المُكَلَّفُ به في البعد؟

نعم هذا يقتضي جواز الاجتهاد بالتيامن والتياسر لمن بينه وبين المصَلَّى الشريف أكثر من سمت الكعبة، إلاَّ أنْ يُنقل عدمه عن الصحابة في زمنه ﷺ مع إقراره ﷺ لهم على ذلك، والله أعلم.

---

(١) هو كتاب **تحقيق المذهب**، ورد ذكره في قائمة مصنفات النووي في **طبقات الشافعية** للسبكي ٨/٣٩٨.

(٢) بالنص في **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ٢٥٩ ـ ٢٦٠، مع حدوث بعض التصحيفات.

الفصل الرابع

في خبر الجذع الذي كان يخطب إليه ﷺ واتخاذه المنبر وما اتفق فيه وما جُعِلَ بَدَله بعد الحريق واتخاذ الكسوة له

روينا في صحيح البخاري عن ابن عمر، قال: كان النبي ﷺ يخْطُبُ إلى جِذعٍ، فلما اتَّخَذ المنبرَ تحوّل إليه، فَحَنَّ الجذع، فأتاه فمسح يده عليه[١].

وفيه عن جابر أنَّ النبي ﷺ: كان يقوم يومَ الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجلٌ: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إنْ شئتم، فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة رفع[٢] إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل رسول الله ﷺ فضَمَّهُ إليه وهو يئنُّ أنينَ الصبي الذي يُسَكَّن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها[٣].

وفيها أيضاً عنه: كان المسجد مسقوفاً على جذوعٍ من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنِعَ له المنبر فكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشار[٤]، الحديث.

وعند النسائي في الكبرى عن جابر: اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخَلُوج، أي: التي انتُزِعَ ولدها منها[٥].

---

(١) فتح الباري ٦/ ٦٠١.

(٢) في فتح الباري ٦/ ٦٠٣: «قوله: «دفع» بضم أوله وبالدال وللكشميهني بالراء».

(٣) فتح الباري ٦/ ٦٠١ ـ ٦٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ٣/ ١٩٥.

(٤) فتح الباري ٦/ ٦٠٢.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٦٠٣ وفيه: «عند النسائي في الكبير».

وعند ابن خزيمة عن أنس: فَحَنَّتِ الخشبة حَنين الواله[1].

وفي روايته الأخرى عند الدارمي: خارَ ذلك الجذع كَخُوار الثور[2].

وفي حديث أبي بن كعب عند أحمد والدارمي وابن ماجة: فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدَّعَ وانشق[3].

وفي حديثه: فأخذ أبي بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد، فلم يزل عنده حتى بلي وعاد رفاتاً[4].

وقال أبو اليمن ابن عساكر في **تحفته**[5]: وفي روايةٍ، فلما جلس عليه ـ أي: المنبر ـ حَنَّت الخشبة حنين الناقة على ولدها، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليها، فلما كان من الغد رأيتها قد حُوِّلَتْ، فقلنا: ما هذا؟ قال: جاء النبي ﷺ وأبو بكر وعمر فحوَّلوها[6]، انتهى.

وفي **مسند** الدارمي من حديث بريدة: كان النبي ﷺ إذا خطب قام فأطال القيام، فكان يَشُقُّ عليه قيامه، فأُتِيَ بجذع نخلة، فَحُفِر له وأُقيم إلى جنبه قائماً للنبي ﷺ فكان النبي ﷺ إذا خطب فطال القيام عليه استند فاتَّكأ عليه، فبَصُر به رجلُ كان ورَدَ المدينة فرآه قائماً إلى جنب ذلك الجذع، فقال لمن يليه من الناس: لو أعلم أنَّ محمداً يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه، فإنْ شاء جلس ما شاء، وإنْ شاء قام، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ائتوني به، فأتوه به، فأمره أنْ يصنع له هذه المراقي الثلاث أو الأربع ـ هي الآنَ في مسجد المدينة ـ فوجد النبي ﷺ في ذلك راحة، فلما فارقَ النبي ﷺ الجذعَ وعمد إلى هذه التي

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٦٠٣ وانظر: **صحيح ابن خزيمة** ٣/ ١٣٩.
(٢) **سنن الدارمي** ١/ ١٩.
(٣) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٦٠٣ وانظر: **سنن الدارمي** ١/ ١٨.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٦٠٣ وانظر: **سنن الدارمي** ١/ ١٨ وفيه: «حتى بلي وأكلته الأرضة وعاد رفاتاً».
(٥) هو عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن عساكر الدمشقي، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٦٧٦هـ، مؤلف كتاب **إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر**، انظر: **معجم المؤلفين** ٥/ ٢٣٦ و**التحفة اللطيفة** للسخاوي ٢/ ١٧٦.
(٦) **الروضة الفردوسية** للأقشهري ورقة ١٥ب.

صنع له جَزِعَ الجذع فَحَنَّ كما تحنُّ الناقة حين فارقه النبي ﷺ، فزعم ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه وقال: اخْتَرْ أنْ أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت، وإنْ شئتَ أنْ أغرسك في الجنة، فتشرب من أنهارها وعيونها فتَحْسُن زينتك[1] وتثمر فتأكل أولياء الله من ثمرتك وتَخْلُد[2]، فعلت؛ فزعم أنه سمع من النبي ﷺ وهو يقول له: نعم قد فعلت، مرتين، فسُئِلَ النبي ﷺ فقال: اختارَ أنْ أغرسَهُ في الجنة[3].

ولفظه عند عياض: إنْ شِئتَ أردُّكَ إلى الحائط[4] الذي كنت فيه تَنْبُتُ لك عروقك ويكمُل خلقك، ويُجَدَّدُ[5] لك خوص وثمرة، وإنْ شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك، ثم أصغى له النبي ﷺ يسمع ما يقول، فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلي فيه[6]، فسمعه من يليه، قال ﷺ: قد فعلت، ثم قال: اختار دار البقاء على دار الفناء[7].

فكان الحسن، إذا حَدَّث بهذا بكى وقال: يا عبادَ الله، الخشبة تَحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه، فأنتم أحقَّ أنْ تشتاقوا إلى لقائه[8].

وهو في كتاب يحيى بنحوه.

وفي حديث سهل بن سعد عند أبي نعيم: فقال النبي ﷺ: «ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة؟ فأقبل الناس عليها فسمعوا من حنينها حتى كَثُر بكاؤهم»[9].

---

(١) في فتح الباري ٦/٦٠٣ عن الدرمي: «فيحسن نبتك وتثمر فيأكل منك أولياء الله».

(٢) في سنن الدارمي والمغانم المطابة: «ونخلك».

(٣) نقلاً من المغانم المطابة ص٢٠٠وهو في سنن الدارمي ١/١٦ والخلاصة ٢٣٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ بينهما.

(٤) الحائط: البستان من النخيل إذا كان عليه حائط وهو الجدار، النهاية في غريب الحديث ١/٤٦٢.

(٥) م٢: وتجد.

(٦) في الدرة الثمينة: ٢/٣٦١: «لا أُداس فيه» وهو تصحيف.

(٧) نقلاً من المغانم المطابة ص ٢٠١ وهو في الدرة الثمينة ٢/٣٦١ عن أبي بريدة الأسلمي.

(٨) نقلاً من المصدر نفسه وهو في الدرة الثمينة ٢/٣٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٥٩ وفتح الباري ٦/٦٠٢.

(٩) نقلاً من فتح الباري ٦/٦٠٢ وانظر: طبقات ابن سعد ١/٢٥١ودلائل النبوة لأبي نعيم ٢/١١٤ من=

وفي لفظٍ عند ابن عبد البر: فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدَّع وانشق، فرجع إليه رسول الله ﷺ فمسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر(١).

قال: فكان إذا صَلَّى صلى إليه، فلما هُدِّم المسجد أَخَذَ ذلك الجذع أبيُّ بن كعب، فلم يزل عنده حتى أكلته الأرضةُ وعاد رفاتاً(٢).

وهذا يبعد ما قدمناه من التأويل، إذ ظاهره أنه لم يُدفَن، ويحتمل أنَّ ذلك كان بعد دفنه.

ومعنى: «يُصَلِّي إليه»: قريبا منه، لأنه كان عند مُصَلاَّه، كما سنحققه.

وفي كتاب يحيى عن أبي سعيد: كان ﷺ يخطب إلى جذع نخلة، فأتاه رجل رومي، فقال: أصنع لك منبراً تخطب عليه، فصنع له منبره الذي ترون، فلما قام عليه فخطب حَنَّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها، فنزل إليه النبي ﷺ فضَمَّه فسكن، وأمر به النبي ﷺ أنْ يُحْفَرَ له ويُدفَنَ(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع يتساند إليه، فمرَّ رومي فقال: لو دعاني محمد لعملت له ما هو أرفق له من هذا، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأرسل إليه، فدعاه فجعل له المنبر، ثم ذكر حنين الجذع وتخيير النبي ﷺ له(٤).

ثم قال: فقالت: فسمعنا النبي ﷺ وهو يقول: فنعم، فغار الجذع وذهب(٥).

= حديث سهل بن سعد: «سبحان الله ألا ترون إلى هذه الخشبة»، وفي **دلائل النبوة للبيهقي** ٢/٥٥٩ ـ ٥٦٠ من حديث سهل أيضاً: «ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة».

(١) نقلاً من المصدر نفسه وانظر: **طبقات ابن سعد** ١/٢٥٢.

(٢) نقلاً من المصدر نفسه وانظر: **طبقات ابن سعد** ١/٢٥٢.

(٣) س، م١، ر، ت، ص: أن يدفن ويحفر له، وفي **المغانم المطابة** ص ٢٠١: «أن يحفر ويدفن» وفي **سنن الدارمي** ١/١٨: «فأمر به أن يحفر له ويدفن».

(٤) أورد أبو نعيم خبراً شبيهاً بهذا في **دلائل النبوة** ٢/١٤٣ و**دلائل النبوة للبيهقي** ٢/٥٥٨ و**فتح الباري** ٢/٣٩٩.

(٥) نقلاً من **المغانم المطابة** ص٢٠١، وهو في **دلائل النبوة لأبي نعيم** ٢/١٤٣ و**الدرة الثمينة** ٢/٣٦١.

وعن أنس، أنَّ النبي ﷺ كان يخطب إلى الجذع، فلما اتَّخذ المنبر وعدل إليه حَنَّ الجذع حتى أتاه فاحتضنه فسكن، وقال: لو لم أفعل هذا لَحَنَّ إلى يوم القيامة[1].

وذكر الإسفراييني: أن النبي ﷺ دعاه إلى نفسه، فجاء يخرق الأرض، فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه[2].

وفي كتاب ابن زبالة عن خالد بن سعيد مرسلاً: أنَّ تميماً الداري كان يرى رسولَ الله ﷺ يشتَدُّ عليه وَجَع كان يجده في فَخِذَيه، يقال له: الزجر[3] فقال له تميم: يا رسول ألا أصنعُ لك منبراً تقوم عليه، فإنه أهون عليك إذا قمت وإذا قعدت؟ قال: وكيف المنبر؟ قال: أنا يا رسول الله أصنعه لك، قال: فخرج إلى الغابة فقطع منها خَشَبَاتٍ من أَثَلٍ، فعمل له درجتين: أي: غير المقعد، فتحوَّل رسول الله ﷺ عن الخشبة التي كان يستند إليها إذا خطب، ثم ذكر حنينها، وقال: بلغنا أنها دفنت تحت المنبر[4].

وعن المطلب بن حنطب[5]: أنه ﷺ أمر بالجذع فحفر له تحت المنبر فدفن هناك، قال: والذي عمل المنبر غلام قبيصة[6] المخزومي[7]، وكان المنبر من أَثْلَةٍ كانت قريباً من المسجد.

وعن سهل بن سعد الساعدي نحو ما في **الصحيح**: أنَّ رجالاً أتوا سهلاً وقد

---

(١) **سنن الدارمي** ١/١٩ عن ابن عباس وانظر: **طبقات ابن سعد** ١/ ٢٥٢و**الدرة الثمينة** ٢/ ٣٦١.

(٢) نقلاً من **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ١/٢٥٨.

(٣) الزجر: داء يصيب فقار الظهر، انظر: **تاج العروس** ٣/ ٢٣٤ «زجر».

(٤) **فتح الباري** ٦/ ٦٠٢ و**دلائل النبوة للبيهقي** ٢/ ٥٦٠.

(٥) هو المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي، انظر: **تجريد أسماء الصحابة** ٢/٧٩

(٦) في الأصول: نصيبة.

(٧) ترجم له ابن حجر في **الإصابة** ٣/ ٢٢٣(٧٠٦٤) وقال: «يقال هو الذي صنع المنبر» ومثله في **تجريد أسماء الصحابة** ٢/ ١١. وقال ابن حجر: «ذكره الزبير بن بكار في **أخبار المدينة** من روايته عن محمد بن الحسن بن زبالة عن سفيان بن حمزة، لكنه قَدَّم الصاد على الياء، وكذا هو في ذيل ابن الأثير على الاستيعاب».

امتروا[1] في المنبر مِمَّ عُودُهُ؟ فسألوه عن ذلك، فقال: والله إني لأعرف مِمَّ هو ولقد رأيته أولَ يوم وُضِعَ، وأولَ يوم جلس عليه رسول الله ﷺ، أرسل رسولُ الله ﷺ إلى فلانة امرأةٍ من الأنصار قد سمَّاها سهل: مُرِي غلآمَكِ النجّار، أنْ يعملَ لي أعواداً أجلس عليها إذا كَلَّمْتُ الناس، فأمرته فعملها من طَرفْاء الغابة، ثم جاء بها، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فأمرَ بها فوضعت ها هنا، ثم رأيت رسول الله ﷺ صَلَّى عليها وكَبَّرَ وهو عليها، ثم ركع وهو عليها، ثم نزل القَهْقَرى فسجد في أصل المنبر[2].

هذا لفظ **الصحيح**، وزاد فيه ابن زبالة: وقطعتُ خشب المنبر بيدي مع الذي بعثه رسول الله ﷺ، وحملت إحدى الدرجات.

ورواه يحيـى بلفظ: عُمِلَ من أثل ـ يعني: المنبر ـ وكنت ممن حمل درجته هذه، ثم ذكر حنين الجذع.

وفي رواية للبخاري في كتاب **الهبة**: «فجاءوا به» ـ يعني: المنبر ـ فاحتمله النبي ﷺ فوضعه حيث ترون[3].

وقال الحافظ ابن حجر: صَحَّف بعض الرواة قوله: «إلى فلانة امرأة من الأنصار»، فقال: إلى علاثة ـ بالعين المهملة والمثلثة ـ وهو خطأ، والمرأة لا يُعرفُ اسمها[4].

ونقل ابن التين عن مالك: أنَّ النجار كان مولى لسعد بن عُبادة، فيحتمل أنه كان في الأصل مولى امرأته، ونسب إليه مجازاً، واسم امرأته: فكيهة بنت عبيد بن دليم، وهي ابنة عمه، فيحتمل أن تكون هي المرأة، لكن رواه ابن رَاهَويه عن ابن عيينة وقال: مولىً لبني بياضة، ووقع عند الكرماني، قيل: اسمها عائشة، وأظنه صحَّفَ المصَحَّف، ثم وجدت في **الأوسط** للطبراني من حديث جابر، أنَّ رسولَ

---

(١) من المماراة وهي المجادلة كما فسرها ابن حجر.

(٢) فتح الباري ٢/ ٣٩٧ ومسند أحمد ٥/ ٤٢٣ والسنن الكبرى للبيهقي ٣/ ١٩٥.

(٣) فتح الباري ٥/ ٢٠٠.

(٤) فتح الباري ٢/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧، ٥٤٣.

الله ﷺ كان يُصَلِّي إلى سارية في المسجد، ويخطب إليها ويعتمد عليها، فأمرت عائشة، فصنعت له منبره هذا، فذكر الحديث، وإسناده ضعيف، ولو صَحَّ لما دَلَّ على أنَّ عائشة هي المرادة في حديث سهل هذا إلاَّ بتعسف، والله أعلم[1].

وأسند ابن سعد في **الطبقات** من حديث أبي هريرة، ورجاله ثقات إلاَّ الواقدي: أنَّ النبي ﷺ كان يخطب وهو مستند إلى جذع، فقال: «إنَّ القيام قد شَقَّ عليَّ، فقال تميم الداري: ألا أعمل لك منبراً كما رأيتُ يُصنع بالشام؟ فشاور النبي ﷺ المسلمين في ذلك، فرأوا أنْ يتَّخِذَهُ، فقال العباس بن عبد المطلب: إنَّ لي غلاماً يقال له: كلاب، أعْمَلُ الناس، فقال: مُرْهُ أنْ يعمل»[2]، الحديث.

وأسند يحيى منقطعاً عن ابن أبي الزناد وغيره: أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة إلى جذعٍ في المسجد، كان موضِعُهُ عند الإسطوانة المُخَلَّقة التي تلي القبر، التي عن يسارِ الإسطوانة المخلقة، التي كان النبي ﷺ يُصَلِّي عندها، التي عند الصندوق[3]، فقال النبي ﷺ: إنَّ القيام قد شَقَّ عليَّ، وشكا ﷺ ضَعْفَاً في رجليه، قالوا: فقال تميم الداري ـ وكان رجلاً من لخم من أهل فلسطين ـ: يا رسول الله أنا أعمل لك منبراً كما رأيت يُصنَع بالشام، قالوا: فلما أجْمَعَ رسولُ الله ﷺ وذو الرأي من أصحابه على اتخاذه، قال العباس بن عبد المطلب: إنَّ لي غلاماً يقال له: كلاب، أعمل الناس، فقال النبي ﷺ: «مُره يعمل، فأرسله إلى أثْلةٍ بالغابة فقطعها ثم عملها دَرَجتين ومجلساً، ثم جاء بالمنبر فوضعه في موضعه اليوم[4]، ثم راح رسول الله ﷺ يوم الجمعة، فلما جاوز الجذع يُرِيدُ المنبرَ حَنَّ الجذع ثلاث مرات كأنه خُوارُ بقرةٍ، حتى ارتاع الناس، وقام بعضهم على رجليه، فأقبل رسول الله ﷺ حتى مسَّه بيده فسكن، فما سُمِعَ له صوتٌ بعد ذلك، ثم رجع

(١) نقلاً من فتح الباري ١/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧.

(٢) نقلاً من فتح الباري١/ ٤٨٧، ٢/ ٣٩٨، وانظر: **المغانم المطابة** ص٢٠٠و**طبقات ابن سعد** ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٣) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٦١.

(٤) **المغانم المطابة** ص٢٠٠ وانظر: **طبقات ابن سعد** ١/ ٢٥٠.

رسول الله ﷺ إلى المنبر فقام عليه»[1].

فلم يزل كذلك في زمان النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما هَدَّم عثمانُ المسجد اختلف في الجذع، فمنهم من قال: أخذه أُبيّ بن كعب، فكان عنده حتى أكَلَته الأرضة، ومنهم من قال: دُفِنَ في موضعه[2].

وقال عياض: حديث حنين الجذع مشهور منتشر، والخبر به متواتر، أخرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر[3].

وقال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلَفُ عن السَلَف، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكليف[4]، وفيه دليل على أنَّ الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كأشرف الحيوان[5].

وقد نقل ابن أبي حاتم في **مناقب الشافعي** عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي، قال: ما أعْطَى الله نبياً ما أعطى محمداً، فقلت: أعطى عيسى إحياءَ الموتى، قال: أعطى محمداً حَنينَ الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك[6].

ونقل ابن زبالة اختلافاً في دفن خشبته:

فعن عثمان بن محمد: دُفِنَتْ دوين المنبر عن يساره.

وقال بعضهم: دُفنت شرقي المنبر إلى جنبه.

وقال بعضهم: دفنت تحت المنبر.

وتقدَّم في روايةٍ: أنه دُفِنَ في موضعه الذي كان فيه.

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦١ ـ ٣٦١.

(٢) نقلاً من الدرة الثمينة ٢/ ٣٦١ والخبر عن ابن أبي الزناد في الروضة الفردوسية ورقة ١٠٦أ.

(٣) نقلاً من المغانم المطابة ص٢٠١ وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٢٥٧.

(٤) ما بعدها هو كلام ابن حجر وليس من كلام البيهقي.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٦٠٣ وانظر: دلائل النبوة ٢/ ٥٦٣ وفيه: «هذه الأحاديث التي ذكرناها في أمر الحنانة كلها صحيحة، وأمر الحنانة من الأمور الظاهرة والاعلام النيِّرة التي أخذها الخلف عن السلف، ورواية الأحاديث فيه كالتكليف» فقد غيَّر ابن حجر نص البيهقي فتبعه السمهودي.

(٦) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٦٠٣ وانظر: آداب الشافعي ومناقبه ٨٣.

ومحصل الرواية المتقدمة في كلام يحيـى أنه كان في جهة المشرق يسار المُصَلَّى الشريف.

ونقل ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد: أنَّ الإسطوان الملطَّخ بالخَلُوق ثلثاها أو نحو ذلك محرابها موضع الجذع الذي كان النبي ﷺ يخطب إليه، بينها وبين القبلة إسطوان، وبينها وبين المنبر إسطوان.

قلت: وهذه الإسطوانة هي التي تقدم أنها عَلَم المُصَلَّى الشريف عن يمينه ولهذا روى عَقِبَه ما قدمناه من القيام بمقام رسول الله ﷺ في الصلاة لمن عَدَلَ عنها قليلاً، وهذا مستند المطري في قوله: وكان هذا الجذع عن يمين مُصَلَّى رسول الله ﷺ لاصقاً بجدار المسجد القبلي في موضع كرسي الشمعة اليمنى التي توضع عن يمين الإمام المُصَلِّي في مقام النبي ﷺ، والاسطوانة التي قبلي الكرسي متقدمة عن موضع الجذع، فلا يعتمد على قول من جَعَلها في موضع الجذع[1].

قال: وفيها خشبة ظاهرة مثبتة بالرصاص سدادة لموضع كان في حجر من حجارة الاسطوانة مفتوح قد حُوِّط عليه بالبياض والخشبة ظاهرة؛ تقول العامة: هذا الجذع الذي حَنَّ إلى النبي ﷺ وليـس كذلك، بل هو من جملة البدع التي يجب إزالتها لئلا يفتتن بها الناس، كما أُزيلت الجزعة التي كانت في المحراب القبلي[2]، وذكر قصة الجزعة التي قدَّمناها.

وقال المجد: إنَّ الخشبة المذكورة كان يُزدَحَمُ على زيارتها والتمسح بها، ويعتقد الناس عامةً أنها من الجذع، فظن بعض الفقهاء أنَّ هذا من المنكر الذي يتعين إزالته، وصَرَّح بهذا في كتبه[3]، إلى أنْ وافق شيخنا العز ابن جماعة[4] فأمرَ بإزالتها، إلى آخر ما قدَّمناه عنه[5].

---

(١) التعريف للمطري ٣٢ وفيه: «والاسطوانة قبلي المسجد وهي متقدمة».

(٢) المصدر نفسه، وفيه: «يفتتن بها الجهال».

(٣) لعله يشير إلى المطري الذي صَرَّح في وجوب إزالتها.

(٤) سبقت الإشارة إليه.

(٥) ، انظر: الخلاصة ٢٢٩ والمغانم المطابة ص١٨٥ وتحقيق النصرة ٦٣.

قال: وكان موضع الخشبة من الإسطوان المذكور على مقدار ذراعين من الأرض ارتفاعاً، وقد طُلِيَ عليه بالقَصَّة، ولا عَينٌ منه ولا أثر[١].

قلت: والذي يظهر ـ كما قدَّمتُه ـ أنَّ هذه الخشبة كانت من العود الذي كان النبي ﷺ يضعُ يدَهُ عليه ويقول: عدِّلُوا صفوفكم؟ كما تقدم، والله أعلم.

ونقل ابن زبالة الاختلاف في الذي عمل المنبر.

فقيل: غلامُ قبيصة[٢] المخزومي.

وقيل: غلامٌ للعباس.

وقيل: غلامٌ لسعيد بن العاص، يقال له: باقول، بموحدة وقاف مضمومة.

وقيل: غلامٌ لامرأةٍ من الأنصار، من بني ساعدة، أو لامرأةٍ لرجلٍ منهم يقال له: مينا.

وقوله: "يقال له مينا" يحتمل المولى وزوج المرأة، لكن عند يحيى: قال إسماعيل بن عبد الله: الذي عمل المنبر غلامُ الأنصارية واسمه مينا[٣].

وعند ابن بشكوال عن ابن أَبي أويس: عمل المنبر غلامٌ لامرأةٍ من الأنصار من بني سلمة أو بني ساعدة أو امرأة لرجل منهم يقال له: مينا[٤].

وهذا محتمل كالأول.

وقيل: عمله تميم الداري.

هذا حاصل ما ذكره ابن زبالة.

---

(١) المغانم المطابة ص١٨٥.

(٢) في الأصول: نصيبة، وقد سبق أن صححناه.

(٣) الأسماء المبهمة ٢٩٣ ـ ٢٩٤ مع مصادر وروده.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٢/٣٩٨: «ذكره ابن بشكوال عن الزبير بن بكار: حدثني إسماعيل هو ابن أبي أويس عن أبيه قال: عمل المنبر...» وقال ابن حجر: «بإسناد شديد الانقطاع»، وابن أبي أويس: هو إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس المدني ابن أخت مالك بن أنس، انظر: مقدمة فتح الباري ٢٣٠.

وفي روايةٍ ليحيى: عمل المنبر صُبَاح، غلام العباس[1]؛ بضم المهملة بعدها موحدة خفيفة؛ وتقدَّم تسميته: كلاباً.

ونقل المراغي عن بعض شيوخه: أنَّ الذي عمله باقوم ـ بالميم ـ باني الكعبة لقريش[2].

وفي **الاستيعاب** عن باقوم الرومي، قال: صنعتُ لرسول الله ﷺ منبراً من طَرفاء له ثلاث درجات: المقعدة ودرجتيه[3]؛ قال ابن عبد البر: وإسناده ليس بالقائم[4].

وفي **طبقات** ابن سعد: أنَّ الصحابة قالوا: يا رسول الله إنَّ الناس قد كثروا، فلو اتخذت شيئاً تقوم عليه إذا خطبت، قال ﷺ: ما شئتم، قال سهل رضي الله عنه: ولم يكن بالمدينة إلا نجّارٌ واحدٌ، فذهبت أنا وذاك النجار إلى الغابة[5] فقطعنا هذا المنبر من أثلةٍ[6].

وفي لفظٍ: فحمل سعد منهنَّ خشبة[7].

قال المجد: إسنادهما صحيح[8].

وعند قاسم بن أصبغ[9]: وكان بالمدينة نجار واحد، يقال له: ميمون، فذكر

---

(١) في **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٦٢: «وقال عمر بن عبد العزيز عمله صباح غلام العباس بن عبد المطلب».

(٢) **تحقيق النصرة** ٦٥.

(٣) **صحيح ابن حزيمة** ٣/ ١٤٠ بمعناه.

(٤) هذه الأقوال ذكرها ابن حجر في **فتح الباري** ٢/ ٣٩٨ وناقشها واسقطها لوهائها، وذكرها المراغي في **تحقيق النصرة** ٦٤ ـ ٦٥ أيضاً دون مناقشة. وانظر: **الاستيعاب** (على هامش **الإصابة**) ١/ ١٨٢، ولباقوم أو باقول ترجمة مطولة في **الإصابة** ١/ ١٣٦ وفي **معرفة الصحابة** ٣/ ١٩٠.

(٥) في **الطبقات**: «الخافقين» وهو تصحيف «الغابتين» الواردة في **المغانم المطابة** ص٢٠٠.

(٦) نقلاً من **المغانم المطابة** ص١٩٩ ـ ٢٠٠ وانظر: **طبقات ابن سعد** ١/ ٢٥١ و**دلائل النبوة** للبيهقي ٢/ ٥٥٩ و**صحيح ابن خزيمة** ٣/ ١٤١.

(٧) نقلاً من **المغانم المطابة** ص٢٠٠ وانظر: **طبقات ابن سعد** ١/ ٢٥١ وفيها: «وأن سهلاً حمل خشبة منهن».

(٨) المصدر نفسه ص٢٠٠.

(٩) قاسم بن أصبغ بن محمد، أبو محمد القرطبي المتوفى بقرطبة سنة ٣٤٠هـ، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٥/ ٤٧٢ و**معجم المؤلفين** ٨/ ٩٥ مع مصادر ترجمته في كليهما.

الحديث[1].

وعند الطبراني عن سهل: «كنت جالساً مع خالٍ لي من الأنصار، فقال النبي ﷺ: اخرج إلى الغابة وأتني من خشبها فاعمل لي منبراً»[2] الحديث.

وأخرج الطبراني بإسناد فيه متروك: أنَّ اسم صانع المنبر إبراهيم[3].

وفي **أسماء الصحابة** لابن شَبَّة مرسلاً: اسمه قبيصة أو قصيبة ـ بتقديم الصاد ـ المخزومي، مولاهم[4].

وعند أبي داود بإسناد جيِّد: أنَّ النبي ﷺ لما بَدَّنَ[5]، قال لـه تميم الداري: يا رسول الله ألا نَتَّخِذُ لك منبراً يحمل ـ أو يجمع ـ عظامك، قال ﷺ: بلي، فاتخذ له منبراً[6] مرقاتين[7]، أي: غير المقعدة.

قال الحافظ ابن حجر: وليس في الروايات التي سُمِّيَ فيها النجار قوي السند إلاَّ هذا[8]، وليس فيه تصريح بأنَّ الذي اتخذ المنبر تميم، بل تبين من رواية ابن سعد المتقدمة أنَّ تميماً لم يعمله.

وأشبه الأقوال بالصواب أنه ميمون، لكون الإسناد من طريق سهل، ولا اعتداد بالأقوال الأخرى لكونها واهيةً[9].

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٢/٣٩٨، ١/٤٨٦ عن قاسم بن أصبغ وكتاب **شرف المصطفى** للخركوشي.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٢/٣٩٨.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٢/٣٩٨ وانظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ٢/١٤٢.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٢/٣٩٨: «قبيصة أو قصيبة المخزومي مولاهم ذكره عمر بن شبة في **الصحابة** باسناد مرسل».

(٥) في فتح الباري ٢/٣٩٨: «لما كثر لحمه»، وقال النووي في **شرح صحيح مسلم** ١/٢٦٨ عن أبي عبيد: "بدَّن الرجل بفتح الدال المشددة تَبْدِيناً إذا أسنَّ، قال أبو عبيد: ومن رواه بدن بضم الدال المخففة فليس له معنى هنا، لأنَّ معناه كثر لحمه"، وذكر أيضاً ما يوافق قول ابن حجر.

(٦) سنن أبي داود، تح محمد عبد العزيز الخالدي، ١/٣٢٨ (١٠٨١).

(٧) نقلاً من **المغانم المطابة** ص٢٠٢ وفي فتح الباري ٢/٣٩٨ عن أبي داود، دون لفظ: «مرقاتين» والدرة الثمينة ٢/٣٦١ والسنن الكبرى للبيهقي (حيدرآباد) ٣/١٩٥ ـ ١٩٥.

(٨) في فتح الباري ٢/٣٩٨: «إلا حديث ابن عمر». وقد تصرَّف السمهودي في النص.

(٩) فتح الباري ٢/٣٩٨ ـ ٣٩٩: «وأما الأقوال الأخرى فلا اعتداد بها لوهائها».

قلت: ولا ينافيه قوله في مقدمة الشرح[1]: باقوم أشهر الأقوال[2] فقد يشتهر الواهي.

وفي **التحفة**[3] لابن عساكر: روينا من حديث أبي كبشة السلولي عن معاذ رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: إنْ أتَّخِذ منبراً فقد اتَّخَذهُ أبي إبراهيم، وإنْ اتَّخذ العصا فقد اتَّخَذَهَا أبي إبراهيم ﷺ»[4].

وأسند ابن النجار من حديث أنس: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبةٍ مُسْنِداً ظهره إليها، فلما كَثُرَ الناسُ قال: ابنُوا لي منبراً، فبنوا له منبراً له عتبتان[5]، وهو يقتضي أنَّ المنبر كان بناءً، ويحتمل أنه أَطْلَقَ على تأليفه من الأخشاب اسم البناء، لكنْ قال الحافظ ابن حجر: «حكى بعض أهل السير أنه ﷺ كان يخطب على منبر من طينٍ قبل أن يتخذ المنبر الذي من خشب، ويعكِّر عليه ما تقدم في الأحاديث الصحيحة من أنه كان يستند إلى الجذع إذا خطب»[6].

قلت: يحتمل أنَّ ذلك المنبر المتخذ من الطين كان إلى جنب الجذع، وكأنه كان بناءً مرتفعاً فقط، وليس له درج ومقعدة بحيث يكْمُلُ الارتفاق به، فلا ينافي ما تقدم في سبب اتِّخاذ المنبر من خشب.

ويؤيد ذلك ما ورد في حديث الإفك في **الصحيحين** عن عائشة، قالت: «فثار الحيَّان؛ الأوسُ والخزرجُ حتى كادوا أنْ يقتتلوا، ورسول الله ﷺ على المنبر»[7]، الحديث.

---

(١) يريد: **مقدمة فتح الباري** لابن حجر.

(٢) في **الخلاصة** ٢٣٣: «واشهر الأقوال أن الذي صنع المنبر باقوم بموحدة وقاف».

(٣) هو كتاب **إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر**، لم ينشر بعد، وقال حمد الجاسر: «من هذا الكتاب نسخة مخطوطة لدى الشيخ محمد سلطان النمنكاني الكتبي بالمدينة المنورة» انظر: **رسائل في تاريخ المدينة** ٤١.

(٤) **كشف الأستار عن زوائد البزار** للهيثمي ١/ ٣٠٤.

(٥) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٦٠.

(٦) **فتح الباري** ٢/ ٣٩٩.

(٧) نقلاً من **فتح الباري** ٢/ ٣٩٩ وانظر: **تاريخ المدينة** ١/ ٣١٥ «في حديث الإفك».

وهذه القصة متقدمة على اتخاذ المنبر من الخشب، فقد جزم ابن النجار بأنَّ عمله كان سنة ثمان[1]، وجزم ابن سعد بأنه كان في السنة السابعة، على أنَّ ذكر تميم والعباس في عمله ـ كما تقدَّم ـ يقتضي تأخره عن ذلك أيضاً، فقد كان قدومُ العباس بعد الفتح في آخر سنة ثمان، وقدومُ تميم سنة تسع[2].

وفي بعض طرق حديث سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان: «كان رسول الله ﷺ يجلس بين أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو، فطلبنا إليه أنْ نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكاناً[3] من طين كان يجلس عليه[4]»، الحديث.

وفي بعض طرقه: أنه جاء والنبي ﷺ يخطب، أي: على ذلك الدكان، والله أعلم.

وروى يحيى عن ابن أبي الزناد: أنَّ النبي ﷺ كان يجلس على المجلس، ويضع رجليه على الدرجة الثانية، فلما وليَ أبو بكر قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة السفلى، فلما وليَ عمر قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الأرض، إذا قعد، فلما وليَ عثمان فعل ذلك ست سنين من خلافته ثم علا إلى موضع النبي ﷺ[5].

ثم قال: قالوا: فلما استخلف معاوية زاد في المنبر، فجعل له ستَّ درجات[6]، وكان عثمان أول مَنْ كسا المنبر قُبْطِيَّة[7].

قالوا: فلما قدم معاوية عامَ حجَّ حَرَّكَ المنبر، وأراد أنْ يُخرجه إلى الشام،

---

(١) قال ابن حجر: «وفيه نظر ايضا لما ورد في حديث الإفك في الصحيحين...».

(٢) أعاد السمهودي تنظيم أقوال ابن حجر في فتح الباري ٢/ ٣٩٩.

(٣) الدكان: هو الدَّكَّة.

(٤) المعجم المفهرس ٢/ ١٤١ عن أبي داود.

(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٢ وتحقيق النصرة ٦٥.

(٦) تحقيق النصرة ٦٦.

(٧) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٣ وتحقيق النصرة ٦٥ عن ابن النجار، والقبطيَّة: الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٦.

فكسفت الشمس يومئذ، حتى بدت النجوم، فاعتذر معاوية إلى الناس، وقال: أردت أنظر إلى ما تحته، وخَشِيتُ عليه من الأرَضَة[1].

قال بعضهم: وكساه يومئذ قبطيَّةً أو لَيْنَةً[2].

ثم أسند عن سعيد بن عمرو قصة تحريك معاوية للمنبر، وأنَّ الشمس كُسِفَت، واعتذاره بأنه خشي عليه الأرضة، وأنه كساه يومئذ قبطية تكون عليه أو لينة، فكان يقال: هو أول من كساه.

قال يحيى: وأثبتهما عندنا أنَّ عثمان هو أول من كَساه.

وقد نقل ذلك ابن النجار[3] عن الواقدي[4] عن ابن أبي الزناد، قال: فسرقت الكسوة امرأة، فأُتِيَ بها عثمان، فقال لها: هل سرقت؟ قولي: لا[5]، فاعترفت، فقطعها[6].

واتفق لامرأة مع ابن الزبير مثل ذلك[7].

وفي تاريخ الواقدي: أراد معاوية رضي الله عنه سنة خمسين تحويل منبر رسول الله ﷺ إلى دمشق، فكسفت الشمس يومئذٍ[8]، وكلَّمَهُ أبو هريرة رضي الله

---

(١) **تحقيق النصرة** ٦٧.

(٢) السطر بكامله سقط من خ، واللَّيِنَة: بالفتح، كالمسورة أو كالرِّفادة، سميَّت للينها، **النهاية في غريب الحديث** ٤/ ٢٨٦ و**تاج العروس** ٩/ ٣٣٨، ولم يذكرا غير هذا، والظاهر أن اللينة هنا: نوع من الأدم كانت الوسائد تُتَّخذ منه.

(٣) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٦٢ حيث لم يقل: أن عثمان هو أول من كساه.

(٤) لم يصرِّح ابن النجار في **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٦٢ بنقله عن الواقدي، وإنما قال: «وقال ابن أبي الزناد» والظاهر أنَّ السمهودي نقل ذلك من **تحقيق النصرة** ٦٥ حيث قال: «وكان اتخاذ المنبر سنة ثمان كما نقله ابن النجار، ونُقل أيضاً عن الواقدي عن ابن أبي الزناد. . .».

(٥) سقطت من م١.

(٦) نقلاً من **تحقيق النصرة** ٦٥ وليس من **الدرة الثمينة**.

(٧) نقلاً من **تحقيق النصرة** ٦٦.

(٨) نقل ابن حجر في **فتح الباري** ٢/ ٣٩٩ من **تاريخ المدينة** للزبير بن بكار: «بعث معاوية إلى مروان وهو عامله على المدينة أن يحمل إليه المنبر، فأمر به فقلع، فأظلمت المدينة فخرج مروان فخطب وقال: إنما أمرني أمير المؤمنين أن أرفعه، فدعا نجاراً، وكان ثلاث درجات فزاد فيه الزيادة التي هي عليها اليوم».

عنه فيه، فتركه، فلما كان عبد الملك أراد ذلك فكلمه قبيصة فتركه، فلما كان الوليد أراد ذلك فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز فكلمه فيه فتركه، فلما كان سليمان قيل له في تحويله، قال: لا! ها الله! أخذنا الدنيا ونعمد إلى علم من أعلام الإسلام نريد تحويله؟ ذاك شيء لا أفعله، وما كنت أُحِبُّ أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا الوليد، ما لنا ولهذا؟[1]

وأسند ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، قال: بعث معاوية رضي الله عنه إلى مروان يأمره أنْ يحمل إليه منبر النبي ﷺ، فأمر به أن يُقْلَعَ فأظلمت المدينة وأصابتهم ريح شديدة، قال: فخرج عليهم مروان فخطبهم وقال: يا أهل المدينة إنكم تزعُمون أنَّ أمير المؤمنين بَعَثَ إلى منبر رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين أعلم بالله من أنْ يغيِّرَ منبر رسول الله ﷺ عن ما وَضَعَه عليه، إنما أمرني أن أُكرمَه وأرفعه، قال: فدعا نجاراً فزاد فيه الزيادة التي هو عليها اليوم، ووضعه موضعه اليوم.

وفي رواية له عن ابن قطن: قلع مروان بن الحكم منبر رسول الله ـ وكان درجتين ـ والمجلس، وأراد أنْ يبعث به إلى معاوية، قال: فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم، قال: فزاد فيه سِتَّ درجاتٍ، وخطب الناس فقال: إني إنما رفعته حين كثر الناس[2].

وعند يحيى في رواية أخرى: كتب معاوية رضي الله عنه إلى مروان وهو على المدينة: أنْ أرسل لي بمنبر رسول الله ﷺ فخرج مروان فقلعه، فأصابتنا ريحٌ مظلمة بدَت فيها النجومُ نهاراً، ويَلقى الرجلُ الرجلَ يَصُكُّه[3] فلا يعرفه، وذكر اعتذار مروان المتقدم، وقال: إنما كتب إليَّ يأمرني أنْ أرفعه من الأرض، فدعا له النجاجرة، فعمل هذه الدرجات ورفعوه عليها، وهي ـ أي: الدرجات التي

---

(١) نقلاً من المغانم المطابة ص٢٠٢ والخبر في الروضة الفردوسية ورقة ٣٨ب ـ ٣٩أ عن الواقدي.
(٢) فتح الباري ٢/ ٣٩٩ وتحقيق النصرة ٦٧.
(٣) يصكه: يصدم به في الظلمة.

زادها ـ ستُّ درجات، قال: ثم لم يزد فيه أحدٌ قبله ولا بعده[1].

وقال ابن زبالة ـ عقب حديث رواه من طريق سفيان بن كثير بن زيد عن المطلب ما لفظه: والذي زاد في درج المنبر معاوية بن أبي سفيان.

قال سفيان: قال كثير: فأخبرني الوليد بن رباح، قال: كسفت الشمس يوم زاد معاوية في المنبر حتى رؤيت النجوم.

وروى ابن النجار زيادة مروان فيه، وأنه صار تسع درجات بالمجلس، عن ابن أبي الزناد، ثم قال: ولما قدم المهدي المدينة سنة إحدى وستين ومئة، فقال لمالك بن أنس: إني أُريد أنْ أُعيدَ منبر النبي ﷺ على حاله، فقال له مالك: إنما هو من طرفاء، وقد سُمِّرَ إلى هذه العيدان وشُدَّ، فمتى نزعته خِفْتُ أنْ يتهافت ويهلك، فلا أرى أنْ تُغَيِّرَه، فانصرف المهدي[2] عن تغييره[3].

وروى ابن شَبَّة قصة المهدي عن محمد بن يحيى عن محمد بن أبي فديك[4].

قلت: وجميع ما قدَّمناه من كلام المؤرخين مقتضٍ لاتفاقهم على أنَّ منبره ﷺ كان درجتين غير المجلس، ونقله ابن النجار عن الواقدي[5]، لكن سبق في رواية الدارمي: «هذه المراقي الثلاث أو الأربع»[6] على الشكِّ.

وفي صحيح مسلم: «هذه الثلاث درجات» من غير شك[7].

وقال الكمال الدميري[8] في شرح المنهاج: وكان ﷺ منبره ثلاث درج غير

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٣ وتحقيق النصرة ٦٧.

(٢) في تاريخ المدينة ١/ ١٨ «فانصرف رأي المهدي».

(٣) تاريخ المدينة ١/ ١٨ والدرة الثمينة ٢/ ٣٦٣ وتحقيق النصرة ٦٧.

(٤) ص: المهدي عن محمد بن أبي فديك، وفي تاريخ المدينة ١/ ١٧ ـ ١٨ «عن محمد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك»، ش، م١، س، ر: قصة المهدي من محمد ابن يحيى عن.

(٥) انظر ما قلناه في ما سبق من أنَّ ابن النجار لم ينقل عن الواقدي.

(٦) سنن الدارمي ١/ ١٦.

(٧) لم أقف عليها في صحيح مسلم تح محمد فؤاد عبد الباقي وفهارسه التفصيلية.

(٨) ش: الدهري، وهو كمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ، مؤلف كتاب حياة الحيوان والنجم الوهاج في شرح المنهاج (منهاج الطالبين للنووي)، انظر: بروكلمان =

الدرجة التي تسمَّى: المستراح، ولعلَّ مأخذه ظاهر ذلك مع حديث: أنَّ النبي ﷺ رقى المنبر فلما رقى الدرجة الأولى، قال: آمين، ثم رقى الدرجة الثانية، فقال: آمين، ثم رقى الدرجة الثالثة، فقال: آمين، فقالوا: يا رسول الله سمعناك قلت آمين ثلاث مرات، قال: لما رَقيتُ الدرجةَ الأولى جاء جبريل عليه السلام فقال: شَقيَ عبدٌ أدرك رمضانَ فانسلخَ عنه فلم يُغْفَر له، قلت: آمين، ثم قال: شقي عبد ذُكِرتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك، قلت: آمين، ثم قال: شقي عبدٌ أدرك والديه أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنة، فقلت: آمين[1].

رواه يحيى بن الحسن عن جابر.

ورواه الحاكم عن كعب بن عجرة، وقال: صحيح الإسناد، ولفظه: «قال رسول الله ﷺ: احضروا المنبر، فحضرنا، فلما ارتقى درجة، قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثانية، قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة، قال: آمين، فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنَّا نسمعه، قال: إنَّ جبريل عَرَض لي فقال: بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يُغْفَر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية، قال: بَعُدَ من ذُكِرتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك، فقلت: آمين، فلما رقيتُ الثالثة، قال: بَعُدَ من أدرك أبواه الكبر عنده أو أحدهما فلم يُدخِلاهُ الجنة، قلت: آمين»[2].

ويمكن حمله على أنه ﷺ ارتقى حينئذٍ على المجلس: وهي الدرجة الثالثة.

قال ابن زبالة: وطولُ منبر النبي ﷺ خاصةَ ذراعان في السماء، وعرضه ذراع في ذراع، وتربيعه سواء، وفيه مما كان يلي ظهره إذا قَعَدَ ثلاثةُ أعواد تدور، ذهبت

= ٢/١٣٨ وملحقه ٢/ ١٧٠ وملحقه ١/ ٦٨١ عن نسخ الكتاب في خزائن الكتب.

(١) مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٤ ـ ١٦٧ وفردوس الأخبار ١/ ٤٩١ والوفا بأحوال المصطفى ٢/ ٥٦٧ وفضل الصلاة على النبي ﷺ ٣٤ ـ ٣٥ والشفا ٢/ ٦٨ وسنن البزار ٤/ ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ١/ ٢٢٠ وسنن البزار ٤/ ٤٧ ـ ٤٨.

إحداهن[1] وانقلعت إحداهن سنة ثمان وتسعين ومئة، وأمر به داود بن عيسى[2] فأُعيد[3].

وفي ما عمل مروان في حائط المنبر الخشب، عشرة أعواد لا يتحركن، وطول منبر النبي ﷺ مرتفع في السماء مع الخشب الذي عمله مروان ـ أي: الأعواد المتقدمة ـ ثلاث أذرع ونصف[4].

وقال عقب كلامه الآتي في ذرع ما عليه المنبر اليوم ـ يعني زمنه ـ ما لفظه: وطول المجلس ـ أي: مجلسه ﷺ ـ شبران وأربع أصابع في مثل ذلك مربع؛ فقوله أولاً: «وعَرضه ذراع في ذراع» إنما أراد به مقعد المنبر، لما قاله هنا في وصف المقعد بدون درجتيه، ولأنه قال هنا عقب ما تقدم: وما بين أسفل قوائم منبر النبي ﷺ الأول إلى رُمَّانته خمسة أشبار وشيء، وعرض دَرَجه شبران، وطولها شبر، وطوله من ورائه ـ يعني: محل الاستناد ـ شبران وشيء، فيؤخذ من ذلك أنَّ امتداد المنبر النبوي من أوله ـ وهو ما يلي القبلة ـ إلى ما يلي آخره في الشام أربعة أشبار وشيء، لقوله: إنَّ «عرض درجه شبران»، وإنَّ المجلس شبران وأربع أصابع، وقوله: "وما بين أسفل قوائم منبر النبي ﷺ. . . إلى آخره"، معناه أنَّ من طرف المنبر النبوي الذي يلي الأرضَ إلى طرف رمَّانته التي يضع عليها يده الكريمة خمسة أشبار وشيء، وذلك نحو ذراعين ونصف، وقد تقدم أنَّ «ارتفاع المنبر النبوي خاصة ذراعان، فيكون ارتفاع الرمانة نحو نصف ذراع».

وقال ابن النجار: وطولُ منبر النبي ﷺ ذراعان وشبر وثلاث أصابع، وعرضه ذراع راجح: وطول صدره ـ وهو مُسْتَنَدُ النبي ﷺ ـ ذراع، وطول رُمانَتَي المنبر اللتين كان يمسكهما بيده الكريمتين[5] إذا جلس، شبر وإصبعان، وعرضه ذراع في

---

(١) في المغانم المطابة ص٢٠٢: «ذهب احدها وانقلع أحدها».

(٢) ترجم له السخاوي في التحفة اللطيفة ١/٣٢٩ وأشار إلى إصلاح المنبر.

(٣) المغانم المطابة ص٢٠٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) في الدرة الثمينة ٢/٣٦٣: «المنبر الذي يمسكها رسول الله ﷺ إذا جلس يخطب شبر. . .».

ذراع[1] يزيد، وتربيعه سواء[2]، ولا يخفى ما فيه من المخالفة لكلام ابن زبالة.

وقال ابن زبالة في الكلام على فضل ما بين القبر والمنبر ـ بعد ذكر المرمر الذي حول المنبر ـ ما لفظه: وفي المنبر من أسفله إلى أعلاه سبع كُوىً[3] مستطيرة[4] من جوانبه الثلاثة، وفي جنبه الذي عمل مروان من قبل المشرق ثماني عشرة كُوّة مستديرة شبه المربعة، ومن قبل المغرب ثماني عشرة كوة مثل ذلك، وكان فيه خمسة أعواد تدور، فذهب بعضها وبقي اثنان منها، فسقط أحدهما في سلطان داود بن عيسى على المدينة، في سنة ثمان وتسعين ومئة، فأمر به فأعيد[5].

وقال في موضع آخر: «وفي ما عمل مروان في حائط المنبر الخشب عشرة أعواد لا يتحركن»[6].

ثم قال: «وفي منبر رسول الله ﷺ خاصة خمسةُ أعوادٍ من جوانبه[7] الثلاثة[8] فذهب بعضها»[9].

وقال بعد ما تقدم عنه في ذرع منبره ﷺ ما لفظه: «وذرع طول المنبر اليوم أربع أذرع، وعرضه ذراع وشيء يسير، وما بين الرمانة المؤخرة والرمانة التي كانت في منبر رسول الله ﷺ القديم ذراع وشيء، وما بين رمانة منبر النبي ﷺ إلى الرمانة المحدثة في مقدم المنبر ذراعان وعَظْم الذراع، وما بين الرمانة والأرض ثلاث أذرع وشيء، وطول المنبر اليوم من أسفل عتبته إلى مؤخره سبع أذرع ـ أي: بتقديم السين ـ وشبر، وطوله في الأرض إلى مؤخره ست أذرع».

---

(١) الدرة الثمينة ٢/٣٦٣ وقوله: «وعرضه ذراع في ذراع يزيد» لم يرد في الطبعة الملحقة بـ: شفاء الغرام وانما ورد في الروضة الفردوسية ورقة ١٥أ وهذا دليل على أن السمهودي ينقل بالواسطة.

(٢) نقلاً من الروضة الفردوسية ورقة ١٥أ وانظر: التعريف ٢٧ وتحقيق النصرة ٦٦ كلهم عن ابن النجار.

(٣) جمع كُوّة وهي الفتحة في الحائط أو السقف.

(٤) مستطيرة: على نسق وسطر واحد، وهذا الخبر في المغانم المطابة ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٥) المصدر نفسه ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) في المغانم: «من جوانبها».

(٨) المصدر نفسه ص٢٠٣: «فذهب بعضها» لم ترد في الخبر ولكنها وردت في الروضة الفردوسية.

(٩) بالنص في الروضة الفردوسية ورقة ١٥أ.

هذه عبارته بحروفها، ويتعين حمل كلامه على أنَّ امتداد المنبر في الأرض من أسفل عتبته الرخام التي أمامه إلى مؤخر المنبر سبعة أذرع وشبر، وطول امتداده وهو في الأرض إلى مؤخره مع إسقاط العتبة ست أذرع، حتى يلتئم كلامه.

وقد ذكر في ما قدمناه عنه أنَّ: «حول المنبر مرمر مرتفع قدر الذراع، وفيه شيء مُحْدَثٌ غير مرتفع زاده الحسن بن زيد».

وقال في موضع آخر: والمنبر مبنيٌّ فوق رخام، وهو في وسط الرخام، فسمَّى المرمر: رخاماً، وقال إنَّ: هذا الرخام حَدُّهُ من الإسطوانتين اللتين في قبلة المنبر ـ أي: خلفه ـ «إلى الاسطوانتين اللتين تليانهما مما يلي الشام»، أي: أمام المنبر.

وقد سمَّى ابن النجار هذا الرخام الذي عليه المنبر: دَكَّةً، وقال: إنَّ طولها[١] شبرٌ وعَقد[٢]، يعني: في الارتفاع.

وسمَّى ذلك أبو الحسين ابن جبير في رحلته حَوضاً[٣] ـ وكأنه أخذ هذه التسمية مما ورد في: أنَّ المنبر على الحوض ـ وذكر في طول هذا الرخام وعرضه ما يقرب مما قدمناه في حدود المسجد النبوي، قال: وارتفاعه شبر ونصف[٤].

قلت: ولما حفر متولي العمارة في زماننا أرضَ المسجد الشريف وسوَّاها بأرض المُصَلَّى الشريف، وجد هذا الرخام المذكور، وارتفاعه من أرض المُصَلَّى الشريف نحو ما ذكر ابن النجار وابن جبير.

ثم لما أرادوا تأسيس المنبر الرخام ـ الآتي ذكره ـ حفروا حول الدكة المذكورة فظهر أنها منخفضة عن أرض المُصَلَّى الشريف، التي استقر عليها الحالُ اليومَ، يسيراً، وخلفها من جهة القبلة إفريز نحو ثُلث ذراع، وطولها سبع أذرع ـ بتقديم السين ـ وشبر، وهي مجوَّفة شبيهة بالحوض، فصحَّ ما ذكره ابن

---

(١) ص: طوله.

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٣.

(٣) رحلة ابن جبير ١٧٠: «وعن يمين الروضة المكرمة المنبر الكريم... وهو في الحوض المبارك».

(٤) المصدر نفسه.

جبير في تسميتها: حوضاً، وصحَّ أيضاً ما سيأتي عنه من أنَّ سَعَة المنبر خمسة أشبار، لأنَّ جوف هذا الحوض الذي وجدناه بما دخل من عَمُودي المنبر في أحجاره خمسة أشبار.

وقول ابن زبالة أولاً: «وذرع طول المنبر اليوم أربع أذرع» مرادُهُ ارتفاعه في الهواء مع الدرج الست التي زادها مروان، فيكون طول الدرج الست ذراعين، فتكون كلُّ درجةٍ ثلثَ ذراع، فيقرب مما قدمه ابن زبالة في طول درج منبر النبي ﷺ، وهو الذي تقتضيه المناسبة.

ونَقَل الزين المراغي عن ابن زبالة، أنه قال: طول منبر النبي ﷺ بما زِيْـدَ فيه أربعة أذرع، ومن أسفل عتبته إلى أعلاه تسعة أذرع وشبر[1].

قلت: كذا رأيته بخط الزين، وضبط قوله: «تسعة أذرع» بتقديم التاء الفوقية، وهو غلط في النسخة التي وقعت له، لأنَّ الذي قدمناه عن ابن زبالة إنما هو من أسفل عتبته إلى مؤخره، وقررناه بما تقدم، وإنما قضينا على ذلك بالغلط، لأنه حينئذ لا يلتئم أطراف كلامِهِ، ولأنه يقتضي أنْ يكون ارتفاع المنبر في الهواء تسعة أذرع ـ بتقديم التاء ـ وشبراً، فإذا قام عليه القائم يقرب من سقف المسجد، ويبعد كلَّ البعد كون منبرٍ في ذلك الزمان ارتفاعه هذا القدر، وأيضاً فابن زبالة قد صرَّح بأنَّ الذي زاده مروان ست درج، فيلزم أنْ يكون كل درجة ذراعاً وشيئاً، وهو في غاية البعد، وما نقلناه عن ابن زبالة يقرب مما ذكره ابن النجار، فإنه قال عقب ما قدمناه عنه في وصف منبر النبي ﷺما لفظه: «وطول المنبر اليوم ثلاثة أذرع وشبر وثلاث أصابع، والدكة التي عليها من رخام طولها شبر وعقد، ومن رأسه ـ أي المنبر ـ دون دكته إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع، وقد زيد فيه اليوم عتبتان وجعل عليه باب يفتح يوم الجمعة»[2]، انتهى.

فهو قريب مما ذكره ابن زبالة من أنَّ: طول المنبر ـ يعني: في الهواء ـ أربعة أذرع، وامتداده هو خاصة في الأرض من عتبته إلى مؤخره ستة أذرع.

---

(١) تحقيق النصرة ٦٧.

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٣ وتحقيق النصرة ٦٧.

ويوافق أيضاً ما ذكره الفقيه أبو الحسين محمد بن جُبير من حديث القدر، فإنه قال: «رأيت منبر المدينة الشريف في عام ثمان[1] وسبعين وخمس مئة، وارتفاعه من الأرض نحو القامة أو أزيد، وسعته خمسة أشبار، وطوله خمس خطوات، وأدراجه ثمانية، وله باب على هيئة الشباك مُقْفَل يُفْتَحُ يوم الجمعة، وطوله ـ أي: الباب ـ أربعة أشبار ونصف شبر»[2].

وهذا المنبر هو الذي وصفه ابن النجار في ما يظهر، لأنه وضع تاريخه سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة، وتوفي قبل حريق المسجد سنة ثلاث وأربعين وست مئة، وكان احتراق المسجد ـ كما سيأتي ـ سنة أربع وخمسين وست مئة[3]، وفيه احترق هذا المنبر، وفَقَدَ الناسُ بركتَهُ.

وقد زاد ابن جبير على ابن النجار في وصف هذا المنبر، فقال: وهو مُغَشًّى بعود الأبنوس، ومقعد رسول الله ﷺ من أعلاه ظاهر قد طبق عليه لوح من الأبنوس غير مُتَّصِلٍ به يَصُونه من القعود عليه، فيدخل الناس أيديهم إليه ويمسحونه بها[4] تبركاً بلمس ذلك المقعد الكريم؛ وعلى رأس رجلِ المنبر الأيمن[5] حيث يضع الخطيبُ يدَه إذا خطب، حلقةُ فضةٍ مجوَّفة مستطيلة[6] تشبه حلقة الخيَّاط التي يضعها في إصبعه[7] إلا أنها أكبر منها، وهي لاعبةٌ تستدير في موضعها[8]، انتهى.

والظاهر أنَّ هذا المنبر غير الذي وصفه ابن زبالة، لأنه لم يصفه بذلك، ويوضح ذلك ما ذكره في **الطراز** لسند[9] من المالكية، حيث قال: إنَّ منبر

---

(١) كذا في الأصول وفي المغانم المطابة.

(٢) نقلاً من المغانم المطابة ص٢٠٣ وانظر: رحلة ابن جبير ١٧٠ (١٥٢ طبعة دار ومكتبة الهلال).

(٣) التعريف ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) كذا في المغانم المطابة، أما في رحلة ابن جبير: «ويتمسحون به» وهذا دليل على أن السمهودي لم ينقل من الرحلة مباشرة بل بواسطة.

(٥) كذا في المغانم المطابة، أما في الرحلة: «اليمنى» وهو الصواب.

(٦) لم ترد هذه اللفظة في رحلة ابن جبير ولكنها وردت في المغانم المطابة، أي: على شكل اسطوانة.

(٧) في المغانم المطابة: «في إصبعه صفة لا صغراً لأنها أكبر منها».

(٨) نقلاً من المغانم المطابة ص٢٠٣.

(٩) هو سَنَد بن عنان بن إبراهيم الأزدي المالكي المتوفى بالاسكندرية سنة ٥٤١هـ، مؤلف كتاب طراز =

النبي ﷺ جُعِل عليه منبر كالغلاف، وجعل في المنبر الأعلى طاق مما يلي الروضة، فيدخل الناس منها أيديهم يمسحون منبر النبي ﷺ ويتبركون بذلك، انتهى.

فهذا شيء حدث بعد ابن زبالة.

وقد قال المطري: حدثني يعقوب بن أبي بكر ـ من أولاد المجاورين، وكان أبوه أبو بكر فرّاشاً من قُوَّام المسجد، وهو الذي كان حريقُ المسجد على يدهِ ـ أنَّ المنبر الذي زاده معاوية ورفع منبر النبي ﷺ عليه تهافت على طول الزمان، وأنَّ بعض خلفاء بني العباس جَدَّده، واتخذ من بقايا أعواد منبر النبي ﷺ أمشاطاً للتبرك، وعمل المنبر الذي ذكره ابن النجار في ما تقدم[1].

قال يعقوب: سمعت ذلك من جماعة بالمدينة ممن يوثق بهم، وأن المنبر المحترق هو الذي جدده الخليفة المذكور، وهو الذي أدركه ابن النجار، لأنَّ وفاته قبل الحريق[2].

قلت: وظاهر كلام ابن عساكر في **تحفته** أنه كان قد بقي من المنبر الشريف بقايا فقط إلى احتراق المسجد، وهو ممن أدرك حريقه، وأورد في كتابه ما ذكره شيخه ابن النجار، ولفظه: «وقد احترقت بقايا منبر النبي ﷺ القديمة، وفات الزائرين لمسُ رمانة المنبر التي كان ﷺ يضع يده المقدسة المكرمة عليها عند جلوسه عليه، ولمس موضع جلوسه منه بين الخطبتين وقبلهما، ولمس موضع قدميه الشريفتين بركة عامة ونفع عائد، وفيه ﷺ عوضٌ من كلِّ ذاهبٍ ودَرْكٌ من كلِّ فائت»[3]، انتهى.

وهو صريحٌ في بقاء ما ذكره إلى حين الحريق، ويؤيده ما تقدَّم عن **رحلة** ابن

= **المجالس في شرح المدونة**، توفي ولم يتمه ومنه نسخة في الرباط، انظر: سزكين ١/٤٦٩ **والديباج المذهب** لابن فرحون ١٢٦ ـ ١٢٧.

(١) **التعريف** ٢٧ **وتحقيق النصرة** ٦٧.

(٢) المصدران نفسهما.

(٣) بالنص في **الروضة الفردوسية** للأقشهري ورقة ١٥أ.

جبير وصاحب الطراز[١]، بل ظفرنا بما يشهد لصحة ذلك: فإنه لما أراد متولي العمارة تأسيس المنبر الرخام ـ الآتي ذكره ـ حفروا أعلى الدَّكَّة التي تقدم أنَّ المنبر كان عليها، فَوُجِدَتْ مجوَّفة كالحوض، وبه عبَّر ابن جبير عنها، فوجدوا في ما يلي القبلة منها قطعاً كثيرة من أخشاب المنبر المحترق ـ أعني: الذي كان فيه بقايا منبر النبي ﷺ ـ فوضعها الأقدمون في جوف ذلك المحل، حِرصاً على البركة، وبَنَوا فوقَها بالآجُرِّ بحيث سدُّوا جوفَ ذلك الحوض كلَّه فصار دكَّـةً مستويةً، ووضعوا المنبر ـ الآتي ذكره ـ عليها.

وشاهدت آثار قائمتي المنبر الشريف اللتين كان بأعلاهما رمَّانَتَاه قد نُحِتَ لهما في الحجر المحيط بالحوض المذكور على نحو ذراع وثلث من طرف باطن الحوض المذكور مما يلي القبلة، وسَعَةُ الحوض المذكور خمسة أشبار ـ كما ذكره ابن جبير في سعة المنبر ـ وعرضُ جدار الحوض المذكور خلف المنبر نحو نصف ذراع، وقد حرصتُ على وَضْعِ ما وُجِدَ من تلك الأخشاب في محلها، فوضع ما بقي منها في محله من الحوض المذكور، وبنوا عليه ـ كما سيأتي ـ والله أعلم.

ولما احترق المنبر المذكور في جملة الحريق أرسل الملك المظفر[٢] صاحب اليمن في سنة ست وخمسين منبراً له رمانتان من الصَّنْدَل، فَنُصبَ في موضع منبر النبي ﷺ، كما ذكره المطري فَمَنْ بعده، قال: ولم يزل يخطب عليه عشر سنين، فلما كان في سنة ست وستين وست مئة أرسل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري هذا المنبر الموجود اليوم ـ أي: زمن المطري ـ فقُلِعَ منبر صاحب اليمن، وحُمِلَ إلى حاصل الحرم، ونُصِبَ هذا المنبر مكانه، وطوله أربع أذرع في السماء، ومن رأسه إلى عتبته سبع أذرع يزيد قليلاً، وعدد درجاته تسع بالمقعد[٣].

---

(١) هو لسَنَد بن عنان بن إبراهيم الأزدي المالكي المتوفى بالاسكندرية سنة ٥٤١هـ، وقد مرَّ.

(٢) هو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول، تولى سلطنة اليمن بعد قتل والده المنصور في ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ، وتوفي في رمضان سنة ٦٩٤هـ.

(٣) التعريف ٢٩ وفيه: «وعدد درجاته سبع بالمقعد» وهو تحريف.

قال المجد: وله باب بمصراعين، في كلِّ مصراع رمانة من فضة، ومكتوب على جانبه الأيسر اسم صانعه: «أبو بكر بن يوسف النجار»[١] وكان من أكابر الصالحين الأخيار، وهو الذي قدم بالمنبر إلى المدينة، فوضعه في موضعه فأحسن وضعه، وأتقن نجارته وصنعته، ثم انقطع في المدينة[٢].

قال الزين المراغي: وبقي منبر الظاهر بيبرس يُخطَبُ عليه من سنة ست وستين وست مئة إلى سنة سبع وتسعين وسبع مئة، فكانت مدة الخطبة عليه مئة سنة واثنتين وثلاثين سنة، فبدأ فيه أكل الأرضة، فأرسل الظاهر برقوق صاحب مصر هذا المنبر الموجود اليوم[٣].

أي: زمن المراغي ـ أرسله في آخر سنة سبع وتسعين وسبع مئة، وقُلِع منبر الظاهر بيبرس[٤]، انتهى.

قلت: ولم يزل هذا المنبر موجوداً إلى ما بعد العشرين وثمان مئة، كما أخبرني به جماعة من مشايخ الحرم، منهم الشيخ الصالح المُعَمَّر الجمال عبد الله بن قاضي القضاة عبد الرحمن بن صالح[٥]، قال: فأرسل سلطان مصر الملك المؤيد[٦] شيخ هذا المنبر الموجودَ اليوم عام اثنين وعشرين وثمان مئة.

---

(١) ترجم له الفيروزابادي في **المغانم المطابة** ص٤٥٧ وسمَّاه: «أبو بكر بن أحمد النجاري» وقال إنه نيّف على مئة سنة.

(٢) **المغانم المطابة** ص٢٠٤ وفيه: «رمانة من فضة [وتاريخ المنبر مكتوب في عتبة الباب بنقر في الخشب صورته في سنة ست وستين وست مئة] وكتب على جانبه الأيسر» فقد أسقط السمهودي ما بين المعقوفتين.

(٣) **تحقيق النصرة** ٧١.

(٤) نقل السمهودي معنى قول المراغي في **تحقيق النصرة** دون نصه.

(٥) ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٥٢ ـ ٥٣ وقال: «قرأ عليه السيد السمهودي أشياء وروى له عن أبيه عن جده عن داود الشاذلي مصنفه **البيان والانتصار في زيارة النبي المختار** وتوفي سنة ٨٨٤هـ».

(٦) هو شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري برقوق، تسلطن سنة ٨١٥هـ وتوفي سنة ٨٢٤هـ، انظر: **الدليل الشافي على المنهل الصافي** ١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ مع مصادر ترجمته، وكتب بدر الدين العيني له سيرته: **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي**، تح فهيم محمود شلتوت، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧.

ثم رأيت في كلام الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر: أنَّ المنبر الموجود اليوم أرسله المؤيد سنة عشرين وثمان مئة[1]، فهذا هو المعتمد، لكن لم يطَّلع ابن حجر على ما ذكره المراغي من منبر الظاهر برقوق، وجعل إتيان منبر المؤيد هذا بدلاً عن منبر الظاهر بيبرس، وكلام المراغي أولى بالاعتماد في ذلك، فإنه كان بالمدينة حينئذ[2].

وعلى هذا فمدة الخطبة على منبر الظاهر برقوق ثلاث أو أربع وعشرون سنة، ثم وُضِعَ منبرُ المؤيد.

وأخبرني السراج النفطي[3]: أنه صَنَعَه أهلُ الشام، وجاءوا به المؤيدَ ليجعله بمدرسته المؤيدية، فوجدوا أهلَ مصر قد صنعوا لها منبراً، فجَهَّزَ المؤيد منبرَ أهل الشام إلى المدينة الشريفة.

وقال لي الجمال عبد الله بن صالح[4]: شاهدتُ وَضْعَه موضعَ المنبر الذي كان قبله.

قلت: ويدل على صحة ذلك ما قدمناه من اختبار ذَرع ما بينه وبين المُصَلَّى الشريف، إذ المنقول أنَّ بينهما أربعة عشر ذراعاً وشبراً، وقد اختبرته من ناحية مؤخر المُصَلَّى الشريف إلى ما حاذاه من المنبر في المغرب فكان كذلك، فوَضْعُه من هذه الجهة صحيح لا شك فيه، وأما من جهة القبلة فقد قال المطري: إنَّ المنبر الذي أدركه بينه وبين الدرابزين الذي في قبلة الروضة مقدار أربعة أذرع وربع ذراع[5].

وقد ذكر الزين المراغي في كتابه ما ذكره المطري من الذَّرْع، ولم يتعقبه،

---

(١) فتح الباري ٢/ ٣٩٩.

(٢) تحقيق النصرة ٧١.

(٣) هو سراج الدين عمر بن أحمد بن محمد بن أحمد النفطي المتوفى سنة ٨٨٥هـ، قال السخاوي في التحفة اللطيفة ٢/ ٣٣٢: «اعتمده السيد السمهودي في كثير مما شاهده أو تلقاه عن من يوثق به».

(٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح الكناني المدني الشافعي، قرأ عليه السمهودي وروى له عن أبيه عن جده كتاب البيان والانتصار للشاذلي، توفي سنة ٨٨٤هـ، التحفة اللطيفة ٢/ ٥٢.

(٥) التعريف ٣٠.

فاقتضى أنَّ المنبر الذي تقدم وضعه في زمنه وُضِعَ موضعَ المنبر الذي كان في زمان المطري، وأقِرُّ أيضاً قول المطري في حدود المسجد: أنَّ المنبرلم يُغيَّرعن منصبه الأول[1].

وقد ذكر ابنُ جماعة أيضاً ذَرْعَ ما بين المنبر والدرابزين ـ وهو يعني: المنبر الموجود زمن المطري ـ فقال: إنَّ بينهما ثلاثة أذرع بذراع العمل، وهو أزيد مما ذكره المطري بربع ذراع راجح، لأنَّ ذراع العمل ـ كما تقدم ـ ذراعٌ ونصف، وكأنَّ المطري يعني ذراع المدينة اليوم، كما يؤخذ من كلام المراغي، فيوافق كلام ابن جماعة، والذي بين هذا المنبر الموجود اليوم وبين الدرابزين المذكور ذراعان وثلث بذراع العمل، وذلك ثلاثة أذرع ونصف من الذراع الذي قدَّمناه أنه المراد عند الإطلاق.

فيحتمل أنَّ يكون هذا المنبر مقدم الوضع لجهة القبلة على المنبر الذي كان قبله، وهو مقتضى ما نقله الأثبات، لكني أستبعده للأخبار ممن لقيناه بوضعه موضع ذاك.

ثم تبيَّن عند انكشاف الدكَّة التي تقدم ذكرها من آثار المنبر المحترق قديماً ما علمنا به صوابَ ما ذكره المطري وغيره وأنَّ هذا المنبر مقدم الوضع على الذي قبله من جهة القبلة[2] بما يقرب من ذراع، وكذا ظهر زيادته من جهة الشام أيضاً على الدكة الأصلية المتقدم وصفها[3] بقريبٍ من ذراع، ووجد محرفاً عنها من طرفه الشامي نحو المغرب قدر شبر لما فيها من التيامن الذي تقدمت الإشارة إليه في التنبيه الثالث من الفصل قبله.

وكنت قد أيَّدتُ وضعه بكونه أقرب إلى ما ورد في ما كان بين المنبر والجدار القبلي ـ كما سيأتي ـ فانكشف الحق لذي عينين.

والذي لقيناهُ وأخبر بوضعه موضع المنبر الذي كان قبله هو الجمال ابن

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سقطت من ص.

(٣) ص: وضعها.

صالح[1] في آخر عمره، وكان غير تام الضبط حينئذٍ، وكنت قد أيّدت خبره بأنّا قد قدمنا أنَّ الصندوق الذي في قبلة المُصَلَّى الشريف في عرض الجدار، وأنَّ المُصَلَّى الشريف لم يُغيَّر باتفاق[2]، وأنَّ منبر النبي ﷺ كان بينه وبين الجدار القبلي ممر الشاة أو ممر الرجل منحرفاً، وأقصى ما قيل فيه: ذراع وشيء، كما قدَّمناه.

فإذا أسقطت قدر ما بين طرف المُصَلَّى الشريف والدرابزين الذي أمامه مما بين المنبر اليوم والدرابزين المذكور ـ وهو ثلاثة أذرع ونصف ـ بقي ذراع، وهو نحو القَدر المنقول في ما بين المنبر القديم وجدار المسجد الشريف.

ثم تبيَّن لنا مما سبق في حدود المسجد النبوي، وبانكشاف المرمر الذي في قبلة المنبر، تقدُّمَ الدرابزين المذكور عن ابتداء المسجد النبوي بأَزْيَدَ من ذراع، كما قدَّمناه في حدود المسجد النبوي.

فالصواب ما ذكره المطري ومن تبعه.

وطول هذا المنبر في السماء، سوى قُبَّتِهِ وقوائمها، بل من الأرض إلى محل الجلوس، ستة أذرع وثلث، وارتفاع الحافتين[3] اللتين يمين المجلس وشماله ذراع وثلث، وامتداد المنبر في الأرض من جهة بابه إلى مؤخره ثمانية أذرع ونصف راجحة، وعدد درجه ثمانية، وبعدها مجلسٌ ارتفاعه نحو ذراع ونصف، وقبته مرتفعة، ولها هلال قائم عليها مرتفع أيضاً، وما أظن منبراً وُضِعَ قبله في موضعه أرفع منه، وله باب بصرعتين.

وقد احترق هذا المنبر في حريق المسجد الثاني الحادث في رمضان عام ستة وثمانين وثمان مئة، فكانت مدة الخطبة عليه نحو سبع وستين سنة.

ولمَّا نَظَّفَ أهلُ المدينة محله جعلوا في موضعه منبراً من آجُرٍّ مَطْليٍّ بالنورة، واستمر يُخطبُ عليه إلى أثناء شهر رجب سنة ثمان وثمانين، فهُدِمَ رابع الشهر

---

(١) هو جمال الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح، وقد سبق التعريف به.

(٢) التعريف ٣٠.

(٣) ص: الخافقين، وهو تصحيف بيِّن.

المذكور، وحفروا لتأسيس المنبر الرخام الموجود اليوم ظاهرَ الدكَّة المتقدم ذكرها، فوجدت على النحو المتقدم، ونقضوا من بعضها قريبَ القامة فلم يبلغوا نهايتها، ووجدوها محكمة التأسيس في الأرض، فأعادوها كما كانت، إلا ما كان فوقها من نحو أزيد من نصف ذراع من الآجُرِّ، وسَوَّوا ما وُجِدَ مجوَّفاً منها كالحوض بالبناء بعد وضع ما تقدم ذكره مما وُجِدَ بمقدمها من بقايا المنبر القديم المحترق في الحريق الأول بمقدمها أيضاً.

وكانوا قد سألوني عن ابتداء حدِّ المنبر القديم من جهة القبلة والروضة فأخبرتهم بذلك، وأن ذلك الحوض وما به من محل قوائم المنبر الأصلي إمام يقتدى به لموافقته ما ذكره المؤرخون قديماً وحديثاً، فشرعوا في وضع رخام المنبر عليها على سَمْت ما ظهر من الفرضة التي وجدوها في الحوض المذكور على الاستقامة من غير انحراف، وبينها وبين طرف الدكة الشرقي خمسة أصابع، لما ظهر من أنَّ المنبر الأصلي كان بالحوض المذكور، ومشاهدة محل قوائمه نَقْراً في الحجر وبقايا الرصاص الذي كانت القوائم مثبتة به، وما وصفه المؤرخون في أمر المنبر الأصلي شاهدٌ لذلك.

ومعلوم أنَّ الحوض الموجود في باطن تلك الدكَّة لا يمكن وضع المنبر فيه إلا على الاستقامة، سيما وقد طابقت سَعَته ما ذكره ابن جبير في سَعَة المنبر الأصلي، وإحكام تلك الدكَّة بحيث إنهم حفروا منها قربَ القامة ولم يدركوا آخرها، وإتقان فرضتي الحوض المذكور بالرصاص، وترخيم تلك الدكَّة قديماً؛ كُلُّـه قاضٍ بجعل السلف لها من أجل وضع المنبر فيها ـ كما صَرَّح به المؤرخون ـ ولم يكن السلف، مع عظيم إتقانهم، يجعلونها لوضع المنبر ويحرفونها عن وضعه، لأنَّ وضعَهَا تابعٌ لوضعه إذ جعلت من أجله، وقد كان وضعُه مشاهَداً لهم لوجود المنبرالنبوي بين أظهرهم وإتقانها وما سبق من المتقدمين في ذكر ترخيمها شاهدٌ بعملها في عمارة عمر بن عبد العزيز للمسجد إن لم يكن من زمن معاوية رضي الله عنه عند تحريكه المنبر، كما سبق.

ولم أرْتَبْ عند مشاهدتها في وضع المنبر بها كذلك، وتيامُنُ حوضها الذي

كان المنبر به يَسيرٌ جداً لا يُخْرِجُ صدرَ المُسْتَقْبِل عن القبلة؛ وقد أشار يحيى في ما قدَّمناه عنه في التنبيه الثالث إلى تصويب وضعه.

وأيضاً: فقد يكون النبي ﷺ وضَعَه متيامناً، لما أوضحناه في الرسالة الموسومة بـ: **النصيحة**، والمنبر جمادٌ ليس بمصلٍ حتى يُحَرَرَ أمرُهُ في الاستقبال ويترك ما وجد من حدوده الأصلية المُجمع عليها في الأعصر الماضية، المترتب عليها حدود الروضة الشريفة، فشرعوا في وضع رُخَام المنبر المذكور على النحو الذي ذكرته، غير أنهم جعلوا جداره من جهة القبلة على الأحجار التي خلف الحوض من جهة القبلة، لاقتضاء نظرهم ذلك، ولو كان لي من الأمر شيء ما وافقت عليه.

ثم وقع من بعض ذوي النفوس ما أوضحناه في الرسالة الموسومة بـ: **النصيحة الواجبة القبول في بيان وضع منبر الرسول ﷺ**[1].

والحاصل أنهم نقضوا ما سبق، وزادوا خلف أحجار الحوض المذكور نحو ربع ذراع العمل حتى ساوى ذلك محل المنبر المحترق من جهة القبلة وحرفوه على تلك الدكَّة لجهة المغرب أزيد من تحريف المنبر المحترق وجعلوا هذا المنبر في محل المحترق من جهة القبلة ومساوياً لطرفها الشرقي مما يلي القبلة أيضاً، وزعموا أنه لا يُعْوَّل على كلام من قدمنا من الأئمة.

ويتحرر مما سبق أنه مقدم على محل المنبر الأصلي لجهة القبلة بعشرين قيراطاً من ذراع الحديد، وهو نحو ذراع اليد، وأنَّ المنبر النبوي لم يقع في محله تغيير إلا من تاريخ وضع المنبر المحترق في زماننا لأنه خفي على واضعه ما في جوف الدكة المذكورة، ولم يدركه أحدٌ من مؤرخي المدينة، وكان مفرط الطول بحيث كان قاطعاً للصف الباقي من الروضة، وقد اقتدى به واضعُ هذا المنبر لكونه من بنائه[2]، ولم يبالِ بتفويته ولي الأمر المنقبة العظيمة في إعادته

---

(١) لم تصل إلينا هذه الرسالة بعد في ما وصل إلينا من مؤلفاته.

(٢) خ: آبائه، م٢: بابه، ت، ص، ش، ر، م١: ابايه، والعبارة: «لكونه من إبائه أو آبائه» مهلهلة لا معنى لها، فلعلها كانت: «لكونه من بنائه»، ولم يصرح السمهودي باسمه، والظاهر انه الشمس ابن=

وضع منبر الرسول ﷺ على ما كان عليه.

وهذا المنبر ـ أعني الرخام ـ أقصرُ من امتداد المنبر المحترق في الأرض بنحو ثلاثة أرباع ذراع، وعدد درجه مع مجلسه كالمحترق، ومحل عود المنبر الأصلي منه مما يلي الروضة، وهو الذي كان بأعلاه رمانة المنبر النبوي قبيل عمود هذا المنبر بأزيد من قيراط، وذلك على نحو ذراعين وشيء من طرف المنبر المذكور من القبلة.

وقد استتر محله من أحجار الدكَّة المذكورة بسبب تحريف المنبر المذكور بحيث تغيرت حدود الروضة الشريفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي يوم الجمعة يُجعل على باب المنبر سِتْرٌ من حريرٍ أسود مرقوم بحريرٍ أبيض، وقد قدَّمنا أول من كَسَا المنبر.

واسند ابنُ زبالة عن هشام بن عروة: أنَّ ابن الزبير كان يُلبس منبر النبي ﷺ القباطي فَسَرَقتْ امرأة قُبطيّة فقطعها[1].

وقال ابن النجار: ولم يزل الخلفاء إلى يومنا هذا يُرسلون في كلِّ سنة ثوباً من الحرير الأسود له عَلَمٌ ذهب يُكسى به المنبر، قال: ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستوراً على أبواب الحرم[2].

قلت: قد استقر الأمر بعد قَتل الخليفة المستعصم على حمل الكُسوة من مصر، كما قاله الزين المراغي، قال: والأبواب مستقلة اليوم بستور، قال: وإنما يُظهرونها في أوقات المهمات كقدوم أمير المدينة، وذَكَر ما سيأتي في كسوة الحجرة من وقف قرية بمصر على ذلك وعلى كسوة الكعبة الشريفة، فالكعبة تُكسى

= الزمن الذي تولى عمارة المسجد، وقال السمهودي في **الخلاصة** ٢٣٨: «فلم يوافق على ذلك متولي العمارة لغلبة الحظوظ النفسية، وزعم أن المعول عليه ما وجده من آثار المنبر المحترق في زماننا لا ما ذكره الأقدمون من المؤرخين».

(١) سبق له أن روى عن المراغي حكاية المرأة في زمن عثمان رضي الله عنه، **المغانم المطابة** ص٢٠٤.

(٢) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٦٣.

كلَّ عام مرة، والحجرة والمنبر في كلِّ ست سنين مرة[1].

وقال المجد: والمنبر يُحمل له في كلِّ سبعة أعوام أو نحوها من الديار المصرية كسوة معظمة ملوكية[2] يُكسَاهَا من الجمعة إلى الجمعة، ورايتان سوداوان يُنسَجَان أبدعَ نسجٍ، يُرفَعان أمام وجه الخطيب في جانبي المنبر قريباً من الباب[3].

قلت: في زماننا تمضي السبع سنين والعشر وأكثر من ذلك، ولا تصل كسوة، والذي يجعل اليوم على المنبر إنما هو الستر المتقدم ذكره مع الرايتين اللتين ذكرهما المجد، والله أعلم.

---

(١) تحقيق النصرة ٦٦.

(٢) في المغانم المطابة ص٢٠٤: «مكوكبة».

(٣) المصدر نفسه.

الفصل الخامس
في فضائل المسجد الشريف

قال الله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[(١)].

روينا في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: «دخلت على رسول الله ﷺ في بيتٍ لبعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أُسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفّاً من حَصْبَاء فضرب به الأرض، ثم قال: هو مسجدكم هذا، لمسجد المدينة»[(٢)].

ولأحمد والترمذي من وجه آخر عن أبي سعيد: اختلف رجُلان في المسجد الذي أُسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد النبي ﷺ فسألاه عن ذلك، فقال: هو هذا[(٣)]، وفي ذلك ـ يعني: مسجد قُباء ـ خيرٌ كثيرٌ[(٤)]، وأخرجه أحمد من وجه آخر مرفوعاً[(٥)].

وفي العتبية عن مالك، ما لفظه: وقال: المسجد الذي ذكر الله عزَّ وجل أنه ﴿ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ . . . ﴾ الآية، هو مسجد رسول الله ﷺ هذا، أي: مسجد المدينة، ثم قال: اين كان يقوم رسول الله ﷺ؟ أليس في هذا؟ ويأتونه

---

(١) سورة التوبة ١٠٨.

(٢) صحيح مسلم ٤/١٢٦ وجامع الأصول ٩/ ٣٣٠ عن مسلم والترمذي والنسائي.

(٣) المستدرك ٢/ ٣٣٤ والمصنف ٢/٢٦٦.

(٤) المعجم المفهرس ٢/٤٢٩ عن الترمذي وأحمد، وانظر: المستدرك ١/ ٤٨٧ والمصنف ٢/ ١٦٦.

(٥) مسند احمد ٣/ ١١ (١١٠٢٩)، ٢٩ (١١١٦٢).

أولئك من هنالك[1].

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾[2] فإنما هو مسجد رسول الله ﷺ.

وقد قال عمر بن الخطاب: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ أو سمعته يريد أن يُقَدِّم القبلة، وقال عمر بيده هكذا، ما قَدَّمتُها، ثم قَدَّمها عمر موضع المقصورة الآن[3]، انتهى.

قال ابن رشد في بيانه: ما ذهب إليه مالك مروي عن النبي ﷺ وذهب قومٌ إلى أنه مسجد قُباء، فاستدلوا بما روي: أنَّ الآية لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار، إنَّ الله قد أثنى عليكم خيراً،» الحديث[4].

قال: ولا دليل فيه، لأنَّ أولئك كانوا في مسجد رسول الله ﷺ لأنه كان معموراً بالمهاجرين والأنصار ومَن سواهم.

قال: واستدلال مالك بقول عمر المتقدم ظاهرٌ، لأنَّ الله تعالى لما ذكر فيه أنه أسس على التقوى لم يستجز نقضَ بنائه وتبديل قبلته، إلا بما سمع من رسول الله ﷺ في ذلك ورآه قد أراد أنْ يفعله[5].

قلت: ما ذكره مالك من كون مسجد المدينة هو المراد، هو ظاهر ما قدمناه، لكن قوله تعالى: ﴿من أول يوم﴾ يقضي أنه مسجد قُباء، لأنه ليس المراد أول أيام الدنيا، بل أول أيام حُلولِهِ ﷺ بدار الهجرة، وذلك هو مسجد قُباء إلاَّ أنْ يُدَّعَى أنَّ النبي ﷺ شرع في تأسيس مسجد المدينة أيضاً من أول يوم قدومه لها، أو يقال: المراد من أول يوم تأسيسه.

وسيأتي في مسجد قُباء أشياء صريحة في أنه المراد، فتعيَّن الجمع بأنَّ كلاً

---

(١) انظر: المصنف ٢/٢٦٦ ـ ٢٦٧ فقد وردت فيه هذه الأحاديث.

(٢) سورة الجمعة ١١.

(٣) البيان والتحصيل ١/٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(٤) البيان والتحصيل ١/٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٥) المصدر نفسه.

منهما يصدق عليه أنه أُسس على التقوى من أول يوم تأسيسه كما هو معلوم، وأنهما المراد من الآية، لكن يُشْكِلُ عليه كونُ النبي ﷺ أجاب عند السؤال عن ذلك بتعيين مسجد المدينة، وجوابه أنَّ السِرَّ في ذلك أنه ﷺ أراد به رفعَ تَوَهُمِ أنَّ ذلك خاصٌ بمسجد قُباء، كما هو ظاهرُ ما فهمه السائل، وتنويهاً بمزية مسجده الشريف لمزيد فضله، والله أعلم.

وفي **الصحيحين** حديثُ أبي هريرة: «لا تُشَدُّ الرحالُ إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[1].

وعند مسلم: إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء[2].

وعند أبي داود بلفظ: ومسجدي هذا[3].

وفي **الكبير** و**الأوسط** للطبراني برجال ثقات، عن ابن عمر، وبرجال **الصحيح** عن أبي الجعد الضَّمري: لا تُشَدُّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد[4]، وذكر نحو رواية **الصحيحين**.

وفي **صحيح** ابن حِبَّان و**مسند** أحمد و**الأوسط** للطبراني، وإسنادُهُ حسنٌ، من حديث جابر: «خير ما رُكِبَتْ إليه الرواحِلُ مسجدي هذا والبيت العتيق»[5].

وهو عند البزار بلفظ: خير ما ركبت إليه الرواحل مسجد إبراهيم ومسجد محمد ﷺ[6] ورجاله رجال **الصحيح** إلاّ عبد الرحمن بن أبي الزناد[7]، وقد وَثَّقَه غير واحد.

---

(١) **المعجم المفهرس** ٣/ ٧٥ عن البخاري ومسلم وأبي داود والدارمي والترمذي والنسائي وأحمد. وانظر: **فتح الباري** ٣/ ٦٣، ٧٠ و**شرح صحيح مسلم** ٥/ ١١٣/ ١٨٠ـ١٨١ و**معرفة الصحابة** ٣/ ١٣٧.

(٢) **شرح صحيح مسلم** ٥/ ١٨١ وفيه: «مساجد: مسجد الكعبة ومسجدي...».

(٣) **المصنف** ٤/ ٥١٩.

(٤) المصدر نفسه ٤/ ٥١٨ عن طلق عن قزعة، وعن ابي الجعد، انظر: **الكنى** للدولابي ١/ ٢١ ـ ٢٢.

(٥) نقلاً من **المغانم المطابة** ص١٥١ و**مسند** أحمد ٣/ ٤٢٧ "مسجد إبراهيم عليه السلام ومسجدي" وانظر: **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان** ٣/ ٧٠.

(٦) **كشف الأستار عن زوائد البزار** للهيثمي ٢/ ٤ و**المعجم المفهرس** ٢/ ٢٣٣ عن مسند أحمد.

(٧) ذكر الذهبي في **ميزان الاعتدال** ٢/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦ أقوال العلماء فيه توثيقاً أو تضعيفاً، وقال: «مات ببغداد سنة أربع وسبعين ومئة».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «صَلاةٌ في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في ما سواه من المساجد إلاّ المسجدَ الحرام»، هذا لفظ البخاري[1].

زاد مسلم: فإني آخر الأنبياء، وإنَّ مسجدي آخر المساجد[2].

قلت: يُريد آخر مساجد الأنبياء[3]، كما نقله المحب الطبري عن أبي حاتم، وإلاّ فهو أول مساجد هذه الأمة، وإذا كانت الألف واللام هنا للمعهود ـ وهو مساجد الأنبياء ـ فالألف واللام أيضاً في قوله: «في ما سواه من المساجد» للعهد، والمراد: مساجد الأنبياء، فيتحصَّل من معناه: أنَّ الصلاة في مسجده أفضل من الصلاة في سائر مساجد الأنبياء بألف صلاة إلاّ المسجد الحرام، فيقتضي ذلك أنْ تكون الصلاة بمسجده أفضل من ألف صلاة في بيت المقدس، لأنه من جملة مساجد الأنبياء، ولم يُسْتَثْنَ.

ويدل على ذلك ما رواه البزار عن أبي سعيد، قال: وَدَّعَ رسولَ الله ﷺ رجلٌ فقال له: أين تُريد؟ قال: أريد[4] بيت المقدس، فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي أفضلُ من ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام»[5].

وأسنده يحيى بزيادة تسمية الرجل، فقال: عن الأرقم أنه تجَهَّز يُريد بيت

---

(١) فتح الباري ٣/ ٦٣ وانظر: المعجم المفهرس ٢/ ٤٢٨ عن البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والموطأ ومسند أحمد حيث ورد مراراً، وانظر: المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٥٦٤ والمعجم الكبير للطبراني ١٥٥٨، ١٥٦٢، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٢٥ وشرح صحيح مسلم ٥/ ١٧٦والمغانم المطابة ص١٥٢ وكشف الاستار ٢/ ٥٦ والتاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٤/ ٢٥٤.

(٣) روى ابن النجار في الدرة الثمينة ٢/ ٣٥٧ حديث: «أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء».

(٤) سقطت من ص.

(٥) المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٢٦٥، ٧/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥ والاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٣/ ٧٢ ـ ٧٤ وكشف الأستار ٢/ ٥٦، ٢١٥ ومسند أبي يعلى ٢/ ٣٩٣، ٨/ ١٤٦، ١٠/ ١٦٣، ٢٤١، ٢٧٨، ١١/ ٢٧، ٢٨، ٤٠٤، ٤٣١، ١٣/ ٣١، ٤٠٦، ٤٠٨ مع مصادر وروده في كلها وسنن البزار ١/ ٢١٣ ـ ٢١٦.

المقدس، فلما فَرَغَ من جهازه جاء إلى النبي ﷺ يودِّعه، وقال فيه: فجلس الأرقم ولم يخرج[1].

وأسند ابن النجار عن الأرقم بلفظه: إنني أُريد الخروجَ إلى بيت المقدس، قال رسول الله ﷺ: ولمَ؟ قلت: للصلاة فيه، قال: ها هنا أفضلُ من الصلاة هناك ألف مرة[2].

ورواه الطبراني برجال ثقات عن الأرقم بلفظ: صلاةٌ ها هنا خيرٌ من ألف صلاة ثَمَّ.

وقد روى أبو يعلى برجال ثقات عن ميمونة[3]، قالت: يا رسولَ الله أفْتِنا في بيت المقدس، قال: أرض المحشر، وأرض المَنْشَر، ائتُوهُ فصَلُّوا فيه، فإنَّ صلاةً فيه كألف صلاة في غيره[4] - أي: في غيره[5] من مساجد الأنبياء قبله - ومساجد غير الأنبياء ما عدا المسجدين، لقيام الدليل على ذلك.

فتكون الصلاة بمسجد المدينة خيراً من ألف ألف صلاة في ما سواه من المساجد إلاَّ المسجد الحرام والمسجد الأقصى[6].

فأما المسجد الأقصى فإنها أفضلُ من ألف صلاةٍ فيه فقط، ولا يعلم قدر زيادتها في الفضل على ذلك إلا الله تعالى، ولمثل هذا تُضربُ آباطُ الإبل[7] وتُستَحقُّ الرِحلة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٩٠٧ واحمد في مسنده والحاكم ٤/٥٠٤ وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/٤٧٩.

(٢) الدرة الثمينة ٢/٣٥٨.

(٣) قال المجد: إنَّ ميمونة مولاة النبي ﷺ، وليست أمَّ المؤمنين، المغانم المطابة ١٥٢.

(٤) نقلاً من المغانم المطابة ص١٥٢ وفيه: «كألف صلاة في غيره وذكره أبو يعلى في مسند ميمونة أم المؤمنين وأسند، والصواب ما ذكرناه» وليس في مسند أبي يعلى ١٢/٥٢٣: «في غيره» فلعل الزيادة من الفيروزأبادي فتبعه السمهودي، وفي المصنف ٢/٢٦٥ عن ميمونة: «في ما سواه إلا مسجد مكة».

(٥) ص، م١، م٢، س، ر، ت: «كألف صلاة أي في غيره»، «أي في غيره» سقطت من ش، خ.

(٦) نقلاً من المغانم المطابة ١٥٣.

(٧) المصدر نفسه بتصرف في الألفاظ.

ولا يعكر على ذلك ما رواه أحمد برجال **الصحيح** عن أبي هريرة وعائشة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة في ما سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى»[1] لأنَّ المحفوظ إنما هو استثناء المسجد الحرام، وحديث أبي هريرة في **الصحيح** خلا قوله: «إلا المسجد الأقصى» وهو معارَض بما تقدم، ولأنَّ الهيثمي أورده في **مجمع الزوائد** ثم قال: رواه أحمد، وأعاده بعد هذا بسنده، فقال: «إلا المسجد الحرام»[2] فاتَّضح بذلك ما قلناه.

وأما المسجد الحرام فاختلف الناس في معنى استثنائه، فذهب مالك في رواية أشهب عنه ـ وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة من أصحابه ـ إلى أنَّ معنى الاستثناء: أنَّ الصلاة في مسجد الرسول أفضلُ من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام، فإنَّ الصلاة في مسجد النبي ﷺ أفضل من الصلاة فيه بدون الألف[3].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ الصلاة في مسجد المدينة أفضلُ من الصلاة في مسجد مكة بمئة صلاة، وحمل على ذلك الاستثناء في الحديث المتقدم، واحتجوا برواية سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «صلاة في المسجد الحرام خير من مئة صلاة في ما سواه» فيأتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسع مئة، وعلى غيره بألف[4].

وتُعِقِّبَ: بأنَّ المحفوظ بالإسناد المتقدم: «صلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في ما سواه، إلا مسجد الرسول فإنما فضله عليه بمئة صلاة»[5].

قلت: وروى الطبراني في **الأوسط** عن عائشة مرفوعاً: «صلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة صلاة في غيره» لكن فيه سويد بن عبد العزيز، قال البخاري:

---

(١) **المعجم المفهرس** ٣/٣٨٦ في ستة مواضع.

(٢) أورد الزركشي هذا الحديث من طرق متعددة في **إعلام الساجد** ١١٥ ـ ١١٩.

(٣) انظر مناقشة ابن حجر في **فتح الباري** ٣/٦٣ ـ ٦٨ والزركشي في **إعلام الساجد** ١١٩ ـ ١٢٦.

(٤) نقلاً من **فتح الباري** ٣/٦٧.

(٥) نقلاً من المصدر نفسه.

في حديثه نظر[1]، لا يحتمل.

وقد صَحَّ ما يقتضي ردّ ما ذهب إليه هؤلاء.

فقد روى أحمد والبزار[2] وابن خُزيمة برجال **الصحيح** من طريق حبيب المعلِّم[3] عن عطاء عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاة في ما سواه من المساجد إلاّ المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضلُ من مئة صلاة في هذا»[4].

زاد ابن خزيمة: «يعني في مسجد المدينة»، لكن لفظ البزار: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في ما سواه إلاّ المسجد الحرام فإنه يزيد عليه بمئة[5]، وهي محتملة لأنَّ يكون الضمير في: «فإنه يزيد» لمسجده أو للمسجد الحرام.

وقد صحح ابنُ عبد البر حديثَ أحمد، وقال: هو الحجة عند التنازع، نصٌّ في موضع الخلاف، قاطعٌ له عند من أُلْهِمَ رشدَه، ولم تَمِلْ به العصبية، قال: ولا مَطْعَنَ فيه إلا لمتعسف[6]، لا يُعَرَّج على قوله في حبيب، وقد كان الإمام أحمد يمدحه، ويُوَثِّـقُه، ويُثني عليه، وكان عبد الرحمن بن مهدي يحدِّثُ عنه ولم يروِ عنه القطان، وروى عنه أئمة ثقات يُقْتَدى بهم، ومنهم مَن أعلَّه باختلافٍ على عطاء، لأن قوماً يروونه عنه عن ابن الزبير، وآخرين يروونه عنه عن ابن عمر، وآخرين عنه عن جابر[7].

---

(١) توفي سنة ١٩٤هـ، وانظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢ حيث أورد قول البخاري وإجماع علماء الحديث على ضعفه.

(٢) كشف الأستار ١/ ٢١٤.

(٣) ترجم له الذهبي في ميزان الاعتدال ٤٥٦/١ وذكر أقوال علماء الحديث فيه.

(٤) مسند أحمد ٤/ ٧ (١٦٠٩٨) وفتح الباري ٣/ ٦٧ وفضائل المدينة للحندي ٣٤ مع مصادر وروده.

(٥) كشف الأستار ١/ ٢١٤ ومجمع الزوائد ٤/ ٤ وإعلام الساجد ١١٥ ـ ١١٦.

(٦) نقلاً بتصرفٍ وإسقاطٍ من إعلام الساجد بأحكام المساجد ١١٥. قال الزركشي: «ذكره في التمهيد من جهة قاسم بن أصبغ . . . وهو حديث ثابت لا مطعن فيه لأحد إلا لمتعسف».

(٧) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ١١٥ ـ ١١٦بتصرف يسير.

ومن العلماء من يجعل مثل هذا علَّةً في الحديث وليس كذلك، لأنه يمكن أنْ يكون عن عطاء عنهم، والواجب أن لا يُدفع خبرٌ نَقَلَهُ العدول إلاَّ بحجة[١].

قال البزار: هذا الحديث قد رُوِيَ عن عطاء، واختلف على عطاء فيه، ولا نعلم أحداً قال: بأنه يزيد على مسجد المدينة مئة إلا ابن الزبير[٢].

وقد تابع حبيباً المعلمَ الربيعُ بن صُبَيح، فرواه عن عطاء عن ابن الزبير، ورواه عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن عمر، ورواه ابن جُريج عن عطاء عن ابن أبي سلمة عن أبي هريرة أو عائشة، ورواه ابن أبي ليلى عن عطاء عن [أبي سلمة عن][٣] أبي هريرة، انتهى[٤].

وقال الذهبي في **مختصر سنن البيهقي**: إسناده صالح، ولم يُخرجه أصحاب السنن[٥].

قلت: هنا أمر آخر، وهو أنَّ الحديث المذكور لما اختلف لفظه على وجهين؛ أحدهما ليس نصاً في الدلالة ـ كما قدَّمنا ـ أحتمل أنْ تكون الرواية في الواقع به، ومن رواه بالوجه الآخر رواه بالمعنى بحسب فهمه، إلاَّ أنَّ وروده من الطريق[٦] الأخرى بذلك اللفظ يُوهِنُ هذا الاحتمالَ.

وعلى تقدير ثبوته، فهو من ابن الزبير، وهو أعرف بفهم مرويه؛ لأنَّ عبد الرزاق روى عن ابن جريج، قال: «أخبرني سليمان بن عتيق وعطاء عن ابن الزبير، أنهما سمعاه يقول: «صلاة في المسجد الحرام خيرٌ من مئة صلاةٍ فيه»، ويشير إلى مسجد المدينة[٧].

---

(١) نقلاً من المصدر نفسه ١١٦.
(٢) نقلاً من المصدر نفسه وانظر: **كشف الأستار** ١/ ٢١٤.
(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصول وهو ساقط من إعلام الساجد والتصحيح من كشف الأسرار عن زوائد البزار ١/ ٢١٤، وهذا دليل أن السمهودي ينقل بالواسطة.
(٤) نقلاً من المصدر نفسه بما في ذلك لفظة: «انتهى».
(٥) نقلاً من المصدر نفسه.
(٦) ص: الطرق.
(٧) نقلاً من **فتح الباري** ٣/ ٦٧.

وقد قال ابن عبد البر: إنَّ رجال إسناد حديث ابن عمر علماء أجلاَّء[1].

ورواه ابن وضَّاح عن ابن الزبير[2] من كلام عمر بن الخطاب نفسه، قال ابن حزم: وسندُه كالشمس في الصحة[3].

وروى ابن أبي خيثمة عن أبيه: حدثنا مسلم[4] عن الحجاج عن عطاء عن عبد الله بن الزبير، قال: الصلاة في المسجد الحرام تَفْضُلُ على مسجد النبي ﷺ بمئة ضعف، قال: فنظرنا فإذا هي تَفْضُلُ على سائر المساجد بمئة ألف صلاة[5].

قال ابن عبد البر وابن حزم: فهذان صحابيان جليلان يقولان بفضل المسجد الحرام على مسجد النبي ﷺ، ولا مخالف لهما من الصحابة، فصار كالإجماع منهم على ذلك[6].

وفي ابن ماجة من حديث جابر مرفوعاً: صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة في ما سواه إلاَّ المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في ما سواه[7].

وفي بعض النسخ: «من مئة صلاة في ما سواه»[8].

فعلى الأول معناه: في ما سواه إلا مسجد المدينة، وعلى الثاني معناه: من مئة صلاة في مسجد المدينة[9]، لما تقدم عن جابر.

قلت: وقد روى يحيى حديث الصحيحين المتقدم عن جبير بن مطعم بلفظ: «إنَّ صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في ما سواه من المساجد

---

(١) نقلاً من إعلام الساجد ١١٧.

(٢) في المصدر نفسه ١١٨: «روى ابن وضاح عن حامد بن يحيى البلخي ثنا ابن عيينة عن زياد بن سعد أنا سليمان بن عتيق سمعت عبد الله بن الزبير سمعت عمر بن الخطاب يقول...».

(٣) نقلاً من المصدر نفسه ١١٩.

(٤) في الأصول: مسلم، وفي المصدر نفسه: «هشيم».

(٥) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ١١٩.

(٦) نقلاً من المصدر نفسه.

(٧) نقلاً من فتح الباري ٣/ ٦٧.

(٨) نقلاً من المصدر نفسه.

(٩) نقلاً من فتح الباري ٣/ ٦٧.

غير الكعبة[1].

وفي رواية النسائي وغيره: «إلا مسجد الكعبة»[2] ولهذا ذهب بعضهم إلى أنَّ المراد من المسجد الحرام الكعبة.

وبه قال العمراني[3] من أصحابنا وغيره[4].

وروى البزار عن عائشة حديث: أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يُزار وتُشَدُّ إليه الرواحل المسجدُ الحرام ومسجدي، وصلاة في مسجدي أفضلُ من ألف صلاة في ما سواه من المساجد إلاَّ المسجد الحرام[5].

وروى ابن ماجة مرفوعاً برجال ثقات ـ إلا أبا الخطاب الدمشقي فهو مجهول ـ: «صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يُجْمَعُ فيه بخمس مئة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة»[6].

وهو يقتضي أنَّ الصلاة بمسجد المدينة مساوية لمسجد[7] بيت المقدس،

---

(١) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢١٣ وإعلام الساجد ١٢٠.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ١/١٩٨: «صلاة فيه أفضل من ألف صلاة في ما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة» مع مصادر وروده؛ وسنن النسائي بشرح السيوطي ٢/ ٣٣، ٥/ ٢١٣ ومسند أحمد (القاهرة ١٣١٣هـ) ٢/ ٣٨٦، ٦/ ٣٣٤.

(٣) هو يحيى بن أبي الخير سالم العِمراني اليماني المتوفى سنة ٥٥٨هـ، مؤلف كتاب البيان وغيره، انظر: طبقات الشافعية ٧/ ٣٣٦ مع مصادر ترجمته وبروكلمان: ملحق١/ ٦٧٥ ومعجم المؤلفين ١٣/ ١٩٦.

(٤) نقلاً من إعلام الساجد ١٢١.

(٥) كشف الأستار ٢/ ٥٦ ومجمع الزوائد ٤/ ٩: "وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف" والمصنف ٢/ ٢٦٥ والدرة الثمينة ٢/ ٣٥٧ عن ابن الجوزي، وانظر: مثير الغرام الساكن ٤٦٥ ومسند الفردوس ١١٥.

(٦) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد ١١٧ ـ ١١٨ وأبو الخطاب الدمشقي: هو معروف بن عبد الله الخياط، قال ابن عدي فيه: «له أحاديث منكرة جداً» ميزان الإعتدال ٤/ ١٤٤.

(٧) سقطت من ص.

وأنهما معاً على النصف من الصلاة بالمسجد الحرام.

وهو مخالف لما في **الصحيح** مع أنَّ مفهوم العدد ليس بحجة، فلا ينفي ما ثبت من الزيادة لمسجد المدينة على مسجد بيت المقدس سيما بالطريقة التي قدمناها.

وفي الطبراني - وهو حسن، وفي بعض رجاله كلام - عن أبي الدرداء مرفوعاً: «الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمس مئة»[1].

ورواه ابنُ خزيمة في **صحيحه** بنحوه والبزار[2] وحسَّنَه.

وقال المجد: أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب، قال: ولا نعلم حديثاً يشتمل على فضيلة الصلاة بالمساجد الثلاثة خصوصاً سواه مما يصح عند الاعتبار معناه[3].

قلت: لم أره في الترمذي[4]، وقد ساقه ابن عبد البر محتجاً به، وهو غير مانع مما قدمناه من كون الصلاة بمسجد المدينة أفضل من ألف صلاة بمسجد بيت المقدس، لأنَّ العدد لا ينفي الزائد، وكذا حديث **الأوسط** للطبراني برجال الصحيح عن أبي ذر: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيُّهما أفضلُ: مسجد رسول الله ﷺ أو بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المُصَلَّى هو».

وقد يقال في ذلك كما قيل في نظائره من احتمال أنه ﷺ أخبر أولاً ببعض ذلك بحسب ما أوحي إليه، ثم أُعْلِمَ بالزيادة، ويكون حديث الأقل قبل حديث الأكثر، ثم تفضل الله بالأكثر شيئاً بعد شيء[5]، ومحصله ما قررناه من الأخذ بالزائد.

---

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد ١١٧ وقال: «أخرجه البزار في مسنده».

(٢) كشف الأستار ١/٢١٣.

(٣) المغانم المطابة ص١٥٣.

(٤) هو في جامع الترمذي ١/٣٥٧؛ ٦/٢٠٢ (بشار) مع مصادر تخريجه.

(٥) نقلاً من إعلام الساجد ١٢٥ وهذا القول للزركشي.

ويحتمل أنْ تُنزَّل تلك الأعداد على اختلاف الأحوال، فالحسنة بعشر أمثالها إلى غير نهاية[1].

ونقل الزركشي في **إعلام الساجد** عن **الكبير** للطبراني بسند فيه مُقاتل عن الضحاك عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا بعشرة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام بعشرة[2] أمثالها بمئة ألف صلاة، وصلاة الرجل في بيت المقدس بألف صلاة، وصلاة الرجل في بيته حيث لا يراه أحدٌ أفضلُ من ذلك كله»[3].

قلت: وهو ضعيف، ولم يورده الهيثمي في **مجمعه**[4] في فضل الصلاة في المساجد الثلاثة، وهذه المضاعفة المذكورة في هذه المساجد لا تختص بالفريضة، بل تعمُّ الفرض والنفل، كما قال النووي في **شرح مسلم**: إنه المذهب[5].

قال الزركشي: وهو لازم تعليل الأصحاب استثناء النفل بمكة في الأوقات المكروهة بمزيد الفضيلة[6].

وقال الطحاوي من الحنفية: هو مختص بالفرض، وفعل النوافل بالبيت أفضل[7]، وإليه ذهب ابنُ أبي زيد[8] من المالكية[9]؛ وهو المرجح عندهم، وفرَّق بعضهم بين أنْ يكون المسجد خالياً أم لا.

---

(١) هذا قول الزركشي في **إعلام الساجد** ١٢٥.

(٢) ص: بعشر.

(٣) **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ١١٨.

(٤) هو كتاب **مجمع الزوائد**.

(٥) نقلاً من **إعلام الساجد** ١٢٤وانظر: **شرح صحيح مسلم** ٥/١٧٩.

(٦) في **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ١٢٤: «وهو لازم للأصحاب من استثنائهم النفل بمكة من الوقت المكروه لأجل الفضيلة» قلت: وشتان بين الجملتين.

(٧) في **إعلام الساجد**: «أفضل من المسجد الحرام».

(٨) هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ، مؤلف **الرسالة** في الفقه المالكي وغيرها، انظر: بروكلمان ١/١٧٧ وملحق ١/٣٠١ وسير **أعلام النبلاء** ١٨/١٠ و**معجم المؤلفين** ٦/٧٣.

(٩) نقلاً من **إعلام الساجد** ١٢٤ وفيه: «وكذلك ذكره ابن أبي زيد من المالكية».

فإن قيل: كيف تقولون إن المضاعفة تعمَّ الفرض والنفل وقد تطابقت الأصحاب ونصَّ الحديث الصحيح على أن فعل النافلة في بيت الإنسان أفضلُ؟[1].

قلنا: لا يلزم من المضاعفة في المسجد أنْ يكون أفضلَ من البيت، كما قاله الزركشي[2] وغيره، وغاية الأمر أن يكون في المفضول مزيَّةٌ ليست في الفاضل، ولا يلزم من ذلك جعله أفضل، فإنَّ للأفضل مزايا إنْ كان للمفضول مزية، ولهذا بحث التاج السبكي مع أبيه في صلاة الظهر بمنى يوم النحر إذا جعلنا منىً خارجة عن محل المضاعفة، هل يكون أفضل من صلاتها في المسجد، لأنَّه ﷺ فعلها بمنىً يومئذ، أو في المسجد للمضاعفة؟ فقال والده: بل في منىً وإنْ لم تحصل بها المضاعفة، فإنَّ في الاقتداء بأفعال النبي ﷺ ما يَربُو على المضاعفة[3].

على أنَّ الحافظ ابن حجر ذكر ما يقتضي إثبات المضاعفة للنفل في البيوت بالمدينة ومكة عملاً بعموم قوله ﷺ: «أفضل صلاة المرء في بيته إلاَّ المكتوبة» فقال: وقد تقدم النقل عن الطحاوي وغيره: إنَّ ذلك ـ يعني: التضعيف ـ مختصٌّ بالفرائض لحديث: أفضل صلاة المرء في بيته إلاَّ المكتوبة[4].

ويمكن أنْ يقال: لا مانع من إبقاء الحديث على عمومه، فتكون النافلة في بيتٍ بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها في البيت بغيرهما، وكذا في المسجدين، وإنْ كانت في البيوت أفضلَ مطلقاً[5].

ثم إنَّ التضعيف المذكور يرجع إلى الثواب بتلك الأعداد، لا إلى الإجزاء، باتفاق العلماء، كما نقله النووي وغيره، فلو كانت عليه صلاتان[6] فصلى في أحد

---

(١) هذا قول الزركشي في إعلام الساجد ١٢٥.
(٢) إعلام الساجد ١٢٥.
(٣) نقلاً من إعلام الساجد ١٢٥ ـ ١٢٦ بتصرف يسير.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٣/ ٦٨.
(٥) نقلاً من المصدر نفسه.
(٦) في الأصول: «صلوات» والتصحيح من فتح الباري ٣/ ٦٨.

المسجدين صلاة لم تُجْزِه إلا عن صلاة واحدة[1].

وقد أوهم كلام أبي بكر النقاش في تفسيره[2] خلاف ذلك، فإنه قال: حسبت الصلاة في المسجد الحرام فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرام عمر خمسة وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة، انتهى[3].

وهذا مع قطع النظر عن التضعيف بالجماعة والسواك ونحوه، لكن هل تجمع التضعيفات أو لا؟ محل نظر[4].

قلت: وينبغي أنْ لا يختص هذا التضعيف بالصلاة، بل سائر أنواع الطاعات كذلك، قياساً على ما ثبت في الصلاة، كما صرَّحوا به في مسجد مكة المشرَّفة، وصَرَّح به في ما يتعلق بالمدينة صاحب **الانتصار** أبو سليمان داود[5] من المالكية، ثم رأيته في كلام الغزالي في **الإحياء**، كما قدمناه في **فصل الخصائص**.

ويشهد له ما في **الكبير** للطبراني عن بلال عن الحارث، قال: قال رسول الله ﷺ: «رمضان بالمدينة خيرٌ من ألف رمضان في ما سواها من البلدان، وجمعة بالمدينة خيرٌ من ألف جمعة في ما سواها من البلدان»[6].

ونقل المجد عن أبي الفرج الأموي أنه أخرجه بسنده عن ابن عمر[7].

قلت: ورواه ابن الجوزي في **شرف المصطفى** عن ابن عمر أيضاً بلفظ: «صيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر في ما سواها، وصلاة الجمعة

---

(١) نقلاً من **فتح الباري** ٣/ ٦٨.

(٢) هو محمد بن الحسن الموصلي النقاش، المتوفى سنة ٣٥١هـ، مؤلف **شفاء الصدور** في التفسير، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٥/ ٥٧٣ مع مصادر ترجمته.

(٣) نقلاً من **فتح الباري** ٣/ ٦٨ وورد في **مثير الغرام الساكن** ٢٥٤ وفي **الروضة الفردوسية** ورقة ١٠أ.

(٤) في **فتح الباري** ٣/ ٦٨: «وهذا مع قطع النظر عن التضعيف بالجماعة فإنها تزيد سبعاً وعشرين درجة كما تقدم في أبواب الجماعة، لكن هل يجتمع التضعيفان أو لا؟ محل بحث».

(٥) هو داود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي الإسكندري المتوفى سنة ٧٣٣هـ، مؤلف **شرح التلقين** لعبد الوهاب البغدادي في فروع الفقه المالكي **والبيان والانتصار في زيارة النبي المختار**، انظر: **معجم المؤلفين** ٤/ ١٤٠ مع مصادر ترجمته، **والتحفة اللطيفة** للسخاوي ١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٦) **المغانم المطابة** ص١٤٦.

(٧) المصدر نفسه.

بالمدينة كألف صلاة في ما سواها»[1].

وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في ما سواه إلا المسجد الحرام، والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة في ما سواه إلا المسجد الحرام، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف رمضان في ما سواه إلا المسجد الحرام»[2].

ورواه أيضاً عن ابن عمر بنحوه.

هذه الأحاديث وإنْ كانت ضعيفة فإذا ضُمَّت إلى ما قدمناه من القياس على الصلاة ثم الاستدلال، وقد قدَّمنا في حدود مسجده ﷺ الخلافَ المذكور في المراد بقوله ﷺ: صلاة في مسجدي هذا، وترجيح أنَّ ذلك يتناول ما زِيدَ فيه.

وروى أحمد والطبراني في **الأوسط** ورجاله ثقاتٌ عن أنس بن مالك حديث: من صلى في مسجدي أربعين صلاة، زاد الطبراني: لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار، وبراءة من العذاب، وبريء من النفاق[3].

تقدَّم هذا الحديث بدون زيادة الطبراني، وهو عند الترمذي بغير هذا اللفظ.

وروى ابن المنذر وابن حبان في **صحيحه** عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إنَّ من حين يخرج أحدكُم من منزله إلى مسجدي فَرِجْلٌ تكتبُ حسنَةً ورِجلٌ تحطُّ عنه خطيئة»[4].

وقال البيهقي بعد ذكر حديث فضل مسجد قُباء، ما لفظه: ورواه يوسف بن طهمان عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ وزاد: ومن خرج على طهر لا يريد إلا مسجدي هذا ـ يريد: مسجد المدينة ـ ليصلي فيه كانت بمنزلة حجة[5].

---

(١) **الوفا بأحوال المصطفى** (مصطفى عبد الواحد) ٢٥٣.

(٢) ورد قسم منه في **دلائل النبوة** ٢/ ٥٤٥ وانظر: **السنن الكبرى** للبيهقي ٥/ ٢٤٦.

(٣) **سنن الترمذي** صلاة ٣٨، ٦٤؛ ابن ماجة أذان ٥؛ **مسند أحمد** ٣/ ١٩٦ (١٢٥٦٧).

(٤) **شرح صحيح مسلم** ١/ ١٧٨ بمعناه واخرجه النسائي في **السنن الكبرى** ١/ ٢٠٢ بلفظ: «ورجل تمحو سيئة» ومثله في **المستدرك** ١/ ٢١٧ **وشفاء السقام** ١٠٤(حيدرآباد) عن البخاري ومسلم بالفاظ أخرى **والسنن الكبرى** للبيهقي ٣/ ٦٢.

(٥) **الدرة الثمينة** ١١٩ (نشرة حسين محمد علي شكري) **والمغانم المطابة** ص١٥٤.

وقد أسند ذلك ابن زبالة، ومن طريقه ابن النجار عن سهل أيضاً[1]، وفي إسناده ابن طهمان أيضاً، وهو ضعيف عند البخاري وابن عَديّ، وذكره ابن حبان في الثقات، ولفظ ابن زبالة: «من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة في مسجدي حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة»[2].

وأسند هو ويحيى عن سهل بن سعد حديث: من دخل مسجدي هذا يتعلم[3] فيه خيراً أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذي يرى ما يعجبه وهو لغيره[4].

وفي رواية لهما عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه: من دخل مسجدي هذا لا يدخله إلا ليعلم خيراً أو يتعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان بمنزلة من يرى ما يعجبه وهو في يَدي غيره[5].

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جاء مسجدي هذا لم يأته إلاَّ لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»[6].

ورواه الطبراني من حديث سعد مرفوعاً بمعناه، إلاَّ أنه قال: «من دخل مسجدي لِيَتَعَلَّمَ خيراً أو لِيُعَلِّمَه»[7].

ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ الطبراني، لكن من حديث أبي هريرة[8].

وأسند ابن زبالة عن زيد بن أسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل

---

(1) في الدرة الثمينة ٢/٣٧٩ أخرج الحديث في مسجد قباء عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، وفيه: «عمرة» بدل «حجة».

(2) الدرة الثمينة ٢/٣٥٨.

(3) في المغانم المطابة ص١٥٤: «هذا لا يدخله إلا ليعلم خيراً أو ليتعلمه كان بمنزلة المجاهد...».

(4) المغانم المطابة ص١٥٤.

(5) المصنف لابن أبي شيبة ٢/٢٦٥ عن أبي هريرة.

(6) المصنف لابن أبي شيبة ٧/٥٦٤ عن أبي هريرة والمستدرك ١/٩١ بالمعنى وبعض الاختلاف في اللفظ.

(7) مجمع الزوائد ١/١٢٣ وقال: "رواه الطبراني في الكبير".

(8) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/١٥١.

مسجدي هذا لصلاة أو لذكر الله أو يتعلم خيراً أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله»[1] ولم يجعل ذلك لمسجدٍ غيره.

وعند يحيى أيضاً عن كعب أنه قال: ما من مؤمن يغدو أو يروح إلى المسجد لا يغدو أو يروح إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه أو يذكر الله أو يُذَكِّر به إلاَّ كان مَثَله في كتاب الله كمثل الجهاد في سبيل الله، وما من رَجل يغدو أو يروح إلى المسجد لا يغدو ولا يروح إلا لأخبار الناس وأحاديثهم إلاَّ كان مثله في كتاب الله كمثل الرجل يرى الشيء يعجبه ويرى المصلين وليس منهم، ويرى الذاكرين وليس منهم[2].

وعنده أيضاً عن أبي سعيد المقبري عن الثقة: أنَّ النبي ﷺ قال: «لا إخال إلاَّ أنَّ لكلِ رجلٍ منكم مسجداً في بيته» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فوالله لو صليتم في بيوتكم لتركتم مسجد نبيكم، ولو تركتم مسجد نبيكم لتركتم سنته، ولو تركتم سنته إذاً لضللتم»[3].

وفي **الصحيح** من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال في غزوة خيبر: «من أكل من هذه الشجرة ـ يعني الثوم ـ فلا يقربَنَّ مسجدنا»[4].

قال الكرماني: قال التيمي: قال بعضهم: النهي إنما هو عن مسجد الرسول ﷺ خاصة، من أجل ملائكة الوحي، والأكثر على أنه عام[5]، انتهى.

وقد حكى ابن بَطَّال القولَ بالاختصاص عن بعض أهل العلم ووَهَّاه[6] والله أعلم.

---

(١) **مجمع الزوائد** ١/ ١٢٣.
(٢) **المستدرك** ١/ ٩١.
(٣) **سنن ابن ماجه** ١/ ٢٥٥.
(٤) **فتح الباري** ٢/ ٣٣٩ وانظر: **المعجم المفهرس** ٣/ ٧٠ عن البخاري ومسلم وابن ماجة وأبي داود والنسائي والدارمي و**الموطأ** و **مسند أحمد** (عشر مرات) وانظر: **معجم الطبراني الصغير** ٩ و**المصنف** ٥/ ٥٦٠ وما بعدها و**مجمع الزوائد** ٢/ ١٧ ـ ١٨ فقد روى جملة منها وعزاها إلى مصادرها.
(٥) ذكر ابن حجر في **فتح الباري** ٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٤ مناقشات العلماء فيه.
(٦) نقلاً من **فتح الباري** ٢/ ٣٤٠.

الفصل السادس
في فضل المنبر المنيف والروضة الشريفة

روينا في الصحيحين حديثَ عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»[1].

زاد البخاري من حديث أبي هريرة: «ومنبري على حوضي»[2].

وروى أحمد وأبو يعلى والبزار ـ وفيه علي بن زيد[3]، وقد وُثِّقَ ـ عن جابر ابن عبد الله مرفوعاً: «ما بين بيتي إلى منبري روضة من رياض الجنة، وإنَّ منبري على تُرعةٍ من تُرَع الجنة»[4].

وروى أحمد برجال الصحيح عن سهل بن سعد مرفوعاً: «منبري على ترعة من ترع الجنة»[5]؛ وفيه تفسير الترعة: بالباب[6].

وقيل: الترعة: الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة[7].

---

(١) فتح الباري ٣/ ٧٠ وشرح صحيح مسلم ٥/ ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه و٤/ ٩٩ وشرح صحيح مسلم ٥/ ١٧٤.

(٣) مجمع الزوائد ٤/ ٨.

(٤) جامع الأصول ٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ عن البخاري ومسلم والنسائي والموطأ وكشف الأستار ٢/ ٥٦ ـ ٥٧ والمعجم المفهرس ١/ ٢٦٩ عن مسند أحمد (تسع مرات) ومسند أبي يعلى ٢/ ٤٩٦، ٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠، ٤٦٢ "ما بين منبري إلى حجرتي" مع مصادر وروده وفتح الباري ٤/ ١٠٠.

(٥) مسند أحمد ٥/ ٤١٩ (٢٢٨٣٦) والمعجم المفهرس ١/ ٢٦٩.

(٦) المصدر نفسه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٩: "رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح"، وفيه تفسير الترعة بالباب وطبقات ابن سعد ١/ ٢٥٣.

(٧) الروضة الفردوسية ١٥أ.

وقيل: الدرجة[1].

ورواه يحيى عن أبي هريرة وغيره بلفظ: «على رتْعَةٍ من رتع الجنة» وكذا هو في رواية لرزين، وظنَّه بعضهم تصحيفاً فكتب في هامشه: «صوابه ترعة»، وليس كذلك، بل معناه صحيح، إذ الرتع: الاتساع في الخصب، والرَّتْعةُ ـ بسكون التاء وفتحها ـ الاتساع في الخصب، وكلُّ مُخْصِبٍ مُرْتِعٌ.

وفي الحديث: إذا مَرَرْتُم برياضِ الجنَّةِ فَارْتَعُوا[2].

وروى البزار عن معاذ بن الحارث نحوه[3].

وفي الكبير للطبراني من طريق يحيى الحماني ـ وهو ضعيف ـ عن أبي واقد الليثي مرفوعاً: «قوائم منبري رواتب في الجنة»[4].

ورواه ابن عساكر وابن النجار ويحيى عن أم سلمة[5].

وقال المجد: أخرجه عنها النسائي[6].

وفي رواية لابن عساكر: «وضعت منبري هذا على تُرعةٍ من تُرع الجنة»[7].

وأسند يحيى عن أبي المعلى الأنصاري[8] ـ وكانت له صحبة ـ أنَّ النبي ﷺ قال وهو على المنبر: إنَّ قدمي على ترعة من ترع الجنة[9].

وعن أبي سعيد الخدري: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو قائم على منبره: «أنا قائمٌ الساعَةَ على عقر حوضي».

---

(١) هذا وما سبقه من قول أبي عبيد في الترعة، كما ورد في الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٢ والروضة الفردوسية للأقشهري ورقة ١٥أ.

(٢) مسند أحمد ٣/ ١٨٩ (١٢٥٠٧) وسنن الترمذي: مناسك ١٠٤، دعوات ٨٢ والمستدرك ١/ ٤٩٤.

(٣) مجمع الزوائد ١/ ١٢٦ وقال: "رواه الطبراني في الكبير وفيه رجل لم يسم".

(٤) نقلاً من فتح الباري ٤/ ١٠٠ وانظر: فضائل المدينة للجندي ٤٠ وجامع الأصول ٩/ ٣٣٠.

(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٢ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٥٣.

(٦) المغانم المطابة ص١٥٣ والسنن الكبرى للنسائي ١/ ١٩٩ مع مصادر وروده.

(٧) طبقات ابن سعد ١/ ٢٥٣ دون "وضعت".

(٨) هو أبو المعلى بن لوذان الأنصاري، ترجم له ابن حجر في الإصابة ٤/ ١٨٢.

(٩) تحقيق النصرة ٦٣ عن رزين.

وفي رواية له: «إني على الحوض الآن».

وأسند ابن زبالة عن نافع بن جبير عن أبيه حديثَ: «أَحَدُ شِقَّي المنبر على عقـرالحوض، فمن حلف عنده على يمين فاجرة يقتطع بها حق أمريء مسلمٍ فليتبوأ مقعده من النار»[١].

قال: وعقر الحوض من حيث يصبُّ الماء في الحوض[٢].

وفي سنن أبي داود من حديث جابر مرفوعاً: لا يحلف أحدٌ عند منبري هذا على يمين آثمةٍ ولو على سواك أخضر إلاّ تبوّأ مقعده من النار، أو أوجبت له النار[٣].

ورواه ابن خُزيمة وابن حبان[٤] والحاكم[٥] وصححوه.

وروى النسائي برجال ثقات عن أبي أمامة بن ثعلبة مرفوعاً: «من حلف عند منبري هذا يميناً كاذبة استحلَّ بها مالَ امرىء مسلَم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[٦].

وفي الأوسط للطبراني ـ وفيه ابن لَهِيعَةَ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «منبري على تُرعةٍ من تُرع الجنة، وما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة»[٧].

وفي الصحيحين حديث ابن عمر: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض

---

(١) المصدر نفسه ٦٤ عن ابن زبالة مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.
(٢) المصدر نفسه عن ابن زبالة.
(٣) أورده ابن سعد مرتين في الطبقات ١/ ٢٥٤ عن جابر وعن أبي هريرة وابن النجار في الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٢ عن سنن ابي داود والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ومعرفة السنن والآثار ١٤/ ٢٩٩ مع مصادر ورود الخبر.
(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٦/ ٢٨١.
(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٢٥٤ عن جابر وعن أبي هريرة وانظر: المستدرك للحاكم ٤/ ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧.
(٦) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧/ ٢٧٢ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ١١/ ١٣٦، ١٤/ ٢٩٩ مع مصادر ورود الخبر.
(٧) نقلاً من فتح الباري ٤/ ١٠٠.

الجنة»[1].

وروى أحمد برجال الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد حديثَ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»[2].

وروى البزار برجال ثقات عن سعد بن أبي وقَّاص حديث: «ما بين بيتي ومنبري، أو قبري ومنبري، روضة من رياض الجنة»[3].

وفي الأوسط للطبراني ـ وفيه متروك ـ عن أنس بن مالك حديث: «ما بين حجرتي ومُصَلاَّي روضة من رياض الجنة»[4].

وفي رواية لابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد[5] عن أبيها: ما بين منبري والمصلى[6].

وفي رواية: «ما بين مسجدي إلى المصلى روضة من رياض الجنة».

ورواه أبو طاهر ابن المخلص[7] في انتقائه ويحيى في أخبار المدينة بلفظ: «ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة»[8].

---

(١) فتح الباري ٤/٩٩ والمعجم المفهرس ١/٢٣٨، ٢/٣١٩ ـ ٣٢٠ عن البخاري في أربعة مواضع والترمذي والنسائي والموطأ ومسند أحمد وكشف الاستار ١/٢١٦.

(٢) مسند أحمد (٧ مرات عن أبي هريرة وثلاث مرات عن أبي سعيد الخدري ومرتان عن عبد الله بن زيد بن عاصم) انظر: فهرس وأحاديث وآثار المسند ٨/ ٧٤٥ وطبقات ابن سعد ١/ ٢٥٤ عن عبد الله بن زيد المازني، بدون: 'ومنبري على حوضي' والمعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٣٩٣ ومجمع الزوائد ٤/ ٩.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٨٠ (١١٥٩٧) عن أبي سعيد الخدري وطبقات ابن سعد ١/ ٢٥٤ ومجمع الزوائد ٤/ ٩ وكشف الأستار ٢/ ٥٦ ـ ٦٧.

(٤) كشف الأستار ٢/٥٦: "ما بين بيتي ومصلاي. . . ".

(٥) هي عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، ضعَّفها مالك، الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ١٣٢.

(٦) تاريخ المدينة ١/١٣٨: «ما بين مسجدي هذا ومصلاي. . . » عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص وفي كشف الاستار ٢/٥٦ ـ ٥٧: «ما بين بيتي أو قبري ومنبري»؛ «ما بين منبري وبيتي».

(٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن زكريا الذهبي المتوفى سنة ٣٩٣هـ، مؤلف كتاب الانتقاء في أخبار المدينة، انظر: سير أعلام النبلاء ١٦/٤٧٨ والأعلام للزركلي ٧/ ٦٣ وتاريخ بغداد ٢/ ٣٢٢.

(٨) نقلاً من الروضة الفردوسية للأقشهري، حاشية الورقة ١٢أ.

قال جماعة: المراد به مصلى العيد[١].

وقال آخرون: مُصَلاَّه الذي يُصَلي فيه في المسجد، كذا قاله الخطابي[٢].

قلت: ويؤيد الأول أنَّ في النسخة التي رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى عقب الحديث المذكور ما لفظه: قال أبي: سمعت غير واحد يقولون: إنَّ سعداً لما سمع هذا الحديث من النبي ﷺ بنى داريه في ما بين المسجد والمصلى، وكذا ما سيأتي في مصلى العيد من رواية ابن شَبَّة عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص[٣].

قلت: وهو شاهد لما سيأتي من عموم الروضة لجميع مسجد النبي ﷺ ولما زيد فيه من جهة المغرب.

وروى عبد الله بن أحمد في زوائد **المسند** برجال **الصحيح** - إلا أنَّ فيهم فليحاً[٤]، وقد روى له الجماعة، وقال الحاكم: اتفاقُ الشيخين عليه يقوي أمره، وقال الساجي: ذكره ابن حبان في **الثقات**، وقال الدارقطني: فليح يختلفون فيه، وقال بعضهم: إنه كثير الخطأ - عن عبد الله بن زيد المازني، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين هذه البيوت - يعني بيوته - إلى منبري روضة من رياض الجنة، والمنبر على تُرعة من تُرعِ الجنة».

وقد أُختلف في معنى ذلك، فقال الخطابي: معنى قوله: «ومنبري على حوضي»: «أنَّ قَصْدَ منبره والحضور عنده ملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه»، وهذا قول الباجي[٥].

---

(١) نقلاً من المصدر نفسه.

(٢) نقلاً من المصدر نفسه: «قال أبو سليمان قال بعض الناس».

(٣) **تاريخ المدينة** ١/١٣٨.

(٤) جاء في **مسند أحمد** ٤/٥٧: "فليح عن عبد الله بن أبي بكر عن عباد بن تميم عن عمه عبد الله بن زيد الأنصاري"، وانظر: **معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد** للذهبي، تح إبراهيم سعيداي إدريس ١٥٨ - ١٥٩ واورد المحقق هذه الأقوال عند الذهبي كما هي هنا في فليح بن سليمان، وجاء في **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** المطبوع ١٦٨ تحريف في السند الآتي، والتصحيح من مخطوطة لايدن ورقة ١٦٠أ - ١٦٠ب وهو: "حدثنا فليح عن عبد الله بن أبي بكر عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد الأنصاري. . . . . ".

(٥) نقلاً من **الروضة الفردوسية** ورقة ١٢ب وانظر: **شرح صحيح مسلم** ٥/١٧٤: «وقيل».

والثاني: أنَّ منبره الذي كان يقوم عليه ﷺ يُعيدهُ اللهُ كما يُعيدُ سائر الخلائق، ويكون على حوضه في ذلك اليوم.

واعتمد ذلك ابن النجار[١].

وحكى ابن عساكر القولَ بأنَّ المراد منبره بعينه الذي كان في الدنيا[٢]، ثم قال: وهو أظهر، وعليه أكثر الناس، فتَبعَ شيخه ابن النجار في ذلك[٣].

والثالث: أنَّ المراد منبرٌ يخلقه الله تعالى له في ذلك اليوم ويجعله على حوضه.

قلت: ويظهر لي معنىً رابع، وهو: أنَّ البقعة التي عليها المنبر تعاد بعينها في الجنة[٤]، ويُعاد منبره ذلك على هيئة تناسب ما في الجنة، فيُجْعَل المنبر عليها عند عُقْرِ الحوض، وهو مؤخره، وعن ذلك عبَّرَ بترعة من تُرع الجنة، وذكر النبي ﷺ ذلك لأمته للترغيب في العمل بهذا المحل الشريف ليُفْضِيَ بصاحبه إلى ذلك، وهذا في الحقيقة جمع بين القولين الأولين.

وسيأتي في الزيارة ما ذكره ابن عساكر من أنَّ الزائر يأتي المنبر الشريف، ويقف عنده ويدعو.

واختلفوا أيضاً في معنى ما جاء في الروضة الشريفة.

قال الحافظ ابن حجر: محصل ما أَوَّلَ به العلماء ذلك: أنَّ تلك البقعة كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل فيها من مُلازَمة حلقِ الذكر، لا سيما في عهده ﷺ فيكون مجازاً، أو المعنى: أنَّ العبادة فيها تُؤَدِّي إلى الجنة، فيكون مجازاً أيضاً، أو هو على ظاهره، وأنَّ المراد أنها روضة حقيقية بأنْ ينقل ذلك الموضع إلى الجنة[٥].

---

(١) الدرة الثمينة ٢، ٣٦٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥/ ١٧٤: «قال أكثر العلماء... وهذا هو الأظهر».

(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٢.

(٤) هذا قول الداودي كما جاء في الشفا ٢/ ٨٣ للقاضي عياض.

(٥) فتح الباري ٤/ ١٠٠.

ثم قال: وهذه الأقوال على ترتيبها هذا في القوة[1]، وهو محتمل لتقوية الأول أو الأخير، والأخير أقواها عندي، وهو الذي ذهب إليه ابن النجار، ونقله البرهان ابنُ فرحون في منسكه عن ابن الجوزي وغيره عن مالك، فقال: وقوله: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»[2] حمله مالك رحمه الله على ظاهره؛ فنقل عنه ابن الجوزي وغيره: أنها روضة من رياض الجنة تنقل إلى الجنة، وأنها ليست كسائر الأرض تَذهَبُ وتَفْنَى، ووافقه على ذلك جماعة من العلماء[3]، انتهى.

ونقله الخطيب ابن جملة[4] عن الدراوردي[5]، وصحَّحه ابن الحاج[6] في مدخله، لأنَّ العلماء فَهِموا من ذلك مزية عظيمة لهذا المحل.

ثم رأيت في كلام الحافظ ابن حجر ترجيحه في موضع آخر، فقال في الكلام على الحوض: والمرادُ بتسمية ذلك الموضع روضة، أنَّ تلك البقعة تنقل إلى الجنة فتكون روضة من رياضها، أو أنها على المجاز لكون العبادة فيه تَؤُولُ إلى دخول العابد روضة الجنة.

ثم قال: وهذا فيه نظر؛ إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة، والخبر مَسُوق لمَزيد شرف تلك البقعة على غيرها[7]، انتهى.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مثير الغرام الساكن ٤٥٧.

(٣) المصدر نفسه ٤٦٨.

(٤) هو محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة الشافعي خطيب الجامع الأموي بدمشق المتوفى سنة ٧٦٤هـ، وقد سبق التعريف به.

(٥) هو عبد العزيز بن محمد الدراوردي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٨٧هـ، انظر: ترتيب المدارك ١/ ٢٨٨ وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٦٦ مع مصادر ترجمته.

(٦) هو محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المعروف بابن الحاج المتوفى في القاهرة سنة ٧٣٧هـ، مؤلف كتاب مدخل الشرع الشريف والمدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيّات وغيرهما، انظر: بروكلمان ٢/ ٨٣ وملحقه ٢/ ٩٥ ومعجم المؤلفين ١١/ ٢٨٤ مع مصادر ترجمته.

(٧) فتح الباري ٤/ ١٠٠ بتصرف في الألفاظ.

قلت: وأحسنُ من ذلك ما ذهب إليه ابنُ أبي جَمرة[1] من الجمع بين هذا وما قبله، ومنه استنبطنا ما قدمناه في أمر المنبر، فإنه لم يُعَوِّل على ذكر المعنى الأول، وقال بعد ذكر المعنيين الأخيرين: الأظهر ـ والله أعلم ـ الجمعُ بين الوجهين، لأنَّ لكلٍّ منهما دليلاً يُعَضِّده، أما الدليلُ على أنَّ العمل فيها يوجب الجنة، فَلِما جاء في فضل مسجدها من المضاعفة، ولهذه البقعة زيادة على باقي بُقَعِه، وأما الدليل على كونها بعينها في الجنة فلإخباره ﷺ بأنَّ المنبر على الحوض، لم يختلف أحدٌ من العلماء أنه على ظاهره، وأنه حقٌّ محسوس موجودٌ على حوضه.

قلت: وفيه نظر، لما قدَّمناه.

قال: وقد تقرر في قواعد الشرع أنَّ البُقَع المباركة ما فائدة بركتها لنا والإخبار بذلك إلا تعميرها بالطاعات.

قال: ويحتمل وجهاً ثالثاً، وهو: أنَّ البقعة تلك نفسها روضة من رياض الجنة كما أنَّ الحجرالأسود من الجنة، فيكون الموضع المذكور روضة من رياض الجنة الآن، ويعود روضة في الجنة كما كان، ويكون للعامل بالعمل فيه روضة في الجنة.

قال: وهو الأظهر، لعُلوِّ منزلته عليه السلام، وليكون بينه وبين الأبوة الإبراهيمية في هذا شَبَهٌ، وهو أنه لمَّا خَصَّ الخليلَ بالحَجَر من الجنة خُصَّ الحبيب بالروضة منها.

قلت: وهو من النَّفَاسة بمكان، وفيه حمل اللفظ على ظاهره، إذ لا مقتضى لصَرفِه عنه، ولا يقدح في ذلك كونُها شاهداً[2] على نسبة أراضي الدنيا فإنه ما دام

---

(١) ترجم الذهبي في **سير أعلام النبلاء** ٢٠/ ٩١ لأحمد بن عبد الملك وفي ٢١/ ٣٩٨ لولده محمد بن أحمد بن عبد الملك، والظاهر أن المراد هنا هو عبد الله بن أبي جمرة مؤلف **مختصر الجامع الصحيح** وشرح **بهجة النفوس**، ومن الشرح اقتبس السمهودي في **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٢٦/ وتوفي سنة ٦٩٩هـ، انظر: **نيل الابتهاج** للتنبكتي ١٤٠.

(٢) في الأصول: شاهد.

الإنسان في هذا العالم لا ينكشف له حقائق ذلك العالم لوجود[1] الحُجب الكثيفة، والله أعلم.

وتخصيص ما أحاطت به البَيْنِيَّةُ المذكورة بذلك إمَّا تَعَبُّدٌ أو إمَّا لكثرة تردده ﷺ بين بيته ومنبره وقرب ذلك من قبره الشريف الذي هو الروضة العظمى، كما أشار إليه ابن أبي جَمْرة أيضاً.

وقال الجمال محمد الراساني الريمي[2]: اتفقوا على أنَّ هذا اللفظ معقول المعنى، مفهوم الحِكمَة، وإنما اختلفوا في ذلك المعنى ما هو: فقيل: اللفظ على حقيقته؛ وإنَّ ذلك روضة من رياض الجنة بمعنى أنه بعينه نُقِلَ من الجنة[3]، او أنه سينقل إليها، وقيل: مجازٌ، معناه: أنَّ العبادة فيه تُؤَدِّي إلى الجنة، أو لِمَا ينزل فيه من الرحمة وحصول المغفرة، كما سمَّى مجالس الذكر: رياض الجنة في حديث: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا[4].

وفي روايةٍ لأبي هريرة: «قلت: ما رياض الجنة؟ قال: المساجد، قلت: وما الرتع؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله والله أكبر».

وقال ابن عبد البر: لما كان ﷺ يجلس في ذلك الموضع ويجلس الناسُ إليه للتعلم شَبَّهه بالروضة[5]، لكريم ما يجتنى فيه، وأضافها إلى الجنة لأنها تؤول إلى الجنة، كقوله: «الجنة تحت ظلال السيوف»، أي: أنه عملٌ يُدخل الجنةَ[6].

وقال الخطَّابي: روضة من رياض الجنة بالطاعة فيه[7]، كقوله: عائد

---

(١) ص: الموجود.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر الريمي اليمني الشافعي المتوفى سنة ٧٩١هـ، مؤلف بغية الناسك في المناسك والتقفية في شرح التنبيه وغيرهما، انظر: معجم المؤلفين ١٠/٢٠٣ مع مصادر ترجمته.

(٣) الشفا ٢/٨٣ أورد قول الداودي الشبيه بهذا.

(٤) سنن الترمذي دعوات ٨٢ والمستدرك ١/٤٩٤.

(٥) الدرة الثمينة ٢/٣٦٣.

(٦) جمع السمهودي بين قولي ابن عبد البر في الدرة الثمينة وقول ابن حزم الوارد في فتح الباري ٤/١٠٠.

(٧) الدرة الثمينة ٢/٣٦٣ والروضة الفردوسية ورقة ١٤ب.

المريض في مَخْرَفَة[1] الجنة[2]، أي: يرجى له بذلك مخرفة الجنة، فأطلق اسم المسبب على سببه كقوله: الجنة تحت أقدام الأمهات.

هذا ما نقله الخطيب ابن جملة من المعاني، ثم تَعقَّب الأخير: بأنه لا يبقى حينئذ لهذه الروضة مزية، وقد فَهِمَ الناس من ذلك المزية العظيمة التي بسببها فَضَّلها مالك على سائر البقاع.

وقد تعقَّبَ الجمالُ الريمي[3] الخطيبَ في ذلك، وقال: أظهرُ المعاني تضعيف أجرِ الطاعات وتعليم الناس وجوه الخير، لاتفاق الخطَّابي وابن عبد البر عليه، وهما عمدةُ الأمة في فقه الحديث، ولأنَّ النظائر تؤيده، وأما المعنيان الآخران فلم يَعْزُهُما الخطيب إلى أحد، فَدَلَّ على ضعفهما، ولم يذكر عياضٌ القولَ: بأنَّ هذا الموضع بعينه نُقِلَ من الجنة، وذكر ما عداه، فدَلَّ على شذوذه، لأنَّ مثل هذا طريقه التوقيفُ، كما جاء في الركن والمقام، على أنَّ القول به يؤدي إلى إنكار المحسوسات أو الضروريات، وجواب ما ذكره الخطيب: أنَّ المزيةَ ظاهرة: وهو إنَّ العمل في النظائر المتقدمة يؤدي إلى رياض الجنة، والعمل في هذا المحل يؤدي إلى روضة أعلى من تلك الرياض.

قلت: إنما حَمَلَه على هذا ذهابُه إلى أنَّ اسم الروضة يعُمُّ جميع مسجده ﷺ، وأنه إذا ثبت لما زيدَ فيه حكم المضاعفة تعدَّى ذلك إليه، فاختار كون التسمية بذلك مجازية، ووضع في ذلك كتاباً سماه: **دلالات المسترشد على أنَّ الروضة هي المسجد**.

---

(١) مخرفة مفرد مخارف وهي الحائط (البستان) من النخل، وأورد ابن الأثير هذا الحديث في **النهاية في غريب الحديث** ٢/ ٢٤ بلفظ: «عائد المريض على مخارف الجنة حتى يرجع» وقال: هي سكة بين صفين من نخل يَخترف من أيها شاء: أي يجتني، وقيل: المخرفة: الطريق، أي: على طريق تؤديه إلى طريق الجنة.

(٢) **غريب الحديث** ١/ ٤٨٢: وفيه 'عائد المريض على مخارف الجنة'، وأخرجه مسلم وأحمد.

(٣) هو جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي اليمني الشافعي المتوفى سنة ٧٩١هـ، **معجم المؤلفين** ١٠/ ٢٠٣.

وقد صنَّف الشيخ صفي الدين الكازروني المدني[1] مُصَنَّفاً في الرد عليه، وقد لخصتهما مع سلوك طريق الإنصاف في كتابي الموسوم بـ: **دفع التعرض والإنكار لبسط روضة المختار**، وسنذكر الصوابَ في ذلك، واستدلاله على ضعف القول بأنَّ ذلك الموضع بعينه نُقلَ من الجنة، بأنَّ عياضاً لم يذكره؛ عجيبٌ! لاحتمال أنه لم يَطَّلِعْ عليه.

وقوله: «إنَّ ذلك طريقهُ التوقيف، كما جاء في الركن».

فنقول: أي توقيف أعظم من إخبار الصادق المصدوق بذلك؟ وهو المخبر بأمر الركن والمقام، والأصلُ في الإطلاق الحقيقة، فكيف سَلَّمه في الركن والمقام ولم يُسَلِّمه هنا؟ والذي فهمه العلماء من الحديث أنَّ هذا الموضع روضةٌ، سواء كان به ذاكرون ومصلون أم لم يكن، بخلاف حلق الذكر مثلاً، فإنَّ ذلك يزول عنها بقيامهم، فالروضة ما هم فيه بخلاف هذه، ولهذا فَسَّرَ الرَّتعَ هناك بالذكر.

والمراد في حديث: "الجنة تحت أقدام الأمهات" أنَّ لزوم خدمتهنَّ تؤدي إليها.

وقوله: إنَّ القول بذلك يؤدي إلى ما ذكره: عجيبٌ! وقد قدمنا السبب المانع من شهودِ ذلك على حقيقته، وأي حُسنٍ أحسَنُ من القول بأنَّ ذلك روضة من الجنة أكرم الله به نبيَّه؟ ويؤيده أحاديثُ المنبر المتقدمة وما سيأتي في أُحُدٍ وعَيْرٍ، إذ لم يقل أحدٌ إنَّ المراد أنَّ المتعبد عند أُحُدٍ يُفضي به ذلك إلى الجنة، والمتعبد عند عَيرٍ يُفْضِي به ذلك إلى النار.

وأما قوله في بيان المزية: «إنَّ العمل في ذلك المحل يؤدي إلى روضة أعلى» فليس في الحديث وصفه بأنه أعلى الرياض، بل أطلق ذلك، فإذا ثبت ذلك لغيره فلا خصوصية، بل قد يقول الذاهب إلى تفضيل مكة: إنَّ العمل فيها يؤدي إلى روضة أعلى وأفضل، ولظهور مزية تلك البقعة على غيرها، بذلك استدل به

---

(١) هو أحمد بن محمد بن محمد بن مسدد، صفي الدين، ترجم له السخاوي ترجمة قصيرة في **التحفة اللطيفة** ١/ ١٥٤ وقال: «وسمع مني بالمدينة أولا وثانياً واشتغل قليلاً» ولم يذكر سنة وفاته و**الضوء اللامع** ٢/ ٢٢٥.

بعضُ الأئمة على تفضيل المدينة على مكة بإضافة حديث: «لَقابُ قوسِ أحدِكُم في الجنة خير من الدنيا وما فيها»[1].

وتعقَّبَه ابن حزم: بأنَّ جَعْلَها من الجنة إنما هو على سبيل المجاز، إذ لو كانت حقيقة لكانت كما وصف الله الجنة: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾[2]، قال: وإنما المراد أنَّ الصلاة فيها تؤدي إلى الجنة، كما يقال في اليوم الطيب: هذا يومٌ من أيام الجنة[3].

قلت: لا يلزم من ثبوت عدم الجوع والعُري لمن حَلَّ في الجنة ثبوتُه لمن حَلَّ في شيء أخرج منها، إذ يلزمه أنْ ينفي بذلك عن حجر المقام كونه من الجنة حقيقةً، ولا قائلَ به.

ومسألة عموم الروضة لجميع مسجده ﷺ ذات خلاف.

فقد قال الأقشهري: سئل أبو جعفر بن نصر الداودي المالكي عن قوله: «ما بين بيتي ومنبري روضة[4]»، فقال: هو روضة كله»[5].

ونقل الريمي[6] عن الخطيب ابن جملة، أنه قال: قوله: "ما بين بيتي" مفرد مضاف قد يفيد العموم في بيوته، ثم ذكر بيان مكان بيوته، ثم قال: ولهذا قال السمعاني في **أماليه**[7]: لَمَّا فَضَّلَ الله مسجدَ رسول الله ﷺ وشرَّفه وبارك في العمل فيه وضعَّفَه سمَّاه رسول الله ﷺ: روضة من رياض الجنة، فتراه جعل المسجد كله روضةً، والمشهور أنَّ المراد بيت خاص، وهو بيت عائشة رضي الله عنها، للرواية

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٤/ ١٠٠ وانظر: مسند أحمد ٣/ ٥٥٩ ـ ٥٦٠: «موضع سوط أحدكم» وجامع الأصول ٩/ ١٠١ وكشف الأستار ٤/ ١٩٠.

(٢) سورة طه ١١٨.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٤/ ١٠٠.

(٤) مسند أحمد ٤/ ٥٧ (١٦٤٤٠) "ما بين منبري وبين بيتي روضة".

(٥) الروضة الفردوسية، ورقة ١٢ب.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) هو محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي المتوفى سنة ٥١٠هـ، مؤلف كتاب في الأمالي وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٧١ ومعجم المؤلفين ١٢/ ٥٢ مع مصادر ترجمته فيهما.

الأخرى: «ما بين قبري ومنبري»[1].

قال ابن خزيمة: أراد بقوله ما بين بيتي الذي أُقْبَرُ فيه، إذ النبي ﷺ قُبِرَ في بيته الذي كانت تسكنه عائشة.

قال الخطيب: فعلى هذا تُسامِتُ ـ يعني الروضة ـ حائط الحجرة من القبلة والشمال من جهة الحجرة، ولا تزال تقصر إلى جهة المنبر، أو توجد المسامتة مستوية، فلينظر؛ هذا كلام الخطيب.

قلت: فتلخص من ذلك ثلاثة آراء:

الأول: أنها المسجد الموجود في زمنه ﷺ.

الثاني: أنها ما سامَتَ المنبر والحجرة فقط، فتتسع من جهة الحجرة وتضيق من جهة المنبر لِمَا تقدَّم في مقداره، وتكون منحرفة الأضلاع لتَقَدُّم المنبر في جهة القبلة وتأخُّر الحجرة في جهة الشام، فتكون كشكل مثلث ينطبق ضلعاه على قدر المنبر.

الثالث: أنها ما سامت كلاً من طرفي الحدِّين، فتشمل ما سامتَ المنبر من مقدم المسجد في جهة القبلة وإنْ لم يسامت الحجرة، ويشمل ما سامتَ الحجرة من جهة الشمال وإنْ لم يسامت المنبر، فتكون مربعة، وهي الأروقة الثلاثة: رواق المُصَلَّى الشريف والرواقان بعده، وذلك هو مسقف مقدم المسجد في زمنه ﷺ، لأنه قد تحرر لنا في هذه العمارة التي أدركناها أنَّ صفَّ إسطوان الوُفود ـ وهي التي كانت إلى رحبة المسجد كما سيأتي ـ واقعٌ خلف الحجرة سواء، حتى إنَّ الإسطوانة التي تلي مربعة القبر في صفها الداخلة في الزور بعضها داخل في جدار الحجرة الشامي، كما سيأتي بيانه.

وأما أدلة هذه الأقوال فقد استدلَّ الريمي للأول بأشياء غالبها ضعيفٌ مبناه على أنَّ إطلاق الروضة من قبيل المجاز لما في ذلك من المضاعفة ونحوه، وأحسنها ما أشار إليه الخطيبُ ابن جملة وأيَّده الريمي بأشياء، فقال: قوله: «بيتي»

---

(١) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٦٦.

من قوله: «ما بين بيتي» مفرد مضاف، فيقيد العمومَ في سائر بيوته ﷺ، وقد كانت بيوته مُطِيفةً بالمسجد من القبلة والمشرق ـ وفيه بيت عائشة ـ والشام، كما سيأتي عن ابن النجار وغيره، ولم يكن منها في جهة المغرب شيء، فَعُرِفَ الحدُّ من تلك الجهة بالمنبر الشريف، فإنه كان في آخر جهة المغرب بينه وبين الجدار يسير، لأنَّ آخره من تلك الجهة الاسطوانة التي تلي المنبر، والمنبر على ترعة من ترع الجنة، فقد حدد الروضة بحدود المسجد كلها.

قلت: وهو مُفَرَّعٌ على ما ذكره ابن النجار في تحديد المسجد من جهة الغرب، وقد مشيت عليه في تواليفي قبل أنْ أقفَ على ما قدَّمته في حد المسجد، وقد مشى على ذلك الزين المراغي، فقال: ينبغي اعتقاد كون الروضة لا تختصُّ بما هو معروف الآن، بل تتسع إلى حدِّ بيوته ﷺ من ناحية الشام، وهو آخر المسجد في زمنه ﷺ، فيكون كله روضة، وهذا إذا فَرَّعنا على أن المفرد المضاف للعموم، وقد رجَّحَه في كتب الأصول جماعة، ثم ذكر ما تقدم[1].

قلت: وفاتهم[2] الجميع الاستدلال بحديث زوائد مسند أحمد المتقدم بلفظ: "ما بين هذه البيوت" يعني: بيوته "إلى منبري روضة من رياض الجنة"[3] والعجبُ أنَّ المعتنين بأمر الروضة لم يذكروه، مع أنَّ فيه غنية عن التمسك بكون المفرد المضاف يفيد العموم، فقد ناقش الصفي الكازروني في ذلك بأشياء: منها أنَّ رواية: "ما بين قبري ومنبري"، بَيَّنَتْ المراد من البيت المضاف.

قلت: ليته قال: رواية "ما بين المنبر وبيت عائشة"، لأنه يلزم عليه أنْ تكون الروضة بعرض القبر فقط، والتخصيصُ بذلك بعيد، ومن قال: إنَّ المراد من البيت القبر، ليس مراده والله أعلم؛ إلاَّ أنَّ رواية القبر لعدم إبهامها تعين البيت، ولعله مراد الصفي[4].

---

(١) تحقيق النصرة ٢٨.

(٢) كذا في الأصول، والفصيح: وفاتَ الجميع.

(٣) مسند أحمد ٤/ ٥٧ (١٦٤٣٧) مع زيادة: "والمنبر على ترعة من ترع الجنة".

(٤) أي: صفي الدين الكازروني.

ولهذا قال الطبري[1]: وإذا كان قبره ﷺ في بيته اتفقت معاني الروايات، ولم يكن بينها خلاف[2]، انتهى.

ولك أنْ تقول: رواية "قبري" ورواية: "حجرة عائشة" من قبيل إفراد فرد من العام، وذكره بحكم العام، وهو لا يقتضي التخصيص على الأصح، بل يقتضي الاهتمام بشأن ذلك الفرد، على أنَّ القرطبي قال: الرواية الصحيحة: "بيتي"، وَيُروى: "قبري"، وكأنه بالمعنى والله أعلم.

ومنها: أنَّ القرافي حمل إطلاق عموم اسم الجنس على ما يقع منه على القليل والكثير كالماء والمال، بخلاف ما لا يصدق إلاَّ على الواحد كالعبد والبيت والزوجة فلا يَعُمُّ، ولهذا لو قال: عبدي حرٌّ أو امرأتي طالق لا يعمُّ سائرعبيده ونسائه، قال: ولم أره منقولاً[3].

قلت: قال التاج السبكي: خالف بعض الأئمة في تعميم الجنس المعرف والمضاف، والصحيح خلافه، وفَصَلَ قومٌ بين أنْ يَصْدُقَ على القليل والكثير فَيَعُمّ، أو لا، واختاره ابن دقيق العيد، انتهى[4].

فقد جعل ما بحثه القرافي وجهاً ثالثاً مفصلاً، وذلك يأبى حمل إطلاق المُطْلِقين عليه، فما بحثه منقول، ولكنَّ الصحيح خلافه، وما استدلَّ به من عدم عموم: عبدي حرٌّ وامرأتي طالق، جوابه من أوجه ذكرناها في **دفع التعرض**[5]، وأحسنها ما أشار إليه الأسنوي: من أنَّ عدم العموم في ذلك لكونه من باب الإيمان، والإيمان يسلك فيها مسلك العرف[6]، انتهى.

ونقل الأزرقي في **نفائسه**[7] عن ابن عبد السلام أنه قال: الذي تبيَّن لي طَلاقُ

---

(١) يريد: محب الدين الطبري المكي.
(٢) **الشفا** للقاضي عياض ٢/ ٨٣.
(٣) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٦٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) هو كتاب **دفع التعرض والانكار** للسمهودي.
(٦) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٦٧.
(٧) هو علي بن أبي بكر اليماني الشافعي المعروف بابن الأزرق المتوفى سنة ٨٠٩هـ، مؤلف **نفائس**=

الجميع وعتق الجميع[1].

وفي كتب الحنابلة: نَصَّ أحمد على أنه لو قال من له زوجات أو عبيدٌ: زوجتي طالق، أو عبدي حرٌّ، ولم يَنوِ مُعَيَّناً وقع الطلاق والعتق على الجميع، تمسكاً بالقاعدة المذكورة، فقد جرى ابن عبد السلام والحنابلة على مقتضى ذلك، فهذه الطريق من أحسن الأدلة[2]، ولكنْ على شمول الروضة لِمَا بين المنبر والبيوت الشريفة فهو، رأي آخر.

وقد قدَّمنا من الحديث ما يُصَرِّح به، ويؤيده ما أشار إليه الريمي من أنَّه المقتضى لكون ذلك روضةً لكثرة تردده ﷺ فيه، وكان يُصَلِّي قبل تحويل القبلة في طرفه الذي يلي الشام، ومُتَهَجَّدُه ـ كما سيأتي ـ في جهة المشرق إلى الشام أيضاً، ومنبره الشريف في نهاية هذا الموضع المحدود من جهة المغرب، ومصَلَّاه الشريف بمقدمه وبه الأساطين الآتية ذوات الفضل.

وأما **الرأي الثاني**: فدليله التمسك بظاهر لفظ البينيّة الحقيقية، وحمل البيت على حجرة عائشة رضي الله عنها، ويضَعِّفُه أن مقدم المصلى الشريف يلزم خروجه عن اسم الروضة حينئذ، لخروجه عن موازاة طرفي المنبر والحجرة، مع أنَّ الظاهر أنَّ معظم السبب في كون ذلك روضة تشرفه بجبهته الشريفة، على أني لم أرَ هذا القول لأحد، وإنما أخذته من تردد الخطيب ابن جملة المتقدم.

وأما **الرأي الثالث**: فهو ظاهر ما عليه غالب العلماء وعامة الناس، ووَجْهُهُ حَمْلُ البيت على ما في الرواية الأخرى من ذكر حجرة عائشة، وجعل ما تقدم في أمر خروج مقدم المصلى الشريف دليلاً على أنَّ المراد من البينيّة ما حاذى واحداً من الطرفين، وأنَّ المراد مقدم المسجد المنتهي من جهة مؤخر الحجرة الشريفة لصف اسطوان الوفود ـ كما قدَّمناه.

= الأحكام، انظر: بروكلمان ١/ ٩١ ومعجم المؤلفين ٧/ ٤٤.

(١) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٦٧.

(٢) المصدر نفسه.

وفي كلام الأقشهري إشارة له، وهذا إنما علمناه في العمارة التي سنذكرها، ولم يكن معلوماً قبل ذلك.

ولهذا قال المجد في **الباب الأول في فضل الزيارة** من كتابه ما لفظه: "ثم يأتي" - يعني: الزائر - إلى الروضة المقدسة، وهي ما بين القبر والمنبر طولاً، ولم أرَ من تعرَّض له عرضاً، والذي عليه غلبة الظنون أنه من المحراب إلى الاسطوانة التي تُجاهَه، وأنا لا أوافق على ذلك، وقد بيَّنتُه في موضعه من هذا الكتاب، وذكرت أنَّ الظاهر من لفظ الحديث يقتضي أنْ يكون أكثر من ذلك، لأنَّ بيت النبي ﷺ بجميع مرافق الدار كان أكثر من هذا المقدار[1]، انتهى.

ولم يذكر في الموضع الذي أحال عليه شيئاً.

وقوله: «من المحراب إلى الاسطوانة التي تُجاهه»، كأنه يريد به الاسطوان المخلَّق وما حاذاها، فتكون الروضة على ذلك التقدير الرواق الأول منها فقط، وهو غلط، لأنَّ الحجرة الشريفة متأخرة عن ذلك لجهة الشام، وصَفُّ الاسطوان المذكور مُحاذٍ لطرف جدارها القبلي.

وقال ابن جماعة: قد تحرر لي طول الروضة ولم يتحرر لي عرضها.

يريد: أنَّ طولها من المنبر إلى الحجرة، وهو كما قال ابن زبالة: ثلاثة وخمسون ذراعاً وشبراً.

وقال في موضع آخر: أربعة وخمسون ذراعاً وسدس.

قلت: وما ذكره أولاً أقربُ إلى الصواب، كما اختبرناه، فإني ذرعتُ بحبلٍ من صفحة المنبر القبلية إلى طرف صفحة الحجرة القبلية فكان ثلاثة وخمسين ذراعاً.

وذكر ابن جماعة ذرعاً أقل من هذا، وكأنه ذَرَعَ على الاستقامة، ولم يعتبر الذَّرعَ من الطرفين المذكورين، فقال: وذرعت ما بين الجدار الذي حول الحجرة الشريفة وبين المنبر فكان أربعاً وثلاثين ذراعاً وقيراطاً بذراع العمل.

---

(١) **المغانم المطابة** ص٦٠.

قلت: وذلك نحو اثنين وخمسين ذراعاً بذراع اليد الذي قدمناه تحريره، وأما قول من قال: «إنَّ طول الروضة اليوم ينقص عن خمسين ذراعاً بثلثي ذراع» فلا وجه له إلا أنْ يكون اعتبر بذراع اليد المفرط الطول، والله اعلم.

وأما نهاية الحجرة فلم تكن معلومة لابن جماعة وغيره، وعليها يتوقف بيان الغرض، ولهذا قال الريمي: لا ندري الحجرة في وسط البناء المحيط بها أم لا؟ ولا ندري إلى اين ينتهي امتدادها؟ وغالب الناس يعتقدون أنَّ نهاينها في محاذاة اسطوان علي رضي الله عنه، ولهذا جعلوا الدرابزين الذي بين الأساطين ينتهي إلى صفها، واتخذوا الفرش لذلك فقط، والصواب ما قدَّمناه، فقد انجلى الأمر ولله الحمد.

الفصل السابع
في الأساطين المنيفة

منها: الإسطوان الذي هو عَلَم على المُصَلَّى الشريف، ويُعرف بالمُخَلَّق، وقد قدمنا قول ابن زبالة: المُخَلَّق نحو ثلثيها «وقول ابن القاسم: إنَّ المصلى الشريف حيث[1] الاسطوان المُخَلَّق» وبيّنا أنَّ المراد أنها أقربُ إسطوان إليه، وأنَّ الجذع الذي كان يخطب إليه ﷺ ويتكيء عليه كان هناك، وأنَّ الإسطوان الموجود اليوم متقدم على المحل الأول، وأنَّ المحل الأصلي هو موضع كرسي الشمعة التي عن يمين الإمام الواقف في المصلى الشريف، فمن أراد التبرك بذلك فليُصَلِّ هناك.

وروى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد أنه كان يأتي مع سلمة بن الأكوع إلى سُبْحَة الضحى[2]، فيعمد إلى الاسطوان دون المصحف فيصلي قريباً منهما، فأقول: ألا تصلي ها هنا؟ وأشير له إلى بعض نواحي المسجد، فيقول: إني رأيت رسول الله ﷺ يَتَحَرَّى هذا المقام[3].

وهذا الحديثُ في **الصحيحين**، ولفظ البخاري: «كنت آتي مع سَلَمة بن الأكوع، فيصلي عند الاسطوان التي عند المصحف، فقلت: يا أبا سلمة أراك تتحرى الصلاة عند هذه الإسطوانة، قال: فإني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها»[4].

---

(١) ص: حيث إن.

(٢) سبحة: نافلة، انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٣١.

(٣) نقلاً من المغانم المطابة ص١٥٥.

(٤) فتح الباري ١/ ٥٧٧ والمعجم المفهرس ٣/ ٢٦١ وصحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٤٦٦.

ولفظ مسلم عن سلمة: أنه كان يتحرى موضعَ مكان المصحف يسبح فيه[1] «وذكر أن النبي ﷺ كان يتحرى ذلك»، وقد قدمنا في الكلام على المصلى الشريف ما يبين أنَّ المراد هذه الإسطوانة.

ومنها: **إسطوان القُرعَة**: وتُعرف بإسطوان عائشة رضي الله عنها، وبالإسطوان المُخَلَّق أيضاً، وبإسطوان المهاجرين[2].

روينا في كتاب ابن زبالة عن إسماعيل بن عبد الله عن أبيه: أنَّ عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وثالثاً كان معهما دخلوا على عائشة رضي الله عنها فتذاكروا المسجد، فقالت عائشة: إني لأعلم ساريةً من سَواري المسجد لو يعلم الناس ما في الصلاة إليها لاضطربوا عليها بالسُّهْمَان[3].

فخرج الرجلان وبقي ابن الزبير عند عائشة، فقال الرجلان: ما تَخَلَّف إلاَّ ليسألها عن السارية، ولئن سألها لتخبرنَّه، ولئن أخبرته لا يُعلمنا، وإنْ أخبرته عَمِدَ لها إذا خرج فصلَّى، فاجْلِسْ بنا مكاناً نراه ولا يرانا، ففعلا[4]، فلم ينشب أنْ خرج مسرعاً فقام إلى هذه السارية فصلى إليها متيامناً إلى الشق الأيمن منها، فعُلِمَ أنها هي، وسُمِّيتْ: إسطوانة عائشة بذلك، وبلغنا أنَّ الدعاء عندها مستجاب، هذا لفظ ابن زبالة[5].

وفي **الأوسط** للطبراني عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «إنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ في مسجدي لبقعة قبل هذه الإسطوانة لو يعلم الناسُ ما صَلّوا فيها إلاَّ أنْ تطير لهم قُرعة، وعند عائشة جماعة من أبناء الصحابة، فقالوا: يا أمَّ المؤمنين وأين هي؟ فاستعجمت عليهم، فمكثوا عندها ساعة ثم خرجوا وثبت عبد الله بن الزبير، فقالوا: إنها ستخبره بذلك المكان، فارقبوه في المسجد حتى تنظروا حيث

---

(١) صحيح مسلم: صلاة ٢٦٣ وصحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٤٦٥.
(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٨ والمغانم المطابة ص١٥٥ والتعريف للمطري ٣١.
(٣) أي: بالاقتراع، والخبر في المغانم المطابة ص ١٥٤ وانظر: التعريف للمطري ٣١.
(٤) ش، ص: ففعل.
(٥) بالنص في المغانم المطابة ص١٥٤ ـ ١٥٥.

يصلي، فخرج بعد ساعة فصلى عند الإسطوانة التي صلى إليها عامر بن عبد الله بن الزبير، فقيل لها إسطوانة القرعة[1].

قال عتيق[2]: وهي الإسطوانة التي واسطة بين القبر والمنبر عن يمينها إلى المنبر اسطوانتان، وبينها وبين القبر اسطوانتان، وبينها وبين الرحبة اسطوانتان، وهي واسطة بين ذلك، وهي تسمى إسطوانة القرعة؛ هذا لفظ **الأوسط**[3].

وقال ابن زبالة: حدثني غير واحد من أهل العلم: منهم الزبير بن حبيب: أنَّ الإسطوان التي تدعى إسطوان عائشة هي الثالثة من المنبر، والثالثة من القبر، والثالثة من القبلة[4]، والثالثة من الرحبة، أي: قبل زيادة الرواقين الآتي ذكرهما، المتوسطة للروضة، أنَّ النبي ﷺ صَلَّى إليها بضع عشرة المكتوبة، ثم تقدَّم إلى مُصَلَّاه الذي وُجَاه المحراب في الصف الأوسط؛ أي: الرواق الأوسط، وأنَّ أبا بكر وعمر والزبير بن العوام وعامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها، وأنَّ المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها، وكان يقال لذلك المجلس: مجلس المهاجرين[5]، انتهى.

وقد ذكر ابن النجار هذه الرواية عن الزبير بن حبيب، وزاد: قالت عائشة فيها: لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالسهمان، فسألوها عنها فأبت أنْ تسمِّيها، فأصغى إليها ابن الزبير فسارَّته بشيء، ثم قام فصلَّى إلى التي يقال لها: إسطوان عائشة، قال: فظنَّ من معه أنَّ عائشة أخبرته أنها تلك الإسطوانة، فسمِّيت: إسطوان عائشة[6].

قال: وأخبرني بعض أصحابنا عن زيد بن أسلم، قال: رأيت عند تلك

---

(١) كتاب المناسك للحربي ٤٠٤ ـ ٤٠٥ ومجمع الزوائد للهيثمي ٤/ ١٠ (مكتبة القدسي).

(٢) هو عتيق بن يعقوب شيخ الزبير بن بكار، أحد رواة الخبر كما يظهر في كتاب المناسك للحربي ٣٥٠ ـ ٣٥١، ٤٠٤، ٤٠٥.

(٣) الخلاصة ٢٣٩.

(٤) والثالثة من القبلة سقطت من ص.

(٥) انظر: الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٨، والمغانم المطابة ص١٥٥.

(٦) المصدر نفسه.

الاسطوانة موضع جبهة النبي ﷺ ثم رأيت دونه موضع جبهة أبي بكر ثم رأيت دون موضع جبهة أبي بكر موضع جبهة عمر، ويقال: الدعاء عندها مستجاب[1].

هذا لفظ رواية ابن النجار عقب ما قدمناه من رواية ابن زبالة، وزاد في ما ذكره ابن زبالة عقبَ قوله: إنَّ النبي ﷺ صَلَّى إليها المكتوبة بضعَ عشرة ثم تقدَّم إلى مُصَلَّاه اليوم» ما لفظه: وكان يجعلها خلف ظهره[2].

قلت: ولم أره في كلام غيره، والظاهر أنَّ مراده: أنَّ النبي ﷺ كان يستند إليها إذا جلس هناك؛ لا أنه يجعلها خلف ظهره إذا صَلَّى، لِمَا ذكره عن زيد بن أسلم من: أنه رأى موضع جبهة النبي ﷺ عندها، ووصف هذه الإسطوانة بالمُخَلَّقة، يؤخذ مما تقدم عن ابن زبالة من قول أبي هريرة: «وكان مُصَلَّاه ﷺ الذي يُصَلِّي فيه بالناس إلى الشام من مسجده، أن تضع موضع الاسطوان المخلقة خلف ظهرك ثم تمشي إلى الشام»[3] إلى آخر ما تقدَّم.

قلت: وهذه الإسطوان بصفِّ الأساطين التي خلف الإمام الواقف بالمُصَلَّى الشريف، وهي الثالثة من القبلة، وكانت الثالثة أيضاً من رحبة المسجد كما تقدَّم، وذلك قبل أنْ يُزاد في مسقف مقدم المسجد الرواقان ـ الآتي بيانهما ـ في رحبته، وبهما صارت خامسة من الرحبة[4].

ومنها: **إسطوان التوبة**: وتُعرف بإسطوان أبي لُبابة بن عبد المنذر أخي بني عمرو بن عوف الأوسي، أحد النقباء، واسمه: رفاعة، وقيل: غير ذلك[5]، سُمِّيت به لأنه ارتبط إليها حتى أنزل الله توبته، كما قدَّمناه في غَزْوَة بني قُرِيظَة.

وقال الأقشهري: اختلف أهل السير والتفسير في ذنب أبي لبابة، فقال قوم: كان من الذين تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك[6].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه والروضة الفردوسية ورقة ١٦أ ـ ب..

(٣) كتاب المناسك للحربي ٣٦٠ وتحقيق النصرة للمراغي ٥٨.

(٤) التعريف للمطري ٣١ والمغانم المطابة ص١٥٥.

(٥) الإصابة لابن حجر ٤/١٦٨ والاستيعاب في الحاشية، فقد ذكرا له أكثر من اسم.

(٦) الروضة الفردوسية ورقة ١٦٦ب: وأبو لبابة هو بشير بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي، ومثله في=

وقال ابن هشام ـ تبعاً لابن إسحاق ـ: سببه قضية قُريظة واستشارتهم إياه[1].

وأسند يحيى عن عبد الرحمن بن يزيد قصته معهم، وأنهم قالوا له: أننزلُ على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، وهو الذبح.

وفي رواية أخرى: أنه لما جاءهم، قام إليه الرجال، وأجهَشَ إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فَرَقَّ لهم[2]، فكان منه ما تقدم.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قَدَمَايَ حتى علمت أني خُنْتُ الله ورسوله[3].

قال يحيى في الرواية المتقدمة: فلم يرجع إلى النبي ﷺ ومضى إلى المسجد وارتبط إلى جِذْعٍ في موضع اسطوانة التوبة، وأنزل الله عزَّ وَجَلَّ فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

وفي رواية: فربط نفسه في السارية، وحلفَ لا يَحِلُّ نفسَه حتى يَحلَّهُ رسولُ الله ﷺ أو تنزل توبته، قال: فجاءت فاطمة رضي الله عنها تحله، فقال: لا! حتى يحلني رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: إنما فاطمة بضْعَةٌ مني[5].

وفي رواية لابن النجار: أنَّ أبا لُبابة عاهد الله تعالى أنْ لا يَطَأَ بني قريظة أبداً، وقال: لا يراني اللـه في بلدٍ خنت الله ورسوله أبداً، وأنَّ النبي ﷺ قال لما بلغه خبره ـ وكان قد استبطأه ـ: أما لو جاءني لاستغفرت الله له، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أُطْلِقُه من مكانه حتى يتوب الله عليه «فأُنْزِلَت توبته ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة، قالت: فسمعت رسول الله ﷺ من السَّحَر يضحك، فقلت: مِمَّ تضحك أضحَكَ اللهُ سِنَّك؟ قال: تِيبَ على أبي لُبابة، قلت: ألا أُبَشِّره بذلك يا رسول الله» قال: بلى إنْ شِئتِ، فقامت على بابِ حجرتها قبل أنْ يُضربَ

= السيرة النبوية ١/ ٤٣٢، ٥٤٤ والتعريف ٣١ وتحقيق النصرة ٥٩.

(١) السيرة النبوية ١/ ٦٨٦ والدرة الثمينة ٢/ ٣٦٧.

(٢) المصدران نفسهما.

(٣) المصدران نفسهما.

(٤) سورة الأنفال ٢٧.

(٥) نقلاً من المغانم المطابة ص١٥٦.

عليهنَّ الحجابُ فقالت: يا أبا لُبابة أبشِرْ فقد تاب الله عليك، قال: فثار الناسُ إليه ليطلقوه، قال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يُطْلِقُني بيده، فلما مَرَّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه[1].

وروى البيهقي في **الدلائل** عن سعيد بن المسيب قصة أبي لُبابة في بني قريظة، وأنه تَخلَّف في غزوة تبوك، فلما قَفَل رسول الله ﷺ جاءه يُسلِّمُ عليه، فأعرض عنه، فَفَزِعَ أبو لُبابة، فارتبط بسارية التوبة التي عند باب أم سلمة زوج النبي ﷺ سبعاً؛ بين يومٍ وليلةٍ في حَرٍّ شديدٍ، لا يأكل فيهن ولا يشربُ قَطْرَةً[2].

وروى مالك بن أنس عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم: أنَّ أبا لبابة ارتبط إليها بسلسلة ربوض ـ والربوض: الثقيلة ـ بِضعَ عشَرَةَ ليلةً، حتى ذهب سمعه فما يكاد يسمع، وكاد بصره يذهب، وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة، وإذا أرادَ أنْ يذهبَ لحاجته حتى يفرغَ، ثم تأتي به فتردَّه إلى الرباط[3] كما كان[4].

وأورد الزمخشري قصة أبي لُبابة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ... الآية﴾[5]، وقال فيها: قال أبو لبابة: فما زالت قدمايَ حتى علمت أني قد خُنْتُ الله ورسولـه، فنزلت الآية المتقدمة، فشَدَّ نفسَهُ على سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموتَ أو يتوبَ اللهُ عَلَيَّ، فمكث سبعة أيام حتى خَرَّ مغشيّاً عليه، ثم تاب الله عليه[6].

وذكر في القصة: أنَّ النبي ﷺ جاءه فَحَلَّه، فقال: إنَّ من تمام توبتي أنْ أهجر دارَ قومي التي أَصَبْتُ فيها الذنبَ، وأنْ أنخلع من مالي، فقال عليه السلام: «يُجْزِئُكَ الثلثُ أن تتصدق به»[7].

---

(١) الدرة الثمينة ٢/٣٦٨ ودلائل النبوة للبيهقي ٤/١٧.
(٢) دلائل النبوة ٤/١٦، ٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧١.
(٣) بالنص في الاستيعاب ٤/١٦٨ عن ابن وهب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر.
(٤) نقلاً من الدرة الثمينة ٢/٣٦٨ لأنَّ «كما كان» لا تظهر في الاستيعاب وإنما هو من كلام ابن النجار.
(٥) سورة الأنفال ٢٧.
(٦) الكشاف للزمخشري ٢/١٥٣ ـ ١٥٤.
(٧) الموطأ ٢٠٧ والاستيعاب ٤/١٦٩ ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٧١.

ونقل ابن النجار عن إبراهيم بن جعفر: أنَّ السارية التي رُبِطَ إليها ثمامة بن أثال الحنفي[1] هي السارية التي ارتبط إليها أبو لُبابة[2].

ونقل ذلك أيضاً[3] ابن شَبَّة[4].

وروى البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ . . . الآية﴾[5] قال: كانوا عشرة[6] رَهْطٍ تَخَلَّفـوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك، فلما حضر رجوع النبي ﷺ أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسواري المسجد، فلما رآهم النبي ﷺ قال: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: هذا أبو لُبابة وأصحابٌ له تَخَلَّفُوا عنك... الحديث، وفيه توبة الله عليهم وأنه ﷺ أرسل إليهم وأطلقهم[7].

وروى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله بن المهاجر عن محمد بن كعب: أنَّ النبي ﷺ كان يصلي نوافله إلى إسطوانة التوبة[8].

وفي رواية له عن عمر بن عبد الله ـ لم يذكر ابن كعب ـ: أنه قال في إسطوان التوبة: كان أكثر نافلة النبي ﷺ إليها، وكان إذا صلَّى الصبح انصرف إليها، وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين وأهل الضرِّ وضيفان النبي ﷺ والمؤلفة قلوبهم ومن لا مبيت لهم إلا في المسجد، قال: وقد تحلَّقوا حولها حلقاً بعضها دون بعض، فينصرف إليهم من مُصَلَّاه من الصبح فيتلوا عليهم ما أنزل الله عليه من ليلته، ويحدِّثهم[9] ويحدثونه، حتى إذا طلعت الشمسُ جاء أهلُ الطَّول والشرف والغنى، فلم يجدوا إليه مجلساً[10]، فَتَاقَت أنفسهم إليه وتاقت نفسه إليهم، فأنزل الله

---

(١) فتح الباري ٨/ ٨٧.
(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٨ وعن حديثه انظر: جامع الأصول ٩/ ١١٤ ـ ١١٦.
(٣) ص: أيضاً عن ابن شبة.
(٤) تاريخ المدينة ٢/ ٤٣٨.
(٥) سورة التوبة ١٠٢.
(٦) ص: عشر.
(٧) دلائل النبوة ٥/ ٢٧٢.
(٨) المغانم المطابة ص١٥٦ وتحقيق النصرة ٥٩ كلاهما عن ابن زبالة.
(٩) المصدر نفسه عن ابن زبالة أيضاً.
(١٠) في المغانم المطابة ص١٥٥: «مخلصاً».

تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ . . .﴾[١] إلى منتهى الآيتين[٢].

فلما نزل ذلك فيهم قالوا: يا رسول الله اطْرُدْهُم عنا، ونكون نحن جلساءك وإخوانك ولا نفارقك، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[٣]، إلى منتهى الآيتين.

وفي العتبيّة عن مالك وَصفُ إسطوان التوبة بالمُخَلَّقة، وقد قدَّمنا في الكلام على المُصَلَّى الشريف ما ذكره ابن زبالة من خلوقها وخلوق غيرها من الأساطين.

وروى ابن زبالة خبر مالك بن أنس المتقدم عن عبد الله بن أبي بكر بنحو ما تقدَّمَ، وقال فيه: وهي الاسطون المُخَلَّق نحو من ثلثيها، تُدْعَى: اسطوان التوبة، منها حَلَّ رسول الله ﷺ أبا لُبابة حين نزلت توبته، وبينها وبين القبر إسطوان.

وأسند أيضاً عن ابن عمر: أنه كان يقول في الإسطوان التي ارتبط إليها أبو لُبابة: هي الثانية من القبر، وهي الثالثة من الرحبة.

قلت: كانت الثالثة قبل تجدد الإسطوانتين المشار إليهما في إسطوانة القُرعَة بسبب تجدد الرواقين، الآتي ذكرهما، وهذه الإسطوانة إلى جانب الاسطوانة المتقدم ذكرها من جهة المشرق، فهي الرابعة من المنبر، والثانية من القبر، والثالثة من القبلة، والخامسة في زماننا من رحبة المسجد، وفيها اليوم هيئة محراب من الجصَّ تتميز به عن سائر الأساطين، لكنه أُزيلَ في الحريق الثاني.

وفهم البدر ابن فرحون من رواية ابن عمر المتقدمة: أنها التي تلي هذه الإسطوانة في جهة المشرق، وهي اللاصقة بالشباك اليوم كما سيأتي، فقال: إنَّ اسطوان التوبة هي اللاصقة بالشباك، على ما قاله عبد الله بن عمر، وتبعه مالك بن أنس، وما قيل إنها غيرها فغلط أوجبه أشياء يطول ذكرها[٤]، انتهى كلامه.

---

(١) سورة الكهف ٢٨.
(٢) بالنص في **المغانم المطابة** ص١٥٥ ـ ١٥٦.
(٣) سورة الأنعام ٥٢.
(٤) **نصيحة المشاور** ورقة ٣أ.

قلت: بل الصواب ما قدمناه في بيانها، ومنشأ ما فهمه عَدُّهُ للاسطوانة اللاصقة بجدار القبر، فحمل قول ابن عمر أنها الثانية من القبر، وقول مالك: بينها وبين القبر اسطوان على الإسطوانة اللاصقة بالشباك اليوم، وقد علم من كلامهم في إسطوان القرعة أنهم لا يعدُّون اللاصقة بجدار القبر لما تقدم من قولهم فيها: إنها الثالثة من المنبر والثالثة من القبر، ولو عدُّوا اللاصقة بجدار القبر لكانت الرابعة من القبر.

وأيضاً فاللاصقة بجدار القبر أَحْدَثَها عمرُ بن عبد العزيز، ولم يُدرك ذلك ابن عمر.

وأوضح من ذلك أنَّ ابن زبالة قال: إنَّ بين اسطوان التوبة وبين جدار القبر الشريف عشرين ذراعاً، وقد اعتبرتُ ذلك من الإسطوانة التي ذكرناها فكان كذلك[1].

وقال أيضاً في ما قدَّمناه عنه: إنَّ ذَرعَ ما بين مُصَلَّى النبي ﷺ وبينها سبع عشرة ذراعاً، وقد قدمنا في المُصَلَّى الشريف ما يقتضي صحة ذلك عند اختبارنا لما بينهما مع بيان أنَّ المُصَلَّى الشريف في طرف الحفرة الذي[2] يلي المغرب، وإنَّ جَعْلَ المصلى الشريف على تلك الهيئة حادث.

وفي نسخة من ابن زبالة: «تسع عشرة ذراعاً» بتقديم التاء، فإنْ صَحَّتْ[3] فقد علمتَ أنه لم يكن المصلى الشريف في عهد ابن زبالة على هذه الهيئة[4]، بل كانت الأرض مستوية، وكأنه[5] اعتبر الذراع من ابتداء طرف المصلى الشريف الغربي، ومنه إلى الاسطوان المذكور تسع عشرة ذراعاً بتقديم التاء، وأما ذَرعُ ما بين المصلى الشريف والاسطوانة التي يعنيها البدر فخمس وعشرون ذراعاً، فلا يَصِحُّ إرادتها بوجه.

---

(١) تحقيق النصرة ٥٩.

(٢) خ: التي.

(٣) يريد: فإن كانت هذه القراءة صحيحة ولم تكن وهماً من الناسخ.

(٤) ص: الهيئات.

(٥) خ: فكانه.

وأسند ابن زبالة ويحيى في بيان معتكف النبي ﷺ عن ابن عمر: «أنَّ النبي ﷺ كان إذا اعتكف طُرِحَ له فراشه وَوضِعَ له سريرٌ وراء إسطوانة التوبة»[(١)].

وروى ابن ماجه عن نافع: أنَّ ابن عمر أراهُ المكانَ الذي كان يعتكف فيه رسول الله ﷺ[(٢)].

ثم روى عن نافع عن ابن عمر: أنه ﷺ: كان إذا اعتكف طُرِحَ له فراشه ووضع له سرير وراء اسطوانة التوبة[(٣)].

قال البدر ابن فرحون: ونقل الطبراني في **معجمه** عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ ذلك مما يلي القبلة: يستند إليها[(٤)].

قلت: ورواه البيهقي بسند حسن، ولفظه أنَّ رسول الله ﷺ: «كان إذا اعتكف يُطرَحُ له فراشه أو سريره إلى اسطوانة التوبة مما يلي القبلة يستند إليها»[(٥)].

ونقل عياض عن ابن المنذر: أنَّ مالك بن أنس كان له موضع في المسجد، قال: وهو مكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو المكان الذي كان يوُضَعُ فيه فراش رسول الله ﷺ إذا اعتكف، كذا قال الأويسي[(٦)].

ومنها: إسطوان السرير: أسند ابن زبالة ويحيى في بيان معتكف النبي ﷺ عقب ذكر ما تقدم من وضع فراشه وسريره وراء إسطوان التوبة، عن محمد بن أيوب، أنه: «كان للنبي ﷺ سرير من جَريد فيه سَعَفُهُ يوضَع بين الإسطوان التي تُجاه القبر وبين القناديل، كان يضطجع عليه رسول الله ﷺ»[(٧)].

---

(١) صحيح ابن خزيمة ٣/ ٣٥٠.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٥٦٤: «قال نافع: وقد أراني عبد الله بن عمر المكان الذي يعتكف فيه رسول الله ﷺ».

(٣) المصدر نفسه والتعريف للمطري ٣١ وتحقيق النصرة ٥٩.

(٤) نصيحة المشاور ورقة ٤أ، وانظر: تحقيق النصرة ٥٩.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٢٤٧ والخلاصة ٢٤١.

(٦) نقلاً من نصيحة المشاور ورقة ٤أ، والأويسي: هو عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى الأويسي القرشي المدني، من شيوخ البخاري المتوفى بعد سنة ٢٢٠هـ، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٨٩ مع مصادر ترجمته.

(٧) نصيحة المشاور ورقة ٤ب والتعريف للمطري ٣١ وتحقيق النصرة للمراغي ٥٩: "طرح له فراشه ووضع له سريره وراء اسطوانة التوبة".

قلت: وهذه الإسطوانة هي اللاصقة بالشباك اليوم في شرقي اسطوان التوبة، وابن فرحون يجعلها إيَّاها ـ كما تقدَّم ـ.

ويؤيده ما تقدم في اسطوان التوبة من أنَّ سريره ﷺ كان يوضع إليها، إلاَّ أنْ يُجاب بأنه كان يوضع مرةً عند هذه ومرةً عند تلك، بدليل أنه تقدم في اسطوان التوبة: أنَّ وضعَ ذلك كان مما يلي القبلة يستند إليها.

وذكر في هذه أنه: كان يوضع بينها وبين القناديل؟ وذلك من جهة شرقيها.

وقال البدر بن فرحون: روينا بالسند الصحيح إلى ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ: كان إذا اعتكف يُطْرحُ له وِسادة، ويوضع له سرير من جريد فيه سَعَفُهُ؛ يوضع له في ما بين الاسطوان التي وُجَاه القبر الشريف وبين القناديل، وكان رسول الله ﷺ يضطجع عليه[1].

قال أبو وجزة السعدي[2]، وهو يذكر السرير ويمتدح آل الزبير لقرب مجلسهم منه:

وإذا غَـدا آل الـزبيـر غـدا النـدى وإذا انتَـدَى فـإليهـمُ مـا ينتَـدِي

وإذا هُـمُ راحـوا فـإنهـمُ هُـمُ أهلُ السرير وأهل صدر المسجد[3]

ومنها: **إسطوان المحرس**: وتسمى اسطوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4].

قال يحيى: حدثنا موسى بن سلمة، قال: سألت جعفر بن عبيد الله بن الحسين عن إسطوان علي بن أبي طالب، فقال: إنَّ هذه المحرس كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلي القبر مما يلي باب رسول الله ﷺ يَحْرُسُ النبي ﷺ.

---

(١) نصيحة المشاور ورقة ٤ب.

(٢) هو أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي.

(٣) نقلاً من نصيحة المشاور ورقة ٤ب ـ ٥أ.

(٤) التعريف ٣١ والمغانم المطابة ١٥٦.

قال الجمال المطري، وتبعه مَن بعده: وهو مقابل الخوخة التي كان النبي ﷺ يخرج منها إذا كان في بيت عائشة إلى الروضة للصلاة، وهي خلف اسطوان التوبة من جهة الشمال[١].

قلت: هي الإسطوان التي يصلي عندها أمير المدينة؛ يجعلها خلف ظهره، ولذا قال الأقشهري: إنَّ اسطوان مُصَلَّى علي كرَّم الله وجهه اليوم أشهر من أنْ تخْفَى على أهل الحرم، ويقصد الأمراء الجلوس والصلاة عندها إلى اليوم، وذكر أنه كان يقال لها مجلس القلادة لشرف من كان يجلس فيه، وذلك إنما هو في اسطوان الوفود[٢] كما سيأتي.

ومنها: **اسطوان الوفود**: قال المطري: هي خلف إسطوان المحرس من جهة الشمال، كان رسول الله ﷺ يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته وكانت مما يلي رحبة المسجد قبل أنْ يزاد في السقف القبلي الرواقان وكانت تُعرف بمجلس القلادة يجلس إليها سروات الصحابة وأفاضلهم رضوان الله عليهم[٣].

وقال الأقشهري ـ ومن خطه نقلتُ ـ: «وأما الإسطوان الذي كان يجلس إليها ﷺ لوفود العرب إذا جاءته»، فقال: «إذا عَدَدْتَ الإسطوان التي فيها مقام جبريل عليه السلام كانت هي الثالثة»[٤]، انتهى.

وكأنه سقط من خطه فاعل "فقال"، وقد أخذه من **تحفة** ابن عساكر؛ وقد رأيت في نسخة معتمدة منها موضع بياض بعد فقال[٥].

وهذا مطابق لما تقدم عن المطري، لأنَّ الإسطوان التي فيها مقام جبريل هي

---

(١) التعريف ٣١: «وخلفها من جهة الشمال اسطوانة الوفود».
(٢) الروضة الفردوسية ورقة ١٦ب وتحقيق النصرة ٦٠ والتعريف ٣١.
(٣) التعريف ٣١ والمغانم المطابة ١٥٦.
(٤) الروضة الفردوسية ورقة ١٦ب.
(٥) في الروضة الفردوسية ورقة ١٦ب: «والاسطوان التي كان يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته، قال إذا عددت الاسطوان التي فيها مقام جبريل عليه السلام كانت هي الثالثة»، فالأقشهري لم يذكر: «فأما» وليس في نسختنا المصورة بياض بعد «قال» ولكن المراد يُفهم مما أورده قبل هذا من أنه يريد اسطوانة الوفود.

مربعة القبر[1] ـ كما سيأتي ـ وبينها وبين إسطوان الوفود المذكورة إسطوان.

وقال ابن زبالة: حدثنا غيرُ واحدٍ من أهل العلم منهم عبد العزيز بن محمد: أنَّ الإسطوان التي إلى الرحبة التي في صف إسطوانة التوبة بينها وبين إسطوانة التوبة مصَلَّى علي بن أبي طالب، وأنه المجلس الذي يقال له: مجلس القلادة، كان يجلس فيه سَرَاةُ الناسِ قديماً[2].

وأورده المجد، وزاد في آخره: وإنما سُمِّيَ: القلادة، لشرف من كان يجلس إليها من بني هاشم وغيرهم[3].

ومنها: اسطوان مربعة القبر: وسيأتي أنه يقال لها أيضاً: إسطوان مقام جبريل عليه السلام، وقد تقدم في ما نقله الأقشهري في اسطوان الوفود ما يشهد له.

وأسند ابن زبالة ويحيى عن سليمان بن سالم عن مسلم بن أبي مريم[4] وغيره: كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ في المربعة التي في القبر[5].

قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنس حظك من الصلاة إليها، فإنها باب فاطمة رضي الله عنها، الذي كان علي يدخل عليها منه[6].

قلت: وهي في حائز عمر بن عبد العزيز عند منحرف الصفة الغربية منه إلى جهة الشمال، في صَفِّ اسطوان الوفود، بينهما الإسطوانة اللاصقة بالشباك، التي شرقي إسطوان الوفود، وسيأتي لها مزيد بيانٍ إنْ شاء الله تعالى.

ومن فضلها ما أسنده يحيى عن أبي الحمراء[7]، قال: شهدتُ رسولَ الله ﷺ أربعين صباحاً يجيء إلى باب علي وفاطمة وحَسَن وحُسين حتى يأخذ

---

(1) **التعريف** ٣١ والمغانم المطابة ١٦٥.
(2) المصدر نفسه و**المغانم المطابة** ص ١٥٦.
(3) المصدر نفسه.
(4) ترجم له البسوي في كتاب **المعرفة والتاريخ** ١/ ٦٦١ ترجمة قصيرة قال فيها: "ذكر مالك بن أنس مسلمَ بن أبي مريم فأحسن الثناء عليه".
(5) **المغانم المطابة** ص ١٥٦.
(6) المصدر نفسه.
(7) هو هلال بن الحارث وقيل هلال بن ظفر مولى النبي ﷺ، **الإصابة** ٤/ ٤٦.

بعضادتي الباب ويقول: السلام عليكم أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وفي رواية له: رابطتُ بالمدينة سبعة أشهرٍ كيومٍ واحدٍ، وكان رسول الله ﷺ يأتي بابَ عليٍّ كُلَّ يوم فيقول: الصلاةَ، الصلاة، الصلاة، ثلاث مرات: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

وقد حُرِمَ الناسُ الصلاةَ إلى هذه الاسطوان لإدارة الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وغلق أبوابه.

ومنها: إسطوان التهجُّد: أسند يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ يُخْرِجُ حَصِيراً كُلَّ ليلةٍ إذا انكفتَ الناس، فيُطْرَحُ وراء بيت عليٍّ، ثم يُصَلِّي صلاةَ الليل[3]، فرآه رجل فَصَلَّى بصلاته، ثم آخر فصلى بصلاته، حتى كثروا، فالتفتَ رسول الله ﷺ فإذا بهم، فأمر بالحصير فَطُوِيَ ثم دخَلَ[4].

فلما أصبح جاءوه فقالوا: يا رسولَ الله، كنتَ تصلِّي الليل فنصلي بصلاتك، فقال: إني خَشِيتُ أنْ تَنْزِلَ عليكم صلاة الليل ثم لا تقوون عليها[5].

قال عيسى بن عبد الله: وذلك موضع الإسطوان التي على طريق باب النبي ﷺ مما يلي الزور[6]؟.

قلت: صَحَّفَ بعضهم هذه اللفظة، فقال: مما يلي الدُور[7].

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣، والأثر في المعجم الكبير للطبراني ٧/ ١٢٧؛ ٢٢/ ٢٠٠ والاستيعاب ٤/ ٤٦ ومجمع الزوائد ٩/ ١١٢ وكتاب الكنى للبخاري (ملحق بالجزء ٤ من التاريخ الكبير) ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) المستدرك للحاكم ٣/ ١٥٨ والمصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٥٢٧ والدرة الثمينة ٢/ ٣٥٩ وأورد الأقشهري خبراً شبيهاً بهذا عن أنس في الروضة الفردوسية ورقة ١٩أ والكامل لابن عدي ٥/ ١٩٨.

(٣) الروضة الفردوسية ورقة ١٩أ نقلاً من كتاب المدينة ليحيى العلوي وانظر: تحقيق النصرة ٧١ عن ابن النجار، والدرة الثمينة ٢/ ٣٦٠.

(٤) فتح الباري ٣/ ١٠.

(٥) فتح الباري ٣/ ١٠ ـ ١٤.

(٦) المصدر نفسه، بيد أن لفظة: «باب» لم ترد في الروضة الفردوسية ولم ترد أيضاً في الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٠.

(٧) في الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٠: «مما يلي الدور».

ورأيت بخط الأقشهري: لعله مما يلي دُورَه[1]، انتهى.

والظاهر: أنَّ الرواية: مما يلي الزور ـ بالزاي ـ يعني: الموضع المِزْوَّر في بناء عمر بن عبد العزيز خلف الحجرة، كما سيأتي، والله أعلم.

قال عيسى: وحدثني سعيد بن عبد الله بن فضيل، قال: مَرَّ بي محمد بن الحنفيَّة وأنا أُصَلِّي إليها، فقال لي: أراك تلتزم هذه الإسطوانة، هل جاءك فيها أثرٌ؟ قلت: لا! قال: فالزمها فإنها كانت مُصَلَّى رسول الله ﷺ من الليل[2].

قلت: تقدم في حدود المسجد النبوي ما يقتضي أنَّ الموضع المذكور كان خارج المسجد تُجاه باب جبريل قبل تحويله إلى محله اليوم، وهو موافق لما سيأتي عن المؤرخين في بيان موضع هذه الإسطوانة، والمعروف من حاله ﷺ أنَّ قيامه في غير رمضان إنما كان في بيته، وهذا الموضع ليس منه، وفي ما سبق مع أحاديث قيام رمضان، ما يوهم أنَّ القصة المذكورة كانت فيه.

ففي صحيح البخاري عن زيد بن ثابت: أنَّ رسولَ الله ﷺ «اتَّخذ حجرة، قال: حسبت أنه قال: من حصير، في رمضان، فصلى فيها لياليَ فصلَّى بصلاته ناس»[3]، الحديث.

ورواه مسلم عنه بلفظ: أن النبي ﷺ: «اتَّخذ حجرة في المسجد من حصير، فصلى رسول الله ﷺ فيها لياليَ[4]، حتى اجتمع إليه ناس»[5] فذكر نحوه.

وفي رواية لأبي عَوانَة[6] عن زيد: «اتخذ حجرة من حصير في المسجد في رمضان»، الحديث.

---

(١) الروضة الفردوسية، في النص: «مما يلي الدورة»، وكتب في الحاشية: «لعله دوره».

(٢) نقلاً من الروضة الفردوسية ورقة ١٩أ والخبر في الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٠ والتعريف ٣٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان ٨١، الإعتصام ٣، التهجد ٥ وفتح الباري ٢/ ٢١٤ مع شرح الحديث.

(٤) في الأصول: ليلاً، والتصويب من صحيح مسلم.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٨٨ «باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد».

(٦) هو يعقوب بن إسحاق النيسابوري الأسفراييني المتوفى سنة ٣١٦هـ، مؤلف المسند الصحيح، انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤١٧ مع مصادر ترجمته.

ولعلها القبة التي كان يعتكف ﷺ فيها في رمضان.

فقد روى الطبراني في الكبير عن أبي ليلى، قال: رأيت رسول الله ﷺ اعتكف في قبةٍ من خوص[١].

وفي الكبير والأوسط عن مُعَيقيب، قال: اعتكف رسول الله ﷺ في قبة من خوص بابُها من حصير والناس في المسجد[٢].

وأسند يحيى عن أبي حازم، مولى الأنصار، قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد في رمضان في قبة على بابها حصير.

وعن ابن عمر، قال: بنى النبي ﷺ بيتاً من سَعف في المسجد في آخر شهر رمضان يصلي فيه[٣].

وقال المطري في بيان موضع هذه الاسطوانة: هي خلف بيت فاطمة رضي الله عنها، والواقفُ إليها يكون بابُ جبريل ـ المعروف قديماً بباب عثمان ـ على يساره[٤]، وحولها الدرابزين ـ أي: لاصقاً بها يميناً ويساراً ـ وهو الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وعلى بيت فاطمة رضي الله عنها، وقد كتب فيها بالرخام: هذا مُتَهَجَّدُ النبي ﷺ[٥].

وقال ابن النجار: هذه الإسطوانة وراء بيت فاطمة من جهة الشمال، وفيها محرابٌ إذا توجَّه المُصَلِّي إليه كانت يساره إلى باب عثمان[٦] المعروف اليوم بباب جبريل.

قلت: وقد جُدد محرابها في هذه العمارة التي أدركناها أولاً، وزيدَ في رخامه فوق المحراب الأول، وكتبوا في ذلك الرخام: بروز الأمر بتجديد عمارة

---

(١) المعجم المفهرس ٢، ٨٧ عن مسند أحمد.
(٢) المعجم الصغير ٨٢.
(٣) مسند أحمد ٢/ ٦٧، ١٢٩، وانظر: المعجم المفهرس ٢/ ٤٦٤.
(٤) انظر: الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٠.
(٥) التعريف ٣٣.
(٦) نقلاً من الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٠ وما بعده من كلام السمهودي.

الحجرة الشريفة من السلطان الأشرف قايتباي ـ أعزَّ الله أنصاره ـ وأنَّ ذلك على يد الخواجا الجناب الشمسي ابن الزمن(١)، وتاريخ العمارة المذكورة، كلُّ ذلك مكتوب بالرخام في أعلى محراب الإسطوانة المذكورة، ثم لما جاء الحريق الحادث بعد تمام هذا التأليف أزال ذلك كله، ثم اقتضى رأيهم عند بناء الدعائم التي اتَّخذوها للقبة المحاذية لأعلى الحجرة والعقود التي خلفها، إبدالَ هذه الإسطوانة بدِعامَةٍ اتَّخذوا فيها محراباً.

وهذه الإسطوانة آخر الأساطين التي ذكر لها أهل التاريخ فضلاً خاصاً، وإلاَّ فجميعُ سواري المسجد الشريف لها فضل.

ففي البخاري من حديث أنس، قال: لقد أدركت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب(٢).

قال ابن النجار: فعلى هذا جميعُ سَواري مسجد النبي ﷺ يستحب الصلاة عندها، لأنه لا يخلو أنَّ كبار الصحابة صَلُّوا إليها(٣)، والله أعلم.

---

(١) محمد بن عمر المعروف بابن الزمن، المتوفى سنة ٨٩٧هـ، انظر: **بدائع الزهور في وقائع الدهور** لابن إياس ٣/١٨٨ و**التحفة اللطيفة** للسخاوي ٢/٢٨٤ و٢/٥٥٥ و**الضوء اللامع** ٨/٢٦٠ وما بعدها.

(٢) **فتح الباري** ١/٥٧٧ (الصلاة ٩٥) وفي الحديث: «رأيت» بدلاً من «أدركت» وقال ابن حجر: «لقد أدركت: في رواية المستملي والحموي»، ونقل السمهودي هذا الحديث من **الدرة الثمينة** ٢/٣٦٩.

(٣) **الدرة الثمينة** ٢/٣٦٩.

الفصل الثامن
في الصُفَّة وأُهلها، وتعليق الأقناء لهم بالمسجد

قال عياض: الصُفَّة ـ بضم الصاد وتشديد الفاء ـ ظُلَّةٌ في مسجد النبي ﷺ يأوي إليها المساكين، وإليها يُنسب أهل الصُفَّة على أشهر الأقاويل[1].

وقال الحافظ الذهبي: إنَّ القبلةَ قبل أنْ تُحَوَّلَ كانت في شمالي المسجد، فلما حُوِّلَتْ القبلة بقي حائط القبلة الأعلى مكان أهل الصفة[2].

وقال الحافظ ابن حجر: الصفة مكان في مؤخر المسجد النبوي مُظَلَّل أُعِدَّ لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوىً له ولا أهلٌ، وكانوا يَكْثُرون ويَقِلُّون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر[3].

وقد سَرَدَ أسماءَهم أبو نعيم في **الحلية** فزادوا على المئة[4].

وقد أخرج أبو نعيم في **الحلية** من مرسل الحسن، قال: بُنيتْ صُفَّةٌ في المسجد لضعفاء المسلمين[5].

وقال المجد نقلاً عن الدارقطني: الصَّفَّةُ هي ظُلَّةٌ كان المسجد في مؤخرها[6].

---

(١) ص: الأوائل.
(٢) نقلاً من إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي ٢٢٣ ـ ٢٢٤.
(٣) فتح الباري ١١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ جمع السمهودي بين كلام ابن سعد وأبي نعيم.
(٤) نقلاً من فتح الباري ١١/ ٢٨٧ وانظر: حلية الأولياء ١/ ٣٤٧ ـ ٣٨٥؛ ٢/ ٣ ـ ٣٤.
(٥) نقلاً من فتح الباري ١١/ ٢٨٦، لأن نص الحلية ١/ ٣٤٠ لا يحتوي على: «في المسجد».
(٦) المغانم المطابة ٢٢٠.

ثم قال المجد: وذكر ابن جبير في رحلته عند ذكر قُباء، قال: وفي آخر القرية تَلٌّ مشرفٌ يُعرف بعرفات يدخل إليه على دار الصفة حيث كان عمار وسَلْمَان وأصحابهما المعروفون بأهل الصفة[١]، وكأنَّ هذا وهمٌ، والله أعلم[٢].

قلت: يظهر من قول عياض في ما قدَّمناه عنه: «على أشهر الأقوال» أنَّ في ذلك خلافاً، فيكون ما ذكره ابن جبير أحد الأقوال، لكنه مرجوحٌ أو مُؤَوَّلٌ بأنَّ مَنْ ذكرَ من أهل الصفة اتَّخذوا تلك الدار بعد، فاشتهرت بذلك.

وقد روى ابن سعد في مرسل يزيد بن عبد الله بن قسيط: كان أهل الصفة ناساً فقراء لا منازلَ لهم، فكانوا ينامون في المسجد، لا مأوىً لهم غيره[٣].

وروى البيهقي عن عثمان بن اليمان، قال: لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دارٌ ولا مأوىً، أنزلهم رسولُ الله ﷺ المسجد، وسَمَّاهم أصحاب الصفة، فكان يجالسهم ويأنس بهم[٤].

وأسند يحيى عن فضالة بن عبيد، قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ فَيَخِرُّ قوم من قامتهم من الخَصاصة[٥]، حتى يقول الأعرابي: مجانين[٦]، وهم أهل الصفة، فإذا صَلَّى رسول الله ﷺ أتاهم فَوقَفَ عليهم، فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أنْ تزدادوا فقراً وحاجةً.

وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر: أنَّ أصحاب الصفة كانوا ناساً فقراء، وأنَّ النبي ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس»[٧]، الحديث.

وفيه من حديث أبي هريرة، «قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصُفَّة ما منهم

---

(١) رحلة ابن جبير ١٧٥.
(٢) المغانم المطابة ٢٢٠.
(٣) طبقات ابن سعد ١/ ٢٥٥.
(٤) السنن الكبرى ٢/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦.
(٥) العوز والفاقة وهنا بمعنى الجوع والضعف، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٧ وذكر الحديث.
(٦) حلية الأولياء ١/ ٣٣٩ وفيها: «الأعراب» بدلاً من: «الأعرابي».
(٧) فتح الباري ٢/ ٧٥؛ ٦/ ٥٨٧ ١١/ ٢٨٦.

رجلٌ عليه رداء؛ إمَّا إزرارٌ وإمَّا كِساءٌ قد رَبَطُوه، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغُ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أنْ تُرى عورته»[1].

وفيه من حديث أبي هريرة أيضاً أنه كان يقول: والله الذي لا إلهَ إلا هو إنْ كنت لأعتمد بِكَبِدي[2] على الأرض من الجوع، وإنْ كنت لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً في طريقهم الذي يخرجون منه، فمَرَّ أبو بكر فسألته عن آيةٍ من كتاب الله، ما سألته إلاَّ ليستتبعني[3]، فَمَرَّ ولم يفعل، [ثم مرَّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليستتبعني، فَمرَّ ولم يفعل][4]، ثم مَرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبَسَّم حين رآني وعَرَف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال[5]: أبا هِر! قلت: لَبَّيكَ يا رسول الله، قال: الْحَقْ، فمضى فتبعته، فدخل فأستأذنَ فأذنَ لي، فدخلت فوجدنا لبناً في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ فقالوا: أهداهُ لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصفة فادعُهُم لي، وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحقَّ أنْ أُصيبَ من هذا اللبن شَربَةً أتقوَّى بها، فلما جاءوا أمرني فكنت أنا أُعطيهم، وما عسى أنْ يبلغني من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت، قال: يا أبا هريرة! قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: خُذْ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يُردُّ عليَّ

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٥٣٦ وفيه: «قد ربطوه في أعناقهم».

(٢) في حاشية خ كُتب: "لعله: بيدي".

(٣) في فتح الباري وصحيح البخاري: «ليشبعني»، وقال ابن حجر في فتح الباري ١/ ٢٨٥: «ووقع في رواية الكشميهني: "ليستتبعني"، وثبت كذلك في رواية روح وأكثر الرواة».

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من الأصول، والزيادة من صحيح البخاري ٨/ ٣٠٦ وفتح الباري ١١/ ٢٨١.

(٥) من هنا وإلى: «وأشركهم فيها» رواه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٣٩.

القدحَ فآخذه فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى[1]، ثم انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم، فأخذَ القدح فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسم، وقال: يا أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيتُ أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت، فما زال يقول: اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً، قال: فَأَرِنِي، فأعطيته القدح، فحمد الله وسَمَّى وشرب الفَضْلَةَ[2].

وقد وقع لأبي هريرة رضي الله عنه قصةٌ أخرى في تكثير الطعام مع أهل الصفة[3].

وأخرج ابن حبان من طريق سليم بن حيان عن أبيه عنه، قال: أَتَتْ عليَّ ثلاثة أيام لم أُطْعم، فجئت أريد الصفة، فجعلت أسقط، فجعل الصبيان يقولون: جُنَّ[4] أبو هريرة، حتى انتهيت إلى الصفة، فوافيت رسول الله ﷺ أُتيَ بقصعةٍ من ثَريد، فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها، فجعلت أتطاول كي يَدعوني، حتى قاموا وليس في القصعة إلا شيء في نواحيها، فجمعه ﷺ فصارت لقمة، فوضعها على أصابعه، فقال لي: كُلْ باسم الله، فوالذي نفسي بيده ما زلت آكل منه حتى شبعت[5].

وروى أبو نعيم في **الحلية** من حديث معاوية بن الحكم، فقال: «بينا أنا مع رسول الله ﷺ في الصفة، فجعل يوجه الرجل مع الرجل من الأنصار، والرجلين والثلاثة، حتى بقيت في أربعةٍ ورسول الله ﷺ خامسُنَا، فقال: انطلقوا بنا، فقال:

---

(١) في فتح الباري ١١/ ٢٨٢ وصحيح البخاري: «ثم يرد علي القدح، فيشرب حتى يروى، ثم يرد القدح، حتى انتهيت».

(٢) فتح الباري ١١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ وذكر ابن حجر أقوال العلماء في روايته ومن رواه من أصحاب السنن وانظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ١٥٠ ـ ١٥١ والمستدرك للحاكم ٣/ ١٥ ـ ١٦ والسنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٤٤٦.

(٣) هذا كلام ابن حجر نقله السمهودي من فتح الباري ١١/ ٢٨٩ وروى بعده القصة عن ابن حبان.

(٤) في حديث أبي هريرة الآخر: «لقد رأيتني وإني لأخرُّ ما بين المنبر والحجرة من الجوع مغشياً عليَّ. .» في فتح الباري ١١/ ١٨٤.

(٥) نقلاً من فتح الباري ١١/ ٢٨٩ وانظر: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٨/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

يا عائشة عَشيِّنا»، الحديث[1].

وروى أيضاً من طريق نعيم المُجْمِر[2] عن أبي هريرة[3]: كنت من أهل الصفة، وكنا إذا أمسينا حَضَرنا رسول الله ﷺ فيأمر كلَّ رجلٍ فينصرف برجلٍ أو أكثر، فيبقى من بقيَ عشرة أو أقل أو أكثر، فيؤتى النبي ﷺ بعشائه فيتعشى معهم، فإذا فرغنا قال: ناموا في المسجد[4].

وروى ابن شَبَّة عن طلحة النضري[5]، قال: كان مَنْ قَدِمَ المدينة فكان له بها عريف نزل على عريفه، ومن لم يكن بها عريف نزل الصفة، فكنت في من نزل الصفة[6]، فوافقت رجلين كان يُجْرَى علينا في كلٍّ يوم مُدٌّ[7] من تمرٍ من رسول الله ﷺ، فانصرف رسول الله ﷺ فناداه رجلٌ من أهل الصفة: يا رسول الله أحرقَ التَمْرُ بطونَنا وتخرقت علينا الخنف[8]، فمال النبي ﷺ إلى منبره فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما لقي من قومه حتى إنْ كان ليأتي عليَّ وعلى صاحبي بضعة عشر يوماً ما لنا طعام إلا البرير[9]، فقدمنا على إخواننا من الأنصار وجُلُّ طعامهم التمر،

---

(١) نقلاً من فتح الباري ١١/٢٨٦ وانظر: **الحلية** ٢/٣٣ ومثله حديث طخفة بن قيس في **الحلية** ١/٣٧٣.

(٢) هو نعيم بن عبد الله المجمر، سُمِّيَ المجمر لأنه كان يجمر قبر رسول الله ﷺ وهو من موالي عمر بن الخطاب، انظر: **المعجم الصغير** للطبراني ١٥٠، وقال النووي في **شرح صحيح مسلم** ٢/١٣٩: «ويقال المجمر بفتح الجيم وتشديد الميم الثانية المكسورة، لأنه كان يجمر مسجد رسول الله ﷺ أي: يبخره، والمجمر صفة لعبد الله ويطلق على ابنه نعيم مجازاً» و**خلاصة تذهيب تهذيب الكمال** للخزرجي ٤٠٣.

(٣) في **الحلية** ١/٣٥٢ عن أبي ذر.

(٤) نقلاً من **الحلية** ١/٣٥٢.

(٥) هو طلحة بن عمرو النضري، كان من أهل الصفة، **طبقات ابن سعد** ٧/٥١ و**الإصابة** ٢/٢٣١.

(٦) **الإصابة** ٢/٢٣١ و**فتح الباري** ١١/٢٨٦.

(٧) في الأصول: مدين، ومثله في مخطوطة **تاريخ المدينة** «مدين تمر» مما يؤكد أنَّ السمهودي نقل الخبر منها وما أثبتناه قد تكرر لفظه في **فتح الباري** ١١/٢٨٧ولفظه: «كل يوم مد من تمر بين كل رجلين».

(٨) خ، ص: وتحرفت علينا الحرف، والخُنُف: جمع خَنِيف وهو نوع غليظ من أردأ الكَتّان، أراد ثياباً تُعمل منه كانوا يلبسونها، **النهاية في غريب الحديث** ٢/٨٤ وذكر شيئاً من الخبر.

(٩) هو ثمر نبات الأراك إذا اسودَّ وبلغ، **النهاية في غريب الحديث** ١/١١٧.

فواسونا، ولو أجد لكم الخبز واللحم لأطعمتكم[1]، ولكن لعلكم ستدركون زماناً أو مَنْ أدركه منكم يلبسون فيه مثل أستار الكعبة ويغدى ويراح عليكم بالجفان[2].

وقال ابن النجار: روى أهلُ السير: أنَّ محمد بن مسلمة رأى أضيافاً عند رسول الله ﷺ في المسجد، فقال: ألا نُفَرِّق هذه الأضياف في دور الأنصار، ونجعل لك في كلِّ حائط قِنواً[3] ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام؟ فقال رسول الله ﷺ: بلى، فلما جَدَّ[4] مالَه جاء بقنوٍ فجعله في المسجد بين ساريتين، فجعل الناس يفعلون ذلك، وكان معاذ بن جبل يقوم عليه[5]، وكان يجعل حَبْلاً بين الساريتين ثمَّ تُعَلَّقُ الأقناء على الحبل، ويجمع العشرين وأكثر فيهُشُّ عليهم بعصاه من الأقناء فيأكلون حتى يشبعوا، ثم ينصرفون ويأتي غيرهم فيفعل لهم مثل ذلك، فإذا كان الليل فعل لهم مثل ذلك[6].

قلت: بوَّبَ البخاري للقسمة وتعليق القنو في المسجد، ولم يذكر في الباب تصريحاً بتعليق القنو، فأشار بذلك إلى ما رواه النسائي عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: «خرج رسول الله ﷺ وبيده عصا، وقد عَلَّق رجلٌ قِنْوَ حَشَفٍ، فجعل يطعن في ذلك القنو ويقول: لو شاء ربُّ هذه الصدقة تَصَدَّقَ بأطيب من هذا، إنَّ ربَّ هذه الصدقة يأكل حَشَفاً[7] يوم القيامة»[8]، وليس على شرط البخاري، وإنَّ كان إسناده قوياً[9]، فأشار إليه بالتبويب ولم يذكره كعادته[10].

---

(١) المستدرك ٣/ ١٥ والرياض النضرة ١/ ٩٥.

(٢) تاريخ المدينة ٢/ ٤٨٦ والحلية ١/ ١٧٤ وفتح الباري ١١/ ٢٨٦ عن أحمد وابن حبان والحاكم، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٢٥٥ عن الإمام أحمد والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٤٤٥ وكشف الأستار ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٢٣.

(٣) القنو هو العذق.

(٤) جدَّ وجذ: قطع وقص، والمال هنا هو النخل.

(٥) انظر: فتح الباري ١/ ٥١٦ وابن ماجة: زكاة ١٩.

(٦) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٧) ص: يا حشفا.

(٨) أخرجه النسائي: زكاة ٢٧ والدارمي: زكاة ١٧ والترمذي: زهد ٣٩ والمستدرك للحاكم ٤/ ٤٢٥.

(٩) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥١٦.

(١٠) قال ابن حجر في فتح الباري ١/ ٥١٦ في الرد على من قال: أغفله أو أنسيه: «أخذه من جواز وضع =

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه، أنَّ ناساً كانوا يقدمون على النبي ﷺ لا شيء لهم، فقالت الأنصار: يا رسول الله، لو عجلناك قنواً من كلِّ حائط لهؤلاء، قال: أجل فافعلوا، ففعلوا، فجرى ذلك إلى اليوم، فهي الأقناء التي تُعَلَّق في المسجد عند جدار النخل فيعطاها المساكين، وكان عليها على عهد رسول الله ﷺ معاذ بن جبل.

وقال يحيى: حدثني هارون بن موسى عن غير واحد من أهل المدينة: أنَّ الناس أصابتهم في ثمارهم عاهة من العاهات في زمن رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ما على أحدكم لو بعث بقنوٍ من نخله للمساكين، فبعث ذلك الناس، واستعمل رسول الله ﷺ على الأقناء معاذ بن جبل، فكان يَمُدُّ حبلاً بين جذعين ويعلِّقُ عليه الأقناءَ، فرفع الله تلك العاهة، فصارت سنةً، ولم تزل الأئمة عليها إلى اليوم[1].

وروى يحيى أيضاً عن عاصم بن سويد، قال: سمعت أبي يقول: عُويم بن ساعدة[2] أتى بقنوٍ إلى مسجد رسول الله ﷺ فأتَسَى الناسُ به؛ أهل العالية وأهل السافلة.

وأخرج ثابت[3] في **الدلائل**: أنَّ النبي ﷺ: أمر من كل حائط بقنوٍ يُعَلَّق في المسجد، يعني: للمساكين[4].

وفي رواية له: وكان عليها معاذ بن جبل، أي: على حفظها، أو على قسمتها[5] والله أعلم.

= المال في المسجد بجامع أنَّ كلاً منهما وضع لأخذ المحتاجين منه».

(١) انظر ما قال مالك في ذلك في **البيان والتحصيل** ١/ ٢٥٣ وانظر: **الذيل على رفع الإصر** للسخاوي ٤٥٠ عن ما قاله الرافعي في **تاريخ قزوين** في ذلك.

(٢) هو عويم بن ساعدة بن عابس الأنصاري الأوسي، ترجم له ابن حجر في **الإصابة** ٣/ ٤٤ ـ ٤٥ وذكر في ترجمته اختلاف أقوال علماء الرجال في مؤآخاته ونسبه وزمن وفاته.

(٣) هو ثابت بن حزم العوفي السرقسطي المتوفى بسرقسطة سنة ٣١٣هـ، مؤلف **الدلائل في شرح ما أغفل أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث**، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٤/ ٥٦٢ مع مصادر ترجمته.

(٤) نقلاً من **فتح الباري** ١/ ٥١٦.

(٥) نقلاً من المصدر نفسه.

الفصل التاسع
في الحجرة الشريفة، وبيان إحاطتها بالمسجد الشريف إلا من جهة المغرب

قد تقدَّم أنه ﷺ لما بنى المسجد الشريف بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسَوْدَة رضي الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل.

قال ابن النجار: وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عَرْعَر أو ساج.

قال: ولما تزوج رسول الله ﷺ نساءه بنى لهنَّ حُجَراً؛ وهي تسعة أبيات، وهي ما بين بيت عائشة رضي الله عنها إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ[1]، انتهى.

ومراده بالباب الذي يلي باب النبي ﷺ: الباب في الجهة المقابلة له من المغرب، وهو المعروف الآن بباب الرحمة، وإنما حملنا كلامه على ذلك لأنه وقع في كلامه استعمال الباب الذي يليه، بمعنى: الباب الذي يقابله، ولأنه قال عقبه: قال أهل السير: ضرب النبي الحجرات ما بينه وبين القبلة والمشرق إلى الشام، ولم يضربها في غربيه، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلاَّ من المغرب، وكانت أبوابها شارعة في المسجد[2]، انتهى.

وكأنَّ الخطيب ابن جملة[3] فَهِمَ من هذه اختلافاً في مواضع الحجر، فقال:

---

(١) الدرة الثمينة ٢/٣٥٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سبق التعريف به.

قيل: كانت كلها في جهة المشرق، وقيل: في جهات المسجد ما عدا المغرب.

قلت: ويرجِّحُ ما قررناه ما رواه ابن الجوزي في **شرف المصطفى** بسنده إلى محمد بن عمر، قال: سألت مالك بن أبي الرجال: أين كانت منازل أزواج النبي ﷺ؟ فأخبرني عن أبيه عن أمِّه: أنها كانت كلها في الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة، إلى وجه الإمام، في وجه المنبر، هذا أبعدها، ولما توفيت زينب[1] أدخل - أي: النبي ﷺ - أمَّ سلمة بيتها[2]، انتهى.

ووجه المنبر ووجه الإمام، يعني: إذا قام على المنبر بجهة الشام، في جهة الباب المعروف الآن بباب الرحمة قبل أنْ يُنقَلَ إلى محلِّه اليوم.

وهو يقتضي أنه لم يكن من الحُجَر شيء في جهة القبلة، إلا أنْ تكون الرواية إلى وجه الإمام وفي وجه المنبر، فيوافق ما تقدم عن أهل السير.

وأسنـد ابن زبالة عن محمد بن هلال، قال: أدركت بيوت أزواج النبي ﷺ كانت من جريدٍ، مستورةٍ بمسوح الشعر، مستطيرة في القبلة وفي المشرق والشام، ليس في غربي المسجد شيء منها، وكان باب عائشة مواجهَ الشام، وكان بمصراع واحد من عرعر أو ساج[3].

وأسند يحيـى من طريق الواقدي عن عبد الله بن يزيد الهذلي[4]، قال: رأيت بيوت أزواج النبي ﷺ حين هدَّمها عمر بن عبد العزيز، كانت من لَبِنٍ ولها حُجَر من جريدٍ مَطْرُورةٍ[5] بالطين، عددت تسعة أبيات بحُجَرها، وهي ما بين بيت عائشة

---

(١) في الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي: «زينب بنت خزيمة» وكان يقال لها: أم المساكين، انظر: الإصابة ٤/ ٣١٥.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى تح مصطفى عبد الواحد ٢٥٧.

(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٥٨.

(٤) ترجم له الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٥٢٦ وقال: 'قال البخاري: يقال يُتَّهم بالزندقة، وقال مرة: يُتَّهم بأمر عظيم، وأما أحمد ويحيى فوثَّقاه، وقال النسائي: ليس بثقة'.

(٥) مطرورة: بمعنى مملوجة عند العراقيين، أي: مكسوَّة بالطين، أي: أنها صُقلت أو غُلِّفَت بطبقة من الطين، وفي الحديث: «إذا طررت مسجدك بمَدَر فيه روثٌ فلا تُصَلِّ فيـه حتى تغسله السماء»، النهاية في غريب الحديث ٣/ ١١٨.

إلى الباب الذي يلي بيت النبي ﷺ إلى منزل أسماء بنت حسن اليوم[1].

قلت: وقوله: «إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ» قد تقدم ما يؤخذ منه أنَّ المراد به باب الرحمة.

وقوله: "إلى منزل أسماء. . . إلى آخره"، يقتضي أنَّ البيوت المذكورة كان بعضها خارجاً عن سَمْتِ المسجد، لأنَّ بيت أسماء المذكور كان في مقابلة الباب الذي كان يلي باب النساء من شاميِّهِ، ويبعد أنْ يكون المسجد النبوي ممتداً إلى تلك الجهة في زمنه ﷺ لكن سيأتي في بيت فاطمة رضي الله عنها ما يصرح بأنَّ بيتها كان ينتهي إلى الباب المذكور، فيحتمل أنَّ المسجد كان ممتداً إليه، ويحتمل أنَّ بعض البيت المذكور لم يكن في محاذاة المسجد، على أن البخاري روى في **صحيحه** حديثَ: "كان رسول الله ﷺ في المسجد وعنده أزواجه فرجعن، فقال لصفية بنت حيي: لا تعجلي حتى أنصرف معك، وكان بيتها في دار أسامة، فخرج النبي ﷺ معها"، الحديث[2].

وفي رواية له عن صفية، قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدَّثتُه ثم قُمتُ، فانقلبت، فقام معي ليقلبني[3]، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فَمَرَّ رجلان من الأنصار، الحديث[4].

وفي رواية له: أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره وهو معتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، ثم قامت تنقلب، فقام معها رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ قريباً من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبي ﷺ مَرَّ بهما رجلان من الأنصار، الحديث[5].

وهو يقتضي أنَّ صفية لم يكن مسكنها في الحُجَر المحيطة بالمسجد.

---

(١) **طبقات ابن سعد** ١/ ٤٩٩ وذكر ابن الجوزي قسماً من الخبر في **الوفا بأحوال المصطفى** ٢٥٨، وأسماء: هي أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس.

(٢) **فتح الباري** ٤/ ٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٣) أي: ليردني إلى منزلي، كما في شرح الحديث في **فتح الباري** ٤/ ٢٧٩.

(٤) المصدر نفسه ٤/ ٢٧٨ بالمعنى هنا وليس باللفظ و٦/ ٢١٠.

(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٧٨.

ولم يتعرض ابن شَبَّة لاتخاذ أسامة لدار، وذكر أنَّ أباه اتخذ دارين: أحدهما دخلت في المسجد لما زيد فيه[1]، ولعلها المرادة والله أعلم.

ولنرجع إلى بقية ما أسنده يحيى عن عبد الله بن يزيد، قال: ورأيت بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ وحجرتها من اللبن، فسألت ابن ابنها، فقال: لما غَزا رسول الله دومة الجندل بنت حجرتها بلبن، فلما قدم النبي ﷺ نظر إلى اللبن ودخل عليها أول نسائه، فقال: ما هذا البناء؟ فقالت: أردتُ يا رسول الله أنْ أكُفَّ أبصار الناس، فقال: يا أمَّ سلمة إنَّ من شَرِّ ما ذهب فيه مال المسلم البنيان[2].

قال الواقدي: فحدثتُ بهذا الحديث معاذ بن محمد الأنصاري، فقال: سمعت عطاء الخراساني، في مجلس فيه عمران بن أبي أنس[3]، يقول ـ وهو في ما بين القبر والمنبر ـ: أدركت حُجُرات أزواج النبي ﷺ من جريد[4] على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمرُ بإدخال حُجَر أزواج النبي ﷺ فما رأيت يوماً كان أكثر باكياً من ذلك اليوم[5].

قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول: والله لوددت أنهم تركوها على حالها يَنشَأ ناشيءٌ من المدينة ويقدم قادم من الآفاق فَيَرى ما اكتفى به رسولُ الله ﷺ في حياته، ويكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر فيها[6].

قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه، قال عمران بن ابي أنس: كان فيها أربعة أبيات بلبن لها حُجَر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مُطيَّنة لا حُجَر لها، على أبوابها مسوح الشعر؛ ذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع في

---

(١) لم أقف على هذا الخبر في المطبوع من تاريخه.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٤٩٩ والوفا بأحوال المصطفى ٢٥٨.

(٣) ش: عمران وابن أبي أنس، ص: عمران ان ابن أبي أنس، وهو عمران بن أبي أنس البصري، قال عنه الذهبي: "صدوق، مات سنة سبع عشرة ومئة"، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٣٤.

(٤) في طبقات ابن سعد ١/ ٤٩٩: "من جريد النخل".

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٤٩٩ وتحقيق النصرة ٤٩ ـ ٥٠.

(٦) طبقات ابن سعد ١/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠ والوفا بأحوال المصطفى ٢٥٩.

ذراع وعظم الذراع[١].

فأما ما ذكرت من كثرة البكاء فلقد رايتني في المسجد وفيه نفرٌ من أبناء أصحاب النبي ﷺ: أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل وخارجة بن زيد، وإنهم ليبكون حتى أَخْضَلَ لحاهم الدمع، وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تُركت حتى ينقص الناس من البنيان ويروا ما رضي الله لنبيه ﷺ، ومفاتيحُ خزائن الدنيا بيده[٢].

وروى رزين عن عبد الله بن يزيد الهذلي، قال: رأيت بيوتَ أزواج النبي ﷺ حين هَدَّمَهَا عمرُ بن بن عبد العزيز يُدخِلُها في المسجد، مبنيَّةً باللبن حولها حُجَر من جريد ممدودة إلاَّ حجرة أمِّ سلمة، وذكر نحو ما تقدَّم باختصار.

وقال ابن الجوزي في **الوفا**: قال محمد بن عمر: كانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله، وكلَّمَا أحدث رسول الله ﷺ أهلاً نزل له حارثة عن منزله، حتى صارت منازله كلها لرسول الله ﷺ وأزواجه[٣].

قلت: وظاهره يخالف ما تقدَّم من أنه ﷺ بنى أولاً بيتين لزوجتيه، وأنه لما تزوج نساءه بنى لهنَّ حجراً.

وظاهره أنه كان كلَّ ما أحدث زوجة أحدثَ لها بناءَ حجرةٍ، فيحمل ما هنا على أنَّ حارثة كان ينزل له عن موضع المساكن، وكان ﷺ يبنيها.

ونقل الزركشي عن الشمس الذهبي: أنه قال: لم يبلغنا أنه ﷺ بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد، ولا أحسبه فعل ذلك، إنما كان يريد بيتاً واحداً حينئذٍ لسودة أم المؤمنين، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى بعائشة رضي الله عنها في شوال سنة اثنين، فكأنه ﷺ بناها في أوقات مختلفة[٤]، انتهى.

وهو مقتضى ما قدمناه، غير أنه مخالف لما قدمناه في بيت عائشة رضي الله

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٥٠٠.

(٢) المصدر نفسه ١، ٤٩٩ وأورد ابن الجوزي قسماً من الخبر في **الوفا بأحوال المصطفى** ٢٥٨.

(٣) **الوفا بأحوال المصطفى** ٢٥٧.

(٤) **إعلام الساجد** ٢٢٤.

عنها، لما تقدم أنه[1] بناه مع بناء المسجد، وهو الظاهر، لأنها كانت حينئذ زوجه، غير أنه لم يَبنِ بها فتأهب لذلك بأنْ بنى لها حجرتها.

وذكر الأقشهري: أنَّ ابن عبد البر روى من طريق الزبير بن بكَّار عن عائشة رضي الله عنها خبراً طويلاً في قدومها المدينة، قالت فيه: ثم إنا قدمنا المدينة، فنزلتُ مع آل أبي بكر، ونزل آل النبي ﷺ عليه، وكان رسول الله ﷺ يبني مسجده وأبياتاً حول المسجد، فأنزل فيها أهله، فمكثنا أياماً، ثم قال أبو بكر: يا رسول الله ما يمنعك أن[2] تبني بأهلك؟ قال: الصداق، فأعطاه أبو بكر ثنتي عشرة أوقية ونَشّاً[3] فبعث بها إلينا، وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتي هذا الذي أنا فيه، وهو الذي توفي ودُفن فيه[4].

قلت: ولم أرَ في كلام المؤرخين من تَعَرَّض للمشربة التي اعتزل فيها رسول الله ﷺ لمَّا آلى من نسائه شهراً، ومقتضى ذلك أنه لم يكن بابها من بيت واحدةٍ منهنَّ ليتأتى عدم الدخول عليهنَّ.

والذي في **الصحيح** من قول حفصة: هو ذا في المشربة[5].

وفي رواية: تُسَمِّيها عِلِّية[6].

وفي رواية: غرفة[7].

وقد بوَّب عليه البخاري: «باب هجرة النبي ﷺ نساءه في غير بيوتهن»[8].

وفي رواية: «هو في خزانته في المشربة»[9].

---

(١) ص: من أنه.

(٢) ش: ما يمنعك ما تبني.

(٣) النش: هو نصف أوقية، والنش: النصف من كلِّ شيء، **النهاية في غريب الحديث** ٥/ ٥٦ و**شرح مشكل الآثار** للطحاوي ١٣/ ٥٤.

(٤) لم أقف على هذا الخبر في **الروضة الفردوسية**، وهو في **طبقات ابن سعد** ٨/ ٦٣.

(٥) **فتح الباري** ٥/ ١١٥.

(٦) هذه رواية النسائي كما في **فتح الباري** ٩/ ٣٠٢.

(٧) المصدر نفسه ٩/ ٣٠٠.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) **شرح صحيح مسلم** للنووي ٥/ ٣٤٠.

وفي رواية: «فإذا رسول الله ﷺ في مشربة يرقى عليها بعجلة»[1].

وفي رواية: «فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعدٌ في أسْكُفَّة المشربة مُدَلٍّ رجليه على نقيرٍ من خشب، وهو جذع يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر»[2].

وقال السهيلي: قال الحسن البصري: كنت أدخل بيوت رسول الله ﷺ وأنا غلام مراهق وأنال السقف بيدي[3]، وكان لكل بيت حجرة، وكانت حجره من أكسية من خشب عَرعَر[4].

وورد أنَّ بابه ﷺ كان يُقرع بالأظافر، أي: لا حَلَق له[5].

وقال مالك: كان المسجد يضيق عن أهله، وحُجَر أزواج النبي ﷺ ليست من المسجد، ولكن أبوابها شارعة في المسجد[6].

وقال ابن سعد: أوصت سَودة ببيتها لعائشة رضي الله عنها، وباع أولياء صفية بنت حُيَي بيتَها من معاوية بمئة ألف وثمانين ألف درهم، واشترى معاوية من عائشة منزلها بمئة ألف وثمانين ألف درهم، وقيل: بمئتي ألف، وشرط لها سكناها حياتها، وحمل إليها المال، فما قامت من مجلسها حتى قسَّمته[7].

وقيل: بل اشتراه ابن الزبير من عائشة، وبعث إليها خمسة أجمال تحمل المال، وشَرطَ لها سكناها حياتها، ففرقت المال[8].

وأسند ابن زبالة عن هشام بن عروة، قال: إنَّ ابن الزبير ليعتدُّ بمكرمتين ما يعتدُّ أحدٌ بمثلهما: أنَّ عائشة أوصته ببيتها وحجرتها، وأنه اشترى حجرة سودة.

---

(١) فتح الباري ٨/٦٥٨ وشرح صحيح مسلم ٥/٣٤٣.
(٢) شرح صحيح مسلم ٥/٣٤٠.
(٣) طبقات ابن سعد ١/٥٠١.
(٤) الروض الأنف ٤/٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٥) المصدر نفسه ٤/٢٦٨ نقلاً من تاريخ البخاري.
(٦) انظر: البيان والتحصيل ١/٣٧٠.
(٧) نقلاً من الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٢٥٨.
(٨) نقلاً من المصدر نفسه.

قلت: وهذا يقتضي أنَّ الحُجَر الشريفة كانت على ملك نسائه ﷺ، ويؤيده ما تقدم من تصرُّفِ أمِّ سلمة وبنائها لحجرتها في غيبته ﷺ، ويعارِضُهُ ما تقدم من أنَّ زينب بنت خزيمة لما توفيت أدخل النبي ﷺ أمَّ سلمة بيتها، وقد أضيفت البيوت في القرآن العظيم مرة إليه ﷺ ومرة إليهنَّ، والظاهر أنَّ الإضافة الأولى هي الحقيقية، لما تقدم من أنَّ النبي ﷺ بناها، ولأنه كان يجب عليه إسكانهنَّ، غير أنَّ لهنَّ فيها بعده حق السكنى لحبسهنَّ لحقه ﷺ.

وقال الزين ابن المنيِّر[١]: إنَّ غرض البخاري حيث ترجم بقوله: «باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ وما نُسِبَ من البيوت إليهنَّ وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[٢] و ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[٣] أنْ يبيِّنَ: أنَّ بهذه النسبة تحقيق دوام استحقاقهنَّ البيوت ما بَقِينَ، لأنَّ نفقتهنَّ وسكناهُنَّ من خصائص النبي ﷺ، والسرُّ فيه حَبْسُهنَّ عليه»[٤]، انتهى.

ويحتمل: أنه ﷺ كان قد مَلَّكَ بعضهنَّ بيتها، أو مَلَّكَهُنَّ كُلَّهُنَّ، كما ذهب إليه بعضهم.

قال الطبري: قيل: كان النبي ﷺ مَلَّكَ كُلاًّ من أزواجه البيت الذي[٥] هي فيه فَسَكَنَّ بعده فيهنَّ بذلك التمليك[٦].

وقيل: إنما لم يُنازَعْنَ في مساكنهنَّ لأنَّ ذلك من جملة مؤنتهنَّ التي كان النبي ﷺ استثناه لهنَّ مما كان بيده أيام حياتـه، حيث قال: «ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»[٧].

---

(١) سبقت ترجمته.
(٢) سورة الأحزاب ٣٣.
(٣) سورة الأحزاب ٥٣.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٦/٢١١.
(٥) في الأصول: التي.
(٦) نقلا من فتح الباري ٦/٢١١.
(٧) المعجم المفهرس ٦/٥٢١ عن البخاري ومسلم والموطأ ومسند أحمد والروضة الفردوسية ورقة ٨٣ب عن ابن الجوزي وطبقات ابن سعد ٢/٣١٤.

قال الطبري: وهذا أرجح، ويؤيده أنَّ ورثتهن لم يرثوا عنهن منازلهن، ولو كانت البيوت ملكاً لهنَّ لانتقلت إلى ورثتهن، وفي ترك ورثتهن حقوقهم منها دلالة على ذلك، ولهذا زيدت بعدهنَّ في المسجد لعموم نفعه للمسلمين[١]، انتهى.

وقد يُناقَش في ما ذكره من عدم إرث ورثتهنَّ لمنازلهنَّ، إذ لا يلزم من عدم نقله انتفاؤه مع أنَّ في قصة إدخال بيت حفصة في المسجد وما وقع من آل عمر في أمر طريق بيت حفصة ما يشهد[٢]، لأنَّ ورثتهنَّ ورثوا ذلك، ويحتمل أنَّ إدخال الحُجَر في المسجد كان بعد شرائها من الورثة، وقد تقدم عن ابن سعد ما يشهد لذلك، وقد قال في **طبقاته** أيضاً: أخبرنا إسرائيل عن جابر عن عامر، قال: مات رسول الله ﷺ ولم يُوصِ إلا بمسكن أزواجه وأرض، انتهى[٣].

وهذا يحتمل الوصية للأزواج بذلك، ويحتمل غيره والله أعلم.

وادَّعى المهلب: أن النبي ﷺ كان قد حبس عليهنَّ بيوتهنَّ، ثم استدل به على أنَّ من حبس داراً جاز له أنْ يسكن منها في موضع[٤].

وتعقَّبَه ابن المُنَيِّر بمنع أصل الدعوى[٥].

وقد ترجم ابن شَبَّة لعلم[٦] دور أزواج النبي بالمدينة[٧]، وذكر عن جماعة منهنَّ اتِّخاذ دور في أماكن متفرقة من المدينة[٨]، فتلك غير الحُجَر المذكورة، والظاهر أنَّ اتخاذهنَّ لذلك كان بعد وفاة النبي ﷺ، والله أعلم.

---

(١) نقلا من فتح الباري ٦/ ٢١١.

(٢) المغانم المطابة ص١٧٠ ـ ١٧١.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/ ٣١٦.

(٤) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٢١١.

(٥) نقلا من المصدر نفسه وحذف السمهودي تعليق ابن حجر عليه، وانظر: فتح الباري ١٢/ ٩.

(٦) ش: نعلم.

(٧) لا يظهر هذا الباب في تاريخ المدينة المطبوع أو المخطوط، والظاهر أن السمهودي نقل هذا القول من أحد المصادر.

(٨) الإشارات متناثرة في تاريخ المدينة، انظر مثلاً: ١/ ٢٤٥، ٢٥٢ عن دار أم سلمة رضي الله عنها.

الفصل العاشر
في حجرة فاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها

أسند يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه: أنَّ بيت فاطمة رضي الله عنها في الزور الذي في القبر؛ بينه وبين بيت النبي ﷺ خَوْخَة[1].

وأسند عن عمر بن علي بن الحسين[2]، قال: كان بيت فاطمة في موضع الزور، مخرج النبي ﷺ، وكانت فيه كُوَّةٌ إلى بيت عائشة رضي الله عنها، فكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى المخرج اطَّلَع من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم، وأنَّ فاطمة رضي الله عنها قالت لعلي: إنَّ ابْنَيَّ أمسيا عليلين فلو نظرت لنا أدماً نستصبح[3] به، فخرج علي إلى السوق فاشترى لهم أدماً، وجاء به إلى فاطمة فاستصبحت، فدخلت عائشة المخرج في جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم، وذكر كلاماً وقع بينهما، فلما أصبحوا سألت فاطمة النبيَّ ﷺ أنْ يَسُدَّ الكوة، فسَدَّهَا رسول الله ﷺ.

وأسند يحيى عقب ذلك حديث عائشة: قلت: يا رسولَ الله ندخل كنيفك فلا نرى شيئاً من الأذى، فقال: الأرض تبلع ما يخرج من الأنبياء من الأذى فلا يُرى منه شيء.

---

(١) انظر الروايات المختلفة في تاريخ المدينة ١/ ١٠٤ وما بعدها.

(٢) م٢، ص، خ، ش: عن عمر بن علي بن عمر بن علي بن الحسين، وانظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٥٣ ونسب قريش للزبيري ٦١ ـ ٦٢.

(٣) الأدم: الزيت، ونستصبح به: نوقد به المصباح.

فأشعرَ صنيع يحيى أنَّ المراد من المخرج موضع الكنيف، وأفهم ذلك أنَّ المخرج المذكور كان خلف حجرة عائشة رضي الله عنها، بينها وبين بيت فاطمة رضي الله عنها، وذلك يقتضي أنَّ يكون محله في الزور، أعني: الموضع المزور، شبه المثلث في بناء عمر بن عبد العزيز في جهة الشام.

ويشهد لذلك ما أسنده يحيى عن مسلم عن ابن أبي مريم: أنَّ عرض بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى الاسطوانة التي خلف الإسطوان المواجهة الزور، قال: وكان بابه في المربعة التي في القبر.

وقد أسند أبو غسان ـ كما قاله ابن شَبَّة ـ عن سليمان بن سالم[1] عن مسلم[2] بن أبي مريم[3]، قال: عَرَّس عليّ رضي الله عنه بفاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى الإسطوان التي خلف الاسطوان المواجهة الزور، وكانت داره في المربعة التي في القبر[4].

قال سليمان[5]: وقال مسلم: لا تَنْسَ حظك من الصلاة إليها، فإنه باب فاطمة التي كان عليّ يدخل إليها منه، وقد رأيت حسن بن زيد يصلِّي إليها[6].

وقد ذكرنا في فضل إسطوان مربعة القبر ما ورد من أنه ﷺ: «كان يأتي باب علي كلَّ يوم».

وفي رواية: عند صلاة الصبح.

وفي رواية يحيى: يجيء إلى باب علي وفاطمة وحسن وحسين، حتى يأخذ

---

(١) لعله سليمان بن سالم العطار، أبو داود القرشي المدني، ترجم له الذهبي في **ميزان الاعتدال** ٢/ ٢٠٨ وابن حجر في **لسان الميزان** ٣/ ٩٢.

(٢) م١: مسلم بن سالم بن أبي مريم، وفي بقية النسخ: مسلم بن سالم بن مسلم بن أبي مريم، والتصحيح من **المغانم المطابة**، ويؤيده ما ورد في ما بعد: "قال سليمان".

(٣) لعله أبو مريم مسلم بن يسار، انظر: **الكنى** للدولابي ٢/ ١١١.

(٤) لم أقف على هذا الخبر في **تاريخ المدينة** وهو في **المغانم المطابة** ص١٥٦: "وعن مسلم بن أبي مريم وغيره" ولم يرد فيه ذكر أبي غسان أو ابن شَبَّة.

(٥) في **المغانم المطابة**: "قال سليمان بن سالم".

(٦) **المغانم المطابة** ص١٥٦.

بعضادتي الباب، ويقول: السلام عليكم أهلَ البيت.

وفي رواية، فيقول: «الصلاةَ الصلاةَ الصلاةَ»، ثلاث مرات، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1].

وذكرنا أيضاً: أنَّ إسطوان التهجُّد خلف بيت فاطمة رضي الله عنها.

وروى الطبراني من حديث أبي ثعلبة: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يُثَنِّي بفاطمة، ثم يأتي أزواجه[2].

وفي لفظ: ثم بدأ ببيت فاطمة، ثم يأتي بيوت نسائه.

وأسند يحيى عن محمد بن قيس، قال: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر أتى فاطمة فدخل عليها وأطال عندها المكث، فخرج مرةً في سفر وصنعت فاطمة مسكتين[3] من ورق[4] وقلادة وقُرطين، وسترت باب البيت لقدوم أبيها وزوجها، فلما قدم رسول الله ﷺ ودخل عليها، ووقف أصحابه على الباب، لايدرون أيقيمون أم ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج رسول الله ﷺ وقد عُرِفَ الغَضَبُ في وجهه، حتى جلس على المنبر، ففطنت فاطمة أنه فعل ذلك لما رآه من المسكتين والقلادة والستر، فنزعت قرطيها وقلادتها ومسكتيها ونزعت الستر، وبعثت به إلى رسول الله ﷺ وقالت للرسول: قل له: تقرأ عليك ابنتُكَ السلام، وتقول لك: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال: قد فَعَلت فداها أبوها، ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جَنَاح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربة من ماء، ثم قام فدخل عليها[5].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: قدم على رسول الله ﷺ قومٌ عُرَاةٌ كانوا غُزاةً بالروم، فدخل على فاطمة وقد سترت ستراً، قال: أيسُرُّكِ أنْ يسترك الله يومَ

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ٤٠٢ ورواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم.

(٢) المستدرك ٣/ ١٥٥.

(٣) المَسَكة: بالتحريك، السوار، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٣١.

(٤) الورق: هو الفضة.

(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٥٩.

القيامة؟ فأعطنيه، فأعطته، فخرج به فشقَّه لكل إنسان ذراعين في ذراع[1].

وعن علي رضي الله عنه، قال: زارنا النبي ﷺ فبات عندنا والحسن والحسين نائمان، واستسقى الحسن، فقام النبي ﷺ إلى قِرْبَةٍ لنا فجعل يعصرها في القدح ثم جعل يُعَبْعِبُه[2]، فتناول الحسينَ فمنعه، وبدأ بالحسن، فقالت فاطمة: يا رسول الله كأنه أحَبُّ إليك قال: إنما استسقى أول، ثم قال رسول الله ﷺ: إني وإياك وهذان وهذا الراقد ـ يعني علياً ـ يوم القيامة في مكان واحد[3].

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً مثله.

وعن عليّ، قال: زارنا رسول الله ﷺ فعملنا له خزيرة[4]، وأهدتْ لنا أم أيمن[5] قَعْباً من لبن وصحفة من تمر، فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا معه، ثمَّ وَضَّأتُ رسول الله ﷺ فمسح رأسه وجبهته ولحيته بيده، ثم استقبل القبلة فدعا بما شاء، ثم أكبَّ إلى الأرض بدموع غزيرة؛ يفعل ذلك ثلاث مرات، فتهيبنا رسول الله ﷺ أنْ نسألَهُ، فوثب الحسينُ على ظهر رسول الله ﷺ وبكى، فقال له: بأبي وأمي ما يبكيك؟ قال: يا أبتِ رأيتك تصنع شيئاً ما رأيتك تصنع مثله، فقال رسول الله ﷺ: يا بنيَّ سُررتُ بكم اليوم سروراً لم أُسَرَّ بكم مثله قط، وإنَّ حبيبي جبريل عليه السلام أتاني وأخبرني أنكم قَتْلى، وأنَّ مصارعكم شَتَّى، فأحزنني ذلك، ودعوت الله تعالى لكم بالخَيَرة.

وقال ابن النجار: وبيت فاطمة اليوم حوله مقصورة وفيه محراب، وهو خلف حجرة النبي ﷺ[6].

---

(١) المصدر نفسه، أورد قسماً من هذا الخبر.

(٢) يعبعبه: يصب فيه ليملأه، ويعبُ: يصبُّ، وفي الحديث: «يَعُبُّ فيه مِيزابان» أي: يصبَّان فيه، انظر: **النهاية في غريب الحديث** ٣/ ١٦٨.

(٣) **المعجم الكبير للطبراني** ٢٢/ ٤٠٦ مع مصادر وروده **والمستدرك** ٣/ ١٣٧.

(٤) الخزيرة: لحمٌ يقطع صغاراً ويصبُّ عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق، **النهاية في غريب الحديث** ٢/ ٢٨.

(٥) هي مولاة النبي ﷺ وحاضنته، انظر: **الإصابة** ٤/ ٤٣٢ **والاستيعاب** ٤/ ٢٥٠.

(٦) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٦٠ **والروضة الفردوسية** ورقة ١٩أ.

قلت: المقصورة اليوم دائرة عليه وعلى حجرة عائشة رضي الله عنها ـ كما سيأتي بيانه ـ والمحراب الذي ذكره خلف حجرة عائشة من جهة الزور بينه وبينه موضع تحترمه الناس ولا يدوسونه بأرجلهم، يُذكر أنه موضع قبر فاطمة رضي الله عنها[١]، كما هو أحد الأقوال الآتية فيه، وقد اقتضى ما قدَّمناه أنَّ بيت فاطمة رضي الله عنها كان في ما بين مربعة القبر وإسطوان التهجد، وأنه[٢] عَرَّسَ بها إلى الاسطوان الذي إليه المحراب الموجود اليوم في بيتها؛ لأنَّ الاسطوان المواجه للزور هو الاسطوان الذي في صفِّ المربعة اللاصق بالجدار الداخل من الحجرة الشريفة، كان بعضه في حائطها الشامي، وأدخل كله فيه في العمارة التي أدركناها، وخلفه الأسطوانة التي التقى عندها زاويتا الزور، وخلفها الأسطوانة التي إليها المحراب المذكور، فيصدق عليها ما تقدم في كلام ابن شَبَّة نقلاً عن رواية أبي غسان من أنَّ علياً رضي الله عنه عَرَّس بفاطمة إلى الأسطوان التي خلف الأسطوان المواجه الزور، لكن قال ابن شَبَّة قبل ذلك ما لفظه: واتخذ علي بن أبي طالب بالمدينة دارين إحداهما دخلت في مسجد رسول الله ﷺ وهي منزل فاطمة بنت رسول الله ﷺ التي كان يسكن، وموضعها من المسجد بين دار عثمان بن عفان التي في شرقي المسجد وبين الباب المواجه دار أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس[٣] في شرقي المسجد[٤]، والأخرى دار عليّ التي بالبقيع، وهي بأيدي ولد علي على حوز الصدقة، انتهى.

وقوله: «وبين دار عثمان» أي: ما يحاذيها.

وقوله: «بين الباب المواجه دار أسماء» أي: ما يحاذيه أيضاً.

وسيأتي أنَّ هذا الباب كان بعد باب النساء مقابلاً لرباط النساء المعروف اليوم

---

(١) نقل الأقشهري في الروضة الفردوسية ورقة ١١٩أ عن ابن عساكر من كتاب المدينة لابن شَبَّة عن جعفر بن محمد: "قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ تسليما في بيتها الذي أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد".

(٢) يريد: علياً رضي الله عنه.

(٣) نسب قريش للزبيري ٣٣.

(٤) لم أقف على هذا الخبر في تاريخ المدينة المطبوع.

برباط السبيل، وهو بعيد من وجوه:

أحدها: ما تقدم في اسطوان التهجد، من أنه كان خلف بيت فاطمة.

الثاني: أنهم متفقون على أنَّ باب جبريل المقابل لدار عثمان كان موجوداً في زمنه ﷺ فكيف يصحُّ كون دار علي في ذلك الموضع؟

الثالث: أنَّ عمر بن الخطاب أول من زاد في المسجد وأحدث باب النساء وهو في ما بين باب جبريل والباب الذي ذكره ابن شبة وبيت فاطمة إنما أدخله في المسجد الوليد، وسنذكر ما اتفق عند إدخاله في زيادة الوليد، وقد يقال: إنَّ الشارع كان بين المسجد النبوي وبين بيت فاطمة من جهة مؤخره، فيتأتَّى مع ذلك اتِّخاذ عمر لباب النساء من غير تعرض لبيت فاطمة، وكذا يقال في بيت جبريل: إنه كان في محاذاة موضعه اليوم، لكن كان الشارع بينه وبين بيت فاطمة من تلك الجهة.

ويؤيد ذلك أنهم لما حفروا للدعامة الغربية التي إليها باب الحجرة الشامي عند بناء القبة[1] والعقود التي حولها بالحجرة الشريفة بعد الحريق الذي أدركناه، وجدوا في محاذاة باب جبريل أمام باب الحجرة المذكورة درجاً تحت الأرض آخذة لجهة الشام، وقد سبق في حدود المسجد النبوي ما يقتضي أنَّ جداره في المشرق كان هناك، فترجح عندي أنَّ تلك الدرج كانت لباب جبريل عليه السلام، وأنه كان هناك قبل تحويله، والله أعلم.

---

(١) ش: القبلة.

الفصل الحادي عشر
في الأمر بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد الشريف
وبيان ما استثنيَ من ذلك

قال البخاري: "باب قول النبي ﷺ سُدُّوا الأبواب إلا باب أبي بكر" قاله ابن عباس عن النبي ﷺ، وقد وَصَله البخاري في الصلاة بلفظ: «سدوا عني كلَّ خَوخَة»[1]، فكأنه ذكره هنا بالمعنى.

ثم أسند البخاري في الباب حديثَ أبي سعيد الخدري، قال: خطب رسول الله ﷺ الناسَ وقال: «إنَّ الله خَيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده»، فاختار ذلك العبد ما عند الله؛ قال: فبكى أبو بكر، فتعجبنا لبكائه أنْ يُخْبِر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسول الله ﷺ هو المُخيَّر، وكان أبو بكر أعلَمَنا، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته[2]، لا يبقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابَ أبي بكر»[3].

ورواه مسلم من طريق مالك بن أنس بنحوه، قال: «لا تُبْقَيَنَّ في المسجد خوخةٌ إلا خوخةَ أبي بكر»[4].

---

(١) فتح الباري ١/٥٥٨ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٢/١١٩.

(٣) فتح الباري ١/٥٥٨، ٧/١٢، ٢٢٧ والتاريخ الكبير ١/١، ٤٠٨، ١/٢، ٦٨ والرياض النضرة ١/١١٢.

(٤) صحيح مسلم ٧/١٠٨ وصحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ١٦٠.

والخوخة: طاقة في الجدار، تُفْتَحُ لأجل الضوء، ولا يُشترَط علوُّها، وحيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها لاستقراب الوصول إلى مكان مطلوب، وهو المقصود هنا، ولهذا أطلق عليها: باب.

وقيل: لا يُطلق عليها: باب، إلاَّ إذا كانت تُغْلَقُ[1].

وفي حديث ابن عباس المشار إليه في الصلاة: أنَّ ذلك في مرضه ﷺ الذي مات فيه[2].

ولمسلم من حديث جندب: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بخمس ليالٍ، وذكر الحديث.

وروى عبد الله بن أحمد برجالٍ ثقات عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار، سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ في المسجد غير خوخة أبي بكر»[3].

وروى الطبراني بإسناد حسنٍ عن معاوية رضي الله عنه نحوه، وفيه: أنَّ ذلك بعد أنْ صُبَّ عليه ﷺ من سبع قربٍ من آبارٍ شتى، ولفظه: «انظروا هذه الأبواب الشوارع في المسجد فسدوها إلا ما كان من باب أبي بكر»[4].

وروى أبو يَعلى ـ ورجاله ثقات ـ عن عائشة نحوه أيضاً[5].

وفي طبقات ابن سعد: أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخي ثنا الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد: أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ أعظم الناس عليَّ مَنّاً في صحبته وذات يده أبو بكر، فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها في المسجد إلاَّ باب أبي بكر»[6].

وقال قتيبة بن سعيد: قال الليث بن سعد: قال معاوية بن صالح: فقال

---

(١) هذا وما قبله في شرح معنى الخوخة لابن حجر، نقله السمهودي حرفياً من فتح الباري ٧/ ١٤.
(٢) فتح الباري ١/٥٥٨.
(٣) مسند أحمد ١/ ٢٧٠ وأنساب الأشراف ١/٥٤٦ ـ ٥٤٧.
(٤) فتح الباري ١/٥٥٨.
(٥) مسند أبي يعلى ٤/ ٤٥٧.
(٦) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٢٧.

ناس: أغلق أبوابنا وترك باب خليله، فقال رسول الله ﷺ: «قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر، وإني أرى على باب أبي بكر نوراً، وأرى على أبوابكم ظلمة»[1].

وفيها[2] أيضاً: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني الزبير بن موسى عن أبي الحويرث، قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالأبواب تُسَدُّ إلاَّ باب أبي بكر، قال عمر: يا رسول الله دعني افتحْ كوّةً أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: لا[3].

قال الخطابي وابن بطَّال: في هذا الحديث إشارة قوية إلى استحقاق أبي بكر رضي الله عنه للخلافة، ولا سيما وقد ثبت أنَّ ذلك كان في آخر حياة النبي ﷺ في الوقت الذي أمرهم فيه أنْ لا يَؤُمَّهم إلاَّ أبو بكر[4].

قال الحافظ ابن حجر: وقد ادعى بعضهم أنَّ الباب كناية عن الخلافة، والأمر بالسدِّ كناية عن طَلَبِهَا، كأنه قال: لا يطلبنَّ أحدٌ الخلافةَ إلاَّ أبا بكر فإنه لا حَرَجَ عليه في طلبها، وإلى هذا جنح ابن حبَّان، وقَوَّى بعضهم ذلك بأنَّ منزل أبي بكر كان بالسُّنح من عوالي المدينة، فلا يكون له خوخة إلى المسجد[5].

قال الحافظ ابن حجر: وهذا الاستناد ضعيف، لأنه لا يلزم من كون منزله كان بالسُّنح أنْ لا يكون له دار مجاورة للمسجد، ومنزله الذي كان بالسنح هو منزل أصهاره من الأنصار، وقد كان له إذ ذاك زوجة أخرى، وهي أسماء بنت عُمَيس بالاتفاق، وأم رومان؛ على القول بأنها كانت باقية يومئذ[6].

وقد ذكر عمر بن شَبَّة في أخبار المدينة: أنَّ دار أبي بكر التي أُذِنَ له في إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت ملاصقة للمسجد[7]، ولم تزل بيد أبي بكر حتى

---

(١) المصدر نفسه والرياض النضرة ١/ ١٠٧.
(٢) يريد: طبقات ابن سعد.
(٣) المصدر نفسه ٢/٢٢٨.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١٤.
(٥) بالنص في فتح الباري ٧/ ١٤.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) ذكر ابن شبة هذا القسم من الخبر في تاريخ المدينة ١/ ٢٤٢ وما بعد ذلك لم يرد عنده.

احتاج إلى شيء يعطيه لبعض منَ وَفَدَ عليه فباعها، فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم[١].

قلت: وسيأتي بقية ما ذكره في إدخالها في المسجد في زيادة عمر رضي الله عنه.

وقال ابن شَبَّة أيضاً في ذكر دور بني تيم: اتَّخذ أبو بكر رضي الله عنه داراً في زُقَاق البقيع قبالة دار عثمان الصغرى، واتخذ منزلاً آخر أيضاً عند المسجد، وهو المنزل الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «سُدُّوا عني هذه الأبواب إلاَّ ما كان من باب أبي بكر»[٢].

قال أبو غسَّان: أخبرني محمد بن إسماعيل بن أبي فديك أنَّ عَمَّه أخبره: أنَّ الخوخة الشارعة في دار القضاء في غربي المسجد خوخة أبي بكر الصديق التي قال لها رسول الله ﷺ: «سُدُّوا عني هذه الأبواب إلا ما كان من خوخة أبي بكر الصديق»[٣].

واتخذ أبو بكر أيضاً بيتاً بالسُّنح، انتهى كلام ابن شَبَّة[٤].

وقال الجمال المطري: وأما خوخة أبي بكر رضي الله عنه، فإنَّ ابن النجار قال: قال أهل السير: إنَّ باب أبي بكر كان غربي المسجد[٥].

ونقل أيضاً: أنه كان قريب المنبر، ولما زادوا في المسجد إلى حدِّه في الغرب، نقلوا الخوخة وجعلوها في مثل مكانها أولاً، كما نُقِلَ باب عثمان إلى موضعه اليوم[٦].

قال المطري: وباب خوخة أبي بكر اليوم هو باب خزانة لبعض حواصل

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١٤ من قول المحب الطبري، وللخبر بقية فيه.
(٢) تاريخ المدينة ١/ ٢٤٢.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٤٣.
(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٤.
(٦) التعريف ٣٤.

الحرم، إذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريباً من الباب[1].

قلت: وهذه الخزانة جعل في جهتها عند عمارة المدرسة الأشرفية ثلاثة أبواب، ومحل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك إذا دخلت من باب السلام، وتُعرف قديماً بخزانة النورة، لوضعها فيها للعمارة.

وكلامه في ذلك يوافق ما ذكره ابن زبالة، فإنه قال: وحدثني محمد بن إسماعيل عن إسحاق بن مسلم: أنَّ الخوخة التي إلى جنب باب زياد في غربي المسجد الشارعة في رحبة القضاء هي يُمنَى خوخة أبي بكر، لما زيد في المسجد نُحِّيَتْ فجُعِلَتْ يمناها، أي: في موازاتها من جهة اليمين، ورحبة القضاء خلف الخوخة المتقدم وصفها من جهة الحصن العتيق المتخذ مدرسةً للسلطان الأشرف بعد الحريق الذي أدركناه.

قال الحافظ ابن حجر: وقد جاء في سَدِّ الأبواب التي حول المسجد أحاديث يخالف ظاهرها ما تقدم:

منها: حديث سعد بن أبي وقَّاص، قال: أمرنا[2] رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد، وترك باب علي[3].

أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قوي[4].

وفي روايةٍ للطبراني في **الأوسط** ـ رجالها ثقات ـ: فقالوا يا رسول الله سددت أبوابنا، فقال: ما أنا سددتها ولكنَّ الله سَدَّهَا[5].

وعن زيد بن أرقم، قال: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «سُدُّوا هذه الأبواب إلاَّ باب عليّ»[6] فتكلَّم ناس في ذلك،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) في الأصول: أمر، والتصحيح من فتح الباري ٧/ ١٤.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١٤ وانظر: التاريخ الكبير للبخاري ١/ ١/ ٤٠٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) التاريخ الكبير للبخاري ١/ ١/ ٤٠٨.

فقال رسول الله ﷺ: «إني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكن أُمِرتُ بشيء فاتبعته» أخرجه أحمد والنسائي والحاكم، ورجاله ثقات[1].

قلت: رواية أحمد: عن زيد بن أرقم، قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد، قال: فقال يوماً: سُدُّوا هذه الأبواب إلاّ باب عليّ، فتكلم أناس في ذلك، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإني قد أمرتُ بسدِّ هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، وإني والله ما سَدَدتُ شيئاً ولا فتحته، الحديث[2].

وعن ابن عباس، قال: أمرَ رسول الله ﷺ بأبواب المسجد فَسُدَّت إلاّ باب علي[3].

وفي روايةٍ: وأمر بسدِّ أبواب المسجد غير باب علي؛ فكان يدخل المسجد وهو جُنُب ليس له طريق غيره، أخرجهما أحمد والنسائي، ورجالهما ثقات[4].

وعن جابر بن سمرة، قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب كلها غير باب عليّ، فربما مَرَّ فيه وهو جنب، أخرجه الطبراني[5].

وعن ابن عمر: كنا نقول زمن رسول الله ﷺ: رسول الله ﷺ خيرُ الناس ثم أبو بكر ثم عمر، ولقد أُعطيَ علي بن أبي طالب ثلاثَ خصال لأنْ يكون لي واحدةٌ منهنَّ أحَبُّ إليَّ من حُمُر النَّعَم: زوَّجه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له، وسدَّ الأبواب إلاّ بابه في المسجد، وأعطى له الراية يوم خيبر، أخرجه أحمد، وإسناده حسنٌ[6].

وأخرج النسائي من طريق العلاء بن عرار بمهملات، قال: قلت لابن عمر:

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١٥ وانظر: **المعجم الكبير** للطبراني ١٢/ ١٤٧.
(٢) المصدر نفسه ٧/ ١٤ ـ ١٥.
(٣) نقلاً من المصدر نفسه ٧/ ١٥ وانظر: **سنن الترمذي** (القاهرة ١٣٨٥/ ١٩٦٥) ٥/ ٦٤١.
(٤) نقلاً من المصدر نفسه وانظر: **الكامل** لابن عدي ٧/ ٢٣٠.
(٥) نقلاً من المصدر نفسه وانظر: **المعجم الكبير** ٢/ ٢٤٦.
(٦) نقلاً من المصدر نفسه وانظر: مسند أحمد ٢/ ٢٦ و**فضائل الصحابة** لأحمد بن حنبل ٢/ ٥٦٧، ٥٩٥ و**المصنف** لابن أبي شيبة ١٢/ ٥٨ و**المصنف** لعبد الرزاق ١١/ ٢٣٢.

أخبرني عن علي وعثمان، فذكر الحديث، وفيه: وأما علي فلا تسأل عنه أحداً، وانظر إلى منزله من رسول الله ﷺ: قد سَدَّ أبوابنا في المسجد وأَقَرَّ بابه، ورجاله رجال الصحيح، إلاَّ العلاء وقد وثّقه يحيى بن مَعين وغيره[1].

قال الحافظ ابن حجر: وهذه الأحاديث تقوي بعضها بعضاً، وكلُّ طريق منها صالحة للاحتجاج، فضلاً عن مجموعها، وقد أورد ابنُ الجوزي هذا الحديث في **الموضوعات**، وأخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم، وأعَلَّه ببعض من تُكُلِّمَ فيه من رواته، وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعلَّه أيضاً بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر، وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر[2].

قال الحافظ ابن حجر: وقد أخطأ في ذلك خطأً شنيعاً، فإنه سلك ردَّ الأحاديث بتوهمه المعارضة، مع أنَّ الجمع بين القصتين ممكن[3].

وقد أشار إلى ذلك البزار في مسنده فقال: وَرَدَ من روايات أهل الكوفة بأسانيدَ حِسانٍ في قصة عليّ، وورد من روايات أهل المدينة في قصة أبي بكر، فإنْ ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دلَّ عليه حديث أبي سعيد الخدري ـ يعني: الذي أخرجه الترمذي ـ: أنَّ النبي ﷺ قال: لا يَحِلُّ لأحدٍ أنْ يطرق هذا المسجد جنباً غيري وغيرك، والمعنى أنَّ باب عليّ كان إلى جهة المسجد، ولم يكن لبيته بابٌ غيره، فلذلك لم يُؤْمَر بسدِّه[4].

ويؤيد ذلك ما أخرجه إسماعيل القاضي[5] في **أحكام القرآن** من طريق

---

(١) نقلاً من المصدر نفسه.

(٢) فتح الباري ٧/ ١٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي البصري قاضي بغداد المتوفى سنة ٢٨٢ هـ، مؤلف أحكام القرآن ومعاني القرآن، انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٩ ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٦١ مع مصادر ترجمته.

المطلب بن عبد الله بن حنطب: أنَّ النبي ﷺ لم يأذن لأحدٍ أنْ يَمُرَّ في المسجد وهو جنب إلاَّ لعلي بن أبي طالب، لأنَّ بيته كان في المسجد، ومحصل الجمع أنَّ الأمر بسدِّ الأبواب وقع مرتين:

ففي **الأولى**: استثنيَ عليٌّ لما ذكره من كون بابه كان إلى المسجد، ولم يكن له غيره.

وفي **الأخرى**: استثنيَ أبو بكر، ولكن لا يتم ذلك إلاَّ بأنْ يُحملَ ما في قصة عليّ على الباب الحقيقي، وما في قصة أبي بكر على الباب المجازي، والمراد به: الخوخة، كما صُرِّح به في بعض طرقه، وكأنَّهم لما أُمِرُوا بسدِّ الأبواب سَدُّوها وأحدثوا خوخاً يستقربون الدخول إلى المسجد منها، فأُمِرُوا بعد ذلك بسدِّها[1].

فهذه طريقة لا بأس بها في الجمع بين الحديثين المذكورين، وبها جمع بينهما الطحاوي[2] في **مشكل الآثار** والكلاباذي[3] في **معاني الأخبار**، وصرَّح بأنَّ بيت أبي بكر كان له باب من خارج المسجد وخوخة إلى داخل المسجد، وبيت عليّ لم يكن له باب إلاَّ من داخل المسجد، انتهى ما أورده الحافظ ابن حجر في ذلك[4].

قلت: والعبارة تحتاج إلى تنقيح، لأنَّ ما ذكره بقوله: «ومحصل الجمع» طريقة أخرى في الجمع غير الطريقة المتقدمة، إذ محصل الطريقة المتقدمة أنَّ البابين بَقِيا، وأنَّ المأمورين بالسد هم الذين كان لهم أبواب إلى غير المسجد مع أبواب من المسجد، وأما عليّ فلم يكن بابه إلاَّ من المسجد، وأنَّ الشارع ﷺ

---

(١) نقلاً حرفياً من **فتح الباري** ٧/ ١٥.

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي المتوفى سنة ٣٢١هـ، مؤلف كتاب **الشروط** و**معاني الآثار** (لعله هو: **مشكل الآثار**) وغيرها، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٥/ ٢٧ مع مصادر ترجمته و**معجم المؤلفين** ٢/ ١٠٧ مع مصادر ترجمته أيضاً.

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري المتوفى سنة ٣٨٤هـ، مؤلف كتاب **بحر الفوائد** المسمى بـ: **معاني الأخبار** و**التعرف لمذهب أهل التصوف** وغيرهما، انظر: بروكلمان ١/ ٢٠٠ وملحقه ١/ ٣٦٠ و**معجم المؤلفين** ٨/ ٢١٢، ٢٢٢ مع مصادر ترجمته.

(٤) **فتح الباري** ٧/ ١٥.

خَصَّه بذلك، وجعل طريقه إلى بيته المسجدَ لِمَا سبق، فباب أبي بكر هو المحتاج إلى الاستثناء، ولذلك اقتصر الأكثر عليه، ومَنْ ذكر باب عليّ فإنما أراد بيان أنه لم يُسَدَّ، وأنه وقع التصريح بإبقائه أيضاً.

والطريقة الثانية: تعدد الواقعة، وأنَّ قصة عليّ كانت متقدمة على قصة أبي بكر رضي الله عنهما.

ويؤيد ذلك ما أسنده يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن عبد الله بن مسلم الهذلي[1] عن أبيه عن أخيه، قال: لما أمر بسدِّ أبوابهم التي في المسجد خرج حمزة بن عبد المطلب يَجُرُّ قطيفةَ له حمراء وعيناه تَذْرِفَانِ يبكي، يقول: يا رسول الله أخرجت عمَّك وأسكنت ابن عمِّك، فقال: ما أنا أخرجتك ولا أسكنته، ولكنَّ الله أسكنه[2]، فذِكْرُ حمزة رضي الله عنه في القصة يَدُلُّ على تقدُّمِهَا.

وروى البزار ـ وفيه ضعفاء قد وُثِّقُوا ـ عن عليّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: انطلق فَمُرْهُم فليسدوا أبوابهم، فانطلقت فقلت لهم ففعلوا إلاَّ حمزة، فقلت: يا رسول الله قد فعلوا إلاَّ حمزة، فقال رسول الله ﷺ: قل لحمزة فليُحَوِّل بابه، فقلت: إنَّ رسول الله ﷺ يأمُرُكَ أنْ تُحول بابَكَ، فحوله، فرجعت إليه وهو قائم يصلي، فقال: ارجع إلى بيتك.

وروى البزار بإسنادٍ ـ قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه ـ عن عليّ رضي الله عنه، قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: إنَّ موسى سأل ربه أنْ يُطَهِّر مسجده بهارون، وإني سألت ربي أن يطهِّرَ مسجدي بك وبذريتك، ثم أرسل إلى أبي بكر أنْ سُدَّ بابَك، فاسترجع ثم قال: سمع وطاعة، فسدَّ بابه، ثم أرسل إلى عمر، ثم إلى العباس بمثل ذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: ما أنا سَدَدتُ أبوابكم وفتحت بابَ عليّ، ولكنَّ الله فتح باب عليّ وسدَّ أبوابكم»[3].

---

(١) في الأصول: «الملاي»، وهو يشبه أن يكون تصحيف «الهذلي»، فلعله عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي، انظر: **ميزان الاعتدال** ٢/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣ و**المغانم المطابة** ١٢.

(٢) في **المستدرك** ٣/ ١١٧ أن االعباس هو القائل.

(٣) **فتح الباري** ٧/ ١٤ ـ ١٥ وانظر: مسند أحمد ١/ ١٧٥ ومسند أبي يعلى ٢/ ٦١ ـ ٦٢ و**كشف الأستار**=

قلت: ذِكْرُ العباس بَدَل حمزة هنا وفي ما سيأتي فيه نظر، لأنه يقتضي تأخُّر ذلك، لأنه إنما قدم المدينة عام الفتح.

وأسند ابن زبالة ويحيى من طريقه عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: بينما الناس جلوس في مسجد رسول الله ﷺ إذ خرج مُنَادٍ فنادى: أيها الناس سُدُّوا أبوابكم، فتحسحس[1] الناس لذلك، ولم يقم أحدٌ، ثم خرج الثانية فقال: أيها الناس سُدُّوا أبوابكم، فلم يقم أحدٌ، وقال الناس: ما أراد بهذا؟ فخرج فقال: أيها الناس سدوا أبوابكم قبل أنْ ينزل العذاب، فخرج الناس مبادرين، وخرج حمزة بن عبد المطلب يجرُّ كساءه حين نادى: سدوا أبوابكم، قال: ولكل رجل منهم باب إلى المسجد: أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم.

قال: وجاء علي حتى قام على رأس رسول الله ﷺ فقال: ما يُقيمك؟ ارجع إلى رَحلك، ولم يأمره بالسد، فقالوا: سَدَّ أبوابنا وترك باب علي وهو أحدَثُنا، فقال بعضهم: تركه لقرابته، فقالوا: حمزة أقرب منه، وأخوه من الرضاعة وعمه، وقال بعضهم: تركه من أجل ابنته.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم بعد ثالثة فحمد الله وأثنى عليه، مُحْمَراً وجهه ـ وكان إذا غضب احمرَّ عِرقٌ في وجهه ـ ثم قال: أما بعد ذلكم فإنَّ الله أوحى إلى موسى أن اتخذ مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاَّ هو وهارون وأبناء هارون شبرا وشبيرا، وإنَّ الله أوحى إليَّ أنْ أتخذ مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاَّ أنا وعليّ وأبناء علي حسن وحسين، وقد قدمت المدينة، واتخذت بها مسجداً، وما أردت التحول إليه حتى أُمِرتُ، وما أعلم إلا ما عُلِّمت وما أصنعُ إلاَّ ما أُمِرتُ، فخرجتُ على ناقتي فلقيني الأنصار يقولون: يا رسول الله انزل علينا، فقلت: خلوا الناقة فإنها مأمورة حتى نزلت حيث بركت، والله ما أنا سددت الأبواب وما أنا فتحتها، وما أنا أسْكَنْتُ علياً ولكن الله أسكنه.

وروى أحمد بإسناد حسن عن سعد بن مالك، قال: أمر رسول الله ﷺ بِسَدِّ

= بزوائد البزار للهيثمي ٣/ ١٩٥ ومجمع الزوائد ٩/ ١١٤.

(١) تحسحس: توجع وتشكى، تاج العروس ٤/ ١٢٩ «حسّ».

الأبواب الشارعة في المسجد، وترك باب عليّ رضي الله عنه[1].

ورواه أبو يَعلى والبزار والطبراني في **الأوسط**، وزاد: قالوا: يا رسول الله سددت أبوابنا كلها إلاّ باب عليّ، قال: ما أنا سددت أبوابكم، ولكن الله سَدَّها[2].

وأسند يحيى عنه بلفظ: إنَّ رسول الله ﷺ أمَرَ بالأبواب فَسُدَّت إلاّ باب عليّ، فقال العباس: يا رسول الله سددتَ أبوابنا إلاّ باب عليّ، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها.

وعن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: سُدُّوا أبواب المسجد إلاّ باب عليّ، فقال[3] رجلٌ: اترك لي قَدْرَ ما أخرج وأدخل، فقال رسول الله ﷺ: لم أُومَر بذلك، فقال: اترك بقدر ما أخرج صدري يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: لم أُومَر بذلك، وانصرف؛ قال رجل: فبقدر رأسي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: لم أُومَر بذلك، وانصرف كأنه واجدٌ، باكياً حزيناً، فقال رسول الله ﷺ: لم أُومَر بذلك، سَدّوا الأبواب إلاّ باب عليّ.

ورواه الطبراني عن جابر مختصراً، وفيه ناصح بن عبد الله[4]، وهو متروك، ولفظ الطبراني: أمر رسول الله ﷺ بسدَّ الأبواب كلها غير باب علي رضي الله عنه، فقال العباس: يا رسول الله اترك لي قدر ما أدخل أنا وحدي وأخرج، فقال: ما أومرتُ بشيء من ذلك، فَسَدَّها كلَّها غير باب عليّ، قال: وربما مَرَّ وهو جُنُب[5].

وأسند ابن زبالة ويحيى من طريقه عن عمرو بن سهل[6]: أنَّ رسول الله ﷺ أمَرَ بِسَدِّ الأبواب الشوارع في المسجد، قال له رجلٌ من أصحابه: يا رسول الله دَعْ

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١٤.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١٤ وانظر: مسند أبي يعلى ٢/ ٦١ ـ ٦٢ مع سرد بالمصادر التي أوردته وأقوال علماء الجرح والتعديل في رواته.

(٣) فتح الباري ٧/ ١٥ عن الطبراني.

(٤) ميزان الاعتدال ٤/ ٢٤٠ حيث أورد الذهبي أقوال علماء الجرح والتعديل فيه.

(٥) نقلا من فتح الباري ٧/ ١٥.

(٦) انظر عنه الإصابة ٢/ ٥٤٢.

لي كُوَّةً أنظر إليك منها حين تغدو وحين تروح، فقال: لا والله ولا مثل ثقب الإبرة.

قلت: وقد اقتضى ذلك المنع من الخوخة أيضاً، بل ومما دونها، عند الأمر بِسَدِّ الأبواب أولاً، فإنْ صَحَّ ذلك فيحمل الإذن بعده في اتخاذ الخوخ، ثم كانت قصة أبي بكر بعد ذلك.

وفي **طبقات** ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الرحمن بن الواقفي[1] عن صالح بن حَسَّان[2] عن أبي البداح[3] بن عاصم بن عدي، قال: قال العباس ين عبد المطلب: يا رسول الله ما بالُكَ فتحت أبواب رجال في المسجد، وما بالك سددتَ أبواب رجال في المسجد؟ فقال رسول الله ﷺ: يا عباس ما فتحتُ عن أمري ولا سَدَدْتُ عن أمري[4]، والله أعلم.

---

(١) في **الطبقات** ٢/٢٢٨: «بن الحر الواقفي».

(٢) قال الذهبي في **ميزان الاعتدال** ٢/٢٩١: «صالح بن أبي حسان، ويقال: صالح بن حسان النضري» وذكر أقوال علماء الجرح والتعديل في تضعيفه.

(٣) ذكره ابن حجر مرتين في **الإصابة** ٤/١٧، ٢٤ وناقش روايات صحبته.

(٤) **طبقات ابن سعد** ٢/٢٢٨.

الفصل الثاني عشر
في زيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في المسجد

سيأتي في **الفصل الرابع عشر** من رواية البخاري وأبي داود عن ابن عمر: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لم يَزِدْ في مسجد رسول الله ﷺ شيئاً، وزاد فيه عمر[(١)].

وسيأتي في روايةٍ لأبي داود: أنَّ سَواري المسجد نَخَرتْ في خلافة أبي بكر، فبناها بجذوع النخل، وهو لا ينافي رواية: أنه لم يزد فيه.

وقال أهل السِيَر: لم يزد أبو بكر في المسجد شيئاً لأنه اشتغل بالفتح ثانياً[(٢)]، فلما ولي عمر قال: إني أُريد أنْ أزيدَ في المسجد، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينبغي أنْ يُزاد المسجد» ما زدت فيه شيئاً[(٣)].

وفي **تاريخ اليافعي**: أنَّ زيادته فيه كانت في سنة سبع عشرة[(٤)].

وذكر غيره: أنه زاد في هذه السنة في المسجد الحرام، ولم يتعرض لتاريخ زيادته في مسجد المدينة.

وأسند ابن زبالة عن أنس، قال: لما توفي رسول الله ﷺ ووَلِيَ أبو بكر لم يحوِّل المسجد، فلما وليَ عمر جعل أساطينة من لَبِنٍ، ونزع الخشب ومدَّه في

---

(١) فتح الباري ١/ ٥٤٠.

(٢) كذا في الأصول والخلاصة ٢٥٦ والمغانم المطابة.

(٣) نقلاً من المغانم المطابة ص١٦١ ـ ١٦٢ وانظر: كشف الأستار ١/ ٢٠٦ ومجمع الزوائد ٢/ ١١.

(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١/ ٧٣.

القبلة، وكان حَدُّ جدار عمر من القبلة على أول أساطين القبلة التي إليها المقصورة، أي: التي كانت بين صفِّ الأساطين التي تَلِي القبلة على الرواق القبلي.

والذي في صحيح البخاري وسنن أبي داود ـ كما سيأتي ـ أنَّ عمر رضي الله عنه زاد في المسجد، وبناه على بنائه في عهد رسول الله ﷺ باللَّبِن والجريد، وأعاد عَمَدَهُ[١] خَشَباً[٢]، وهذا مخالف لما في رواية ابن زبالة من: أنَّ عمر جعل أساطينه من لَبِنٍ، والمعوَّلُ عليه روايةُ الصحيح[٣].

وروى أحمد عن نافع: أنَّ عمر رضي الله عنه زاد في المسجد من الاسطوانة إلى المقصورة، وقال عمر: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينبغي أنْ نَزيد في مسجدنا، ما زدت»[٤].

وأسند يحيى عن ابن عمر: أنَّ عمر رضي الله عنه قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينبغي أن نزيد في المسجد» ما زدت في المسجد شيئاً.

وفي رواية له: أنَّ ابن عمر قال: إنَّ الناس كثروا في عهد عمر، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين لو وسَّعتَ في المسجد، فقال عمر: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني أُريد أنْ أزيدَ في قبلة مسجدنا» ما زدت فيه[٥].

وأسند ابن زَبَالة عن مسلم بن خَبَّاب[٦]: أنَّ النبي ﷺ قال يوماً وهو في مُصَلَّاه في المسجد: «لو زدنا في مسجدنا» وأشار بيده نحو القبلة، فأدخلوها رجلاً وأجلسوه في موضع مصلى النبي ﷺ ثم رفعوا يَدَ الرجل وخفضوها حتى رأوا أنَّ

---

(١) جمع عَمود وجمعه في القلة أعمدة وفي الكثرة عَمَدٌ وعُمُدٌ.
(٢) فتح الباري ١/ ٥٤٠.
(٣) في حاشية م١: «قلت والعجب من المؤلف لمَ لا يعول على حديث الصحيح في باب سد الأبواب فافهم».
(٤) المطالب العالية لابن حجر ١/ ١٣٥ عن أبي يعلى.
(٥) المصدر نفسه وكشف الأستار ١/ ٢٠٦.
(٦) قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ١٠٣ «مجهول».

ذلك نحو ما رأى أنَّ النبي ﷺ رفع يده، ثم مَدُّوا مِقطاً[١] فوضعوا طرفه بيد الرجل، ثم مَدُّوه، فلم يزالوا يقدمونه ويؤخِّرونه حتى رأوا أنَّ ذلك شبيهٌ بما أشار رسول الله ﷺ من الزيادة، فقدَّمَ عمر القبلة، فكان موضع جدار عمر في موضع عيدان المقصورة[٢].

وقال ابن سعد، أنا يزيد بن هارون، أنا أبو أمية بن يَعلى عن سالم أبي النضر، قال: لما كثر المسلمون في عهد[٣] عمر رضي الله عنه وضاق بهم المسجد، فاشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلاَّ دار العباس بن عبد المطلب وحُجَر أمهات المؤمنين[٤]، فقال[٥]عمر للعباس: يا أبا الفضل، إنَّ مسجد المسلمين قد ضاق بهم، وقد ابتعت ما حوله من المنازل نوسع به على المسلمين في مسجدهم إلاَّ دارك وحُجَر أمهات المؤمنين، فأما حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها، وأما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين أُوسِّع بها في مسجدهم، فقال العباس: ما كنت لأفعل، قال: فقال له عمر: اختر مني إحدى ثلاث: إما أنْ تبيعنيها بما شئت من بيت المال، وإما أنْ أخطك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين، وإما أنْ تَصَدَّقَ بها على المسلمين فنوسع في مسجدهم، فقال: لا! ولا واحدة منها، فقال عمر: اجعل بيني وبينك من شئتَ، فقال: أُبيٌّ بن كعب.

فانطلقا إلى أُبَيٍّ فقصَّا عليه القصة، فقال أُبي: إنْ شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، فقالا: حدِّثنا، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ الله أوحى إلى داود أنْ ابنِ لي بيتاً أُذكَرُ فيه، فخطَّ له هذه الخطة؛ خطة بيت

---

(١) في الأصول: مقطاً، والمقاط: بكسر الميم، الحبل الصغير الشديد الفتل يكاد يقوم من شدة فتله، على وزن كتاب، **النهاية في غريب الحديث** ٤/٣٤٧ وورد في **تحقيق النصرة** ٤٦: «مقسط» وهو تحريف واضح.

(٢) الخبر بنصه في **الدرة الثمينة** ٢/٣٦٩ عن ابن زبالة.

(٣) سقطت من ش، م١.

(٤) «وحجر أمهات المؤمنين»: سقطت من خ.

(٥) الجملة: «فقال عمر للعباس .... وحجر أمهات المؤمنين» سقطت من ص.

المقدس، فإذا تربيعها بزواية بيت رجلٍ من بني إسرائيل، فسأله داود أنْ يبيعه إياها، فأبى، فحَدَّث داود نفسه أنْ يأخذها منه، فأوحى الله إليه: أنْ يا داود أمرتُكَ أنْ تبني لي بيتاً أُذكَرُ فيه، فأردتِ أنْ تُدخِلَ في بيتي الغَصبَ وليس من شأني الغصب، وإنَّ عقوبتك أنَّ لا تبنيه، قال: يا ربِّ فمن ولدي، قال: فمن ولدك[1].

فأخذ عمر بمجامع أُبيّ بن كعب، فقال: جئتُك بشيءٍ فجئتَ بما هو أشدُّ منه، لتخرُجَنَّ مما قلت، فجاء يقوده حتى دخل المسجد، فأوقفه على حلقةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبو ذر، فقال أُبَيٌّ: نشدتُ الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أنْ يبنيه إلا ذكره، فقال أبو ذر: أنا سمعته من رسول الله ﷺ، وقال آخر: أنا سمعته، يعني: من رسول الله ﷺ، قال: فأرسل أُبيّاً، قال: فأقبل أُبيّ على عمر فقال: يا عمر أتتهمني على حديث رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: والله يا أبا المنذر ما أتهمتك عليه، ولكن أردت أن يكون الحديث من رسول الله ﷺ ظاهراً، قال: وقال عمر للعباس: اذهب فلا أعرض لك في دارك، فقال العباس: أما إذا قلت ذلك فإني قد تصدقت بها على المسلمين أوسع عليهم في مسجدهم، فأما وأنت تخاصمني فلا، قال: فخط له عمر داره التي هي اليوم، وبناها من بيت مال المسلمين[2].

وفي سنن البيهقي، قبل كتاب الرجعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما أراد عمر رضي الله عنه أنْ يزيدَ في مسجد رسول الله ﷺ وقعت زيادته على دار العباس رضي الله عنه، فأراد عمر أنْ يُدخلها في المسجد ويعوِّضه منها فأبى، وقال: قطيعةُ رسول الله ﷺ، فاختلفا، فجعلا بينهما أُبيّ بن كعب رضي الله عنه، فأتياه في منزله، وكان يُسَمَّى: سيِّد المسلمين، فأمر لهما بوسادة، فألقيت لهما فجلسا عليها بين يديه، فذكر عمر ما أراد، وذكر العباس قطيعة رسول الله ﷺ، فقال أُبَيٌّ رضي الله عنه: إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر عبده ونبيه داود أنْ يبني له بيتاً، قال:

---

(١) فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام لابن المرجى المقدسي ١٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢١ ـ ٢٢ وأورد الحربي في كتاب المناسك ٣٦٢، قصة مختصرة في دار العباس.

أي ربِّ! وأين هذا البيت؟ قال: حيث ترى الملك شاهراً سيفه، فرآه على الصخرة، وإذا ما هناك يومئذٍ أندر[١] لغلام من بني إسرائيل، فأتاه داود عليه السلام، فقال: إني أُمِرتُ أنْ أبني هذا المكان بيتاً لله تعالى، فقال له الفتى: الله أمرَكَ أن تأخذ مني بغير رضايَ؟ قال: لا! فأوحى الله إلى داود إني قد جعلت في يَدِكَ خزائنَ الأرض فأرضِهِ، فأتاه داود عليه السلام فقال: إني قد أُمِرتُ برضاك، فلك بها قنطار من ذهب، فقال: قد قَبِلتُ، فيا داود هي خير أم القنطار؟ فقال: بل هي، قال: فأرضني، قال: فلك بها ثلاث قناطير، فلم يزل يشدد على داود حتى رضي منه بتسع قناطير[٢].

قال العباس رضي الله عنه: اللَّهُمَّ لا آخذُ لها ثواباً، وقد تصدقت بها على جماعة المسلمين، فقبلها عمر، فأدخلها في مسجد رسول الله ﷺ[٣].

قلت: وهذا يُفْهِمُ أنَّ داود صلوات الله وسلامه عليه بنى بيت المقدس، وأنه أول من بناه، والرواية المتقدمة تقتضي أنَّ سليمان صلوات الله وسلامه عليه هو الذي بناه.

ويؤيده ما رواه الطبراني من حديث رافع بن عميرة مرفوعاً، قال: قال الله عَزَّ وَجَلَّ لداود: ابْنِ لي بيتاً في الأرض[٤]، وإنَّ داود عليه السلام بنى المسجد، فلما تَمَّ السور سقط ثلثاه، فشكا ذلك إلى الله تعالى، فأوحى الله إليه: إنه لا يصلح أنْ يبني لي بيتاً، وذكر قصةً غير ما تقدم، فشَقَّ ذلك على داود، فأوحى الله تعالى إليه: إني سأقضي بناءه على يد ابنك سليمان[٥].

---

(١) الأندر: البيدر، وهو الموضع الذي يُداس فيه الطعام بلغة أهل الشام، النهاية في غريب الحديث ١/٧٤ وقال عياض في المشارق ١/٢٨٦: «البيدر للتمر كالأنادر للطعام، يجمع فيها إذا جُدَّ، ويسمى الجرين».

(٢) السنن الكبرى ٦/١٦٨ وفضائل المدينة للجندي ٣٨ وفضائل بيت المقدس لابن الجوزي ٧٤ ـ ٧٥ ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ورقة ٢٥أ.

(٣) السنن الكبرى ٦/١٦٨.

(٤) ص: في الجنة.

(٥) فتح الباري ٦/٤٠٨.

وروى النسائي من حديث عمرو بن العاص مرفوعاً بإسناد صحيح: أنَّ سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالاً ثلاثاً، الحديث[(١)].

وسواء كان الباني له داود أو سليمان عليهما السلام يُشكل عليه ما في **الصحيحين** عن أبي ذر: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وُضعَ على الأرض، فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاماً[(٢)].

ووجه الإشكال ـ كما ذكره ابن الجوزي ـ: أنَّ إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة وبينه وبين سليمان أكثر من ألف سنة[(٣)].

وقد مشى ابن حبان على ظاهر الحديث المذكور، فقال: فيه ردٌّ على من زعم أنَّ بين إبراهيم وداود ألف سنة، ولو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة، وهذا عين المحال، للاتفاق على طول الزمان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام، ثم أنَّ نصَّ القرآن: أنَّ قصة داود في قتل جالوت كانت بعد موسى بمدة[(٤)].

وأجاب ابن الجوزي: بأنَّ الإشارة في حديث **الصحيحين** إلى أول البناء، ووضع أساس المسجد، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة، ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس؛ فقد روى[(٥)]: أنَّ أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده في الأرض، فجائزٌ أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس بعد ذلك بأربعين سنة، ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن[(٦)].

وذكر ابن هشام في كتاب **التيجان**: أنَّ آدم عليه السلام لما بنى البيت أمره

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٤٠٨ وانظر: **المعجم الكبير للطبراني** ٥/ ٢٤ ـ ٢٥.
(٢) فتح الباري ٦/ ٤٠٧، ٤٥٨ وصحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٥ ومسند الحميدي ١/ ٧٤.
(٣) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٤٠٨ وفيه: «قال ابن الجوزي: فيه إشكالٌ، لأنَّ إبراهيم...».
(٤) نقلاً من المصدر نفسه، وفيه: «قلت: وقد مشى ابن حبان ... وهذا عين المحال لطول الزمان بالاتفاق بين بناء إبراهيم عليه السلام البيت وبين موسى عليه السلام...».
(٥) في فتح الباري ٦/ ٤٠٨: «فقد روينا».
(٦) نقلاً من فتح الباري ٦/ ٤٠٨.

جبريل عليه السلام بالمسير إلى بيت المقدس وأنْ يبنيَه، فبناه ونَسَك فيه[1].

وأجاب بعضهم: بأنَّ داود وسليمان عليهما السلام إنما كان لهما من المسجد الأقصى تجديدهُ لا تأسيسه، والذي أسَّسَه هو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر[2].

ويُشْكِلُ على ذلك ذِكْرُ القصة المتقدمة، لأنه حينئذ لا يحتاج إلى شراء أرضه، نعم قال الخطَّابي: يُشبه أنْ يكون المسجد الأقصى وُضِعَ قبل داود وسليمان، ثم زادا فيه ووسَّعاه فأُضيفَ إليهما بناؤه[3]، فيحتمل حينئذ أنَّ القصة المتقدمة وقعت في ما وقع الأمر بزيادته فيه.

ويؤيد[4] ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي يحيى الضرير زيد بن الحسن البصري، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب، أنه قال للعباس رضي الله عنهما: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: نزيد في المسجد، ودارك قريبة من المسجد، فأَعْطِنَاهَا نزيدها فيه، وأقطع لك أوسع منها، قال: لا أفعل! قال: إذاً أغلبك عليها، قال: ليس لك ذلك، قال: فاجعل بيني وبينك من يقضي بالحق، قال: ومن هو؟ قال: حُذيفة بن اليمان، قال: فجاءوا إلى حذيفة رضي الله عنه، فقصوا عليه، فقال حذيفة: عندي في هذا خبرٌ، قالوا: وما ذاك؟ قال: إنَّ داود النبي ﷺ أراد أنْ يزيد في بيت المقدس، وقد كان بيتٌ قريبٌ من المسجد لِيَتِمٍ، فطلب إليه فأبى، فأراد أنْ يأخذه منه، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: إنَّ[5] أنْزَهَ البيوتِ عن الظُّلم لَبيتي، قال: فتركه، فقال له العباس: فبقي شيء؟ قال: لا، قال: فدخل عمر المسجد فإذا ميزابٌ للعباس شارعٌ في مسجد رسول الله ﷺ ليسيل ماء المطر منه، فقال عمر بيده فَقَلَعَ

(١) نقلاً من المصدر نفسه ٦/٤٠٩ وانظر: كتاب التيجان ١٧، ٢٢.

(٢) هذا أحد الآراء التي ذكرها ابن حجر في فتح الباري ٦/٤٠٩.

(٣) نقلاً من فتح الباري ٦/٤٠٩.

(٤) النص من: «ويؤيد ذلك» .... إلى «وقعت منازعة على دار العباس فذكر نحوه» لم يرد في: م١، س، ت، ر، ش وورد في: م٢، خ، ص فقط.

(٥) م٢: اني.

الميزاب، فقال: هذا الميزاب لا يسيل في مسجد رسول الله ﷺ، فقال العباس: والذي بعثَ محمداً بالحق إنه هو الذي وضع هذا الميزاب في هذا المكان ونَزَعْتَهُ أنت يا عمر، فقال عمر رضي الله عنه: ضَعْ رجليك على عنقي لترده إلى ما كان، ففعل ذلك العباس، ثم قال العباس: قد أعطيتك الدار تزيدها في مسجد رسول الله ﷺ فزادها عمر في المسجد، ثم قطع للعباس داراً أوسع منها بالزوراء[1].

وقال الحاكم: هذا الحديث كتبناه[2] ولم نكتبه إلا بهذا الإسناد، والشيخان لم يحتجَّا بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[3]، قال: وقد وجدت له شاهداً من حديث أهل الشام، ثم ساقه من طريق شعيب الخراساني عن عطاء الخراساني عن سعيد بن المسيب: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد أنْ يزيد في مسجد رسول الله ﷺ وقعت منازعة[4] على دار العباس، فذكر نحوه[5].

وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كان للعباس بيتٌ في قبلة المسجد، وكثر الناس، وضاق المسجد، فقال عمر للعباس: إنك في سَعَةٍ فأعطني بيتك هذا أوسِّع[6] به في المسجد، فأبى العباس ذلك عليه، فقال عمر: إني أُثَمِّنُكَ وأُرضيك، قال: لا أفعل، لقد ركب رسول الله ﷺ على عاتقي وأصلح ميزابه بيده فلا أفعل، قال عمر: لآخذنَّه منك! فقال أحدهما لصاحبه: فاجعل بيني وبينك حكماً، فجعلا[7] بينهما أُبَيَّ بن كعب فأتياه فاستأذنا على الباب، فحبسهما ساعةً ثم أذن لهما وقال: إنما حبستكما أني كنت كما كانت الجارية تغسل رأسي، فقصَّ عليه عمر قصته، ثم قصَّ عباس قصته، فقال: إنَّ عندي علماً مما اختلفتما فيه، ولأقضينَّ بينكما بما سمعت من رسول الله ﷺ،

---

(١) المستدرك ٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٢ وفيه تغاير يسير في الألفاظ.

(٢) في مستدرك الحاكم زيادة: «عن أبي جعفر وأبي علي الحافظ».

(٣) أورد الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٥٦٤ أقوال علماء الجرح والتعديل في تضعيفه.

(٤) خ: ساقة، ص: ساقته، م٢: وقعت ساقته كذا على، وفي المستدرك: منازعة.

(٥) إلى هنا لم يظهر في م١، س، ت، ر، ش، وهو منقول من المستدرك ٣/ ٣٣٢.

(٦) ش: أوصع.

(٧) ص: فجعل.

سمعته يقول: إن داود لما أراد أنْ يبني بيت المقدس، وكان بيتٌ ليتيمين من بني إسرائيل في قبلة المسجد فأراد منهما البيع فأبيا عليه، فقال: لآخذنَّه، فأوحى الله عز وجل إلى داود: إنَّ أغنى البيوت عن المظلمة بيتي، وقد حَرَّمتُ عليك بنيان بيت المقدس، قال: فسليمان، فأعطاه سليمان، فقال عمر لأُبَيّ: ومن لي بأنَّ رسول الله ﷺ قال هذا؟ فقال أُبي لعمر: أتظنُ أني أكذب على رسول الله ﷺ؟ لتَخرُجَنَّ من بيتي، فخرج إلى الأنصار فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا؟ فقال هذا: أنا، وقال هذا: أنا، حتى قال ذلك رجالٌ، فلما علم ذلك عمر قال: أما والله لو لم يكن غيرك لأجزت قولك، ولكني أردت أنْ استثبت.

وفي رواية ليحيى عن أبي الزناد: أنَّ عمر بن الخطاب لما زاد في المسجد دعا من كان له إلى جانبه منزل، فقال: اختاروا مني بين ثلاث خصال: أما البيع فأُثَمِّن، وإما الهبة فأشكر، وإما الصدقة على مسجد رسول الله ﷺ، فأجابه الناس، وكان للعباس دارٌ عن يمين المسجد، فدعاه عمر فقال: يا أبا الفضل اختر مني بين ثلاث خصال، وذكر نحو ما تقدم، فقال العباس: ما أُجيبك إلى شيء مما دعوتني إليه، فقال عمر: إذاً أهدمها، فقال العباس: ما لك ذلك، وذكر التحاكم إلى أُبَيّ، وقصة بيت المقدس مع مخالفةٍ في ذكر قصته لبعض ما تقدم[1].

وفي روايةٍ له عن ابن عمر: أنَّ عمر رضي الله عنه كَلَّمَ العباس في داره، وكانت في ما بين موضع الأسطوان المربعة التي تلي دار مروان بن الحكم، قَطيعَةً كان قطع له النبي ﷺ، فكلَّمه عمر رضي الله عنه يُدخِلها في المسجد وأعطاه بها ثمناً حَسَناً، وقال: يا أبا الفضل إن الناس قد شَكَوا ضيقَ مسجدهم وأحبوا الاتساع، فأبى العباس أنْ يبيعه، فقال عمر: أنا أُعطيك خيراً منه أيَّ نواحي المدينة شئت، فأبى العباس ذلك، فقال عمر: فتصدَّق على الناس، فأبى فقال عمر: لآخذنَّه، فقال العباس: ليس ذلك لك، فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً، فجعلا أُبَيَّ بن كعب، فأتياه فحبسهما ساعة ثم أذنَ لهما، ثم قال: إنَّ جاريتي كانت

---

(١) أورد ابن النجار خبرين شبيهين بهذا في الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

تغسل رأسي، فأيكما يستعدي على صاحبه؟ فقال عمر: إنَّا جعلناك حكماً بيننا، وما رأيتَ من أمرٍ لزَمَنا، فقال أبيّ: ما تقول يا أبا الفضل؟ قال: أقول ذلك، فذهب عمر يتكلم، فقال أُبي: تكلَّم يا أبا الفضل، دعه يا ابن الخطاب يتكلم لمكانه من نبي الله ﷺ، فتكلم العباس فقال: هذه خِطَّةٌ خَطَّها لي رسول الله ﷺ وابتنيتُها وبناها رسول الله ﷺ معي، وهو والله شَدَّ هذا الميزاب الذي يصبُّ في المسجد، وذكر القصة أيضاً، وأنَّ العباس قال: أما إذا قضيت به لي فهو صدقة على المسلمين، أما والله يا عمر لقد هدمتَ الميزابَ وما شددتُه إلا ورجلاي على عاتق رسول الله ﷺ، فقال عمر: فوالله لا تشدُّه إلا ورجلاك على عاتقي، قال: ثم هدم الدار ووسَّع في المسجد وغيَّر جذوعاً كانت على عهد رسول الله ﷺ كان أسفلها قد أكلته الأَرَضَةُ.

وقد أورد رزين في كتابه خبر ابن عمر المتقدم، ولفظه: عن نافع عن ابن عمر، قال: إنَّ الناس كثروا في عهد عمر رضي الله عنه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين لو وسَّعتَ لنا في المسجد، فزاد فيه عمر، فكلَّم عمر العباس في داره، وكانت لاصقةً بالمسجد، وقال له: أُعطيك خيراً منها وتصدَّق بها على الناس، فأبى العباس، وقال: خَطَّها لي رسولُ الله ﷺ ووضع ميزابها بيده، فقال عمر: فإني آخذها! قال العباس: ليس لك ذلك، فجعلا بينهما أُبَيّاً فحجبهما ساعة ثم أذن لهما، فقَصَّا عليه خبرها.

فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما أراد داود عليه السلام أنْ يبني بيت المقدس كان ليتيمين من بني إسرائيل بيتٌ في الموضع الذي خَطَّ أنْ يبني المسجد عليه، فقال لهما: بِيعَاه مني ورغَّبهما في الثمن، فباعاه، ثم قالا له: الذي أخذت منَّا خير أم الذي أعطيتنا؟ قال: الذي أخذت، قالا: فإنا لا نُجيزُ البيعَ، فزادهما حتى كان ذلك منهما ومنه سبعَ مرات، فقال: أزيدكما كذا وكذا على أنْ لا تسألاني، فقالا له: نبيعك بحكمنا ولا نسألك، قال: افعلا، فطلبا منه مالاً كثيراً فتعاظم ذلك داود، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى داود: إنْ كنت تُعطيهما من مالك فأنت أعلم، وإنْ كنت إنما تعطيهما من رزقنا فأعطهما حتى يَرْضَيَا فإنَّ أغنى

البيوت عن مظلَمَةٍ بيتي، وقد حَرَّمتُ عليك بناءه، فقال داود: يا رب فأعطه سليمان، فقضى به أُبَيٌّ للعباس، فقال العباس: أما إذ قضيتَ لي فهو صدقة على المسلمين، فذهب عمر فهدَم الميزابَ فأسف العباسُ لما وضعه رسول الله ﷺ بيده، وقال: والله لقد وضعه رسول الله ﷺ وإنَّ رجليه لعلى عاتِقي، فقال عمر للعباس: والله لَتَرُدَّنَّه ورجلاك على عاتِقي، فردَّه، ثم قال عمر للعباس: اهدم الآن بيدك.

وقد روى: أنَّ نَزْع الميزاب كان قبل ذلك لأجل أنه كان يسكب الماء داخل المسجد لِلُصُوقِه[1] به، انتهى لفظ رواية ابن رزين.

وروى يحيى بسند جيد عن سفيان بن عُيينة عن موسى بن أبي عيسى، قال: كان في دار العباس ميزابٌ يصبُّ في المسجد، فجاء عمر فقلعه، فقال العباس: إنَّ النبي ﷺ الذي وضعه بيده، فقال عمر للعباس: لا يكون لك سُلَّمٌ إلا ظهري حتى تَرُدَّهُ مكانه.

وروى ابن إسحاق[2] عن أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن عبيد الله بن عباس، قال: كان للعباس ميزابٌ على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذُبِحَ للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صُبَّ فيه ماءٌ فيه من دم الفرخين فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع فطرح ثيابه ثم لبس غيرها، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله إنه الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لما صَعدَتَ على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس[3].

ورواه[4] الإمام أحمد في مسنده من حديث هشام بن سعد عن عبيد الله بن

---

(١) ص: للزوقه.

(٢) كذا في الأصول، ولم أقف على الخبر في كتاب السيرة بتهذيب ابن إسحاق، والخبر بنصه وإسناده في طبقات ابن سعد.

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٠.

(٤) الجملة: "ورواه الإمام أحمد .... فذكره بنحوه": هي في خ، م٢، ص، فقط، وفي حاشية س بخط مغاير.

عباس أخي عبد الله، فذكره[1]، وكذا رواه ابن سعد.

وقال ابن أبي حاتم: إنه سأل أباه عنه، وقال: هو خطأ.

وأخرجه ابن سعد من طريق موسى بن عبيدة[2] عن يعقوب بن زيد[3]: أنَّ عمر خرج في يوم الجمعة، فذكره بنحوه[4].

وروى يحيى عن أبي مصعب الزهري الفقيه، قال: حدثنا يوسف بن الماجشون عن الثقة: أنه كان في دار مروان ميزابٌ يصُبُّ على الناس إذا خرجوا من المسجد في المطر، وكانت دار مروان للعباس بن عبد المطلب، فقال: فأمر عمر ابن الخطاب بذلك الميزاب فَنُزِعَ، فجاءه العباس بن عبد المطلب فقال: أما والله لوضَعَه رسولُ الله ﷺ بيده، قال: فأعاده عمر حيث كان، وقال: والله لا تُعيدُه إلاَّ وأنت على رقبتي، فأعاده العباسُ يومئذٍ على رقبة عمر[5].

قلت: وهذه الدار بقيةٌ من التي وقع فيها النزاع المتقدم فيها، ونسبتها إلى مروان ـ لما سيأتي ـ أنها دخلت في داره[6].

ورويَ أنها مِرْبَدُها، فكأنَّ هذا الميزاب كان في تلك البقية، فيجمع بين الروايات بأنه كان للدار المذكورة ميزابان: ميزاب يصب في المسجد، وميزاب يصب في الطريق، واتفق في كلٍّ منهما قصة.

ويؤيد ذاك ما رواه يحيى في زيادة عثمان رضي الله عنه عن الأعمش، قال: بنى عباس بن عبد المطلب داره التي إلى جنب المسجد، فجعل يرتجز يقول[7]:

بَنَيتُها باللَّبِنِ والحِجَارَهْ والخَشَبَاتِ فَوقَهَا مُطَارَهْ

---

(١) مسند أحمد، مسند بني هاشم ١٦٩٤.

(٢) موسى بن عبيدة الربذي المتوفى سنة ١٥٣هـ، ترجم له الذهبي في **ميزان الاعتدال** ٤/٢١٣ وذكر أقوال علماء الجرح والتعديل في ضعفه.

(٣) خ: عن يعقوب بن عمر خرج..

(٤) **طبقات ابن سعد** ٤/ ٢٠.

(٥) انظر: كتاب **المناسك** للحربي ٣٦٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) كذا في الأصول، ولعلها كانت: ويقول.

يــا رَبَّنَــا بَــارِكْ لأَهْــلِ الــدَارَهْ

فقال رسول الله ﷺ: اللهمَّ بارك في هذه الداره.

قال: وجعل العباس ميزابها لاصقاً بباب المسجد يصب عليه، فطرحه عمر ابن الخطاب، فقال عباس: أما والله ما شَدَّه إلاَّ رسول الله ﷺ، وإنه لعلى منكبي، فقال له عمر: لا جَرَم! والله لا تشده إلاَّ وأنت على منكبي، فشده عمر[1].

وابتاع عثمان بن عفان تلك الدار فزادها في المسجد إلا ثلاثة عشر ذراعاً أو أربعة عشر ذراعاً[2]، فقال: لا أدري كان ابتاع البقية أم لا؟.

قلت: فالذي يظهر أنَّ العباس أبقى لنفسه بقيةَ الدار بعد أخذ ما احتيج إلى زيادته منها، وأنه كان في تلك البقيةِ ميزابٌ، فلما أحدث عمر الباب الذي عند دار مروان ـ كما سيأتي ـ صار الميزابُ يَصُبُّ على الباب في طريق المسجد، ثم اشترى عثمان من تلك البقيـة ما احتاج إلى إدخاله في زيادته.

وروى[3] ابن أبي الدنيا قصةَ دار العباس هذه مطوَّلَةً، وقال: إنَّ العباس قال لعمر: أما والله ما شدَّه إلاَّ رسول الله ﷺ وأنا معه؛ حملني والله على عاتقه حين شدَّه.

قال: وبعض الناس يقول: بل العباس حمل رسولَ الله ﷺ.

قال محمد بن عقبة[4] ـ يعني راويه ـ: ما كان رسول الله ﷺ ليضع قدميه على رقبة أبيه أو عمه، ولكنه حمل العباس على عاتقه.

وقول يحيـى في رواية ابن عمر المتقدمة: «وكانت ـ يعني: دار العباس ـ في

---

(١) الظاهر أنه أراد: العباس، وإلاَّ كيف يشده عمر والعباس على منكبه؟

(٢) كتاب المناسك: «وابتاع عثمان بقية تلك الدار التي تصدق بها العباس فاختطها إلا بضعة عشر ذراعاً بقيت حتى أدخلها عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد».

(٣) الجملة من: «وروى ابن أبي الدنيا....» إلى «في دار مروان» في خ، م٢،ص فقط، واضيفت في س بخط مغاير في الحاشية، وهي ساقطة من بقية النسخ.

(٤) خ، س: عتبة، فلعله أخو موسى بن عقبة الأخباري الثبت، أو لعله محمد بن عقبة السدوسي البصري، فقد ذكر الذهبي ستة رواة بهذا الاسم، انظر: **ميزان الاعتدال** ٦٤٩/٣ أو لعله محمد بن عقبة الشيباني القاضي.

ما بين الأسطوان المربعة التي تلي دار مروان بن الحكم» أي: والباب الذي يلي دار مروان لدخول بعضها في دار مروان.

قال الزين المراغي: وسيأتي بيان المربعة، أي في زيادة عثمان رضي الله عنه، وقد ذكر هناك تبعاً للمطري: أنها الأسطوانة التي في صفِّ الأساطين التي تلي القبلة، وقد رُفِعَ أسفلها مربعاً قدر الجلسة[1].

قلت: والتي تليها مربعة أيضاً، وهي التي تلي دار مروان، فهي المراد هنا ـ كما قدَّمنا الإشارة إليه في تحديد المسجد النبوي ـ وهي الخامسة من المنبر في جهة المغرب، فيكون ابتداء زيادة عمر رضي الله عنه من جهة المغرب من الأسطوانة المذكورة، خلاف قول المطري والمراغي: أن المربعة التي ذكراها قبل هذه منتهى زيادة عمر رضي الله عنه.

وكيف يكون منتهى زيادته مع كونها مبتدأ دار العباس التي هي أول الزيادة؟ وأيضاً: فَذَرْعُ ما بين الاسطوان التي ذكراها والحجرة الشريفة نحو تسعين ذراعاً، وقد قال يحيى في رواية ابن عمر أيضاً: «إنَّ المسجد كان طوله ـ أي: من قبل القبلة إلى الشام ـ على عهد عمر رضي الله عنه أربعين ومئة ذراع وعرضه عشرون ومئة، وطول السقف ـ أي: ما بينه وبين الأرض ـ أحَد عشر ذراعاً» انتهى.

فكيف يَصِحُّ أنْ يكون الأسطوان المذكور نهاية زيادته؟

بل ابتداء زيادته من الاسطوان التي تليها، فتكون زيادته بعد الاسطوان المذكورة في جهة المغرب عشرين ذراعاً، لما قدمنا من رواية: أنَّ المسجد كان عرضُهُ مئة ذراع، فزيادته عشرون، وذلك نحو اسطوانين، فتكون نهاية المسجد في زمنه من تلك الجهة الاسطوانة السابعة من غربي المنبر، ومن الشرق الحجرة الشريفة، لأنه لم يزد في تلك الجهة شيئاً، ومن القبلة صفُّ الأساطين التي تلي القبلة، وكانت إليها المقصورة الآتي ذكرها، وقد احترقت، ومن بقاياها خشبةٌ في أسفل الاسطوان التي في هذا الصف عن يسار مستقبل المحراب العثماني؛ مثبتة

(١) تحقيق النصرة ٤٨.

تلك الخشبة في الأسطوان المذكور مما يلي الأرض، وقد زالت في الحريق الثاني.

فزيادة عمر رضي الله عنه من جهة القبلة، الرواق المتوسط بين الروضة ورواق القبلة، وذلك نحو عشرة أذرع، وأما الشام فيستفاد من كون المسجد كان طوله في زمنه أربعين ومئة ذراع، وأنَّ منها في جهة القبلة نحو عشرة أذرع، أنه يمتد في زمنه بعد الحجرين المتقدم ذكرهما في حدود المسجد الأصلي، اللذين في صحنه نحو ستين ذراعاً، لأنا قدمناه: أنَّ من مقدم المسجد الأصلي إليهما نحو السبعين فقط.

وبقي أمرٌ آخر لم أرَ من نبَّه عليه، وهو أنَّ حُجَر أزواج النبي ﷺ كان بعضها في جهة الشام ـ كما تقدم ـ ومقتضى ما قدمناه من رواية ابن سعد ـ وهو ظاهر ما سيأتي في زيادة الوليد ـ أنَّ عمر رضي الله عنه لم يُدْخِل منها شيئاً في المسجد وإنما أدخلها الوليد، فكأنَّ عمر ترك ما كان منها في جهة الشام قائماً على حاله، وصار المسجد حواليها.

وقال السيد الغَرَّافي في ذيله: واشترى عمر أيضاً نصفَ موضع كان خطَّهُ النبي ﷺ لجعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة داراً بمئة ألف فزاده في المسجد[1].

قلت: سيأتي من رواية يحيى: «أنَّ الذي شَرَى ذلك عثمان رضي الله عنه»؛ كذا في النسخة التي رواها ابن ابنه الحسن بن محمد عنه.

ثم رأيت في النسخة التى رواها ابنه طاهر عنه ما ذكره الغَرَّافي، ولم يذكر ابن زبالة ويحيى وغيرهما إدخال عمر دار أبي بكر رضي الله عنه في المسجد، ويتعين أنْ يكون عمر هو الذي أدخلها، لِمَا سبق في الفصل قبله من: أنَّ بابَ خَوْخَتِها كان غربيَّ المسجد، وأنَّ الخوخة المجعولة في محاذاتها عند إدخال الدار هي الخوخة الموجودة اليوم غربيَّ المسجد.

وهذا لا خلافَ فيه عند المؤرخين، ولهذا قال ابن النجار، نقلاً عن أهل

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٠ وكان ابن النجار شيخَ الغرَّافي الذي كتب ذيلاً على الدرة الثمينة.

السِّيَر: كانت خوخة أبي بكر في غربي المسجد[١]، فعلمنا بذلك أنَّ دار أبي بكر كانت في غربي المسجد، وأنَّ عمر بن الخطاب أدخلها، لكنْ قال الحافظ ابن حجر: إنَّ ابن شَبَّة ذكر في **أخبار المدينة**: أنَّ دار أبي بكر التي أذِنَ له في إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت مُلاصقة للمسجد، ولم تزل بيد أبي بكر حتى احتاج إلى شيء يعطيه لبعض مَن وفد عليه فباعها، فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم، فلم تزل بيدها إلى أنْ أرادوا توسيعَ المسجد في خلافة عثمان، فطلبوها منها ليوسعوا بها المسجد، فامتنعت وقالت: كيف بطريقي إلى المسجد؟ فقيل لها: نعطيك داراً أوسعَ منها ونجعل لك طريقاً مثلها، فسلَّمت ورضيت[٢].

قلت: هذه القصة إنما ذكرها ابن شَبَّة في دار حفصة التي في قبلة المسجد، وذكر معها شراءها لدار أبي بكر المذكورة بصيغة تقتضي التضعيف، واقتضى ذلك أنَّ دار أبي بكر كانت في قبلة المسجد على تلك الرواية الضعيفة، وأنَّ طريق آل عمر اليوم منها، فنسب إليه الحافظ ابن حجر الجزم به، وليس الأمر كذلك، كما سنوضحه إنْ شاء الله تعالى في **الفصل الرابع عشر**.

وقال يحيى في روايته المتقدمة: وجعل أساطينه من جُذُوع نخلٍ وسقفه بالجريد ذراعين[٣] فوق المسجد سترة حائطه ثلاثة أذرع، وعبَّر ابن النجار عن ذلك بقوله: وسقفه جريد ذراعان، وبنى فوق ظهره سترة ثلاثة أذرع[٤]، انتهى.

والذي يظهر أنَّ في عبارة يحيى خللاً، وتبعه عليه ابن النجار، وأنَّ المراد ما ذكره رزين في هذه الرواية بعينها، فإنه قال فيها: وجعل عمر سترة المسجد فوقه ذراعين أو ثلاثة، فكأنَّ لفظ: "أو" سقط قبل قوله: «ثلاثة أذرع».

وقال يحيى ورزين عقب ذلك: وكان بَنَى أساسَه بالحجارة إلى أنْ بلغ قامة؛ زاد يحيى: وكان لبنه ضَرَبه بالبقيع، وجعل له ستة أبواب: بابين عن يمين القبلة،

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٤: «كان بابه في غربي المسجد».
(٢) نقلاً من فتح الباري ٧/ ١٤.
(٣) ص: ذراعان.
(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٠.

وبابين عن يسارها، وبابين خلف القبلة، ولم يغيِّر باب عاتكة ـ أي: المعروف بباب الرحمة ـ ولا البابَ الذي كان يدخل منه النبي ﷺ، وهو فتَح الباب الذي عند القبر، فهذان البابان من الشق الأيسر ـ أي: المشرق ـ وفتح الباب الذي عند دار مروان بن الحكم، وفتح بابين من مؤخر المسجد[1]، انتهى.

وقوله: "إنه لم يغيِّر باب عاتكة، ولا الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ"، مُسَلَّمٌ في الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ.

قال المراغي تبعاً للمطري: وهو باب جبريل، لأنه لم يزد في جهة المشرق شيئاً، وأما باب عاتكة ففيه نظر، لأنه زاد من جهة المغرب، كما تقدم، فالمراد بكونه لم يغير أنه أَخَّرَهُ في محاذاة الباب الأول، وهذه الرواية تقتضي أن الباب المعروف اليوم بباب النساء لم يكن موجوداً في زمن عمر رضي الله عنه، لأنَّ المستفاد مما ذكر: أنَّ الباب الذي زاده في جهة المشرق جعله عند القبر، ولعله تصحيف، لأنه إذا لم يزد من جهة المشرق شيئاً كيف يُحْدِثُ باباً عند القبر ويترك الجهة التي زادها من جهة الشام بغير باب؟ والمنقول ـ كما سيأتي ـ أنَّ إحداث الباب الذي عند القبر إنما هو في زيادة الوليد، وسيأتي في سبب تسميته باب النساء: أنَّ عمر رضي الله عنه قال حين بنى المسجد: هذا باب النساء[2]، كما رواه يحيى، فتبين أنَّ باب النساء هو الباب الثاني من جهة المشرق على عهد عمر رضي الله عنه، وأنه الذي أحدثه، وسيأتي في زيادة عثمان عند اقتصاره على الأبواب التي جعلها عمر ما هو كالصريح في ذلك[3]، والله أعلم.

وفي البخاري، تعليقاً، عن أبي سعيد، قال: أمر عمر ببناء المسجد، وقال: أكِنُّ الناس من المطر، وإياك أنْ تُحَمِّر أو تُصَفِّر فتفتن الناس[4].

---

(١) انظر: الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٠.
(٢) في التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٦٠ عن ابن عمر: «لا تدخلوا المسجد من باب النساء».
(٣) تحقيق النصرة ٧٥ ـ ٧٦ والتعريف ٣٥.
(٤) فتح الباري ١/ ٥٣٩.

وروى ابن شَبَّة ويحيى من طريق عبد العزيز بن عمران عن فليح بن سليمان[1] عن ابن أبي عمرة[2]، قال: زاد عمر بن الخطاب في المسجد من شاميِّه، ثم قال: لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجَبَّانة كان مسجد رسول الله ﷺ[3]، زاد يحيى: وخار الله لعمر[4]، وعبد العزيز: هو ابن أبي ثابت[5]، تركوه، كانت كتبه قد احترقت فَحَدَّث من حفظه فاشتدَّ غلطه.

وروى يحيى من طريق ابن زبالة ـ وهو ضعيف ـ: حدثني محمد بن إسماعيل عن ابن أبي ذئب، قال: قال عمر بن الخطاب: لو مُدَّ مسجد رسول الله ﷺ إلى ذي الحليفة لكان منه[6].

ورواه ابن شَبَّة من طريق أبي غسان المدني بدل ابن زبالة، وعلى كلٍّ حال هو معضل.

وروى ابن شَبَّة ويحيى والديلمي في مسند الفردوس، بسندٍ فيه متروك، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: لو بُنِيَ هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي[7].

وكان أبو هريرة يقول: لو مُدَّ هذا المجلس إلى باب داري ما عدوتُ أن أُصَلِّي فيه[8].

---

(١) انظر ما أورده الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٣٦٥ من جرح وتعديل فيه، وتاريخ بغداد ١١/ ٦١ في ترجمة أخيه عبد الحميد بن سليمان والمعرفة والتاريخ ٣/ ٤٣ ـ ٤٤ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤٣٥، وورد اسمه في كتاب المناسك للحربي ٣٦١: "فليح بن إسماعيل".

(٢) في كتاب المناسك: "أبي عمرة".

(٣) المغانم المطابة ص١٦٢.

(٤) في الأصول: وجاه الله بعامر، وفي الخبر نفسه في كتاب المناسك للحربي ٣٦١ ـ ٣٦٢: «وفاه الله لعام» والتصويب من قراءة حمد الجاسر لنص الحربي المحرَّف.

(٥) ترجم له الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٦٣٢ ـ ٦٣٣ وذكر ما قيل في تضعيفه وتركه.

(٦) المغانم المطابة ص١٦٢.

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٣٧٨ وفيه: «صنم» بدلاً من «صنعاء»، والدرة الثمينة ٢/ ٣٧٠.

(٨) المغانم المطابة ص١٢٦.

ثم قال يحيى: وحدثنا هارون بن موسى أنبأنا عمر بن أبي بكر الموصلي عن ثقاتٍ من علمائه، قالوا: قال رسول الله ﷺ: هذا مسجدي، وما زيد فيه فهو منه، ولو بلغ بمسجدي صنعاء كان مسجدي[1].

قلت: وهو منقطع، لكن اجتماع هذه الروايات تقوي ما قدَّمناه في آخر الفصل الثاني عن مالك رحمه الله من: أنَّ المضاعفة الواردة في المسجد النبوي تعمُّ ما زيد فيه، والله أعلم.

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/٣٧٨.

الفصل الثالث عشر
في البُطيحاء التي بناها عمر رضي الله عنه بناحية المسجد ومنعه من إنشاد الشعر ورفع الصوت فيه وما جاء في ذلك

روى ابن شَبَّة ويحيى بسندٍ جيد عن سالم بن عبد الله: أنَّ عمر ـ يعني: ابن الخطاب ـ اتخذ مكاناً إلى جانب المسجد يقال له: البطيحاء، وقال: من أراد يلغط أو يرفع صوتاً أو ينشد شعراً فليخرج إليه[1].

ولفظ يحيى: أنَّ عمر بن الخطاب بَنَى في ناحية المسجد رحبةً تدعى: البطيحاء، ثم قال: من أراد أنْ يلغط أو ينشد شعراً أو يرفع صوتاً فليخرج إلى هذه الرحبة[2].

زاد ابن شَبَّة ـ عقيب روايته من طريق محمد بن يحيى ـ: قال محمد: وقد دَخَلَتْ تلك البطيحاء في المسجد في ما زيد بعد عمر رضي الله عنه[3].

وذكر ابن شَبَّة في موضع آخر ما يبيِّن أنَّ البطيحاء كانت في جهة شرقي المسجد مما يلي مؤخره زمَنَ عمر رضي الله عنه، فإنه قال: اتخذ خالد بن الوليد داره التي كانت بالبطيحاء[4]، إلى آخر ما سيأتي عنه، مع بيان أنها الرباط المعروف اليوم برباط السبيل في شرقي المسجد.

وروى ابن شَبَّة أيضاً بسندٍ جيدٍ عن ابن عمر: أنَّ عمر رضي الله عنه كان إذا

---

(١) تاريخ المدينة ١/ ٣٤ والبيان والتحصيل ١٥/ ٣٦١.
(٢) الروضة الفردوسية ورقة ١٨ب.
(٣) تاريخ المدينة ١/ ٣٤.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

خرج من الصلاة نادى في المسجد: أياكم واللغَطَ، ويقول: ارتفعوا في أعلى المسجد[1].

ورواه يحيى بلفظ: كان إذا خرج إلى الصلاة.

وروى ابن شَبَّة بسندٍ جيد إلاَّ أنَّ فيه عنعنة ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة: أنَّ عمر رضي الله عنه سمع ناساً من التجار يذكرون تجاراتهم والدنيا في المسجد، فقال: إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله، فإذا ذكرتم تجاراتكم ودنياكم فاخرجوا إلى البقيع[2].

وروى أيضاً عن شيخه سليمان بن داود، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع صوتَ رجلٍ في المسجد، فقال: أتدري أين أنت أتدري اين أنت[3] كأنه كَرِهَ الصوت[4].

وعن عبد الرحمن بن حاطب، قال: كان بين عثمان وطلحة تَلاحٍ في مسجد رسول الله ﷺ فبلغ عمر رضي الله عنه، فأتاهم وقد ذهب عثمان وبقي طلحة، فقال: أفي مسجد رسول الله ﷺ تقولان الهُجْر وما لا يَصْلُح من القول؟ قال: فجثا طلحة على ركبتيه وقال: إني والله لأنا المظلوم المشتوم، فقال: أفي مسجد رسول الله ﷺ تقولان الهُجْر وما لا يصلح من القول؟ ما أنتَ مِنِّي بِناجٍ! فقال: اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين، فوالله أنا المظلوم المشتوم، فقالت أمُّ سلمة من حجرتها: والله إنَّ طلحة لهو المظلوم المشتوم، قال: فَكَفَّ عمرُ رضي الله عنه[5].

وعن السائب بن يزيد، قال: كنت مضطجعاً في المسجد، فحصبني رجل فرفعتُ رأسي، فإذا عمر رضي الله عنه، فقال: اذهبْ فأتني بهذين الرجلين فجئتُ بهما، فقال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما

---

(١) المصدر نفسه ١/٣٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) كررت مرتين أيضاً في **تاريخ المدينة**، والخبر في **المصنف** لابن أبي شيبة ٢/٣٠٩.

(٤) المصدر نفسه ١/٣٤.

(٥) المصدر نفسه ١/٣٣ والخبر له بقية فيه.

من أهل البلد ما فارقتماني حتى أوجعكما جَلْداً، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟[1].

وعن طارق بن شهاب: أنَّ عمر رضي الله عنه أُتيَ برجلٍ في المسجد وقد أخذ في شيء، فقال: أخرِجَاه من المسجد فاضرباه، أو: اضربوه[2].

وروى يحيى عن نافع: أنَّ عمر بينما هو في المسجد عِشاءَ إذ سمع ضحك رجلٍ، فأرسل إليه فقال: من أنت؟ فقال: أنا رجلٌ من ثقيف، فقال: أمن أهل البلد أنت؟ فقال: بل من أهل الطائف، فتوعَّده فقال: لو كنتَ من أهل البلد لنكَّلتُ بك، إنَّ مسجدنا هذا لا تُرفَعُ فيه الأصوات[3].

وعن ابن سيرين: أنَّ ابن مسعود سمع رجلاً يرفع صوته في المسجد، فسبَّه، فقيل له: ما كنت فَحَّاشاً، فقال: أُمِرنا بهذا[4].

وروى ابن زبالة ويحيى عن سعيد بن المسيب: أنَّ عمر بن الخطاب مَرَّ بحسَّان بن ثابت وهو ينشد في المسجد، فلحظ إليه، فقال حسان: قد كنتُ أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشُدُكَ الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجب عني، اللّهم أيده بروح القدس؟» قال: اللهمَّ نعم[5].

وقد رواه البخاري في **الصحيح** بنحوه[6].

وفي رواية ليحيى عقب قوله: «قد كنت أُنشد فيه من هو خير منك» فانصرف عمر وقد عرف أنه يريد النبي ﷺ.

وفي رواية ذكرها الحافظ ابن حجر، فقال: كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك[7].

---

(١) المصدر نفسه وفتح الباري ١/ ٥٦٠ والدرة الثمينة ٢/ ٣٦٥.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٦.
(٣) نقلاً من الروضة الفردوسية ورقة ١٨أ وانظر: البيان والتحصيل لابن رشد ١/ ٤٩٤.
(٤) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٤.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ـ ٢٧٦.
(٦) فتح الباري ١/٥٤٨، ٦/ ٣٠٤.
(٧) المصدر نفسه ٦/ ٣٠٤.

وفي الترمذي من طريق أبي الزناد عن عروة عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يَنْصِبُ لحسَّان منبراً في المسجد فيقوم عليه يهجو الكفَّار[١].

وأما ما رواه ابن خزيمة في **صحيحه**[٢] والترمذي وحسنه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: نهى رسول الله ﷺ عن تناشد الأشعار في المساجد[٣].

قال الحافظ ابن حجر: وإسناده[٤] صحيح إلى عمرو، فمن يُصَحِّح نسخته يصححه، وفي هذا المعنى عِدَّةُ أحاديث، لكن في أسانيدها مَقَال، والجمع بينها وبين ما تقدم أنْ يُحملَ النهي على تناشد أشعار الجاهلية والمُبْطِلين، وهو مراد عمر بقوله: من أراد أن ينشد شعراً فليخرج إلى هذه البطيحاء[٥]، والمأذون فيه ما سَلِمَ من ذلك.

وقيل: المنهي عنه ما إذا كان[٦] غالباً على المسجد حتى يتشاغل به من فيه، وأبعد بعضهم[٧] فأعْمَلَ أحاديث النهي، وادَّعى نسخَ الإذن، ولم يوافَقْ على ذلك[٨].

وروى ابن زبالة عن علي بن زيد بن جدعان، قال: أنشد كعبُ بن زُهَير رسولَ الله ﷺ في المسجد أبياتاً:

* بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ[٩] *

والله أعلم.

---

(١) نقلاً من المصدر نفسه ١/ ٥٤٨.
(٢) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٥.
(٣) نقلاً من فتح الباري ٢/ ٢٧٥.
(٤) سقطت هذه اللفظة من الأصول، والزيادة من فتح الباري ١/ ٥٤٩.
(٥) وزاد السمهودي على قول ابن حجر: «وهو مراد عمر. . . هذه البطيحاء».
(٦) في فتح الباري: «ما كان التناشد غالباً».
(٧) في فتح الباري: «وأبعد أبو عبد الملك البوني فأعمل. . .».
(٨) فتح الباري ١/ ٥٤٩.
(٩) الأبيات مشهورة ولا تحتاج إلى التعريف بها.

الفصل الرابع عشر
في زيادة عثمان بن عفان
رضي الله عنه

روينا في صحيح البخاري وسنن أبي داود عن نافع: أنَّ عبد الله ـ يعني: ابن عمر ـ أخبره أنَّ المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيّاً باللَّبِن، وسقفه الجريد، وعَمَدُه خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه[1] في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً، ثم غيَّره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة[2]، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسَقَّفَه بالساج[3].

وروى أبو داود أيضاً ـ وسكت عليه ـ عن عطية عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إنَّ مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل؛ أعلاه مُظلَّلٌ بجريد النخل، ثم إنها نَخِرَت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل، ثم إنها نخرت في خلافة عثمان رضي الله عنه فبناها بالآجُرِّ، فلم تزل ثابتةً حتى الآن[4].

هكذا رأيته في أصول متعددة معتمدة من السنن، وأورده المجد بلفظ: ثم

---

(١) في الأصول: بنائه، والتصحيح من صحيح البخاري (انقرة) ١/ ٢٦١ وفتح الباري ١/ ٥٤٠.

(٢) هي الجص بلغة أهل الحجاز، كما فسَّرَها ابن حجر في فتح الباري ١/ ٥٤٠.

(٣) المصدر نفسه و تجريد الصحاح لرزين العبدري، مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رقم: ٨٩٧٨، ورقة ٣٦ب وصحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٨٢ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٤١.

(٤) نقلاً من المغانم المطابة ص١٦٣.

إنها نخرت في خلافة عمر[1] ـ بدل أبي بكر ـ ولم أره في شيء من النسخ[2].

وفي هذا الخبر ما يقتضي أنَّ السبب في بناء عثمان للمسجد كون الجذوع التي هي السواري نَخِرت، وأنَّ عثمان بناها بالآجُرِّ لا الحجر؛ فلعل البعض كان في زمنه مبنياً بالآجُرِّ وهو بعيدٌ، وما تقدم من رواية **الصحيح** أصحُّ.

وفي صحيح مسلم عن محمود بن لبيد: أنَّ عثمان بن عفان أراد بناء المسجد، فكره الناسُ ذلك، وأحبُّوا أنْ يَدَعَهُ على هيئته، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله[3].

وفيه وفي البخاري عن عبيد الله الخولاني: أنه سمع عثمان عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول: إنكم قد أكثرتم، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً لله عز وجل» الحديث[4].

وقوله في الرواية الأولى: «إنَّ عثمان أراد بناء المسجد» يبين أنَّ المراد من قوله حين بناء المسجد حين أراد بناءه، إلاَّ أنْ يكون ذلك قد تكرر من[5] عثمان لتكرر كلامهم قبل البناء وبعده، وهو الأقرب.

وقوله: "وأحبوا أنْ يَدَعه على هيئته"، أي: بجذوع النخل واللبن كما فعل عمر رضي الله عنه لموافقته لفعله ﷺ، ولهذا قال البغوي في **شرح السنة**: لعل الذي كَرِه الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة، لا مجرد توسيعه[6]، انتهى.

---

(١) في المغانم المطابة ص١٦٣: «ثم انها نخرت في خلافة أبي بكر... ثم انها نخرت في خلافة عثمان».

(٢) جاء في فتح الباري ١/٥٤٠: «وقال ابن بطَّال وغيره... فقد كان عمر مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة المال عنده لم يغير المسجد عما كان عليه، وإنما احتاج إلى تجديده لأن جريد النخل كان قد نخر في أيامه».

(٣) نقلاً من فتح الباري ١/٥٤٤ وانظر: **المعجم المفهرس** ١/٢٢١ عن مسلم والبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي وأحمد.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ص: زمن.

(٦) نقلاً من فتح الباري ١/٥٤٤.

ويؤيده ما سيأتي من: أنَّ الناس شَكَوا إليه ضيقَ المسجد، فقوله: «لما أراد عثمان بناء المسجد» أي: على الهيئة التي بناه عليها، ويؤخذ من هذا: إطلاق البناء المُرَغَّب فيه في حق من جَدَّد ووسَّع، لأنَّ عثمان لم يبنِ المسجد كله إنشاءً[1].

وقوله: "إنكم أكثرتم" أي: الكلام بالإنكار ونحوه.

وروى يحيى عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: لما وليَ عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين، كَلَّمه الناسُ أنْ يزيد في مسجدهم، وشكوا إليه ضيقَهُ يوم الجمعة، حتى إنهم لَيُصَلُّون في الرحاب، فشاور فيه عثمان أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ، فأجمعوا على أنْ يهدمه ويزيد فيه، فصلى الظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني قد أردت أنْ أهدم مسجد رسول الله ﷺ وأزيد فيه، وأشهدُ لَسَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة، وقد كان لي فيه سلف وإمام سبقني وتقدمني عمر ابن الخطاب، كان قد زاد فيه وبناه، وقد شاورتُ أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه، فحَسَّنَ الناسُ يومئذ ذلك ودعوا له، فأصبح فدعا العمال وباشَرَ ذلك بنفسه، وكان رجلاً يصوم الدهر ويُصلي الليل، وكان لا يخرج من المسجد، وأمر بالقَصَّة المنخولة تُعمل ببطن نخل[2]، وكان أول عمله في شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين، فكان عمله عشرة أشهر[3].

قلت: قوله أولاً: "لما وليَ عثمان سنة أربع وعشرين" إلى قوله: "فأصبح ودعا العمال"، يُفهمُ أنه في تلك السنة.

وقوله أخيراً: "وكان أول عمله.... إلى آخره" يأباه، وما ذكره أخيراً هو الصواب المذكور في كلام غيره، فيُحْمَل ما ذكره أولاً على أنه لم يَشرَعْ في المشاورة والعمارة عقب كلام الناس له، بل استمر تلك السنين، وربما تكرر

---

(١) نقلاً من المصدر نفسه.

(٢) هي الحناكية الحالية.

(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧١ والمغانم المطابة ص١٦٢ ـ ١٦٣.

الكلام فخطبهم في السنة التي وقعت فيها العمارة.

وقد روى رزين الخبر المذكور عن المطلب المذكور بلفظ: لما ولي عثمان وكان سنة أربع من خلافته كَلَّمه الناس أنْ يزيد في مسجد رسول الله ﷺ وشكوا إليه ضيقه، فشاور عثمان أهل الرأي، فأشاروا عليه بذلك، وذكر نحو ما تقدم، وينبغي حمله أيضاً على أنَّ الكلام وقع من الناس سنة أربع من خلافته وتأخرت العمارة إلى سنة تسع وعشرين ـ بتقديم المثناة الفوقية على السين ـ وإلاَّ فهو مخالف لما تقدم، لأنَّ عثمان رضي الله عنه وليَ غُرَّة المحرم افتتاح سنة أربع وعشرين، فسنة أربع من خلافته هي سنة سبع وعشرين ـ بتقديم السين على الموحدة ـ والأول هو الأصح، فقد روى يحيى وابن زبالة: أنَّ عثمان زاد في المسجد قبل أنْ يُقتل بأربع سنين[1]، وعثمان قُتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

وقال الحافظ ابن حجر: كان بناء عثمان للمسجد سنة ثلاثين على المشهور، وقيل: في آخر سنة من خلافته، ففي كتاب السير عن الحارث بن مسلم عن ابن وهب: أخبرني مالك أنَّ كعب الأحبار كان يقول عند بنيان عثمان المسجدَ: لوددت أنَّ هذا المسجد لا يُنْجَز، فإنه إذا فُرِغَ من بنيانه قُتِلَ عثمان، قال مالك: فكان كذلك[2].

قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بأنَّ الأول كان تاريخ ابتدائه، والثاني تاريخ انتهائه[3].

قلت: قد تقدم ما يردُّ هذا الجمع، وأنَّ الفراغ منه كان في سنة ثلاثين، لكن يمكن أنَّ عثمان رضي الله عنه أحدثَ فيه عمارة أخرى آخر سنة من خلافته، وقد وَصَل ابن شَبَّة ما نقله مالك عن كعب، فروى بسنده من طريق الأعمش عن أبي صالح، قال: قال كعب ومسجد رسول الله ﷺ يُبنَى: والله لوددتُ أنه لا يفرع من برج إلاَّ سقط برج، فقيل له: يا أبا إسحاق أما كنت تحدثنا أنَّ صلاة فيه أفضل من

---

(١) كتاب المناسك للحربي ٣٦٣.

(٢) نقلاً من فتح الباري ١/ ٥٤٥.

(٣) المصدر نفسه.

ألف صلاة في غيره إلاَّ المسجد الحرام؟ قال: بلى! وأنا أقول ذلك الآن، ولكنَّ فتنةً نزلت من السماء ليس بينها وبين أن تقع إلاَّ شبر، ولو فرغ من بناء هذا المسجد وقعت، وذلك عند قتل هذا الشيخ عثمان بن عفان، فقال رجل: وهل قاتله إلاَّ كقاتل عمر؟ قال: بل مئة ألف أو يزيدون، ثم يحلُّ القتل ما بين عدن أبين إلى دروب الروم[1].

وروى يحيى عن أفلح بن حميد عن أبيه، قال: لما أراد عثمان أن يكلِّم الناس على المنبر ويشاورهم قال له مروان بن الحكم: فداك أبي وأمي، هذا أمرُ خير لو فعلته ولم تذكر لهم، فقال: ويحك! إني أكره أنْ يِروا أني أستبدُّ عليهم بالأمور، قال مروان: فهل رأيت عمر حيث بناه وزاد فيه ذكر ذلك لهم؟ فقال: اسكت، إنَّ عمر اشتدَّ عليهم فخافوه، حتى لو أدخلهم جُحْرَ ضبٍّ دخلوا، وإني لِنْتُ لهم حتى أصبحت أخشاهم، قال مروان بن الحكم: فداك أبي وأمي، لا يُسمع هذا منك فيُجْتَرأ عليك.

وعن عبد الرحمن بن سفينة، قال: رأيت القَصَّة تُحمل إلى عثمان وهو يبني مسجد رسول الله ﷺ من بطن نَخْل[2]، رأيته يقوم على رجليه والعمال يعملون فيه حتى تأتي الصلاة فيصلي بهم، وربما نام ثم رجع، وربما نام في المسجد[3].

وعن خارجة بن زيد، قال: هدم عثمان بن عفان المسجد وزاد في قبلته، ولم يزد في شرقيه، وزاد في غربيه قدر اسطوان، وبناه بالحجارة المنقوشة والقَصَّة وعُسُب النخل والجريد، وبيَّضه بالقَصَّة، وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل، وجعل فيه طيقان مما يلي المشرق والمغرب[4]، وذلك قبل أنْ يُقتل بأربع سنين، وزاد فيه إلى الشام خمسين ذراعاً[5].

---

(١) تاريخ المدينة ٤/ ١٢٩٤ ـ ١٢٣٩٥.
(٢) هي الحناكية الحالية، على رأي الشيخ حمد الجاسر.
(٣) نقلاً من الدرة الثمينة ٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢.
(٤) المصدر نفسه ٣٧١.
(٥) كتاب المناسك للحربي ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

وعن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي عن أبيه، قال: زاد عثمان في المسجد قبل أنْ يُقتل بأربع سنين، فزاد من القبلة، فوضع جداره على حدِّ المقصورة اليوم، وزاد فيه من المغرب اسطواناً بعد المربعة، وزاد فيه من الشام خمسين ذراعاً، ولم يزد من المشرق شيئاً[1].

وزعم المطري وتبعه المراغي: أنَّ المراد بهذه المربعة، المربعة المتقدم وصفها في تحديد المسجد النبوي في زيادة عمر رضي الله عنه، وهي الأولى من المربعتين اللتين يليان القبلة في صَفِّ الاسطوان الرابع من المنبر في جهة المغرب، وجعلا نهاية زيادة عثمان إلى الاسطوانة التي تليها في المغرب المقابلة للطراز المتقدم وصفه، فقالا: أراد بالمربعة، الاسطوانة التي في القبلة التي رفع أسفلها مربعاً قدر الجلسة، وهي منتهى زيادة عمر من المغرب، وقبالة الاسطوانة التي زادها عثمان في الحائط القبلي، طرازٌ آخذ من العصابة السفلى إلى سقف المسجد، وهو حَدُّ زيادة عثمان[2]، انتهى.

ومحصله أنَّ زيادة عثمان هي الرواق الكائن بين الإسطوانتين المذكورتين، ولم أَرَ من سبقهما لذلك، وقد قدَّمنا في تحديد المسجد النبوي ما يقتضي أنَّ الطراز المذكور في مُوَازاة حَدِّ المسجد النبوي على الراجح، وأنَّ زيادة عمر وعثمان رضي الله عنهما من بعد ذلك في جهة المغرب، وأنَّ عمر رضي الله عنه جعل المسجد من المشرق إلى المغرب مئة وعشرين ذراعاً، وأنَّ من المربعة التي ذكرا أنها نهاية زيادته إلى الحجرة الشريفة ينقص عن تسعين ذراعاً، وإلى محاذاة الطراز نحو المئة، فيبقى لعمر في جهة المغرب بعد الطراز رواقان آخران، فيكون نهاية المسجد في زمنه الإسطوانة السابعة من المنبر، وفي صَفِّ السابعة من المنبر اسطوان أسفله مربع لكنه ليس مرتفعاً عن الأرض بقدر الجلسة، بل تربيعه على وجه الأرض، وقد زال تربيعه في العمارة الحادثة بعد الحريق الثاني، وليس هو في صف الأساطين التي تلي القبلة، بل في صف الأساطين التي خلف محراب

---

(١) المصدر نفسه ٣٦٣.

(٢) التعريف ٣١ وتحقيق النصرة ٤٨.

الحنفية، فالظاهر أنَّ هذه المربعة هي المرادة هنا، فيكون لعثمان رضي الله عنه في جهة المغرب الرواق الذي بعدها، فيكون نهاية المسجد في زمنه الاسطوانة الثامنة من المنبر في جهة المغرب.

ويدل على صحة ذلك ما سيأتي: أنَّ الوليد زاد بعد عثمان رضي الله عنه في جهة المغرب إسطوانتين، ولم يزد أحدٌ بعد الوليد في جهة المغرب شيئاً، والباقي من الإسطوانة الثامنة من المنبر اسطوانتان فقط في جهة المغرب فهما زيادة الوليد، وهناك اسطوان مربعة مرتفعة قدر الجلسة أيضاً أمام الإسطوان بوجاه الداخل من باب السلام، الظاهر أنها جُعِلت علامة لنهاية زيادة عثمان رضي الله عنه، وابتداء زيادة الوليد، وإنْ قلنا بأنَّ نهاية المسجد النبوي المربعة الأولى التي تلي القبلة ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ فحينئذٍ يكون لعمر رضي الله عنه منها إلى جهة المغرب إسطوانتان، فيكون نهاية زيادته الإسطوانة السادسة من المنبر، وفي صفِّها اسطوان مربع قدر الجلسة أيضاً أمام الإسطوانة المثمنة اليوم، وتكون زيادة عثمان رضي الله عنه إلى الإسطوانة التي بعدها في جهة المغرب وهي السابعة، ويبقى للوليد منها إلى جدار المسجد ثلاث أساطين، وسيأتي في عمارته رواية تقتضي ذلك.

على أنَّ الذي أفهمهُ من كلام متقدمي المؤرخين ـ كما قدمناه في حدود المسجد ـ أنَّ المربعة حيث أُطلِقَت في جهة المغرب، فالمراد بها الاسطوانة المقابلة لمربعة القبر في جهة المغرب عند ركن صحن المسجد قبل زيادة الرواقين الآتي بيانهما؛ وهي المثمنة اليوم، وفي ركني الصحن الشاميين اسطوانتان على هيأتها أيضاً، وتثمينها حادث ـ كما تقدم بيانه ـ ويعبِّرون عنها بالمربعة الغربية، وهي السادسة من المنبر؛ فيترجح بذلك أنها نهاية زيادة عمر وابتداء زيادة عثمان رضي الله عنه، ولو كان كما زعم المطري ومن تبعه لكان بعد نهاية زيادة عثمان رضي الله عنه في المغرب خمس أساطين، فتكون كلها للوليد، ولا قائل بذلك، وفي ما قدمناه في تحديد المسجد النبوي كفاية في ردِّ ما قالاه.

وروى يحيى عن عبد الله بن عطية بن عبد الله بن أنيس، قال: بنى عثمان

المسجد بالحجارة المنقوشة والقَصَّة، وجعل عمده حجارة منقوشة، وبها عمد الحديد فيها الرصاص، وسقفه ساجاً، وجعل طوله ستين ومئة ذراع، وعرضه خمسين ومئة ذراع، وجعل أبوابه ستة أبواب على ما كان على عهد عمر رضي الله عنه: باب عاتكة، أي: المعروف بباب الرحمة، والباب الذي يليه، أي: يقرب من محاذاته في المشرق، وهو باب النساء، وباب مروان، أي: المعروف بباب السلام، والباب الذي يقال له: باب النبي ﷺ، أي: المعروف بباب جبريل، وبابين في مؤخر المسجد.

قلت: قوله: "وجعل طوله ستين ومئة ذراع" مخالف لما تقدم من كونه زاد فيه من جهة الشام خمسين ذراعاً، لأنه قد تقدم أنَّ عمر رضي الله عنه جعل طول المسجد أربعين ومئة ذراع، فلو زاد فيه عثمان خمسين ذراعاً لكان طوله في زمنه تسعين ومئة ذراع، على[1] أنَّ الأقرب أنَّ طوله في زمن عثمان كان ستين ومئة ذراع، لما سيأتي في الزيادة بعده.

وقوله: "وعرضه خمسين ومئة ذراع" مخالف لما تقدم من كونه لم يزد من جهة المغرب سوى[2] اسطوانة واحدة، ولم يزد في جهة المشرق شيئاً، بل[3] هذه الرواية خطأ، للاتفاق على أن عثمان رضي الله عنه لم يزد من جهة المشرق شيئاً، فتكون نهايته في زمنه الحجرة الشريفة، وذَرْعُ[4] المسجد اليوم من جداره الغربي إلى جدار الحجرة الشريفة لا يبلغ خمسين ومئة ذراع، بل ينقص عن ذلك أكثر من سبعة أذرع، ثم تبقى زيادة الوليد من جهة المغرب، وهي متَّفَقٌ عليها أيضاً، فالصواب أنه لم يزد من المغرب سوى اسطوانة، وأنَّ عرض المسجد في زمنه نحو مئة وثلاثين ذراعاً، والله أعلم.

---

(١) الجملة: «على أن الأقرب .... ومئة ذراع»، سقطت من ش.

(٢) سقطت من ش.

(٣) الجملة: : «بل هذه الرواية خطأ .... لم يزد من جهة المشرق شيئاً»، سقطت من م٢.

(٤) الجملة: «وذرع المسجد اليوم ... إلى جدار الحجرة الشريفة» سقطت من ش.

وروى يحيى ـ كما في النسخة التي رواها ابنُه[1] عن أبي الحسن المدائني ـ أنه قال في حديث ساقه: إنَّ النبي ﷺ خط لجعفر بن أبي طالب داراً وهو بأرض الحبشة، فاشترى عثمان نصفها بمئة ألف، فزادها في المسجد[2].

قلت: تقدم في زيادة عمر رضي الله عنه نَقْلُ مثل ذلك عن فعل عمر رضي الله عنه، فيحتمل أنَّ كُلاً منهما شَرَى نصف ذلك وأدخله مرتَبَاً، والله أعلم.

وروى ابن زبالة عن عبد الله بن عمر بن حفص[3]، قال: مدَّ عمر بن الخطاب جدار القبلة إلى الأساطين التي إليها المقصورة اليوم، ثم زاد عثمان بن عفان حتى بلغ جداره اليوم، قال: فسمعت أبي يقول: لما أُحْتِيجَ إلى بيت حفصة قالت: فكيف بطريقي إلى المسجد؟ فقال لها: نُعطيكِ أوسعَ من بيتك، ونجعل لك طريقاً مثل طريقك، فأعطاها دار عبيد الله بن عمر، وكان مِرْبَدا، وهذه العبارة محتملةٌ، لأنَّ القائل: "نعطيك إلى آخره"، عمر أو عثمان رضي الله عنهما، ويرجح الثاني أنه أورده في سياق زيادة عثمان رضي الله عنه، وأنه روى عَقِبَه عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه: أنَّ عمر قَدَّم جدار القبلة إلى المقصورة، ثم قدَّمه عثمان إلى موضعه اليوم، وأدخل بقية دار العباس بن عبد المطلب مما يلي القبلة والشام والمغرب، وأدخل بعض بيوت حفصة بنت عمر مما يلي القبلة، فقام المسجد على تلك الحال حتى زاد فيه الوليد.

قلت: تقدم في زيادة عمر رضي الله عنه، أن الحافظ ابن حجر نقل عن ابن شَبَّة: أنَّ دار أبي بكر التي أذن له في إبقاء الخَوخَة منها إلى المسجد اشترتها حفصة أم المؤمنين، فلم تزل في يدها إلى أن أرادوا توسيع المسجد في خلافة عثمان، فطلبوها منها ليوسَّعَ بها في المسجد، فامتنعت وقالت: كيف بطريقي إلى المسجد؟ فقيل لها: نعطيك داراً أوسع منها ونجعل لك طريقاً مثلها، فسلمت ورضيت[4].

---

(١) الجملة المعترضة: «كما في النسخة التي رواها ابنه»، سقطت من ش.
(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٠.
(٣) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، انظر عنه: ميزان الاعتدال ٢/ ٤٦٥.
(٤) فتح الباري ٧/ ١٤.

والذي ذكره ابن شَبَّة في علم دور أزواج رسول الله ﷺ ما سنذكره عنه في الدور التي كانت حول المسجد من: أنَّ حفصة اتَّخذت دارها التي في قبلة المسجد لها خوخة في المسجد، فورثها عبدُ الله بن عمر[1].

وذكر ما سيأتي في أصل هذه الدار من كونها كانت مربداً، كما سيأتي.

ثم ذكر لحفصة داراً أخرى، ثم قال: وأخبرني مخبر، قال: كان بيت أبي بكر الذي أذن له النبي ﷺ في إبقاء خوخته بيد عمر بن عبد الله، وهو البيت الذي على يمينك إذا دخلت دار عبد الله من الخوخة التي في المسجد فتلقاك هناك خوخـة في جوف الخوخة التي هي الطريق؛ مُبَوَّب[2]، فتلك الخوخة خوخة أبي بكر[3].

قال: وكانت حفصة ابتاعت ذلك المسكن من أبي بكر، والدار التي[4] ذكرت فوق هذه الشارعة على باب دار عبد الله إلى جنب دار هشام، فباع أبو بكر رضي الله عنه ذلك المسكن وتلك الدار من حفصة بأربعة آلاف درهم، ونقدها عنها عثمان بن عفان، وإنما باع ذلك أبو بكر لناسٍ قدموا عليه من بني تيم فسألوه[5].

ثم قال ابن شَبَّة: حدثنا محمد بن يحيى عن عبد الله بن عمر بن حفص، قال: سمعت أبي يقول: لما احتيج إلى بيت حفصة قالت: وكيف طريقي في المسجد؟ فقيل لها: نعطيك أوسَعَ من بيتك ونجعل لك طريقاً مثل طريقك، فأعطاها دار عبد الله بن عمر، وكانت مربداً، انتهى.

والذي يقتضيه قوله: "وأخبرني مخبر"[6] تضعيف هذه الرواية.

وقد روى في ذكر دور بني تَيْم ـ كما قدَّمناه ـ أنَّ دار أبي بكر المذكورة كانت

---

(١) تاريخ المدينة ١/٢٤٧.
(٢) يعني: أنه كان عليه بابٌ.
(٣) تاريخ المدينة ١/٢٤٢.
(٤) س، ر، خ، ص، م٢: الذي.
(٥) تاريخ المدينة ١/٢٤٢.
(٦) المصدر نفسه ١/٢٤٧، ٢٥٦.

شارعة في دار القضاء في غربي المسجد، وقد صَدَّرَ كلامه بأن أصل دار حفصة إنما هو المربد، وختم كلامه بذلك.

وقوله: «لما احتيج إلى بيت حفصة»، المراد به: سكنها، هو الذي كان شارعاً في المسجد في زمنه ﷺ ـ كما سيأتي بيانه ـ والله أعلم.

وتقدم في زيادة عمر رضي الله عنه ما رواه يحيى من: أنَّ عثمان رضي الله عنه شَرَى دار العباس فزادها في المسجد إلاَّ ثلاثة عشر ذراعاً أو أربعة عشر ذراعاً، فقال الراوي: لا أدري أكان ابتاع البقية أم لا، وحملناه على أنَّ المراد بدار العباس ما بقي منها بعد ما زاده عثمان رضي الله عنه، والظاهر أنَّ تلك البقية هي التي دخلت في دار مروان[1].

وقد ذكر ابن زبالة ويحيى وابن النجار اتِّخاذ مروان لداره عقب ذكر زيادة عثمان رضي الله عنه، فيحتمل أنه اتخذها في حال زيادة عثمان رضي الله عنه أو بعده، وهو الظاهر، لأنهم ذكروا أنه اتخذ لها خوخة في المسجد من جهة القبلة، ثم قال: أخشى أنْ أُمْنَعَهَا، فجعل لها باباً عن يمينك حين تدخل، ثم جعل الباب الثالث الذي على باب المسجد[2]، كما سيأتي، والله أعلم.

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢.

(٢) المغانم المطابة ص١٧٣.

الفصل الخامس عشر
في المقصورة التي اتَّخذها عثمان
رضي الله عنه
في المسجد وما كان من أمرها بعده

روى ابن زبالة وابن شَبَّة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه: أنَّ أوَّلَ من عمل المقصورة بلَبِنٍ عثمانُ بن عفان، وأنه كانت فيها كُوىً ينظر الناسُ منها إلى الإمام، وأنَّ عمر بن عبد العزيز هو الذي جعلها من ساج[1]، حين بنى المسجد.

وروى الأول[2] أيضاً عن عيسى بن محمد بن السائب ومحمد بن عمرو بن مسلم بن السائب بن خباب وعمر بن عثمان بن عبد الرحمن: أنَّ عثمان بن عفان أول من وضع المقصورة من لَبِن، واستعمل عليها السائب بن خباب[3]، وكان رزقه دينارين في كل شهر، فتوفي عن ثلاثة رجال: مسلم وبكير وعبد الرحمن[4]، فتواسَوا في الدينارين، فجريا في الديوان على ثلاثة منهم إلى اليوم[5].

قال ابن زبالة: وقال مالك بن أنس: لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب، عمل عثمان مقصورة من لبن، فقام يصلي فيها للناس خوفاً من الذي

---

(١) تاريخ المدينة ١/٦.

(٢) الصواب: وروى الثاني.

(٣) ترجم له ابن حجر في الإصابة ٢/٩ ـ ١٠.

(٤) الإصابة ٢/٩ وذكر الخبر عن أخبار المدينة لابن شَبَّة.

(٥) تاريخ المدينة ١/٧.

أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت صغيرة[١].

وروى يحيى هذا كلَّه في زيادة عثمان رضي الله عنه.

ثم روى في زيادة الوليد عن عبد الحكم بن عبـد الله بن حنطب، قال: أول من أحدث المقصورة في المسجد مروان بن الحكم، بناها بالحجارة المنقوشة، وجعل لها كُوىً، وكان بعث ساعياً[٢] إلى تهامة، فظلم رجلاً يقال له: دب، فجاء دب إلى مروان، فقام حيث يريد أنْ يقوم مروان حتى أراد أنْ يكبِّر ضربه بسكين فلم يصنع شيئاً، فأخذه مروان فقال: ما حملك على ما صنعت. قال: بعثتَ عاملاً فأخذ ذَوْدي بمَرَّةٍ[٣] وتركني وعيالي لا نجد شيئاً، فقلت: أذهبُ إلى الذي بعثك فاقتله فهو أصل هذا، فجاء ما ترى، فحبسه مروان حيناً في السجن، ثم أمر به فاغتيل سراً، فكانت المقصورة[٤].

ورواه ابن شَبَّة بنحوه، إلاَّ أنه سمَّى الرجل: دبا في موضع، وفي آخر: ذبابا، وقال: بعثتَ عاملكَ، فأخذ مني بقرة، فتركني وعيالي لا نجد شيئاً، وأنا أمرؤ خبيث النفس، فقلت: أذهب إلى الذي بعثه فأقتله فهو أصل هذا، فجاء ما ترى، فحبسه مروان في الحبس حيناً، ثم أمرَ به فاغتيل سراً، وعمل المقصورة[٥].

قلت: وجزم بذلك في العتبية في ما حكاه ابن رشد في بيانه، فقال في كتاب الصلاة: مسألة: قال مالك: أول[٦] من جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليماني، قال: فجعل مقصورة من طين، وجعل فيها تشبيكاً[٧]، انتهى.

قال ابن رشد في شرح ذلك: وَجْهُ قوله هذا: الإعلامُ بأنَّ المقصورة مُحْدَثَةٌ لم تكن على عهد النبي ﷺ، ولا على عهد الخلفاء بعده، وإنما أحدثها الأمراء

---

(١) تحقيق النصرة ٤٨ والمغانم المطابة ص١٦٣.

(٢) الساعي: هو الذي يجبي الزكاة.

(٣) الذود من الأبل: ما بين الثنتين إلى التسع، ويريد هنا: أخذ كلَّ ما عندي من بهائم.

(٤) البيان والتحصيل ١٧/ ٤٣٢.

(٥) تاريخ المدينة ١/ ٦، ٦٢.

(٦) في البيان والتحصيل: "إنَّ أول".

(٧) البيان والتحصيل ١/ ٢٩١، ١٧/ ٥٣٢ وتحقيق النصرة ٤٨.

للخوف على أنفسهم، فاتِّخاذُها في الجوامع مكروه[1]، انتهى.

وفي شرح مسلم للنووي: أنَّ أول من اتَّخذ المقصورة معاوية رضي الله عنه حين ضربه الخارجي[2]، انتهى.

وأفهم كلام ابن زبالة أنها كانت في زمن عمر بن عبد العزيز مرتفعة عن أرض المسجد، لأنه ذكر في زيادة المهدي: أنه أمر بالمقصورة فهُدِّمَتْ وخُفِضت إلى مستوى المسجد، وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد، فأوطأها مع المسجد؛ وكأنَّ المراغي فهم أنَّ المراد بذلك سقف المقصورة لا أرضها، فإنه قال في زيادة المهدي: وخفض سقف المقصورة، وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطأها مع المسجد[3]، انتهى.

ورأيت لفظة: "سقف"[4]، مُلْحَقةً بخطه، والظاهر أنَّ ذلك هو المراد.

وذكر المطري ما يقتضي أنَّ المهدي جعلها من خشب على الرواق القبلي بأجمعه[5]، وهو مراد ابن جبير بقوله في رحلته ـ بعد أنْ ذكر أنَّ في الجهة القبلية من المسجد خمس بلاطات ـ يعني: أروقة.

قال: والبلاط المتصل بالقبلة من الخمس المذكورة تَحويه[6] مقصورة تكتَنِفُه طولاً من غربٍ إلى شرقٍ والمحراب فيها[7]، انتهى.

وقد احترقت هذه المقصورة في حريق المسجد الأول، والله أعلم.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٩٢، ١٧/ ٥٣٢ مع زيادة بعض الألفاظ عند السمهودي.

(٢) المصدر نفسه، حيث ذكر ابن رشد فعل معاوية في أنه أول من اتخذ المقصورة.

(٣) تحقيق النصرة ٥٤ والدرة الثمينة ٢/ ٣٧٤.

(٤) لا تظهر هذه اللفظة في النسخة المطبوعة من تحقيق النصرة.

(٥) التعريف ٣٤.

(٦) في التعريف: تحف به.

(٧) رحلة ابن جبير ١٧١.

الفصل السادس عشر
في زيادة الوليد بن عبد الملك
على يد عمر بن عبد العزيز

نقل رزين: أنَّ المسجد بعد أنْ زاد فيه عثمان رضي الله عنه لم يزد فيه عليّ ولا معاوية رضي الله عنهما، ولا يزيد ولا مروان، ولا ابنه عبد الملك شيئاً، حتى كان الوليد بن عبد الملك ـ وكان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة ومكة ـ وبعث الوليد[1] إلى عمر بن عبد العزيز بمالٍ وقال له: مَنْ باعك فأعطه ثمنه، ومن أبى فاهدم عليه وأعطه المال، فإنْ أبى أنَّ يأخذه فاصرفه إلى الفقراء[2]، انتهى.

وقال ابن زبالة: حدثني عبد العزيز بن محمد عن بعض أهل العلم، قال: قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً، فبينا هو يخطب الناسَ على منبر رسول الله ﷺ إذ حانت منه التفاتة فإذا بحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب في بيت فاطمة في يده مرآة ينظر فيها، فلما نزل أرسل إلى عمر بن عبد العزيز، فقال: لا أرى هذا قد بقي بعدُ، اشتر هذه المواضع، وأدخل بيتَ النبي ﷺ في المسجد، واسدده[3].

وروى يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن عبد العزيز بن محمد بنحوه.

وروى أيضاً عن موسى بن جعفر بن أبي كثير، قال: بينما الوليد يخطب على

---

(١) ص: وبعث الوليد بن عبد العزيز بمال.
(٢) نقلاً من المغانم المطابة ص١٦٣.
(٣) كتاب المناسك للحربي ٣٦٦.

المنبر إذ انكشفت الكلَّة[1] عن بيت فاطمة عليها السلام، وإذا حسن بن حسن يُسَرِّحُ لحيته، وهو يخطب على المنبر، فلما نزل أمر بهدم بيت فاطمة رضي الله عنها[2].

قال يحيى: وحدثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي رضي الله عنهما مثله، وزاد فيه: أنَّ حسن بن حسن وفاطمة بنت الحسين أَبَوْا أنْ يخرجوا منه، فأرسل إليهم الوليد بن عبد الملك: إنْ لم تخرجوا منه هدمته عليكم، فأبوا أنْ يخرجوا، فأمر بهدمه عليهم وهما فيه وولدهما، فَنُزِعَ أساس البيت وهم فيه، فلما نُزِع أساس البيت قالوا لهم: إنْ لم تخرجوا قَوَّضْنَاهُ عليكم، فخرجوا منه حتى أتوا دار عليٍّ نهاراً[3].

وروى ابن زبالة عن منصور مولى الحسن بن علي، قال: كان الوليد بن عبد الملك يبعث كلَّ عامٍ رجلاً إلى المدينة يأتيه بأخبار الناس وما يحدث بها، قال: فأتاه في عام من ذلك، فسأله فقال: لقد رأيت أمراً - لا والله - ما لك معه سلطان ولا رأيت مثله قط، قال: ما هو؟ قال: كنت في مسجد النبي ﷺ فإذا منزلٌ عليه كلَّة، فلما أُقيمت الصلاة رُفِعت الكلَّة وصلَّى صاحبه فيه بصلاة الإمام هو ومن معه، ثم أُرخيت الكلَّة، وأُتِيَ بالغداء فتغدى هو وأصحابه، فلما أقيمت الصلاة فَعَلَ مثل ذلك، وإذا هو يأخذ المرآة والكحل وأنا أنظر، فسألت، فقيل: إنَّ هذا حسن بن حسن، قال: ويحك! فما أصنع؟ هو بيته وبيت أمه، فما الحيلة في ذلك؟ قال: تزيد في المسجد وتُدخل هذا البيت فيه، قال: فكتب إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بالزيادة في المسجد ويشتري هذا المنزل، قال: فعرض عليهم أنْ يبتاع منهم فأبوا، وقال حسن: والله لا نأكل له ثمناً أبداً، قال: وأعطاهم به سبعة آلاف أو ثمانية آلاف، فأبوا، فكتب إلى الوليد بن عبد الملك في ذلك، فأمر بهدمه

(١) أي: الستارة.

(٢) كتاب المناسك للحربي ٣٦٦.

(٣) المصدر نفسه.

وأدخاله وطرح الثمن في بيت المال، ففعل[1].

وانتقلت منه فاطمة بنت حسين بن علي إلى موضع دارها بالحَرَّة فابتنتها[2].

قلت: وسيأتي بقية هذا الخبر في ذكر بئرها[3]، إن شاء الله تعالى.

قال ابن زبالة: وحدثني غير واحد من أهل العلم، منهم: إبراهيم بن محمد الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن حميد، ومحمد بن إسماعيل عن محمد بن عمار عن جده، ومحمد بن عبد الله عن عبيد الله بن عمر، وعبد الله بن عمر بن حفص، وعبد العزيز بن محمد عن عبيد الله بن عمر بن حفص، وسليمان بن محمد بن أبي سبرة، ومحمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان، وبعضهم يزيد على بعض[4]: أنَّ عمر بن عبد العزيز لما جاءه كتاب الوليد بهدم المسجد والزيادة فيه بعث إلى رجالٍ من آل عمر، فقال: إنَّ أمير المؤمنين كتب إليَّ أنْ أبتاع بيت حفصة ـ وكان عن يمين الخوخة، أي: خوخة آل عمر، وكان بينه وبين منزل عائشة الذي فيه قبر رسول الله ﷺ، طريق وكانتا تتهاديان الكلام وهما في منزليهما من قرب ما بينهما، فلما دعاهم، قال: إنَّ أمير المؤمنين قد أمرني أنْ أبتاع هذا المنزل وأُدخله في المسجد ـ قالوا: ما نبيعه بشيء، قال: إذاً أدخله في المسجد، قالوا: أنت وذاك، فأما طريقنا فإنا لا نقطعها، فهدم البيت وأعطاهم الطريق ووسَّعَها لهم حتى انتهى بها إلى الاسطوان، وكانت قبل ذلك ضيِّقَةً قدر ما يمر الرجل منحرفاً.

قال عبد العزيز بن محمد: فكنت أسمع عبيد الله بن عمر يقول: لا أخرجني الله من الدنيا حتى أراها قد سُدَّت؛ إنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يلقى الصور الصور».

---

(١) **المغانم المطابة** ص١٧٦ عن الزبير بن بكار.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ورد الإسناد في **المناسك** ٣٦٥ عن يحيى عن الزبير بن بكار عن ابن زبالة مع اختلاف يسير في الأسماء.

قلت: وسنورد بقية هذا الخبر.

وروى يحيى في قصة هذه الدار عن مالك بن أنس في جملة خبرٍ: أنَّ الحجاج قال لعبيد الله بن عبد الله بن عمر: بِعْنِي منزلَ حفصة، قال: لا والله ما كنت لآخذ لبيت رسول الله ﷺ ثمناً أبداً، قال: إذاً والله أهدمه، قال: والله لا تهدمه إلا على ظهري، فأمر الحجاج صائحاً صاح في الناس بالعتل والمساحي والفؤوس، فقام عبيد الله فدخل بيت حفصة، وجاء الغوغاء بالعتل والفؤوس، فأمرهم الحجاج بهدمه، فصعدوا ليهدموه وعبيد الله فيه، فجاءت بنو عدي إلى عبيد الله، فقالوا له: ما أضعفك! هو يتأسف[١] على قتل أبيك[٢] ويزع[٣] عن قتلك! فأخرجوه، فهدمه الحجاج، وكتب إلى الوليد يُعلمه ما صنع، وامتناع عبيد الله من الثمن، فكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره يعرض على عبيد الله الثمن، فإنْ أبى جعل له مكرمة بدَلَه في المسجد، فجعل له عمر الخَوْخَة التي في قبلة المسجد التي إلى دار حفصة اليوم، وهو يقتضي أنَّ الذي هدم دار حفصة هو الحجاج.

وعن جعفر بن وردان عن أبيه، قال: لما استعمل الوليدُ عمرَ بن عبد العزيز على المدينة أمره بالزيادة في المسجد وبنيانه واشْتِراءِ ما حوله من المشرق والمغرب والشام، فلما خلص إلى القبلة قال له عبيد الله بن عبد الله بن عمر: لست أبيع هذا، هو من حَقِّ حفصة، وقد كان النبي ﷺ يسكنها، فقال له عمر: ما أنا بتارككم أو أُدخلها المسجد، فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر: أجعلُ لكم في المسجد باباً تدخلون منه وأعطيكم دار الدقيق مكان هذا الطريق، وما بقيَ من الدار فهو لكم، ففعلوا، وأخرج بابهم في المسجد: وهو الخوخة التي في المسجد تخرج في دار حفصة بنت عمر، وأعطاهم دار الدقيق[٤]، وقَدَّم الجدار في موضعه

---

(١) لعلها كانت: "هو لا يتأسف".

(٢) قيل: إن عبد الله بن عمر جُرِحَ بزجِّ رمحٍ مسموم فمات، **الرياض النضرة** للمحب الطبري ١/ ٣٦٢.

(٣) م٢: وينزع، خ: ويزغ.

(٤) اتخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل فيه الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنقطع به والضيف، **طبقات ابن سعد** ٣/ ٢٨٣.

اليوم، وزاد في المشرق ما بين الاسطوان المربعة إلى جدار المسجد اليوم ومعه عشر[1] أساطين من مربعة القبر إلى الرحبة إلى الشام، ومَدَّه في المغرب إسطوانين، وأدخَلَ فيه حُجُرات أزواج النبي ﷺ وأُدخل فيه دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التي كان يقال لها القرائن اللاتي يقول فيهن أبو قطيفة بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط:

إلا ليت شعري هل تغيَّر بعدنا بَقيعُ المُصَلَّى أو كعهدي القرائنُ[2]

وقد سمعنا من يقول: القرائن كانت جنابذ[3] ثلاثاً لعبد الرحمن بن عوف[4]، انتهى.

قلت: وأخبار المؤرخين متطابقة على أنَّ حُجَر أزواج النبي ﷺ أُدخلت في المسجد[5] بأمر الوليد.

وقد قدمنا في الفصل التاسع قول عطاء الخراساني: أدركت حُجُرات أزواج النبي ﷺ من جريد على أبوابها المُسُوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقْرَأ، يأمرُ بإدخال حُجر أزواج النبي ﷺ فما رأيت يوماً كان أكثر باكياً من ذلك اليوم[6].

قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول: والله لوَدِدْتُ أنهم تركوها على حالها[7]، ولكن نقل الزين المراغي عن السهيلي: أنه نقل، أنَّ الحُجَر والبيوت خلطت بالمسجد في زمن عبد الملك بن مروان، قال: ويرده تصريح

(١) ش، ص، خ، م٢: عشرة.

(٢) تاريخ المدينة ١/ ٢٣٢ والدرة الثمينة ٢/ ٣٧٢ بدون إسناد وكتاب المناسك للحربي ٣٦٧ بدون بيت الشعر، وأورد السمهودي الشطر الأخير: "جبوب المصلى أم كعهدي القرائن" في فصل الأماكن.

(٣) الجنابذ جمع جُنْبُذة وهي القبة، النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٠٥.

(٤) تاريخ المدينة ١/ ٢٣٢.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ١٧.

(٦) تحقيق النصرة ٥٠ والتحفة اللطيفة ٢/ ٢٦٣.

(٧) المصدران نفسهما.

رزين وغيره بضدِّ ذلك[1].

قلت: ولعل مراد من نسب ذلك إلى عبد الملك أنه جعلها للمسلمين يُصَلُّون فيها لضيق المسجد من غير هدم لها، وقد كان الناس يصلون فيها قبل إدخالها في المسجد في يوم الجمعة.

فقد نقل مالك رحمه الله عن الثقة عنده: أنَّ الناس كانوا يدخلون حُجَر أزواج النبي ﷺ يصلون فيها يوم الجمعة بعد وفاة النبي ﷺ وكان المسجد يضيق عن أهله، قال: وحُجَر أزواج النبي ﷺ ليست من المسجد، ولكنَّ أبوابَها شارعةٌ في المسجد[2]، انتهى.

وأما بقية خبر ابن زبالة المتقدم فقد قال عقب ذلك: ثم سام عمر بن عبد العزيز بني عبد الرحمن بن عوف بدارهم، فأبوا، فهدمها عليهم وأدخلها في المسجد.

قال عبد الرحمن بن حميد: فذهب لنا متاع في هدمهم، وأدخَلَ حُجُرات أزواج النبي ﷺ مما يلي المشرق ومن الشام، وأدخل القرائن؛ دور عبد الرحمن بن عوف، وأدخل دار عبد الله بن مسعود التي يقال لها دار القُرَّاء، وأبيات هاشم بن عُتْبَة بن أبي وقاص، وأدخل فيه من المغرب داراً كانت لطلحة بن عبيد الله، وداراً كانت لأبي سبرة بن أبي رُهم كانت في موضع المربعة التي في غربي المسجد، وداراً لعمار بن ياسر كانت إلى جنب دار أبي سبرة، وبعض دار العباس بن عبد المطلب، فاعلم ما دخل منها في المسجد، فجعل منائر سواريها التي تلي السقف أعظم من غيرها من سواري المسجد، وأدخل داراً كانت لمخارق مولى العباس بن عبد المطلب.

قلت: قوله: "وأُدخِلَ... إلى آخره" ـ وإنْ كان مبنيّاً لما لم يُسَم فاعله ـ لكن إيراده هنا يقتضي أنَّ ذلك كلَّه في زيادة الوليد المذكورة، وفيه نظر، لما تقدَّم

---

(١) المصدر الأول نفسه ٤٩.

(٢) نقلاً من تحقيق النصرة للمراغي ٥٠.

من أنَّ عثمان رضي الله عنه زاد في المسجد إسطواناً بعد المربعة، فتكون زيادة الوليد بعد ذلك من جهة المغرب، فلا يَصِحُّ إدخاله لدار أبي سبرة، لقوله: إنها كانت في موضع المربعة، إلاَّ أنْ يريد بالمربعة هنا الاسطوانة التي عن يمينك إذا دخلت من الباب الذي يلي دار مروان، وهو باب السلام، وهي الثانية من الباب المذكور- فإنها أولُ زيادة الوليد، لقوله في رواية يحيى المتقدمة: "ومَدَّه في المغرب اسطوانين"، لكنْ قال ابن شَبَّة نقلاً عن ابن أبي يحيى: إنه كانت لأبي سبرة بن أبي رُهم دارٌ موضعها عند الاسطوان المربعة التي في المسجد اليمانية الغربية، وكانت حديدة[1] دار كانت هناك لعمار بن ياسر، فأُدخلتا في المسجد[2]، انتهى.

وهو ظاهر في أنَّ المراد بالمربعة: الاسطوان المثمَّنَة اليوم التي قدَّمنا وصفَها في زيادة عثمان رضي الله عنه.

وقوله: "وبعض دار العباس بن عبد المطلب" ظاهر أيضاً في أنَّ الوليد أدخل من دار العباس شيئاً، ولعله مما كان بقيَ منها، وأدخله مروان في داره.

فيستفاد منه: أنَّ الوليد أدخل بعض دار مروان وهو ظاهر، لما قدمناه من أنَّ دار مروان كانت ملاصقة للمسجد من جهة المغرب، ولها خوخة فيه، ولا شكَّ أنه اتخذها قبل زيادة الوليد، فإنَّ وفاة مروان كانت في سنة خمس وستين بعد أنْ أقام في الخلافة عشرة أشهر.

ولنرجع إلى تكميل خبر ابن زبالة المتقدم، قال: قالوا: وكتب الوليد بن عبد الملك إلى ملك الروم: إنا نُريد أنْ نعمر مسجد نبينا الأعظم، فأعنَّا فيه بعمال وفسيفساء[3].

قالوا: فبعث إليه بأحمال من فسيفساء وبضعة وعشرين عاملاً.

---

(١) حديدة: مجاورة، وفي خبر آخر عند ابن شبة ١/٢٥٣: «حدها من القبلة دُبُرَ دار عمَّار بن ياسر».
(٢) تاريخ المدينة ١/٢٤٦، ٢٥٣.
(٣) كتاب المناسك للحربي ٣٦٥.

وقال بعضهم: بعشرة عمال، وقال: قد بعثت إليك بعشرة يعدلون مئة، وبثمانين ألف دينار عَوناً لك[1].

قلت: روى ذلك يحيى أيضاً، وذكر في رواية أخرى عن قدامة بن موسى: أنَّ ملك الروم بعث إليه بأربعين ـ يعني: عاملاً من الروم ـ وبأربعين من القبط، وبأربعين ألف مثقال ذهب[2].

وفي رواية لرزين: فبعث إليه ثلاثين عاملاً وأربعين من الروم، ومثلهم من القبط، وبثمانين ألف مثقال، وبأحمال من الفسيفساء، وبأحمال من سلاسل القناديل[3]، انتهى.

ولنرجع إلى تكميل خبر ابن زبالة أيضاً، قال عقب ما تقدَّم: وبعث بهذه السلاسل التي فيها القناديل، قالوا: وهدمه عمر بن عبد العزيز سنة إحدى وتسعين ـ أي: بتقديم التاء الفوقية على السين ـ وبناه بالحجارة المنقوشة المطابقة وقَصَّة بطن نخل[4]، وعمله بالفسيفساء والمرمر، وعمل سقفه بالساج وماء الذهب، وهدم حُجُرَ أزواج النبي ﷺ فأدخلها في المسجد، ونقل لَبِنَ المسجد ولبن الحجرات فبنى به داره التي بالحرة فهو فيها اليوم بياض على اللبن[5].

قال: فبينما أولئك العمال يعملون في المسجد إذ خلا لهم المسجد فقال بعض أولئك العمال من الروم: ألا أبول على قبر نبيهم، فتهيَّأ لذلك فنهاه بعض[6]

---

(١) في الأصول: عونا له، والتصحيح من كتاب المناسك، وفيه: «وبمئتي ألف دينار عونا لك» وذكر ابن النجار في الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٢ هذا الخبر مع اختلاف في اللفظ وتبعه المراغي في تحقيق النصرة ٤٩ .

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٢.

(٣) نقلاً من المغانم المطابة ص١٦٤ ـ ١٦٤وانظر: الدرة الثمينة مع اختلاف في اللفظ.

(٤) كتاب المناسك للحربي ٣٦٥ وبطن نخل: يقول الشيخ حمد الجاسر فيه: «هو على أرجح الأقوال ما يسمى الآن «الحناكية»، واد عظيم يكثر فيه شجر الدوم، وفيه الآن قرية كبيرة، بل قرى متفرقة، ومن دونه للمتجه إلى المدينة ببضعة أكيال وادي النخيل».

(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٢.

(٦) سقطت من: م٢، س.

أصحابه، فلما هَمَّ أنْ يفعلَ أُقْتُلِعَ فَأُلقيَ على رأسه فانتثر دماغه، فأسلم بعض أولئك النصارى[1].

وعمل أحد أولئك الروم على رأس خمس طاقات في جدار القبلة في صحن المسجد صورة خنزير، فظهر عليه عمر بن عبد العزيز فأمر به فضربت عنقه[2].

وقال بعض أولئك العمال الذين عملوا الفسيفساء: إنا عملناه على ما وجدنا من صور شجر الجنة وقصورها[3]، انتهى خبر ابن زبالة.

وفي خبر يحيى المتقدم عن قدامة بن موسى: أنَّ عمر بن عبد العزيز أخْمَر النورة التي تُعمل بها الفسيفساء سنةً، وحمل القَصَّة من بطن[4] نخل منخولة، وعملوا الأساس بالحجارة والجدار بالحجارة المطابقة والقَصَّة، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص، وكان طوله مئتي ذراع وعرضه في مقدمته مئتين، وفي مؤخره ثمانين ومئة، وهو من قبل كان مقدمه أعرض[5]، انتهى.

وما ذكره في ذَرع عرض المسجد غيرُ صحيح، لما سيأتي عن ابن زبالة في **الفصل الحادي والثلاثين**: أنه ذكر في موضع آخر أنَّ عرض المسجد من مقدمه في زمنه مئة وخمسة وستون ذراعاً، وعرضه من مؤخره مئة وثلاثون ذراعاً.

وسيأتي أيضاً: أنَّ الذي حررناه أنَّ عرضه اليوم من مقدمه في جهة القبلة مئة ذراع وسبعة وستون ذراعاً ونصف، وأنَّ عرضه من مؤخره في جهة الشام مئة وخمسة وثلاثون ذراعاً.

ولا شك أنَّ المسجد لم ينقص من عرضه شيء، فهذا الذرع المذكور في

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٤ و**تحقيق النصرة** ٥٠ و**المغانم المطابة** ص١٦٤.

(٢) المصدر نفسه و**تحقيق النصرة** ٥٠ و**المغانم المطابة** ص١٦٤.

(٣) كتاب **المناسك** ٣٦٥ عن ابن زبالة و**المغانم المطابة** ص١٦٤.

(٤) سقطت من ش.

(٥) نقلاً من **المغانم المطابة** ص١٦٣ وانظر: **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٧٢ بزيادة ونقص في الألفاظ.

هذه الرواية غير صحيح، وقد نقله ابن النجار عن أهل السير وتعقبه المطري[1] بنحو ما ذكرناه.

وروى ابن زبالة عن محمد بن عمار عن جده، قال: لما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة دعا مشيخةً من أهل المدينة: من قريش والأنصار والعرب والموالي فقال لهم: تعالوا احضروا بنيان قبلتكم، لا تقولوا غيَّر عمرُ بن عبد العزيز قبلتنا، فجعل لا ينزع حجراً إلا وضع مكانه حجراً، فكانت زيادة الوليد بن عبد الملك من المشرق إلى المغرب ست[2] أساطين، وزاد إلى الشام من الإسطوان المربعة التي في القبر أربع عشرة إسطوانا، منها عشر في الرحبة وأربع في السقائف الأولى التي كانت قبل، وزاد من الاسطوان التي دون المربعة إلى الشرق أربع أساطين في السقائف، فدخل بيتُ النبي ﷺ في المسجد، وبقي ثلاث أساطين في السقائف[3].

قلت: فاستفدنا من ذلك أنَّ الست[4] أساطين التي زادها في المشرق والمغرب ليس منها في جهة المغرب سوى اثنتين، وأنَّ أربعة منها في جهة المشرق، فيكون ابتداء زيادته في المشرق من الاسطوان اللاصق اليوم بالشباك الدائر حول الحجرة الشريفة، على ما قدمناه في تحديد المسجد النبوي، وذلك هو المراد بقوله: «من الاسطوان التي دون المربعة إلى المشرق».

وقوله: «وبقي ثلاث أساطين» أي: من الأربعة المذكورة في السقائف، أي: المسقف الشرقي كما هو اليوم.

لكن في رواية يحيى المتقدمة: أنه زاد في المشرق ما بين الإسطوان المربعة ـ أي: مربعة القبر ـ إلى جدار المسجد ـ يعني: الشرقي ـ فعلى هذا يكون

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٢ التعريف للمطري ٣١.
(٢) ص، خ، ش: ستة.
(٣) نقلاً من المغانم المطابة ص١٦٤.
(٤) ص، ش، م٢: الستة، ومن الفصاحة أن يقال: الأساطين الست.

له في المشرق ثلاث[1] أساطين فقط، فيحتمل أن يكون له في المغرب ثلاثٌ أيضاً.

وقوله: «وزاد إلى الشام من الاسطوان المربعة التي في القبر. . .إلى آخره» معناه: أنه لما أحدث المسقف الشرقي جعل ابتداءه مما يلي رحبة المسجد مربعة القبر، وجعل في صفِّها إلى جهة الشام أربع عشرة اسطوانا، منها عشر في الرحبة وأربع في السقائف التي كانت قبل، أي: في المسقف الشامي، فيكون قد صَيَّرَ المسقف الشامي رحبةً، وجعل المسقف الشامي بعد أربع عشرة اسطواناً، فهذا معنى زيادته لهذا العدد.

ويستفاد منه: أنَّ جدار المسجد من جهة الشام في زمنه كان بعد ثمان عشرة اسطوانة من مربعة القبر، لأنك إذا ضممت أربع أساطين للسقائف التي أحدثها بدل الأولى إلى الأربع عشرة المذكورة بلغ ذلك، فيكون محل الجدار المذكور قريباً مما يوازي الاسطوان التي قبل المسقف الشامي باسطوان في ما يليه من الرحبة، وذلك موافق لما تقدم من: أنه جعل طوله ـ يعني: من القبلة إلى الشام ـ مئتي ذراع.

فيتحرر من ذلك: أن زيادته من جهة الشام على ما ذكر من الذَّرع في زمان عثمان رضي الله عنه أربعون ذراعاً، ويحتمل أن يكون معنى قوله: «وزاد إلى الشام من الاسطوان المربعة التي في القبر أربع عشرة إسطوانة»: أنَّ المسجد ينتهي في جهة الشام في زمنه بعد أربع عشرة اسطواناً من المربعة إلى جهة الشام، فيكون الجدار الشامي في موازاة الإسطوانة الخامسة من طرف الدكاك التي هي المسقف الشامي، وهناك اسطوان في الصف الأوسط من المسقف الشرقي مربع أسفله قدر الجلسة، فعلى هذا يكون علامة لذلك، لكنه مخالف لما تقدم من: أنه جعل طوله مئتي ذراع، بل يكون طوله على هذا التقدير نحو مئة وستين ذراعاً، وذلك هو ما تقدم في طوله زمن عثمان رضي الله عنه، فيكون هذا الاحتمال مردوداً، ولكن سيأتي في زيادة المهدي ما يقتضيه، والله أعلم.

---

(١) ص، ش، خ، م٢: ثلاثة.

وروى يحيى عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن من يثق به من مشايخ البلد: أنَّ عمر بن عبد العزيز أمر حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر سترة اثنين يصليان إليها وقدر مجلس اثنين يتساندان إليها.

وعن صالح بن كيسان، قال: لما جاء كتاب الوليد من دمشق بهدم المسجد، سار خمس عشرة[1]، فجرَّد في ذلك عمر بن عبد العزيز، قال صالح: واستعملني على هدمه وبنائه، فهدمناه بعمال المدينة، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي ﷺ حتى قدم علينا الفَعَلة الذين بعث بهم الوليد.

وقال ابن زبالة في ما رواه عن محمد بن عمار عن جده: وكان في موضع الجنائز ـ أي: شرقي المسجد في زمان الوليد بن عبد الملك ـ نخلتان إذا أُتِيَ بالموتى وُضِعُوا عندها فَيُصَلى عليهم، فأراد عمر بن عبد العزيز قطعهما حين وَلِيَ عملَ المسجد للوليد بن عبد الملك، وذلك في سنة ثمان وثمانين، فاقتتلت فيهما بنو النجار من الأنصار، فابتاعهما عمر بن عبد العزيز فقطعهما[2].

قلت: ولا ينافي ذلك ما تقدم من: أنَّ عمر هدم المسجد في سنة إحدى وتسعين، لجواز أنْ تكون ولايته لذلك سنة ثمان وثمانين، واستمرَّ في تحصيل الأهبة وشراء الأماكن وتخمير النورة إلى سنة إحدى وتسعين[3].

وفي ما رواه يحيى عن حفص بن مروان عن أبيه: أنَّ عمر مكث في بنائه ثلاث سنين[4].

قلت: فعلى هذا يكون قد فَرَغ منه في آخر سنة ثلاث وتسعين، وهي السنة التي عُزِلَ فيها عمر عن المدينة، وفيه ردٌّ لقول من زعم أنَّ هدمه كان سنة ثلاث وتسعين، لكن في روايةٍ لابن زبالة: ما يقتضي أنَّ البداءةَ في هدم المسجد وعمارته كانت في سنة ثمان وثمانين، فإنه قال فيها: وابتدأ عمر بن عبد العزيز بناء المسجد

---

(١) أي: سار حامل الكتاب خمس عشرة ليلة.
(٢) تاريخ المدينة ١/٥.
(٣) تحقيق النصرة ٥١.
(٤) كتاب المناسك للحربي ٣٦٨ والدرة الثمينة ٢/ ٣٧٣.

سنة ثمان وثمانين، وفرغ سنة إحدى وتسعين، وفيها حَجَّ الوليد[1].

قال: ولما فرغ عمر بن عبد العزيز من بنيان المسجد، أرسل إلى أبان بن عثمان، فَحُمِل في كساء خزٍّ حتى انْتُهِيَ به إليه، فقال: أين هذا البناء من بنيانكم؟ فقال: بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس[2].

قال: وقال الوليد حين رأى خَوْخَة آل عمر: صانعتهم لمكان الخوخة[3]؛ هكذا في النسخة التي وقعت لنا، ولعلها: لمكان الخؤولة[4]، لأنَّ المطري قال: إنَّ الوليد قال له: صانعت أخوالك[5]، وقد كانت أم عمر بن عبد العزيز منهم.

وروى يحيى عن جعفر بن وردان عن أبيه ما يقتضي أن المخاطِب لأبان بن عثمان هو الوليد، فإنه قال: فلما قدم الوليد حاجاً جعل يطوف في المسجد وينظر إليه ويصيح بعمر: ها هنا، ومعه أبان بن عثمان، فلما استنفذ الوليدُ النظرَ إلى المسجد التفت إلى أبان وقال: أين بناؤنا من بنائكم؟ قال أبان: إنا بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس[6].

قلت: وكان قد اعتنى عمر بتحسينه، فقد روى يحيى عن النضر بن أنس، قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا عمل العاملُ الشجرة الكبيرة من الفسيفساء فأحسن عملها نَفَلَهُ عمرُ ثلاثين درهماً[7].

وذكر هو وابن زبالة ما كان من الكتابات داخله وخارجه وعلى أبوابه فتركناه لزواله[8].

---

(١) تحقيق النصرة ٥١.

(٢) كتاب المناسك للحربي ٣٦٧، ٣٧٠ والدرة الثمينة ٢/ ٣٧٤ والمغانم المطابة ص١٧٢.

(٣) في كتاب المناسك ٣٦٨: «ضاهيتهم لمكان الخؤولة».

(٤) في المغانم المطابة ص١٧١: «صانعتهم لمكان الخؤولة».

(٥) التعريف ٣٤.

(٦) كتاب المناسك للحربي ٣٦٧، ٣٧٠ والدرة الثمينة ٢/ ٣٧٤.

(٧) نقلاً من المغانم المطابة ص١٦٤.

(٨) ذكر الحربي ما كتب على الأبواب في المناسك ٣٨٥ ـ ٣٩٥ وذكر ابن النجار في الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٥ بعضها وسردها المجد في المغانم المطابة ص١٦٦ ـ ١٧٠ نقلاً عن ابن زبالة.

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد الزهري عن أبيه، قال: ولما قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً بعد فراغ عمر بن عبد العزيز من المسجد جعل يطوف في المسجد وينظر إلى بنيانه، فقال لعمر بن عبد العزيز حين رأى سقف المقصورة: ألا عملت السقف كله مثل هذا؟ قال: إذاً يا أمير المؤمنين تعظم النفقة جداً، قال: وإنْ! قال: وكانت نفقته في ذلك أربعين ألف دينار.

وروى ابن النجار هذا الخبر عن أهل السير بهذا اللفظ، إلا أنه قال: فقال: فقال يا أمير المؤمنين إذاً تعظم النفقة جداً، قال: وإنْ، قال: أتدري كم أنفقتُ على عمل جدار القبلة وما بين السقفين؟ قال: وكم؟ قال: خمسة وأربعون ألف دينار، وقال بعضهم: أربعون ألف دينار، قال: والله لكأنك أنفقتها[1] من مالك، وقيل: كانت النفقة في ذلك أربعين ألف مثقال[2]، انتهى.

وذكر يحيى رواية ابن زبالة المتقدمة، من غير طريقه، وقال عقب قوله: «وكانت النفقة في ذلك أربعين ألف دينار، قال: ثم انتهى إلى القبر فقال ابن الوليد[3] لعمر بن عبد العزيز: من هذا في القبر؟ قال: رسول الله وأبو بكر وعمر، قال: فأين أمير المؤمنين عثمان؟ قال: فأعرض عنه، فألحَّ عليه، فقال: دُفِنَ في حالِ تشاغلٍ من الناس، وقد أساءَ أدَبَه»[4].

وروى ذلك ابن زبالة أيضاً، وزاد فقال: وسمعت بعض أهل العلم يقول: السائل بكَّار بن عبد الملك، وكان ضعيفاً.

وقال ابن شَبَّة: حدثنا أيوب بن عمر بن أبي عمرو، قال: أخبرني موسى ابن عبد العزيز، قال: قال عمر بن عبد العزيز لي: اتكأ الوليد على يدي حين قدم

---

(١) م٢: تنفقها.

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٣) في حاشية خ: "وهو عبد الملك المتقدم ذكره هنا".

(٤) في الأصول: وقد اسى ادبك، وذكر الحربي هذه الرواية في المناسك ٣٦٩ وأشار حمد الجاسر إلى ورودها في الأعلاق النفيسة لابن رستة، وقال: في أصل المناسك وردت اللفظة: «اسآء». أقول: والظاهر أن الأصل كان: «وقد أساء أدبه» وهو إما من زيادة الراوي أو أحد القراء في الحاشية فأدخله الناسخ في المتن، فتواتر النسخ، وهذا أمر معروف عند المشتغلين في تحقيق المخطوطات.

المدينة، فجعل يطوف المسجد ينظر إلى بنائه، ثم أتى بيت النبي ﷺ فوقف عليه، ثم أقبل عليٌّ فقال: أمعه أبو بكر وعمر؟ قلت: نعم، قال: فأين أمير المؤمنين عثمان؟ قال: فالله أعلم إني لظننت أنه لا يبرح حتى يخرجهما، فقلت: يا أمير المؤمنين إنَّ الناس كانوا حين قُتلَ عثمان في فتنةٍ وشُغْلٍ فذاك الذي منعهم من أنْ يدفنوه معهم، فسكت[1].

وروى يحيى أنه جعل المقصورة من ساج[2]، قال: وكانت قبلُ من حجارة.

وأنَّ الواقدي قال: حدثني عبد الله بن يزيد، قال: كان عمل القبط مقدم المسجد، وكانت الروم تعمل ما خرج من السقف؛ جوانبه ومؤخره[3]، فسمعت سعيد بن المسيَّب يقول: عمل هؤلاء أحكم، يعني: القبط.

---

(١) تاريخ المدينة ١/ ١١٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٦.
(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٤.

الفصل السابع عشر
في ما اتخذه عمر في المسجد في زيادة الوليد من المحراب والشرفات والمنائر واتخاذ الحرس ومنعهم من الصلاة على الجنائز فيه

أسند يحيى عن عبد المهيمن بن عباس عن أبيه، قال: مات عثمان وليس في المسجد شُرُفات ولا محراب، فأول مَن أحدث المحراب والشرفات عمر ابن عبد العزيز[١].

وعن القاسم وسالم[٢]: أنهما نَظَرا إلى شرفات المسجد فقالا: إنها من زينة المسجد.

وأسند أيضاً من طريق ابن زبالة ـ ورأيته فيه ـ أنَّ عمر بن عبد العزيز هو الذي عمل الرصاص على طيف[٣] المسجد والميازيب التي من الرصاص فلم يبق من الميازيب التي عمل عمر بن عبد العزيز غير ميزابين: أحدهما في موضع الجنائز، والآخر على الباب الذي يدخل منه أهل السوق الذي يقال له: باب عاتكة[٤]، ولم

---

(١) كتاب المناسك ٣٦٨ : «فحدثني يحيى بن حسن بن عبد الوهاب عن محمد بن عمر [عن] عبد المهيمن بن عباس عن أبيه» وانظر: الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٣.

(٢) هما القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، انظر عنهما: سير أعلام النبلاء ٥/ ٥٣، ٤/ ٤٥٧.

(٣) س، خ، ص، م٢: طنف.

(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٣.

يكن للمسجد شُرُفات حتى عملها عبد الواحد بن عبد الله النصري[(١)]، وهو والٍ على المدينة سنة أربع ومئة[(٢)]، انتهى.

فهذا يقتضي أنَّ عمر بن عبد العزيز لم يُحدث الشرفات في زيادة الوليد، بل ولا في زمن خلافته بعده، لأنَّ وفاته كانت في رجب سنة إحدى ومئة.

وفي سنن البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «ابنوا المساجد واتَّخذوها جُمَّاً»[(٣)].

وعن ابن عمر: نهانا ـ أو نُهينا ـ أنْ نُصَلِّي في مسجد مشرف[(٤)].

قال أبو عبيد: الجُمُّ: التي لا شُرَفَ لها، حكاه في شرح المهذَّب[(٥)].

قال الزين المراغي: وليس للمسجد شرفات منذ حريقه، وقد جددت له شرفات سنة سبع وستين وسبع مئة في أيام الأشرف شَعبان بن حسين بن محمد صاحب مصر[(٦)]، انتهى.

والمراد بالشرفات المذكورة: ما علا ما أحاط بجدرات[(٧)] صحن المسجد من جوانبه الأربعة، وبينها فُرَجٌ شبه طاقات الشباك، وهي المرادة في ما حكاه البدر ابن فرحون عن القاضي فخر الدين ابن مسكين الفقيه الشافعي[(٨)]: أنه كان يجلس

---

(١) النصري: نسبة لجده نصر بن معاوية، تولى امارة مكة والمدينة والطائف من سنة ١٠٤هـ إلى سنة ١٠٦هـ، وقد ترجم له السخاوي في التحفة اللطيفة ٢/٢١٨.

(٢) كتاب المناسك للحربي ٣٨٥ ـ ٣٨٦ عن يحيى العلوي ووقع فيه: «المشرق» بدلاً من «السوق».

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ١/٣٤٤، وجُمَّاً: أي لا شُرَفَ لها، النهاية في غريب الحديث ١/٣٠٠ وذكر حديث ابن عباس: «أُمرنا أن نبني المدائن شُرَفاً والمساجد جُمَّاً»، وانظر: إعلام الساجد ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٤) أي: له شرفات، والخبر في المعجم الكبير للطبراني ١٢/٤٠٧ وإعلام الساجد ٣٣٦ وكشف الأستار ١/٢٠٩ عن أنس بن مالك ومجمع الزوائد ٢/١٦ والمصنف لابن أبي شيبة ١/٣٤٤.

(٥) هو للنووي.

(٦) تحقيق النصرة ٥١، هو شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون.

(٧) يريد: جدران، وقد وردت كثيراً في الحديث بهذا اللفظ.

(٨) هو فخر الدين محمد بن محمد بن الحارث المعروف بابن المسكين كما جاء في نصيحة المشاور لابن فرحون ورقة ١٥١أ.

في مُصَلاه حتى تطلع الشمس فيصلي الضحى، وأنه رأى الناس يرتقبون بصلاتهم الشيخ أبا عبد الله ابن فرحون والد البدر، قال: وكان يقوم إذا وصلت الشمس الحائط الغربي إلى تحت الشبابيك الصغار، قال: فاجتمعت به، وكنت به جاهلاً، فقلت له: رأيتك تقوم للضحى قبل وقتها، وقد نهى النبي ﷺ عنها حتى ترتفعَ الشمسُ وتبيَّضَّ، فالتفت إليَّ وقال: بعد اليوم نؤخر كما قلت، وسكت عني[1].

قلت: وإنما ذكرت ذلك لأنَّ كثيراً من الناس اليوم يشرعون في الصلاة عند وقوع الشمس على رؤوس الشراريف، وذلك قبل ارتفاع الشمس كرمح، والله أعلم.

وروى ابن زبالة ويحيـى من طريقه عن محمد بن عمار عن جده، قال: جعل عمر بن عبد العزيز لمسجد رسول الله ﷺ حين بناه أربعَ مناراتٍ؛ في كلِّ زاية منه منارة[2].

قال كثير بن جعفر: وكانت المنارة الرابعة مُطِلَّةً على دار مروان، فلما حجَّ سليمان بن عبد الملك أذَّنَ المؤذن، فأطَلَّ عليه، فأمر سليمان بتلك المنارة فهدِّمَتْ إلى ظهر المسجد، وبابها على باب المسجد[3].

وفي نسخة يحيـى: وبابها على المسجد مما يلي دار مروان من قبل المسجد.

قلت: فكان المسجد بعد ذلك له ثلاث منارات فقط، وهو المراد من قول ابن زبالة في موضع آخر: ولمسجد النبي ﷺ ثلاث منارات طول كلِّ منارة ستون ذراعاً.

وقال في موضع آخر: وطول المنارة الشرقية اليمانية في السماء خمس وخمسون ذراعاً، والمنارة الشرقية الشامية خمس وخمسون، والمنارة الغربية الشامية ثلاث وخمسون، وعرض المنارات ثمان أذرع في ثمان أذرع، انتهى.

---

(١) نصيحة المشاور ورقة ١٥١أ ـ ب.

(٢) كتاب المناسك ٣٦٨.

(٣) المصدر نفسه.

وذكر ابن جبير في رحلته ما يقتضي: أنَّ المنارتين الشاميتين كانتا صغيرتين، بخلاف الشرقية اليمانية، فإنه قال: وللمسجد المبارك ثلاث صوامع؛ إحداها في الركن الشرقي المتصل بالقبلة، والاثنان في ركني الجهة الجوفية[1] صغيرتان كأنهما على هيئة بُرجَين، والصومعة المذكورة على هيئة الصوامع[2].

قلت: فكأنَّ الشاميتين غُيِّرَتَا بعد ابن جبير، فإنهما اليوم على هيئة الشرقية اليمانية المعروفة اليوم بالرئيسية ـ لاختصاص الرئيس[3] بها ـ وكان طول المنارة الرئيسية في زماننا أولاً من رأس هلالها إلى أسفلها خارج المسجد بالبلاط سبعة وسبعين ذراعاً ـ بتقديم السين ـ ثم سقط منها نحو ثلثها بسبب الصاعقة التي نشأ عنها حريق المسجد الثاني ـ كما سيأتي ـ فاقتضى الحالُ هدمَ جميعها، ثم أُعيدتْ فكان طولها اليوم أزيد من مئة ذراع، فصارت أطول المنارات، ثم ظهر منها خلل لعدم الإحكام، فبعث السلطانُ الأشرفُ قايتباي الشجاعي شاهينَ الجمالي[4] شادَّ[5] العمائر، وأمره بهدمها، فهدمها فوجد أساسها غير محكم، فحفر أساسها إلى أن بلغ به الماء وأعادها متقنة جداً بحيث لم يُسبق إلى مثلها[6]، وزاد في عرض جدارها شيئاً من موضوع الجنائز شرقي[7] المسجد، وزاد في ارتفاعها أيضاً حتى بلغ زيادة على مئة[8] وعشرين ذراعاً[9]، وطول المنارة الشرقية الشامية وهي المعروفة بالسنجارية تسعة ـ بتقديم التاء على السين ـ وسبعون ذراعاً، وطول

---

(١) ص: الشرقية.

(٢) رحلة ابن جبير ١٧٣.

(٣) يريد: رئيس المؤذنين.

(٤) تولى نيابة جدة في سنة ٨٨٦هـ وعزل ثم أعيد في سنة ٨٩٣هـ، انظر: **بدائع الزهور في وقائع الدهور** لابن إياس الحنفي ٣/ ١٨٢، ٢٥٢ وكان شيخ الخدام بالمسجد النبوي وإليه الحسبة بها وتملك بالمدينة بئر البصة أو البضة، وترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ١/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠ وفي **الضوء اللامع** ٣/ ٢٩٣.

(٥) م٢: شاهد.

(٦) الجملة: "بحيث لم يسبق إلى مثلها"، سقطت من ص.

(٧) م٢: الشرقي.

(٨) م٢: المئة.

(٩) ص: ستة وعشرة ذراعاً، خ: ستة وعشرين ذراعاً.

الشامية الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعاً ـ بتقديم السين فيها ـ كلُّ ذلك من أعلى الهلال إلى الأرض الخارجة عن المسجد، وبه يُعلم أنَّ المنارات التي كانت في زمن ابن زبالة ليست هي الموجودة اليوم.

قال المطري: ولم يزل المسجد على ثلاث منارات إلى أنْ جددت المنارة الرابعة.

وذكر في موضع آخر تجديدها، فقال بعد ذكر خَوخَة مروان المتقدم ذكرها في ركن المسجد الغربي: إنه شاهد الخوخة المذكورة عند بناء المنارة الكبيرة المتجددة في سنة ستٍ وسبع مئة؛ أمر بإنشائها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[1].

قال المطري: وكان باب الخوخة عليها، وهو من ساجٍ، فلم يَبْلَ إلى هذا التاريخ، كان مروان يدخل من داره إلى المسجد منها، وقد انسدَّتْ ـ يعني: الخوخة ـ بحائط المنارة الغربي[2]، انتهى.

قلت: وقد ذكر البدر ابن فرحون بناء هذه المنارة، فإنه أدرك ذلك، وذكر أنه لم يوجد عند الحفر أثرٌ لما ذُكِر من وجود منارة قبلها، فقال ما ملخصه: إنه لما حجَّ سَلَّار وبيبرس[3] كلمهما شيخ الخدَّام شبل الدولة كافور المظفري المعروف بالحريري[4] في بناء المنارة التي بباب السلام اليوم، فأنعما، ثم خشي أنهما يشتغلان عن ذلك أويستثقلان النفقة، فقال: أنا لا أطلب منكم مالاً، عندي من قناديل الذهب والفضة ما يقوم بها وزيادة، فأنعما له بإرسال الصُنَّاع، وأمر بالحفر لها في مكانها اليوم، فلم ينزلوا إلاَّ قليلاً أذ وجدوا باب مروان بن الحكم أسفل من

---

(١) التعريف ٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هما سلار بن عبد الله المنصوري نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير أتابك الجيوش في سلطنة محمد بن قلاوون الثانية، انظر: السلوك ٢/ ١/ ١٢ وبدائع الزهور ١/ ٤٠٥ والدليل الشافي لابن تغري بردي ١/ ٢٠٣، ٣١٤ والمنهل الصافي لابن تغري بردي ٣/ ٤٦٧ في ترجمة بيبرس الجاشنكير.

(٤) ترجم له ابن فرحون في نصيحة المشاور ورقة ٢٠ب ـ ٢٢أ وقال: "توفي سنة ٧١١هـ" والفيروزأبادي في المغانم المطابة ص٥٠٨ ـ ٥١٠.

أرض المسجد بقدر قامة، ثم وجدوا تحصيب المسجد في أيام مروان بالرمل الأسود؛ يشبه أن يكون من جبل سَلع، ثم نزلوا في الأساس حتى بلغوا الماء، ثم أمر الحريري من كان بالمدينة ممن يتعانى البناية كالشيخ إبراهيم البناء والشيخ علي الفراش الحجَّار وغيرهما ممن ليس له في البناية كبير قدم، فدكُّوا الأساس، فلما حضر الصناع في الموسم قال مقدمهم للشيخ: لا تَبْني حتى تَنْقُضَ ذلك، فإنَّا لا نأمن عاقبته، فامتنع الشيخ، فرجع إلى مصر من حينه، فقال الشيخ لمن كان معه من المعلمين: اعملوا أنتم، فعملوها على ما هي عليه اليوم، وعمَّ نفعها، لأنها متوسطة المدينة، حتى إنَّ رئيس المؤذنين محمد بن إبراهيم قال لي: لو تُركت لي هذه المأذنة لكفيت المدينة، وهو حق، فإنَّ امتداد المدينة وقوة عمارتها من جهة المغرب، يعني: في محاذاة المنارة المذكورة[1].

قال: وكان بعض المؤرخين يذكر أنه كان هناك مأذنةٌ مشرفةٌ على دار مروان، فهدَّمها غَيْرَةً على أهله من مؤذنيها، فلم يوجد لذلك صحة ولا أثر البتة[2]، انتهى ما ذكره ابن فرحون.

قلت: وجواب ما ذكره أخيراً: أنَّ تلك المنارة تحتمل أن تكون على باب المسجد وسطحه مما يلي دار مروان، وليس لها في الأرض أساس، ويدلُّ على ذلك قوله في الرواية المتقدمة: «وبابها على المسجد، أو على باب المسجد» فلا يلزم من عدم وجود أثرها عند الحفر عدم وجودها أصلاً ورأساً في تلك الجهة.

ولم يتعرضوا لذرع هذه المنارة، وكانت أطول منارات المسجد، وقد ذرعتها من أعلى هلالها[3] إلى الأرض، فكان ذلك خمسةً وتسعين ذراعاً ـ بتقديم التاء على السين ـ لكن صارت المنارة الرئيسية المجددة بعد الحريق أطولَ منها ـ كما سبق ـ والله أعلم.

ويظهر من سياق ما تقدم: أنَّ أول جعل المنارات في المسجد كان في زيادة

---

(١) نصيحة المشاور ورقة ٢٠ب ـ ٢٢أ.

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٢أ.

(٣) سقطت من خ.

الوليد، ويشهد لذلك ما رواه ابن إسحاق وأبو داود والبيهقي: أنَّ امرأةً من بني النجار قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، وكان بلال يؤذن عليه الفجر كلَّ غَداة، فيأتي بسحر، فيجلس على البيت ينتظر الفجر[1]، فإذا رآه تمطَّى، ثم قال: اللَّهُمَّ إني أحمدك وأستعينك على قريش أنْ يقيموا دينك، قالت: ثم يُؤذِّن[2].

وروى خالد بن عمرو عن أبي برزة الأسلمي، قال: من السُنَّة الأذان في المنارة والإقامة في المسجد.

وروى غيره: أنَّ الأذان في زمنه ﷺ كان على أسطوانة في دار عبد الله بن عمر التي في قبلة المسجد.

قال ابن زبالة: حدثني محمد بن إسماعيل وغيره، قال: كان في دار عبد الله بن عمر اسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال؛ يَرْقَى إليها بأقتاب[3] والاسطوان مربعة قائمة إلى اليوم، يقال لها: المطمار، وهي في منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر[4].

قلت: والظاهر أنها المرادة بقوله في الرواية المتقدمة في قصة الخَوخَة التي جعلت بدل طريق بيت حفصة، ووسعها لهم حتى انتهى بها إلى الإسطوان.

وقال الأقشهري، ومن خطه نقلت، عن عبد العزيز بن عمران[5]، قال: كان في دار عبد الله بن عمر اسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها، وهي مربعة قائمة إلى اليوم.

قال الأقشهري: وهي باقية إلى يومنا هذا، قال ـ يعني: عبد العزيز ـ: وكان يقال لها: المطمار[6].

---

(١) س، ر: لينظر إلى الفجر؛ ش: ينتظر إلى الفجر.
(٢) السيرة النبوية ١/ ٣٤٨ بالنص وفتح الباري ٢/ ١٠٣ عن أبي داود.
(٣) الأقتاب: جمع قَتَب وهو للجمل كالإكاف لغيره وكالسرج للخيل، النهاية في غريب الحديث ٤/ ١١.
(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ وتحقيق النصرة ٧٤.
(٥) ش، خ، س، م٢: عمر.
(٦) لم أقف على هذا الخبر والذي قبله في الروضة الفردوسية فلعله كان في الحواشي المطموسة وهي كثيرة أو في ما سقط منها من أوراق.

وأسند يحيى من طريق عبد العزيز بن عمران عن قدامة العمري عن نافع عن ابن عمر، قال: كان بلال يؤذن على منارة في دار حفصة ابنة عمر التي تلي المسجد.

قال: وكان يرقى على أقتابٍ فيها، والاسطوان في البيت الذي كان بيد عبيد الله بن عمر الذي يقال له: بيت عبد الله بن عمر، وقد كانت خارجة من مسجد رسول الله ﷺ لم تكن فيه، وليست فيه اليوم.

والظاهر أنه تجوُّزٌ في تسمية الاسطوان منارة، وعبد العزيز بن عمران كان كثير الغلط، لأنَّ كتبه احترقت، فكان يروي من حفظه، فتركوه.

ثم الظاهر أنَّ عمر وعثمان رضي الله عنهما لم يتَّخذا[1] في المسجد منارة وإلاَّ لنُقِلَ.

وروى يحيى عن جابر بن عبد الله، قال: كان أول من خَلَّق المسجد ورَزَقَ المؤذنين، وجلس على الدرجة الثالثة من المنبر بعد النبي ﷺ عثمان رضي الله عنه.

وروى ابن زبالة عن موسى بن عبيدة: أنَّ عمر بن عبد العزيز استأجر حَرَساً للمسجد لا يحترف[2] فيه أحد[3].

وعن كثير بن زيد[4]، قال: نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد إنْ يُصَلَّى على الجنائز فيه[5].

وعن عثمان بن أبي الوليد عن عروة بن الزبير، أنه قال له: تضربون الناس في الصلاة في المسجد على الجنائز؟ قال: قلت: نعم، قال: أما إنَّ أبا بكر قد

---

(١) م٢: يتخذوا.
(٢) أي: لا يكون فيه صاحب حرفة فيتحول إلى سوق.
(٣) تحقيق النصرة ٨٩.
(٤) انظر: تجريد أسماء الرواة لعمر محمود وحسن محمود ٢١٥ في أقوال علماء الجرح والتعديل في تضعيفه.
(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٤.

صُلِّيَ عليه في المسجد[1].

قلت: وذكر يحيى ما يقتضي أنَّ الحرسَ كانوا قبل زمن عمر بن عبد العزيز يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز في المسجد، فإنه روى عن ابن أبي ذئب عن المقبري: أنه رأى حَرسَ مروان بن الحكم يُخرجون الناس من المسجد يمنعونهم أنْ يُصَلُّوا فيه على الجنائز.

قلت: وأما ما كان من ذلك في زمنه ﷺ فقد روى ابن شَبَّة عن صحابي سقط اسمه من النسخة التي وقفتُ عليها حديثاً[2] محصله: أنَّ النبي ﷺ لما قدم المدينة كان إذا احتضر الميت آذنوه فحضره واستغفر له، حتى إذا قُبِضَ انصرف النبي ﷺ ومن معه، وربما قَعَد ومن معه فربما طال حَبْسُ ذلك على رسول الله ﷺ، قال: فلما خشينا مشقة ذلك عليه قال بعض القوم لبعض: لو كنا لا نؤذِنُ النبي ﷺ بأحدٍ حتى يُقبَضَ، فإذا قُبِضَ آذنَّاه، فلم يكن عليه في ذلك مشقة ولا حبسٌ، ففعلنا ذلك، وكنا نؤذنه بالميت بعد أنْ يموت فيأتيه فيصلي عليه، فربما انصرف، وربما مكث حتى يدفن، فكنَّا على ذلك حيناً، فقلنا: لو لم نُشْخِصْ رسول الله ﷺ وحملنا جنائزنا إليه حتى يُصلي عليها عند بيته كان ذلك أرفق به، ففعلنا فكان ذلك الأمر إلى اليوم[3].

وعن ابن شهاب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا هلك الهالك شهده يُصلي عليه حيث دفن، فلما ثَقُلَ رسول الله وبَدَن نقل إليه المؤمنون موتاهم فصلَّى عليهم، فصلَّى رسول الله ﷺ على الجنائز عند بيته في موضع الجنائز اليوم، ولم يزل ذلك جارياً[4].

قال ابن شَبَّة: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني من أثق به أنه كان في موضع الجنائز نخلتان إذا أُتِيَ بالموتى وُضِعُوا عندهما فَصُلِّيَ عليهم، فأراد عمر بن

---

(١) المستدرك ٣/ ٦٣: "صلى عليه عمر في المسجد بين القبر والمنبر".

(٢) هي النسخة نفسها التي نشرها فهيم محمد شلتوت بالمدينة المنورة، وعندي صورة منها، وأصلها في مكتبة مظهر الفاروقي بالمدينة المنورة برقم: ١٥٧ تاريخ.

(٣) تاريخ المدينة ١/ ٣ ـ ٤ مع اختلاف يسير في الألفاظ، وانظر: المستدرك للحاكم ١/ ٣٥٧.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٤.

عبد العزيز حين بنى المسجد قَطعَهما، فاقتتلت فيهما بنو النجار، فابتاعهما عمر فقطعهما[1].

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر في قصة اليهوديين: «فَرُجِمَا قريباً من موضع الجنائز عند المسجد»[2] فَدَلَّ ذلك على أنَّ الموضع المذكور كان معروفاً بذلك.

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة: أنها أمرت أن يُمَرَّ بجنازة ابن أبي وقاص في المسجد فَتُصَلِّي عليه، فأنكر الناس ذلك عليها، فقالت: ما أسرعَ ما نَسِيَ الناس! ما صلَّى رسول الله ﷺ على سُهيل بن البيضاء إلاَّ في المسجد[3].

وفي رواية لها: والله لقد صَلَّى رسول الله ﷺ على ابْنَيْ بيضاء في المسجد؛ سُهيلٍ وأخيه[4].

قلت: ويُفهم منه: أنَّ ذلك نادرٌ، وأنَّ الكثير من فِعْلِه ﷺ ما تقدمت الإشارة إليه.

وروى يحيى بسند جيد عن عبد الله بن عمر: أنه صُلِّيَ على عمر بن الخطاب في المسجد.

وفي رواية أخرى له عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أنَّ عمر بن الخطاب صلى على أبي بكر في المسجد، وأنَّ صُهيباً صلى على عمر بن الخطاب في المسجد[5].

وبيَّنَ في رواية أخرى: أنَّ ذلك كان عند المنبر، وقد روى ذلك ابن أبي شيبة[6].

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٥.

(٢) فتح الباري ٣/ ١٩٩.

(٣) صحيح مسلم ٣/ ٦٢ والمصنف ٣/ ٢٤٣ والتاريخ الكبير للبخاري ١/ ١/ ١٣٤ والمغني ٢/ ٤٩٥.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ٦٣ والبيان والتحصيل لابن رشد ٢/ ٢٢٩.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٣/ ١٩٩ وانظر: البيان والتحصيل ٢/ ٢٢٤/ ٢٤٦.

(٦) المصنف ٣/ ٢٤٢.

وقال في روايةٍ: وضِعَت الجنازة في المسجد تُجاه المنبر[1].

قال الحافظ ابن حجر: وهذا يقتضي الإجماع على جواز ذلك، وقد تقررت المذاهب في ذلك[2].

وقال ابن النجار عقب ذكر ما تقدم عن عمر بن عبد العزيز في ذلك: والسُنَّة في الجنائز باقية إلى يومنا هذا، إلاَّ في حقِّ العلويين ومن أراد الأمراء من الأعيان وغيرهم، والباقون يُصَلَّى عليهم خَلْفَ الحائط الشرقي من المسجد، إذا وقف الإمام على الجنائز هناك كان النبي ﷺ عن يمينه[3]، انتهى.

قلت: وقد انتسخ ما ذكره ابن النجار، وصار يُصَلَّى على الجنائز كلها في المسجد، ويُخَصُّ الأعيان بالصلاة عليهم بالروضة الشريفة بين القبر والمنبر، وغيرهم يُصَلَّى عليه أمام الروضة بعد أنْ يُوقَفَ بالجنازة بين يدي النبي ﷺ أمام الوجه الشريف إلى عام اثنين وأربعين وثمان مئة؛ في دولة السلطان الظاهر جقمق، فوردت مراسيمُه إلى شيخ الحَرَم فارس بالأمر بمنع جنائز الشيعة من المسجد، فمُنِعَ المنسوبون للشيعة من إدخال جنائزهم إلى المسجد إلاَّ الأشراف العلويين، وجرى الأمر على ذلك إلى يومنا هذا؛ لا يدخل المسجد إلاَّ جنائز الأشراف وأهل السنَّة.

وحاول بعضُ أهل المدينة إدخال بعض الشيعة غير الأشراف فقام في ذلك بعض أمراء الترك ومنع منه.

وكان صاحبنا العلامة أحد شيوخ المالكية؛ الشيخ شهاب الدين أحمد بن يونس القسنطيني[4] يُنْكر الصلاة على الموتى بالروضة الشريفة ومقدم المسجد، لكون رجلي الميت تصيران إلى جهة الرأس الشريف، حتى إنه أوصى أنْ يُصَلَّى

---

(١) نقلاً من فتح الباري ٣/ ١٩٩.

(٢) المصدر نفسه: «وقد تقررت المذاهب في ذلك» لا تظهر في النسخة المطبوعة من فتح الباري، وقد تُرك مكانها بياض.

(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٤٧.

(٤) المتوفى سنة ٨٧٨هـ، انظر: التحفة اللطيفة ١/ ١٦٠ ـ ١٦١، والتنبكتي نيل الابتهاج ٨٢.

عليه خارج المسجد في موضع الجنائز، وأكثر قبل وفاته من الاستفتاء في ذلك، وأراني خطوط جماعة من علماء الشام وغيرها من الشافعية وغيرهم تتضمن موافقته على ذلك[1].

وفي كلام بعض الشافعية: ينبغي أن تكون الصلاة بالمسجد خلف الحجرة الشريفة أو شرقيها، والتمس مني الكتابة في ذلك، فكتبت بما حاصله: أنَّ الله تعالى قد أوجب على هذه الأمة تعظيمَ نبيِّها ﷺ وتوقيره وسلوكَ الأدب التام معه، ولا شك أنَّ الميت إذا وُضِعَ في مقدم الروضة أو المسجد ـ كما يوضع اليوم ـ وإنْ لم تكن رجلاه في محاذاة الرأس الشريف حقيقة، لأنَّ الرأس الشريف في محاذاة صفِّ اسطوان التوبة والمخلَّقة[2]، الذي يكون خلف المُصَلِّي على الميت، لكن تكون رجلاه في محاذاة الجهة المذكورة، وقد تَصْدُقُ المحاذاة مع البعد.

ولو رأينا شخصاً اضطجع بذلك المحل من الروضة وجعل رجليه لتلك الجهة الشريفة لأنكرنا ذلك عليه، وما ننكره على الأحياء لا ينبغي أنْ نفعله بالأموات.

وقد تأملتُ كتب المذاهب الأربعة فلم أرَ فيها تعرضاً لذكر السُنَّة في جهة رجلي الميت، بل ذكر الشافعية في ما إذا حضرت جنائز وصَلَّى عليها الإمام دفعةً وجهين؛ أصحهما: وضع الجميع صَفّاً بين يدي الإمام في جهة القبلة.

زاد أبو زُرعَة العراقي[3] في شرح **البهجة**: والأولى: جعلها عن يمينه، والثاني: يوضع الجميع صَفّاً واحداً؛ رأسُ كلِّ إنسان عند رجل الآخر، ويجعل الإمام جميعهم عن يمينه، ويقف في محاذاة الأخير.

هذا إذا اتَّحَدَ النوع، فإنْ اختلف النوع تعين الوجه الأول، ذكره في أصل

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٦٠.

(٢) ش: الآتي الذي يكون.

(٣) هو ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٢٦هـ، مؤلف **شرح البهجة الوردية في فروع الفقه الشافعي** وغيره،، انظر: بروكلمان ١/ ٣٩٤ وملحقه ١/٦٧٩ و٢/٦٦ وملحقه ٢/ ٧١ و**معجم المؤلفين** ١/ ٢٧٠ مع مصادر ترجمته، و**البهجة الوردية** هي لعمر بن مظفر الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ.

الروضة[1]، ويؤخذ منه استحباب جعل رجلي كل ميت عن يمين الإمام على الوجه الثاني، وإلاَّ فلا يكون الجميع صَفّاً عن يمينه.

وأما على الوجه الأول: فيؤخذ ذلك أيضاً مما تقدم عن أبي زُرعة.

ولعل مأخذه فيه ما ذكر في الثاني، وإذا ثبت ذلك في الجماعة، فالواحد كذلك، فيكون الأولى: جعل رجليه عن يمين الإمام، ولكنَّ الذي عليه الناسُ جعلهما على يساره.

ورأيت في كتب المالكية ما يقتضي أنَّ ذلك هو الأولى، وأنَّ الناس مَضَوا على ذلك.

وقد ظهر لي أنَّ السرَّ في ذلك أنَّ السلف ـ كما يؤخذ مما قدمناه ـ إنما كانوا يصلون على الجنائز خارج المسجد في شرقيه في الموضع المعروف بذلك، والواقف هناك يكون القبر الشريف عن يمينة، فرأوا ـ والله أعلم ـ أنَّ الأدب جعل الرجلين عن يسار الإمام صَرفاً لهما عن تلك الجهة الشريفة، ثم توارثوا ذلك، واستمر العمل عليه، فلما تُركَ ذلك وَصَلُّوا على الجنائز في المسجد مَشَوْا على ما اعتادوه من جعل رجلي الميت عن يسار الإمام مع الغفلة عن ذلك.

وإذا لم تثبت سُنَّةٌ في جعل رجلي الميت من يسار الإمام فينبغي جعلها عن يمينه في هذا المحل الشريف، استعمالاً لكمال الأدب.

وقد قال لي الشيخ فتح الدين بن تقي الكازروني[2] ـ وكان يُعَدُّ من فضلاء الشافعية ـ وقد ذاكرته بذلك: إذا أنا مُتُّ فلتُجْعَل رجلاي عن يمين الإمام، فَفُعِلَ به ذلك رحمه الله.

على أنَّ الموضع الذي يلي الأرجل الشريفة من المسجد هو من موضع الجنائز في زمنه ﷺ في ما يظهر، ويدلُّ عليه ما اتفق لبني النجار لما أراد عمر بن عبد العزيز قَطْعَ النخلتين عند عمارته للمسجد، فلو صُلِّيَ فيه اليوم على من يدخل

---

(١) هي كتاب روضة الطالبين للنووي.

(٢) هو محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام الكازروني المتوفى سنة ٨٤٩هـ، التحفة اللطيفة ٢/ ٥٢٣.

به المسجد من الجنائز لكان أولى، فإنه يتأتى فيه كون الرجلين عن يسار الإمام والرأس في جهـة الأرجل الشريفة، ويكون أفضل لما جرت به العادة من الخروج بالميت من باب جبريل، وأوفق لفعل السلف في الصلاة على موتاهم هناك، ولم يوافق على شيء من ذلك المتمسكون بالعادات.

وقد ذكرت نَصَّ ما أجبتُ به في ذلك مبسوطاً استطراداً في كتابي: **دفع التعرض والإنكار لبسط روضة المختار**، والله أعلم.

الفصل الثامن عشر
في زيادة المهدي

نقل ابن زبالة ويحيى: أنَّ المسجد لم يزل على حالـهِ ما زاد فيه الوليد إلى أنْ هَمَّ أبو جعفر المنصور بالزيادة فيه، ثم توفي ولم يزد فيه، حتى زاد فيه المهدي.

لكن ذكر يحيى في حكايةٍ ما كان مكتوباً في جدار القبلة ما لفظه: ثم إلى جنب هذا الكتاب ـ أي: ما كُتِبَ في زمن المهدي ـ كتابٌ كُتِبَ في ولاية أبي العباس ـ يعني: السفاح ـ وصل هذا الكتاب ـ أي: كتاب المهدي إليه ـ وهو: أمَرَ عبدُ الله عبد الله أميرُ المؤمنين بزينة هذا المسجد وتزيينة وتوسعته[1]، مسجد رسول الله ﷺ سنة اثنتين وثلاثين ومئة[2]، ابتغاءَ رضوان الله وثواب الله، وإنَّ الله عنده ثواب الدنيا والآخرة، وكان الله سميعاً بصيراً[3]، انتهى.

وهو يقتضي أنَّ أبا العباس السفاح ـ وهو أول خلفاء بني العباس ـ زاد في المسجد أول ولايته، وولايته سنة اثنتين وثلاثين، ووفاته سنة ستٍ وثلاثين ومئة، وسنشير إلى محمل ذلك آخر الفصل.

ولفظ ما نقله ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم، منهم عبد العزيز بن محمد ومحمد بن إسماعيل، قالوا: لم يزل المسجد على حالٍ ما زاد فيه الوليد بن

---

(١) كذا وردت في الأصول، ولعلها كانت: "وتوسعة" كما في كتاب المناسك للحربي ٣٨٨ و٣٨٩.

(٢) في الخبر الثاني الوارد في كتاب المناسك ٣٨٩: "سنة ثلاث وثلاثين ومئة".

(٣) بالنص في كتاب المناسك للحربي ٣٨٨ وأشار حمد الجاسر إلى ورود الخبر في كتاب الأعلاق النفيسة لابن رستة.

عبد الملك حتى وليَ أبو جعفر عبد الله ـ يعني: المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ـ فَهَمَّ بالزيادة، وأراده وشاور فيه، وكتب إليه الحسن بن زيد يصف له ناحية موضع الجنائز، ويقول: إنْ زيد في المسجد من ناحيته الشرقية توسَّطَ قبرُ النبي ﷺ المسجد.

فكتب إليه أبو جعفر: إني قد عرفت الذي أردت فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتوفي أبو جعفر ولم يزد فيه شيئاً[1].

ثم حج المهدي ـ يعني ابن أبي جعفر ـ سنة ستين ومئة، فقدم المدينة مُنْصَرَفَهُ عن الحج، فاستعمل عليها جعفر بن سليمان سنة إحدى وستين ومئة، وأمر بالزيادة فيه، ووليَ بناءه عبد الله[2] بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن شبيب الغساني[3]، فمات ابن عاصم، فوليَ مكانه عبد الله بن موسى الخطمي[4]، وزاد فيه مئة ذراع من ناحية الشام، ولم يزد في القبلة ولا في المشرق والمغرب شيئاً[5]، وذلك عشر أساطين في صحن المسجد إلى سقائف النساء، وخمساً لسقائف النساء الشامية[6].

وروى ذلك يحيى من طريق ابن زبالة وغيرها، وقال في روايةٍ له عقب قوله: "واستعمل عليها جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس"، وأمره بالزيادة في مسجد رسول الله ﷺ: وولاَّهُ بناءه هو وعبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان وعبد الملك بن شبيب الغساني من أهل الشام، فزيد في

---

(١) **المغانم المطابة** ص١٧٥.

(٢) في **كتاب المناسك** ٣٧٠: "عمر بن عاصم".

(٣) أورد السخاوي بعض هذا الخبر في ترجمة عبد الملك بن شبيب في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٢١٠.

(٤) في الأصول: الحمصي، وهو كذلك في **التحفة اللطيفة** للسخاوي ٢/ ٩٧ إذ الظاهر أن السخاوي نقل هذا الخبر في ترجمة عبد الملك بن شبيب وفي ترجمة عبد الله بن موسى من كتاب **وفاء الوفا**، وفي **كتاب المناسك** للحربي ٣٧٠: «فولى مكانه عبد الله بن موسى الخطمي من الأنصار من صحابة أمير المؤمنين»، فلعله ولد موسى بن عبد الرحمن بن حبيب الخطمي، انظر: **الإصابة** ٢/ ٣٩٤ و**الاستيعاب** ٢/ ٤٠٦ و**المعرفة والتاريخ** ١/ ٢٩٠.

(٥) **كتاب المناسك** ٣٧٠.

(٦) المصدر نفسه ٣٧٠.

المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم، وكانت زيادته مئة ذراع، ولم يزد فيه من المشرق ولا المغرب ولا القبلة شيئاً[1].

قلت: ما روياه من أنه زاد في مؤخر المسجد مئة ذراع يخالفه ما تقدم في زيادة الوليد أنه جعل طوله مئتي ذراع، لأنه يقتضي أنْ يكون طولُ المسجد بعد زيادة المهدي ثلاث مئة ذراع، وطول المسجد اليوم على ما صرَّح به ابن زبالة مئتا ذراع وأربعون ذراعاً، وقد اختبرته فزاد على ذلك ثلاثة عشر ذراعاً، كما سيأتي.

ومع ذلك فهو مؤيد لما قدمناه من الاحتمال المتبادر إلى الفهم في الرواية المتقدمة في زيادة الوليد المقتضي، لأنَّ نهاية المسجد من جهة الشام في زمنه كانت بعد أربع عشرة اسطوانة من مربعة القبر، ومنها إلى آخر المسجد أربع وعشرون اسطوانة، فإذا أسقطنا من ذلك أربع عشرة للوليد بقي عشر أساطين وقدرها نحو مئة ذراع، وهذا معنى قوله في الرواية المتقدمة: "وذلك عشر أساطين في صحن المسجد إلى سقائف النساء"، أي: إلى آخر سقائف النساء، وهي المسقف الشامي.

وقوله: "وخمس في السقائف" أي: من العشر المذكورة، مع أنه يقتضي أنَّ المهدي جَعَل المسقف المذكور خمس أساطين، وهذا كان في ذلك الزمان ـ كما سنوضحه ـ وهي اليوم أربع فقط، وقد قدمنا ترجيحَ أنَّ المراد مما ذكر في زيادة الوليد أنه جعل أربع عشرة اسطوانة في الرحبة بما فيها من أربع أساطين في السقائف التي كانت أولاً، وأنه جعل السقائف الشامية في زمنه بعد الأربع عشرة المذكورة، لموافقة ما ذكره من ذَرْعِ المسجد في زمنه، ولما ذكر في زيادة عثمان رضي الله عنه من أنه جعل المسجد مئة وستين ذراعاً، فإنَّ ذلك يقتضي أن تكون نهايته في جهة الشام يَقْرُبُ من أربع عشرة اسطوانة من المربعة المذكورة، فيتحصل من ذلك أن زيادة الوليد ـ على ما ذكر في زيادة عثمان رضي الله عنه ـ أربعون ذراعاً، وأنَّ زيادة المهدي نحو خمسة وخمسين ذراعاً فقط، فيكون للمهدي نحو

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٤٧٤ والمغانم المطابة ص١٧٥ ـ ١٧٦.

ست[1] أساطين في مؤخر المسجد، لكن سيأتي في ذكر أبواب المسجد ما يقتضي أنَّ الباب الذي كان يواجه دارَ خالد بن الوليد كان مكتوباً عليه: زيادة المهدي، وكذا الباب الذي بعده في الشام عليه ما يقتضي ذلك، وكذا البابان المقابلان لهما في جهة المغرب، دون ما قبل ذلك من الأبواب، وذلك يقتضي ترجيح رواية: أنه زاد في المسجد مئة ذراع.

وقد رأيت في المسقف الشرقي اسطوانة هي التاسعة من جدار المسجد الشامي، مربع أسفلها، مرتفع عن الأرض بقدر الجلسة، وهي محاذية لما وصفوه من الباب المقابل لدار خالد بن الوليد، فإنْ صَحَّتْ هذه الرواية فهي علامة على ابتداء زيادة المهدي، والله أعلم.

وقال ابن زبالة ويحيى في روايتهما المتقدمة أيضاً: وكان ـ يعني المهدي ـ قبل بنيانه قد أمرَ به، فقدَّروا ما حوله فابتيع، وكان مما أُدخل في المسجد من الدور دار مليكة[2].

قال ابن زبالة: وأخبرني إبراهيم بن محمد الزهري عن أبيه، قال: كانت دار مليكة لعبد الرحمن بن عوف، وإنما سمِّيتْ دار مليكة لأنَّ عبد الرحمن بن عوف أنزلها[3] مليكة ابنة خارجة بن سنان[4]، فغلب عليها اسمها، ثم باعها بنو عبد الرحمن من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فباعها عبدُ الله حين بناء المسجد، فأُدخل بعضها في المسجد، وبعضها في رحبة المسارب، وبعضها في الطريق[5].

قالوا: وأدخل دار شرحبيل بن حَسَنة، وكانت صدقة، فابتاعوا دوراً ومنازل فأوقفوها صدقة، وبقيت منها بقية، فابتاعها منهم يحيى بن خالد بن برمك، فدخلت في الحش، حش طلحة[6].

---

(١) في الأصول: ستة.

(٢) كتاب المناسك ٣٧١ والمغانم المطابة ص١٧٢.

(٣) ش: ابن لها، وهو تصحيف واضح.

(٤) في تاريخ المدينة ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣: «مليكة بنت سنان بن أبي حارثة».

(٥) كتاب المناسك ٣٧١ والمغانم المطابة ص١٧٢ ـ ١٧٣.

(٦) حش طلحة بن أبي طلحة الأنصاري، هو موضع الدور المطيفة في شامي المسجد، والحش: البستان.

قلت: وقد ذكر ابن شَبَّة دار مليكة، وقال: فباعها عبد الله بن معاوية رضي الله عنه، فصارت في الصوافي، فأدخلها المهدي في المسجد[1].

وذكر دار شرحبيل هذه في ترجمة علم دور أزواج النبي ﷺ بالمدينة، أي غير الحُجَر، فقال: قال أبو غسَّان: اتخذت أمُّ حبيبة بنتُ أبي سفيان رضي الله عنها الدار التي يقال لها: دار آل شرحبيل، فوهبتها لشرحبيل ابن حَسَنة، فلم تزل لبنيه حتى باعوا صدرها من المهدي، فزادها في مؤخر مسجد رسول الله ﷺ سنة إحدى وستين ومئة[2]، ثم ذكر ما سنورده في ذكر الدور المطيفة بالمسجد.

وقال ابن زبالة عقب ما تقدم: وأدخل بقية دار عبد الله بن مسعود التي يقال لها: دار القُرَّاء ودار المِسْوَر بن مَخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة[3].

قلت: ذكر ابن شَبَّة هذه الدار في دور بني زُهرة، فقال: واتخذ مخرمة بن نوفل بن أهيب داراً، وهي في زاوية المسجد عند المنارة الشرقية اليمانية، فاشترى المهدي بعضها فأدخله في رحبة المسجد القُصْيَا وفي الطريق، وبيعت بقيتها فصارت لرجل من آل مطرف ثم صارت لبعض بني برمك، ثم صارت صافية اليوم[4]، انتهى.

وقوله: «المنارة الشرقية اليمانية» تحريفٌ، والصواب: الشامية.

قال ابن زبالة ويحيى عقب ما تقدم: وفرغ من بنيان المسجد سنة خمسٍ وستين ومئة، وقد كان هَمَّ بسدِّ خَوْخَة آل عمر، وأمر بالمقصورة فَهُدِّمَت وخُفِّضَتْ إلى مستوى المسجد، وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد، فأوطأها مع المسجد، فكَلَّمَهُ آل عمر في خوختهم حتى كَثُرَ الكلام بينهم، فأذن لهم ففتحوها وخَفَضوها في الأرض شبهَ السِّرب، فصارت في المسسجد، أي: خارج

---

(١) تاريخ المدينة ١/ ٢٣٢.
(٢) كتاب المناسك ٣٧١.
(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٥ والمغانم المطابة ص١٧٣.
(٤) تاريخ المدينة ١/ ٢٤١.

المقصورة عليها شباك حديد، وزاد في المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات، فهي على ذلك إلى اليوم[1].

ويؤخذ مما ذكره ابن زبالة من الكتابة على أبواب المسجد في زمن المهدي أنه زخرفة بالفُسيفِساء كما فعل الوليد، ويشهد لذلك بقية من الفسيفساء كانت في ما زاده في مؤخر المسجد عند المنارة الغربية الشامية، وفي ما يقرب منها من الحائط الغربي، ولم أرَ في كلام أحدٍ من مؤرخي المدينة أنَّ المسجد الشريف زيدَ فيه بعد المهدي.

لكنْ قال الزين المراغي ما لفظه: وقيل: إنَّ المأمون زاد فيه، وأتقن بنيانه أيضاً في سنة ثنتين ومئتين[2].

قال السهيلي: وهو على حاله، ورزين يُنكر ذلك، ويمكن الجمع بأنه جدده ولم يزد[3]، انتهى.

قلت: ولم أرَ في كلام رزين تعرضاً لحكاية ذلك حتى يُنكره، وهذا بعيد جداً، لأنَّ من أدرك زمن المأمون من مؤرخي المدينة لم يتعرض لشيء من ذلك، نعم رأيت في **المعارف** لابن قتيبة ـ بعد ذكر زيادة المهدي ـ ما لفظه: وزاد فيه المأمون زيادةً كثيرةً ووسعه[4].

وقرأت في موضع زيادة المأمون: أمَرَ عبد الله بعمارة مسجد رسول الله ﷺ سنة اثنتين ومئتين[5]، وذكر أشياء من الأمر بالعدل وتقوى الله[6]، وهذا لا دلالةَ فيه على زيادة المأمون في المسجد، لاحتمال أنه وقع في زمنه عمارة من غير أنْ يزيد فيه، على أنَّ في كلام يحيى وغيره في حكاية ما كان مكتوباً في المسجد ما يدلُّ على كتابة مثل ذلك لمن تجددت ولايته من الخلفاء فقط، والله أعلم.

---

(١) كتاب المناسك ٣٧٠ والدرة الثمينة ٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥.
(٢) تحقيق النصرة ٥٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المعارف ٥٦٢.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) النص بكامله في المعارف ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

الفصل التاسع عشر
في ما كانت عليه الحجرة الشريفة الحاوية للقبور المنيفة
في مبدأ الأمر

قد قدمنا أن النبي ﷺ لما بنى المسجد بَنَى بيتين لزوجتيه: عائشة وسَوْدة رضي الله عنهما على نعت بناء المسجد من لَبِنٍ وجريد النخل.

قال ابن النجار: وكان لبيت عائشة رضي الله عنها مصراع واحد من عرعر أو ساج[1].

وتقدم أيضاً في الفصل التاسع عن جماعة ممن أدرك بيوت النبي ﷺ لما أُدخلت في المسجد، أنها كانت من جريد مستورة بمُسُوح الشعر، وأنَّ عمران بن أبي أنس قال: كان فيها أربعة أبيات بلبن لها حُجَرٌ من جريد[2]، الخبر المتقدم.

قلت: وكان بيت عائشة رضي الله عنها أحد الأربعة المذكورة، لكنْ سيأتي من رواية ابن سعد: أنه لم يكن عليه حائط زمن النبي ﷺ وأنَّ أول من بنى عليه جداراً عمرُ بن الخطاب[3]، وليحمل على أنَّ حجرة الجريد، التي كانت مضافة له، أبدلها عمر بجدار، جمعاً بين الروايات، وتقدم أيضاً قول عبد الله بن يزيد الهذلي: ورأيت حُجَر أزواج النبي ﷺ حين هدمها عمر بن عبد العزيز مبنيَّة باللبن حولها حُجَرٌ من جريد ممدود، إلاَّ حجرة أم سلمة، وقول الحسن البصري: كنت أدخل

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٥٨ وتحقيق النصرة ٤٩.

(٢) المصدر نفسه وتحقيق النصرة ٤٩ ـ ٥٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٤.

بيوتَ رسول الله ﷺ وأنا غلام مُراهق، وأنال السقف بيدي، وكان لكل بيتٍ حُجْرَةٌ، وكانت حُجَرُه من أكْسِيةٍ من شعرٍ مربوطةٍ في خشبِ عَرْعَر.

قلت: والظاهر أنَّ ما يُسْتَر به الحُجَر المذكورة هو المراد في حديث كَشْفِهِ ﷺ لسِجْفِ حجرته، كما في **الصحيح**[1]، والسِجفُ لغةً: السِّتْرُ.

وفي **التحفة** لابن عساكر عن داود بن قيس، أنه قال: أظنُّ عرض البيت من الحجرة إلى باب البيت نحو ست أو سبع أذرع، واظنَّ سمكه بين الثمان والتسع، نحو ذلك، ووقفت عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب.

وهو صريح في أنَّ الباب كان في جهة المغرب، وسيأتي ما يؤيده.

وكذا ما رُوِيَ في **الصحيح** من كشفه ﷺ سِجفَ الباب في مرضه وأبو بكر يؤم الناس، وترجيل عائشة رضي الله عنها شعره وهو في معتكفه وهي في بيتها، كما تقدم في حديث: كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف يُدني إليَّ رأسَه فأرجِّلُه[2].

وفي رواية النسائي: يأتيني وهو معتكف في المسجد، فيتكيء على عتبة باب حجرتي، فأغسل رأسه وأنا في حجرتي وسائره في المسجد[3]، لكن سبق أيضاً ما يقتضي أنَّ الباب كان مستقبل الشام، وهو ضعيف أو مؤول.

أما ضعفه: فلما تقدم من أنَّ بيت فاطمة رضي الله عنها كان ملاصقاً له من جهة الشام، وأنَّ مربعة القبر كانت بابَ عليٍّ، ويحتمل أنَّ بعضه من جهة الشام كان ملاصقاً بيت فاطمة دون بعضه، فيتأتى ذلك، ويدلُّ له ما قدمناه في بيت فاطمة رضي الله عنها من أنَّ الموضع المُزْوَر في بناء عمر بن عبد العزيز كان مخرجاً للنبي ﷺ.

وأما تأويله فبأحد أمرين، كما أشار إليه الزينُ المراغي[4]:

أحدهما: حَمْلُه على أنه بابٌ شَرَعته عائشة رضي الله عنها لما ضربت حائطاً

---

(١) فتح الباري ١/ ٥٥١ ـ ٥٥٢، ٥٦١.

(٢) فتح الباري ١/ ٤٠٣؛ ٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٣) سنن النسائي: باب الحيض ٢٠، ٢١؛ باب الطهارة ١٧٥.

(٤) تحقيق النصرة ٥٣ ـ ٥٤

بينها وبين القبور المقدسة بعد دفن عمر رضي الله عنه، لا أنه الباب الذي كان في زمنه ﷺ، وفيه بُعْدٌ، لأنه سيأتي ما يؤخذ منه أنَّ الحائط الذي ضربته كان في جهة المشرق.

ثانيهما: لأنه كان له بابان، إذ لا مانع من ذلك، وهذا محمل ما رواه ابن عساكر عن محمد بن أبي فديك عن محمد بن هلال: أنه رأى حُجَرَ أزواج النبي ﷺ من جريد مستورة بمُسُوح الشعر، فسألتُه عن بيت عائشة، فقال: كان بابه من جهة الشام، قلت: مصراعاً كان أو مصراعين؟ قال: كان باباً واحداً[١]، قلت: من أي شيء كان؟ قال: من عرعر أو ساج.

وهذا مستند ابن عساكر في قوله: وباب البيت شامي، ولم يكن على الباب غَلَق مدة حياة عائشة، انتهى.

ثم ظفرت في طبقات ابن سعد بما يُصَرِّح بأنَّ الحجرة الشريفة كان لها بابان، فإنه روى من طرق: أنهم صَلُّوا على النبي ﷺ بحجرته، وروى في أثناء ذلك عن أبي عسيم، قال: لما قُبِضَ رسول الله ﷺ قالوا: كيف نصلي عليه؟ قالوا: ادخلوا من هذا الباب أرسالاً أرسالاً، فصلوا عليه واخرجوا من الباب الآخر[٢] والله أعلم.

وكان بيت حفصة بنت عمر رضي الله عنها ملاصقاً لبيت عائشة رضي الله عنها من جهة القبلة.

ونقل ابن زبالة في ما رواه عن عبد الرحمن بن حميد وعبيد الله بن عمر بن حفص وأبي سبرة وغيرهم: أنه كان بين بيت حفصة وبين منزل عائشة الذي فيه قبر النبي ﷺ طريق، وكانتا تتهاديان الكلام وهما في منزليهما، من قُربِ ما بينهما، وكان بيت حفصة عن يمين الخَوخَة.

قلت: فهو موقف الزائرين اليوم داخل المقصورة وخارجها، كما ذكره المطري[٣].

---

(١) في الأصول: كان باب واحد.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٨٩.

(٣) التعريف ٢٢، ٢٦.

وتقدم في حدود المسجد النبوي: أنَّ جدار الحجرة مما يلي المسجد كان في حدِّ القناديل التي بين الأساطين اللاصقة بجدار القبر، وبين الأساطين المقابلة لها، وهي التي إليها المقصورة الدائرة على الحجرة من جهة المغرب، وأنَّ المسجد زيدَ فيه من تلك الجهة شيء من الحجرة، وأنَّ الظاهر أنَّ ما تُرك في المسجد من الحجرة كان من مرافقها كالدهليز للباب، وأنَّ ما بُني عليه من ذلك هو صفة بيت عائشة رضي الله عنها التي وقع الدفن بها.

هذا ما تحصَّل لي من كلام متقدمي المؤرخين، خلاف ما اقتضاه كلام متأخريهم، من أنَّ جدار الحجرة الذي جوف الحائز الدائر عليها اليوم هو جدارها الأول، وإليه ينتهي حَدُّ المسجد، وأنَّ جدار الحائز الذي جعله عمر بن عبد العزيز إنما جعله في ما يلي الحجرة من المسجد، وقد قدمنا من كلام ابن زبالة والمحاسبي نقلاً عن مالك ما يرد ذلك، والله أعلم.

الفصل العشرون
في ما حدث من عمارة الحجرة بعد ذلك
والحائز الذي أدير عليها

روى ابن زبالة عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما زلت أَضَعُ خماري وأَتَفَضَّل في ثيابي حتى دُفِنَ عمر، فلم أزل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً[1].

وعن المطلب، قال: كانوا يأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم، وكانت في الجدار كوَّة فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوة فَسُدَّتْ[2].

وقال ابن سعد في طبقاته: أخبرني موسى بن داود، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: قُسِّمَ بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، وقسم كان تكون فيه عائشة وبينهما حائط، فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فُضُلاً، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهي جامعة عليها ثيابها[3].

وقال ابن سعد أيضاً: أخبرنا يحيى بن عباد، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: سمعت عمرو بن دينار وعبيد الله بن أبي يزيد[4]، قالا: لم يكن على عهد

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩١ وفي معناه في المستدرك ٣/ ٦١.
(٢) تحقيق النصرة ١٠٥ ـ ١٠٦.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٦٤.
(٤) انظر عنه المصدر نفسه ٥/ ٤٨١.

النبي ﷺ على بيت النبي ﷺ حائط، وكان أول من بنى عليه جداراً عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

قال عبيد الله بن أبي يزيد: كان جداره قصيراً، ثم بناه عبد الله بن الزبير[2].

وقال الأقشهري: قال أبو زيد ابن شَبَّة: قال أبو غسان بن يحيى بن علي بن عبد الحميد ـ وكان عالماً بأخبار المدينة ومن بيت كتابة وعلم ـ: لم يزل بيت النبي ﷺ الذي دُفِنَ فيه هو وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ظاهراً حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحِظَار[3] المزوَر الذي هو عليه اليوم حين بنى المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك، وإنما جعله مزوراً كراهة أنْ يشبه تربيعه تربيع الكعبة، وأنْ يُتَّخَذَ قبلة فيصلى إليه[4].

قال أبو زيد[5]: قال أبو غسان: وقد سمعت غير واحد من أهل العلم يزعم أنَّ عمر بنى البيت غير بنائه الذي كان عليه، وسمعت من يقول: بَنَى على بيت النبي ﷺ ثلاثة أجدر، فدون القبر ثلاثة أجدر: جدار بناء بيت النبي ﷺ، وجدار البيت الذي يزعم أنه بَنى عليه ـ يعني عمر بن عبد العزيز ـ وجدار الحِظار الظاهر، انتهى ما نقله الأقشهري[6].

قلت: ولم يوجد على الحجرة الشريفة عند انكشافها في العمارة التي أدركناها غير جدار واحد جوف الحظار الظاهر.

قال ابن سعد: أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي المكي، قال: حدثنا مسلم بن خالد، قال: حدثني إبراهيم بن نوفل بن سعيد بن المغيرة الهاشمي عن أبيه، قال: انهدم الجدار الذي على قبر النبي ﷺ في زمان عمر بن عبد العزيز،

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٩٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الحظار: الحائط أو الستر، ومنه الحظيرة وهي المكان المسوَّر، **النهاية في غريب الحديث** ١/ ٤٠٤.

(٤) **الروضة الفردوسية** ورقة ٢٢ب.

(٥) يريد: ابن شَبَّة.

(٦) **الروضة الفردوسية** ورقة ٢٢ب.

فأمر بعمارته، قال: فإنه لَجالسٌ وهو يُبنى إذ قال لعلي بن حسين: قم يا علي فَقُمَّ[1] البيت ـ يعني: بيت النبي ﷺ، فقام إليه القاسم بن محمد قال: وأنا أصلحك الله، قال: نعم وأنت فَقُم، ثم قال له سالم بن عبد الله: وأنا أصلحك الله، قال: اجلسوا جميعاً، وقُم يا مزاحم فَقُمَّه، فقام مزاحم فقَمَّه[2].

قال مسلم: وقد أُثبتَ لي بالمدينة أنَّ البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ بيت عائشة، وأنَّ بابه وباب حجرته تُجاه الشام، وأنَّ البيت كما هو سقفه على حاله، وأن في البيت جرَّة وخلق رحالة[3]، انتهى.

وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحدٍ منهم إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه، قال: جأفَ[4] بيت النبي من شرقيه، فجاء عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، فأمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس، فبينا هو يكشفه إلى أنْ رفع يده وتنَحّى واجماً، فقام عمر بن عبد العزيز فَزِعاً، فقال عبد الله بن عبيد الله: أيها الأمير لا يرُوعَنَّك فتانك قَدَما جدك عمر بن الخطاب، ضاق البيت عنه فَحُفِرَ له في الأساس، فقال: يا ابن وردان غَطِّ ما رأيت ففعل[5].

وروى أيضاً عن المطلب: أنه لما سقط الجدار من شق موضع الجنائز، أمر عمر بقَباطي فخيطت ثم ستر بها، وأمر أبا حفصة مولى عائشة وناساً معه فبنوا الجدار، فجعلوا فيه كُوَّةً، فلما فرغوا منه ورفعوه دخل مزاحم مولى عمر فَقَمَّ ما سقط على القبر من التراب والطين، ونزع القباطي، وكان عمر يقول: لأنْ أكون وليت ما وليَ مُزاحم من قَمِّ القبور أحبُّ إليَّ من أنْ يكون لي من الدنيا كذا وكذا، وذكر مرغوباً من الدنيا[6].

---

(١) قمَّ البيت: كنسه ومنه القمامة وهي الكُناسة، **النهاية في غريب الحديث** ٤/ ١١٠.
(٢) **طبقات** ابن سعد ٢/ ٣٠٧ وانظر: **كتاب المناسك** للحربي ٣٧٥ ـ ٣٧٦.
(٣) **طبقات** ابن سعد ٢/ ٣٠٧، وفي حاشية ص كتب أحد المالكين: "والرحالة ككتابة السرج..." .
(٤) جأف: انقلع وسقط، **تاج العروس** ٦/ ٥٢.
(٥) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٩٣ **وكتاب المناسك** ٣٦٩، ٣٧٥ **وتحقيق النصرة** ٨٢.
(٦) **تحقيق النصرة** ٨٢ عن ابن النجار.

وروى يحيى من طريقه أيضاً عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: كنت أخرج كلَّ ليلة من آخر الليل حتى آتي المسجد، فأبدأ بالنبي ﷺ فأسلِّمُ[1] عليه، ثم آتي مُصَلاَّيَ فأجلس به حتى أُصَلِّي الصبح، فخرجت في ليلة مَطيرة حتى إذا كنت عند دار المُغيرة بن شُعبة لقيتني رائحةٌ لا والله ما وجدت مثلها قط، فجئت المسجد فبدأت بقبر النبي ﷺ فإذا جداره قد انهدمَ، فدخلت فسلمت على النبي ﷺ ومكثت فيه مَليّاً[2] ـ وذكر القبور كما سيأتي عنه ـ قال: فلم ألبثْ أنْ سمعت الحِسَّ، فإذا عمر بن عبد العزيز قد أُخْبِرَ فجاء، فأمر به فَسُتِرَ بالقباطي، فلما أصبح دعا وردان البنَّاء فقال له: ادخل، فدخل فكشف فقال: لا بدَّ لي من رجلٍ يناولني، فكشف عمر بن عبد العزيز ساقيه يريد يدخل، فكشف القاسم بن محمد، فكشف سالم بن عبد الله، فقال عمر: ما لكم؟ فقالوا: ندخل والله معك، قال: فلبث عمر هنيهةً ثم قال: والله لا نؤذيهم بكثرتنا اليوم، ادخل يا مُزاحم فَنَاوِلْهُ، فقال عمر: يا مزاحم كيف ترى قبر النبي ﷺ؟ قال: متطأطياً، قال: فكيف ترى قبر الرجلين؟ قال: مرتفعين، قال: أشهد أنه رسول الله ﷺ.

ورواه رزين عن عبد الله المذكور باختصار، وخالف سياق يحيى في وصف القبور ـ كما سيأتي التنبيه عليه ـ وقال فيه: فأخبرتَ بذلك عمرَ، فجاء فأمر به فَسُتِرَ بالقباطي، وذكره بنحوه.

وفي **العتبية**: قال مالك: انهدم حائط بيت رسول الله ﷺ الذي فيه قبرُه، فخرج عمر بن عبد العزيز واجتمعت رجالات قريش، فأمر عمر بن عبد العزيز فستر بثوب، فلما رأى ذلك عمر بن عبد العزيز من اجتماعهم أمر مزاحماً أنْ يدخلَ ليُخرجَ ما كان فيه، فدخل فَقَمَّ ما كان فيه من لَبِنٍ أو طين، وأصلح في القبر شيئاً كان أصابه حين انهدم الحائط، ثم خرج وسُتِرَ القبرُ ثم بُنِيَ، انتهى.

وروى البخاري في **الصحيح** من حديث هشام بن عُروة عن أبيه، قال: لما سقط عليهم الحائط زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه، فَبَدتْ لهم قَدَمٌ،

---

(١) سقطت من ص.
(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ، فما وجدوا أحداً يعلم ذلك، حتى قال لهم عروة: لا والله ما هي قدم النبي ﷺ، ما هي إلاَّ قدم عمر[1].

ويستفاد مما تقدم أنَّ السبب في هذا البناء سقوط الجدار المذكور بنفسه، ولعله بسبب المطر المشار إليه في الرواية المتقدمة.

ويخالفه ما رواه أبو بكر الآجُرِّي[2] من طريق شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة، قال: أخبرني أبي، قال: كان الناس يَصِلُونَ إلى القبر، فأمر به عمر بن عبد العزيز فرُفِع حتى لا يصلَ[3] إليه أحدٌ، فلما هُدِّم بَدَت قدمٌ بساق وركبة، ففَزِعَ عمر بن عبد العزيز، فأتاه عروة فقال: هذا ساق عمر وركبته، فَسُرِيَ عن عمر بن عبد العزيز[4].

ومن طريق مالك بن مِغْوَل عن رجاء بن حَيْوة، قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز، وكان قد اشترى حُجَر أزواج النبي ﷺ: أنْ اهْدِمْها ووسِّع بها المسجد، فقعد عمر في ناحية، ثم أمر بهدمها، فما رأيت باكياً أكثر من يومه، ثم بناها كما أراد، فلما أنْ بَنَى البيت على القبر وهدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة، وكان الرمل الذي عليها قد انهار ففزع عمر بن عبد العزيز، وأراد أنْ يقوم فيسوِّيها بنفسه، فقلت له: أصلحك الله! إنك إنْ قمتَ قام الناس معك، فلو أمرت رجلاً أنْ يُصلحها، ورجوت أنْ يأمرني بذلك، فقال: يا مزاحم ـ يعني: مولاه ـ قُم فأصلحها[5].

ونقل الأقشهري عن الرشيد أبي المظفر الكازروني[6] شارح **المصابيح**: أنه

---

(١) **فتح الباري** ٣/ ٢٥٥.

(٢) هو محمد بن الحسين الآجري البغدادي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٣٦٠هـ، انظر: بروكلمان ١/ ٢١٩ وملحقه ١/ ٢٧٤ وسزكين ١/ ١٩٤ وأشار إلى كتبه الموجودة و**سير أعلام النبلاء** ١٦/ ١٣٣ مع مصادر ترجمته و**معجم المؤلفين** ٩/ ٢٤٣.

(٣) ص: يصلي.

(٤) نقلاً من **فتح الباري** ٣/ ٢٥٧.

(٥) نقلاً من **فتح الباري** ٣/ ٢٥٧ عن كتاب **صفة قبر النبي ﷺ** لأبي بكر الآجري، وانظر: **كتاب المناسك** ٣٦٦ ـ ٣٧٥.

(٦) هو رشيد الدين أبو المظفر أحمد بن أبي المظفر الكازروني.

قال: سألت جمعاً من العلماء عن سبب ستر القبور عن أعين الناس ـ أي: باتخاذ جدار لا بابَ له، فذكر بعضهم أنه لما مات الحسن بن علي أوصى أن تحمل جنازته ويحضر بها قبر النبي ﷺ ثم يرفع ويقبر في البقيع، فلما أراد الحسين أنْ يجيز وصيته ظن طائفة أنه يدفن في الحضرة، فمنعوه وقاتلوه، فلما كان عبد الملك أو غيره سَدُّوا وستروا[1].

وقال أبو غسان ـ في ما حكاه الأقشهري ـ: اخبرني الثقة عن عبد الرحمن بن مهدي عن منصور بن ربيعة عن عثمان بن عروة، قال: نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ أنْ لا يُجعل في المسجد أشَدَّ المنازلة، فأبى وقال: كتاب أمير المؤمنين لا بدَّ من إنفاذه، قال: فقلت: فإنْ كان لا بدَّ فاجعل له جُؤجُؤاً[2]، أي: وهو الموضع المُزْوَّرُ خلفَ الحجرة.

وروى ابن زبالة عن محمد بن هلال وعن غير واحد من أهل العلم: أنَّ بيت رسول الله ﷺ الذي فيه قبره ﷺ، وهو بيت عائشة الذي كانت تسكن، وأنه مُرَبَّع مبني بحجارة سود وقَصَّة الذي يلي القبلة منه أطوله، والشرقي والغربي سواء، والشامي أنقصها، وباب البيت مما يلي الشام، وهو مسدود بحجارة سود وقَصَّة، ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت هذا البناء الظاهر، وعمر بن عبد العزيز زوَّاه لأنْ لا يتَّخذه الناس قبلة تُخَصُّ فيه الصلاة من بين مسجد رسول الله ﷺ وذلك أن رسول الله ﷺ قال: "قاتل الله اليهود اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[3]، وقال: "اللهمَّ لا تجعل قبري وَثَناً يُعْبَد... الحديث"[4].

قالوا: والبناء الذي حول البيت بيتِ رسول الله ﷺ بينه وبين البناء الظاهر اليوم مما يلي المشرق ذراعان، ومما يلي المغرب ذراع، ومما يلي القبلة شبر،

---

(١) الروضة الفردوسية ورقة ١٩٤أ.

(٢) المصدر نفسه ورقة ٢٢ب وما بعدها هو قول السمهودي.

(٣) فتح الباري: قاتل: ١/ ٥٣٢، لعن: ٢/ ٥٢٣، ٣/ ٢٠٠، ٢٥٥، ٦/ ٤٩٦، ٨/ ١٤٠.

(٤) المعجم المفهرس ٧/ ١٣٥ عن الموطأ ومسند أحمد.

ومما يلي الشام فضاء كله، وفي الفضاء الذي يلي الشام مركن مكسور ومكتل[١] خشب، قال عبد العزيز بن محمد: يقال إنَّ البنائين نسوه هناك[٢]، انتهى.

وروى يحيى عن أبي غسان محمد بن يحيى، قال: سمعت من يقول في الحظار الذي على قبر النبي ﷺ مركن وخشبة وحديدة[٣] مسندة[٤].

قال محمد بن يحيى: وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد: هو مركن[٥] تركه العمال هناك[٦].

قال محمد بن يحيى ـ يعني أبا غسان ـ: فأما أنا فإني[٧] اطلعت في الحظار فلم أرَ شيئاً، فزعم لي زاعم: أنه رأى ثمَّ المركن وشيئاً موضوعاً مع المركن، وأما أنا فلم أرَه، ولم أعلم أحداً يدري من أخذه، ولم أرَ للبيت الذي في الحظار باباً ولا موضع بابه[٨]، وقد أخبرني ابن أبي فديك: أنه رأى باب بيت النبي ﷺ مما يلي الشام[٩]، انتهى.

وقد حكى الأقشهري عن أبي غسان أيضاً نحو ذلك[١٠].

قلت: ولم نرَ للبيت عند انكشافه في العمارة التي أدركناها باباً ولا موضع باب، ولم يوجد في الفضاء الذي يلي الشام من الحظار المذكور مركن ولا غيره مما ذكر، وسيأتي في **الفصل الثالث والعشرين**: أنَّ ابن عات[١١] ذكر أنهم وجدوا

---

(١) في الأصول: مكيل، و"المكتل" هو الزبيل الكبير، **النهاية في غريب الحديث** ٤/ ١٥٠.

(٢) **تحقيق النصرة** ٥٣.

(٣) في الأصول وفي **كتاب المناسك** للحربي ٣٨١: وحديدة، وفي **الروضة الفردوسية**: "وجريدة".

(٤) نقلاً من **الروضة الفردوسية** ورقة ٢٢ب.

(٥) المركن: هو الإجَّانة التي يغسل فيها الثياب، **النهاية في غريب الحديث** ٢/ ٢٦٠.

(٦) نقلاً من **الروضة الفردوسية** ورقة ٢٢ب.

(٧) في **الروضة الفردوسية**: "فأما أنا حين اطلعت فلم أر شيئاً. . .".

(٨) في المصدر نفسه: "ولا موضع باب".

(٩) **كتاب المناسك** ٣٧٩.

(١٠) نقلاً من **الروضة الفردوسية** ورقة ٢٢ب ـ ٢٣أ.

(١١) ترجم له الذهبي في **سير أعلام النبلاء** ٢٢/ ١٣ ـ ١٤ وقال: توفي غازياً فشهد وقعة العقاب التي أفضت إلى خراب الأندلس سنة ٦٠٩هـ، وانظر: مصادر ترجمته فيه.

عند عمارة حائط سقط بالحجرة قَعباً انكسر عند سقوط الحائط، وأنه حُمِلَ إلى بغداد، فإن صَحَّ فلعله المراد[1].

وفي ما قدمناه إشعار بأنَّ موضع القبور الشريفة كان مسقفاً تحت سقف المسجد، كما سيأتي التصريح به، ولهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا ما بين الحظار الظاهر والحجرة، ولم يروا جَوفَ الحجرة.

ويدل له ما سيأتي عن أبي الجوزاء[2]، قال: قُحِط أهلُ المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: فانظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوَّةً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا فَمُطِروا[3]، الخبر الآتي.

لكن سيأتي في **الفصل الرابع والعشرين** عن ابن رشد أنه قال في بيانه: إنَّ الثقةَ أخبره أنه لا سقف له في زمنه تحت سقف المسجد، وكنت أظن أنَّ ذلك بعد حريق المسجد، فإنَّ كلام المؤرخين الآتي متطابق على أنه لا سقفَ للحجرة بعد الحريق، إلاَّ سقف المسجد، ثم تبين أنَّ زمن ابن رشد كان قبل الحريق بمدة مديدة، لأنَّ وفاته سنة عشرين وخمس مئة، ثم اطلعنا في العمارة التي أدركناها على وجود سقف جعل بعد الحريق وعلى آثار السقف الذي كان قبله، كما سيأتي بيانه، والله أعلم.

---

(١) نقلاً من الروضة الفردوسية ورقة ٣٢أ.

(٢) هو أوس بن عبد الله الربعي البصري، أبو الجوزاء، انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧١ مع مصادر ترجمته.

(٣) سنن الدارمي ١/ ٤٣ ـ ٤٤ وتحقيق النصرة ١١٥.

الفصل الحادي والعشرون
في ما روي من الاختلاف في صفة القبور الشريفة بالحجرة المنيفة

وما جاء من أنه بقي بها موضع قبر وأن عيسى بن مريم عليه السلام يُدفن بها، وما جاء في تنزل الملائكة حافِّينَ بالقبر الشريف وتعظيمه والاستسقاء به

إعلم أنَّ ابن عساكر ذكر في تحفته الاختلاف في صفة القبور الشريفة، فذكر في ذلك سبع رواياتٍ، وسبقه إلى ذلك شيخه ابن النجار، لكنه ذكر ستاً فقط:

الأولى: ما رواه عن نافع بن أبي نعيم: أنَّ صفة قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر وقبر عمر: قبر النبي ﷺ أمامها إلى القبلة مقدماً، ثم قبر أبي بكر حِذاء مَنْكِبَي رسول الله ﷺ، وقبر عمر حذاء منكبي أبي بكر، وهذه صفته:

النبي صلى الله عليه وسلم
أبـو بكـر رضـي الله عنـه
عمـر رضـي الله عنـه

قلت: وهذه الرواية هي التي عليها الأكثر.

ونقل الزين المراغي: أنَّ رزيناً ويحيـى جَزَما بها، وهو كذلك في كلام

رزين، ورواها عن عبد الله بن محمد بن عقيل فقال عقب خبره المتقدم في قصة سقوط جدار الحجرة: ورأيت القبور، فإذا قبر رسول الله ﷺ من أمام، وقبر أبي بكر خلفه، وقبر عمر خلف أبي بكر، ورأس أبي بكر عند منكبي رسول الله ﷺ ورأس عمر عند منكبي أبي بكر[1].

أما يحيى فلم أرَ في كلامه الجزم بذلك، بل رأيته حكى اختلاف الروايات كغيره، ولفظه في حكاية هذه الرواية: حدثنا هارون بن موسى قال: سمعت أبي يذكر عن نافع بن أبي نعيم وغيره من المشايخ ممن له سنٌّ وثقةٌ: أنَّ صفة قبر النبي ﷺ، وذكر ما تقدم.

ورأيت في نسخة من كتاب يحيى تصويرَ القبور الشريفة على هذه الصفة، وقال: إنها صفة القبور الشريفة في ما وصف بعض أهل الحديث عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، ثم ذكر ما سيأتي في الصفة السادسة.

وروى ابن سعد في طبقاته في ذكر أبي بكر رضي الله عنه، من طريق الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عمر بن عبد الله بن عروة: أنه سمع عروة والقاسم بن محمد يقولان: أوصى أبو بكر عائشة أنْ يُدفَنَ إلى جنب رسول الله ﷺ[2]، فلما توفي حُفِرَ له وجُعِلَ راسه عند كَتِفَي رسول الله ﷺ وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ، فقبر هناك[3].

ثم روى من طريق الواقدي أيضاً عن ربيعة بن عثمان عن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: رأس أبي بكر عند كتفي رسول الله ﷺ، ورأس عمر عند حَقْوَي أبي بكر[4].

قلت: وفي هذا مخالفة يسيرة لما تقدم بالنسبة إلى عمر رضي الله عنه.

الثانية: روى أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣.
(٢) كتاب المناسك ٣٧٩.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٩ وكتاب المناسك ٣٧٩.
(٤) المصدر نفسه وكتاب المناسك ٣٧٨.

الصدِّيق، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها: يا أمَّة اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور؛ لا مُشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العَرْصَة الحمراء[1].

زاد الحاكم: فرأيت رسول الله ﷺ مقدماً، وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي ﷺ وعمر رأسه عند رجلي النبي ﷺ[2].

قال ابن عساكر: وهذه صفته:

عمر رضي الله عنه	النبي صلى الله عليه وسلم
	أبو بكر رضي الله عنه

قلت: وقد صحح الحاكم إسناد هذه الرواية، والله أعلم[3].

الثالثة: ما رواه الزبير بن بكار عن ابن زبالة، قال: حدثني إسحاق بن عيسى عن عثمان بن نسطاس، قال: رأيت قبر النبي ﷺ لما هدَّم عمر بن عبد العزيز عنه البيت، مرتفعاً نحواً من أربع أصابع؛ عليه حَصْبَاء إلى الحمرة ما هي، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبر النبي ﷺ، ورأيت قبر عمر أسفلَ منه، وصَوَّره لنا كما صوره له عثمان.

قلت: ولم يكن في النسخة التي وقفت عليها من ابن زبالة تصويرٌ[4]، وصَوَّر ذلك ابن عساكر هكذا:

النبي صلى الله عليه وسلم
أبو بكر رضي الله عنه
عمر رضي الله عنه

(١) المستدرك ١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٢) نقلاً من فتح الباري ٣/ ٢٥٧ وانظر: المستدرك ١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٣) المستدرك ١/ ٣٧٠.

(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩١.

قلت: وابن زبالة ضعيف، وإسحاق بن عيسى: هو ابن بنت داود بن أبي هند صدوق يخطيء، وعثمان بن نسطاس: هو عُثَيم ـ مصَغَّر ـ بن نسطاس ـ بكسر النون ـ المدني، أخو عبيد مولى آل كثير بن الصلت، مقبول حيث يتابع، وإلاَّ فَلَيِّنُ الحديث.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر: أنَّ أبا بكر الآجري روى هذا الخبر في كتاب صفة قبر النبي ﷺ من طريق إسحاق بن عيسى المذكور عن ابن نسطاس، وليس فيه ذكر تصوير، ولم يذكر الحافظ ابن حجر الواسطة بين الآجري وإسحاق بن عيسى(١).

وهذه الرواية مع ما فيها من الضعف قابلة للتأويل بردِّها إلى الرواية التي قبلها، وإنْ كان التصوير يأباه، لجواز حمله على التقريب، والله أعلم.

الرابعة: روى ابن زبالة عن المنكدر بن محمد عن أبيه، قال: قبرُ النبي ﷺ هكذا، وقبر أبي بكر خلفه، وقبر عمر خلفه عند رجلي النبي ﷺ، وصوَّره ابن عساكر هكذا:

عمر رضي الله عنه	النبي صلى الله عليه وسلم
	أبو بكر رضي الله عنه

قلت: ويمكن ردُّ هذه الرواية مع ضعفها إلى الثانية، لأنَّ قوله: «وأبو بكر خلفه» صادق بأنَّ يكون رأسه عند منكبي النبي ﷺ.

الخامسة: روى يحيى بإسناد فيه إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس عن أبيه ـ وإسماعيل صدوق، لكن أخطأ في أحاديث من قبل حفظه، وأبوه صدوق يَهِمُ، وبقية رجاله ثقات ـ عن عَمْرة عن عائشة رضي الله عنها وصفت لنا قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر وقبر عمر، وهذه القبور في سَهْوَةٍ(٢) في بيت عائشة، رأس

---

(١) **فتح الباري** ٣/٢٥٧.

(٢) السهوة: بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً، شبيه بالمخدع والخزانة، **النهاية في غريب الحديث** =

النبي ﷺ مما يلي المغرب، وقبر أبي بكر رأسه عند رجلي النبي ﷺ وقبر عمر خلف النبي ﷺ، وبقي موضع قبر، وهذه صفة قبورهم على ما وصف ابن أبي أويس عن يحيى بن سعيد وعبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة، ولم يصوّر يحيى لذلك شيئاً.

وروى ابن زبالة نحو ذلك، وقد ذكره من طريقه ابن عساكر، ثم قال: وهذه صفته[1]:

النبي صلى الله عليه وسلم	أبو بكر رضي الله عنه
عمر رضي الله عنه	

قلت: ويردها ما روي من أنَّ رجلي عمر رضي الله عنه ضاق عنها الحائط فَحُفِرَ لهما في الأساس.

وفي **الصحيح** ـ كما سبق ـ قول عروة: «ما هي إلاَّ قدم عمر»[2].

السادسة: روى ابن زبالة عن القاسم بن محمد، قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمَّه أريني قبرَ رسول الله ﷺ وصاحبيه، فكشفت لي عن قبورهم، فإذا هي لا مرتفعة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء حمراء من بطحاء العرصة فإذا قبر النبي ﷺ أمامها، ورجلا أبي بكر عند رأس النبي ﷺ ورأس عمر عند رجليه[3].

قال ابن عساكر: وهذه صفتها:

	النبي صلى الله عليه وسلم
أبو بكر رضي الله عنه	عمر رضي الله عنه

= ٢/ ٤٣٠.

(١) الصورة في الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٢ هي:

قبر النبي صلى الله عليه وسلم

قبر أبي بكر رضي الله عنه

قبر عمر رضي الله عنه

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٣.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٩٢.

قلت: وهذه الرواية مع ضعفها معارضة بما تقدم في الرواية الثانية عن القاسم بن محمد المذكور، وتلك أصح، وما سيأتي في صفة الحجرة الشريفة يأبى ذلك أيضاً، وقد رأيتها في نسخة من كتاب يحيـى، رواه ابنه طاهر عنه على هذه الصورة:

النبي صلى الله عليه وسلم	
أبو بكر رضي الله عنه	عمر رضي الله عنه

وقال: إنها عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها، ثم قال ابن فراس أحد رواة النسخة المذكورة عن طاهر بن يحيـى: سألتُ طاهر بن يحيـى أنْ يصوِّرَ لي بخطه صفة قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فصور لي بيده هذه الصورة، انتهى.

السابعة: ما روى يحيـى من طريق ابن زبالة في الخبر المتقدم في الفصل قَبله في قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة في تلك الليلة المطيرة عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال عقب قوله في ما تقدم: «فدخلت فسلمت على النبي ﷺ ومكثت فيه مَلِيّـاً، ورأيت القبور فإذا قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر عند رجليه، وقبر عمر عند رجلي أبي بكر، وعليها حَصىً من حصباء العرصة»[1]، قال ابن عساكر وهذه صفته:

النبي صلى الله عليه وسلم
أبو بكر رضي الله عنه
عمر رضي الله عنه

(١) الدرة الثمينة ٢/٣٩٣ وذكر الحربي رواية أخرى في المناسك ٣٧٦: رأيت «قبر النبي ﷺ مقدماً وأبا بكر عند رأسه ورجلاه عند وسط قبر النبي ﷺ وقبر عمر عند رجل أبي بكر ورأسه عند رجل النبي ﷺ».

قلت: وهذه الرواية نقلها رزين عن عبد الله بن محمد بن عقيل[(١)]، وساقها باللفظ السابق، إلاَّ أنه قال: «ورأيت القبور، فإذا قبر رسول الله ﷺ من أمام، وذكر ما قدمنا عنه في الرواية الأولى، وهو مخالف لما في هذه الرواية، وهو أولى بالاعتماد، لأنَّ هذه الرواية ضعيفة مع بُعدها مما سيأتي في وصف الحجرة الشريفة سيما على ما سبق من قسم عائشة رضي الله عنها الحجرة باثنين، ولها شاهد لكنه ضعيف أيضاً، وهو ما في **طبقات** ابن سعد عن مالك بن إسماعيل ـ أظنه مولىً لآل الزبير ـ قال: دخلت مع مصعب بن الزبير البيت الذي فيه ـ يعني: قبر رسول الله ﷺ ـ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فرأيت قبورهم مستطيلة»[(٢)]، انتهى.

وفي رواية للآجُرِّي ما يوهم صفة ثامنة، فإنه ذكر عقب الخبر المتقدم عن رجاء بن حيوة في إدخال الحجرة في المسجد ما لفظه: قال رجاء: فكان قبر أبي بكر وسطه[(٣)]، ولم يذكر فيه عمر رضي الله عنه[(٤)]، فإنَّ الضمير في قوله: «وسطه» إنْ كان للبيت فواضح، وإنْ كان للنبي ﷺ فهذه صفة أخرى، لكن ينبغي تأويلها أيضاً على التجوز في لفظ الوسط ليوافق رواية غيره.

وأما ما أخرجه أبو يَعلى عن عائشة: أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، فسنده ضعيف أيضاً، ويمكن تأويله، كما قاله ابن حجر[(٥)].

وحينئذٍ فلم يبق إلاَّ الروايتان الأولَتان فهما اللتان يتردد بينهما في الترجيح، والأولى هي المشهورة، ومقتضى تصحيح الحاكم لإسناد الثانية ترجيحها، وهي أصحُّ الروايات، وقد اشتملت على أنَّ القبور لم تكن مُسَنَّمة[(٦)].

وقد قال يحيى: حدثني هارون بن موسى ـ قلت: ولا بأس به ـ قال:

---

(١) ش، خ: عبد الله بن عقيل.

(٢) **طبقات** ابن سعد ٢/٣٠٦.

(٣) **فتح الباري** ٣/٢٥٧.

(٤) ذكر ابن حجر قول رجاء بن حيوة كاملاً وهو: «وكان قبر أبي بكر عند وسط النبي ﷺ وعمر خلف أبي بكر؛ رأسه عند وسطه». فلعل نسخة السمهودي من **فتح الباري** كانت ناقصة.

(٥) **فتح الباري** ٣/٢٥٧.

(٦) أي: على شكل سنام البعير.

حدثني غير واحد من مشايخ أهل المدينة: أنَّ صفات القبور الشريفة مَسْطُوحة عليها بطحاء من بطحاء العرصة حمراء.

وروى ابن زبالة من طريق عمرة عن عائشة، قالت: رُبِّعَ قبر رسول الله ﷺ وجعل رأسه مما يلي المغرب.

وأما ما في **صحيح البخاري** عن سفيان التمار: أنه رأي قبر النبي ﷺ مُسَنَّماً[(١)]، زاد أبو نعيم في **المستخرج**: وقبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كذلك.

ورواه ابن سعد عنه بلفظ: رأيت قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر مسنَّمة[(٢)]، فلا يعارض ما قدمناه، لأنَّ سفيان وُلِد في زمان معاوية فلم يَرَ القبر الشريف إلاَّ في آخر الأمر، فيحتمل ـ كما قال البيهقي ـ أنَّ القبر لم يكن في الأول مسنماً[(٣)]، ثم سُنِّمَ لما سقط عنه الجدار[(٤)]، فقد روى يحيى عن عبد الله بن الحسين، قال: رأيت قبر النبي ﷺ مسنماً في زمن الوليد ابن هشام.

وفي رواية أخرى عنه: أنَّ القبر جثوة[(٥)] مرتفعة مُسَنَّمَة غير شديدة الارتفاع، عليها قزع من حصىً وتربة طيِّبها الله عزَّ وجَلَّ.

وروى ابن سعد من طريق جعفر بن محمد عن أبيه، قال: كان نبيث[(٦)] قبر النبي ﷺ شبراً[(٧)].

ويؤيد التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد: أنه أمر بقبر فَسُوِّيَ ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[(٨)].

---

(١) **فتح الباري** ٣/ ٢٥٥.
(٢) **طبقات ابن سعد** ٢/ ٣٠٦.
(٣) نقلاً من **فتح الباري** ٣/ ٢٥٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) جثوة: بالضم وقد تكسر الجيم وتفتح وهي الشيء المجموع كالأتربة المجتمعة، **النهاية في غريب الحديث** ١/ ٢٣٩.
(٦) النبيث والنبيثة: تراب منبوث أي محفور، **النهاية في غريب الحديث** ٥/ ٥.
(٧) **طبقات ابن سعد** ٢/ ٣٠٦.
(٨) نقلاً من **فتح الباري** ٣/ ٣٥٧ وفيه: «ويرجح التسطيح» وانظر: **صحيح مسلم** ٣/ ٦١ "باب الجنائز".

وقد تقدم في الرواية **الرابعة**: أنه بقي بعد القبور الشريفة موضع قبر، ويؤيده ما رويَ: أنَّ عائشة رضي الله عنها أرسلت إلى عبد الرحمن بن عوف حين نزل به الموت: أنْ هَلُمَّ إلى رسول الله ﷺ وإلى أخويك، فقال: ما كنت مضيقاً عليك بيتك[1]، الخبر الآتي في ذكر قبره.

وكذلك ما سيأتي في إذنها للحسن أنْ يُدفَن عندها، ومنع بني أمية له، وكذلك ما في **صحيح البخاري** عن هشام بن عروة: أنَّ عائشة أوصت عبدَ الله بن الزبير: لا تَدْفِنَنِّي معهم، أي: النبي ﷺ وصاحبيه، وادفني مع صواحبي بالبقيع، لا أزكى به أبداً[2].

وقد أخرجه الإسماعيلي وزاد فيه: وكان في بيتها موضع قبر، ولكن في **الصحيح**: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أرسل إلى عائشة فسألها أنْ يُدفن مع صاحبيه، قالت: كنت أريده لنفسي فلأوثرنَّه اليوم على نفسي[3].

قال الحافظ ابن حجر: فكأنَّ اجتهادها في ذلك تغيَّر، أو لما قالت ذلك لعمر كان قبل أن يقع لها قصة الجمل، فاستحيتْ بعد ذلك، وإنْ كانت زوجته ﷺ في الدنيا والآخرة، كما قال عمار أحد من حاربها[4].

وقال ابن التين: كلامها في قصة عمر يدل على أنه لم يبق ما يسع إلاَّ موضع قبر واحد، فهو يغاير قولها: «لا تدفنِّي عندهم» فإنه يشعر بموضع للدفن، والجمع بينهما أنها كانت تظن أولاً أنه لا يسع إلاَّ قبراً واحداً، فلما دُفن ظهر لها أنَّ هناك وسعاً لقبر آخر[5].

أو أنَّ الذي آثرته به المكان الذي دُفنَ فيه من وراء قبر أبيها بقرب النبي ﷺ، وذلك لا ينفي[6] وجود مكان آخر في الحجرة.

---

(١) تحقيق النصرة ١٢٧.
(٢) مشارق الأنوار ١/ ٢٠٠ والروضة الفردوسية ورقة ١٤٥أ.
(٣) فتح الباري ٣/ ٢٥٦.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٣/ ٢٥٨، يريد عمار بن ياسر، انظر: **طبقات ابن سعد** ٨/ ٦٤.
(٥) نقلاً من فتح الباري ٣/ ٢٥٨.
(٦) ص: ينبغي.

وروى يحيى بسنده إلى عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده، قال: يُدفن عيسى بن مريم مع النبي ﷺ وصاحبيه، ويكون قبره الرابع[1].

وفي سنن الترمذي من طريق أبي مودود عن عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده، قال: مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه، قال: فقال أبو مودود: وقد بقي في البيت موضع قبر[2].

قال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي بعض النسخ: حسن غريب، هكذا قال: عثمان بن الضحاك، والمعروف: الضحاك بن عثمان المدني، انتهى كلام الترمذي.

وفي رواية الطبراني عن عبد الله بن سلام، قال: يُدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فيكون قبراً رابعاً، وهو من رواية عثمان بن الضحاك، وقد وَثَّقَه ابن حِبَّان وضعفه أبو داود.

وذكر الزين المراغي: أنَّ ابن الجوزي روى في المنتظم عن عبد الله بن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض، فيتزوج ويولد له، فيمكث خمساً وأربعين سنة، ثم يموت فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر[3].

وقال ابن النجار: قال أهل السير: وفي البيت موضع قبر في السهوة الشرقية، قال سعيد بن المسيب: فيه يدفن عيسى بن مريم[4].

والسهوة: بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً شبيه بالمخدع والخزانة،

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩١ والوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٣٧.

(٢) كتاب المناسك ٣٧٩.

(٣) المنتظم ٢/ ٣٩، ولم أقف على هذا الخبر في تحقيق النصرة للمراغي المطبوع وهو في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٣٧.

(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩١ وكتاب المناسك للحربي ٣٨١ والوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٣٧.

وقيل: هو كالصُفَّة يكون بين يدي البيت[١].

وقيل: هو شبيه بالرف والطاق يوضع فيه الشيء[٢]، ولعل المراد بذلك الموضع الذي ضربت عليه عائشة جداراً وسكنت به، كما سبق.

وسنذكر في ما استقر عليه بناء الحجرة: أنه عقد على نحو ثلثها الشرقي عقد، فصار ذلك المحل مميزاً عن بقية البيت، وكان قبله في البناء ما يشهد لجدار آخر من الشام إلى القبلة في تلك الجهة، فلعله الموضع المذكور.

وروى يحيـى وابن النجار عن كعب الأحبار، قال: ما من فجر يطلع إلاَّ نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفُّوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا أَمْسَوْا عَرَجُوا، وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة ﷺ[٣].

وفي صحيح الدارمي نحوه من رواية عائشة رضي الله عنها، وقال فيه: سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار، ذكره في باب ما أكرم الله نبيه ﷺ بعد موته[٤]، ورواه البيهقي في الشُعَب[٥].

وقد تقدم قول عمر رضي الله عنه: "إنَّ مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات"[٦]، وقال أبو بكر رضي الله عنه: "لا ينبغي رفع الصوت على نبيٍ حياً ولا ميتاً".

وروى ابن زبالة ويحيـى من طريقه عن غير واحد منهم عبد العزيز بن أبي حازم ونوفل بن عمارة، قالوا: إنْ كانت عائشة تسمعُ صوت الوتد يُوتَد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة[٧] بمسجد النبي ﷺ فَتُرسل إليهم لا تؤذوا رسول

---

(١) نقلاً من النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٣٠.

(٢) المصدر نفسه وانظر: الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٣) الدرة الثمينة ٢/٣٩٨: زيادة «يزفونه».

(٤) سنن الدارمي ١/ ٤٤.

(٥) ص: شعبه، وهو كتاب شعب الإيمان.

(٦) نقلاً من الروضة الفردوسية ورقة ١٨أ.

(٧) كذا في الأصول، وفي الروضة الفردوسية «المُطَنِّبَة» بخط الأقشهري. وهي أصحُ لأنها بمعنى: إلى جنب، ومنه الحديث: «ما أُحِبُ أنْ بيتي مُطَنَّبٌ ببيت محمد»، النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٤٠ =

الله ﷺ، قالوا: وما عمل عليٌّ مصراعي داره إلاَّ بالمناصع[1]، توقياً لذلك[2].

وفي **الوفا** لابن الجوزي، من طريق أبي محمد الدارمي بسنده عن أبي الجوزاء، قال: قُحِط أهلُ المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت: فانظروا قبرَ النبي ﷺ فاجعلوا منه كُوَّةً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا فَمُطِروا حتى نبتَ العُشبُ وسمنت الإبلُ حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق[3].

قال الزين المراغي: واعلم أنَّ فتح الكوة عند الجدب سُنَّة أهل المدينة حتى الآن، يفتحون كوة في سفل قبة الحجرة، أي: القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة، وإنْ كان السقف حائلاً بين القبر الشريف وبين السماء[4].

قلت: وسُنَّتُهم اليوم فتحُ الباب المُوَاجِه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة، والاجتماعُ هناك[5]، والله أعلم.

= ومثل هذا في الدرة الثمينة ٢/ ٣٨٧.

(١) موضع خارج المدينة، وهو متبرز النساء على عهد النبي ﷺ، **المغانم المطابة** ٣٩٢، و**تحقيق النصرة** ٧٨ ويسمى الآن: زقاق البدور.

(٢) **شفاء السقام** للسبكي ٢٠٦ ـ ٢٠٧ و**الروضة الفردوسية** ورقة ١٨ب وانظر: **تحقيق النصرة** ١٠٧.

(٣) **الوفا بأحوال المصطفى** ٢/ ٥٥٨ (النجار) و**الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٣٩ و**شفاء السقام** ١٧٢.

(٤) **تحقيق النصرة** ١١٥، ١٤٠.

(٥) المصدر نفسه ١٤٠ مع تغيير يسير في الألفاظ.

الفصل الثاني والعشرون
في ما ذكروه من صفة الحجرة الشريفة[1] والحائز المخمّس الدائر عليها وبيان ما شاهدناه مما يخالف ذلك

قال الأقشهري في ما رواه من طريق ابن شَبَّة: قال ابو غسان ـ يعني: محمد بن يحيى ـ: وأما الحِظار الظاهر والبيت الذي فيه، فإني اطَّلَعْتُ فيه من بين سقفي[2] المسجد حتى عاينت جوف[3] ذلك الحِظار الذي على البيت وما فيه، وصوَّرته وما فيه[4]، وذرعته على ما فيه من الذرع وذلك حين انكسر خشب سقف المسجد فَكُشِف السقف من تلك الناحية لعمارته، وأبو البَخْتَرِي بن وهب الأسدي[5] يومئذ على المدينة، وذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين ومئة[6].

قال أبو زيد ـ يعني: ابن شَبَّة ـ فهذه صورته[7]، ثم صورها الأقشهري في كتابه المسمى بـ: **منسك القاصد الزائر** بهذه الصورة[*].

---

(١) ص: القبور الشريفة.

(٢) م٢: سقف.

(٣) سقطت هذه اللفظة من الأصول ولم ترد في **الخلاصة** ٢٨٢، وهي في **الروضة الفردوسية**.

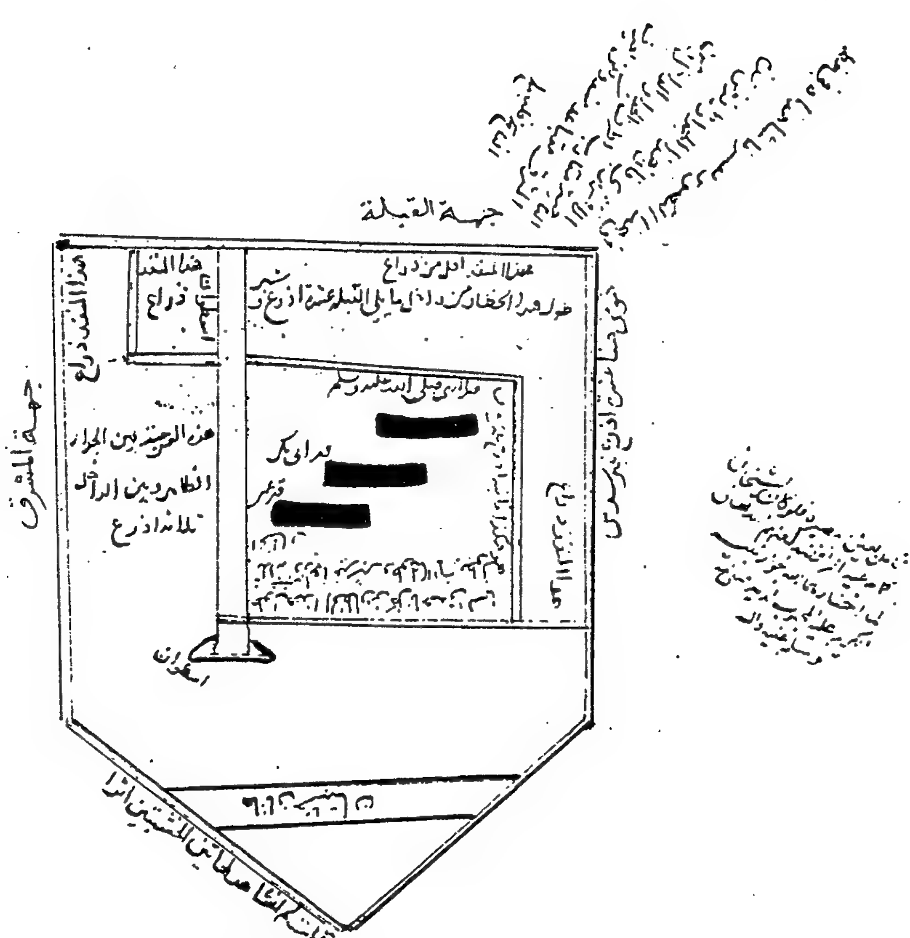
(٤) في **الروضة الفردوسية** ورقة ٢٢ب زيادة: «على هذه الصورة» وكتب الأقشهري في الحاشية بخطه: «صوره في كتابه تركته».

(٥) في الأصول: "وابو البختري بن وهب بن رشدين"، والتصحيح من **الروضة الفردوسية**، انظر عنه: **كتاب الضعفاء والمتروكين** للدارقطني ١٧١ مع أقوال علماء الحديث في تضعيفه ومصادر ترجمته.

(٦) **الروضة الفردوسية** ورقة ٢٢ب.

(٧) في المصدر نفسه: "قال ابو زيد فهذه صورته، وصوره اختصرته".

(*) الصورة الآتية مأخوذة من نسخة س لأنها أوضح من غيرها مما ورد في بقية النسخ.



وفي هذا التصوير ما ذكر فيه من الذرع مخالفة لما تقدم عن نقل ابن زبالة حيث قال
والبناء الذي حول البيت بينه وبين البناء الظاهر اليوم مما يلي المشرق ذراعان والتصوير
المذكور قد اشتمل على ان الفرجة المذكورة ثلاثة اذرع ويستفاد منه ان التصوير ايضا
ان الفرجة بينهما في جهة القبلة مختلفة فبعضها دون الذراع وهو الشبر المشار اليه في
كلام ابن زبالة وبعضها ذراع ان ما شاهدناه في صورة الحجرة الشريفة عند انكشا
فها اقرب الى التصوير المذكور مما ذكره ابن زبالة وان الحال شاهد بانه وقع في بنائها

هنا صورة ١

Photo No 1

وفي هذا التصوير تغيير لما وجدناه[1] في خط الأقشهري فإنَّ هذا الجدار طرفه من هذه الناحية مقارب لطرف الجدار الداخل، ومن المشرق متباعد منه ولكن تَصَرَّفَ الناسخ فليصلح.

وفي هذا التصوير وما ذكر فيه من الذرع مخالفة لما تقدم عن نقل ابن زبالة حيث قال: والبناء الذي حول البيت بينه وبين البناء الظاهر اليوم مما يلي المشرق ذراعان، والتصوير المذكور قد اشتمل على أنَّ الفرجة المذكورة ثلاثة أذرع.

ويستفاد من التصوير أيضاً أنَّ الفرجة بينهما في جهة القبلة مختلفة، فبعضها دون الذراع وهو الشبر المشار إليه في كلام ابن زبالة، وبعضها ذراع.

وسنذكر أنَّ ما شاهدناه في صورة الحجرة الشريفة عند انكشافها أقرب إلى التصوير المذكور مما ذكره ابن زبالة، وأنَّ الحال شاهد بأنه وقع في بنائها الداخل تغيير، فلم يبق على الصورة المذكورة.

وقد أدرك ابن زبالة عمارة أبي البَخْتَرِي التي كُشِفَ فيها سقفُ المسجد مما يلي الحجرة الشريفة، وذكرها في كتابه، فقال: وكان أبو البختري ـ إذ كان والياً على المدينة لهارون أمير المؤمنين ـ كشف سقف المسجد في سنة ثلاث وتسعين ومئة، فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة، فأدخل مكانها خشباً صحاحاً، انتهى.

وكأنه لم يشاهد ذلك كما شاهده أبو غسان، وعبارة يحيى في ذكر هذه العمارة: وقد كان خشب من خشب المسجد فوق القبر مما يليه انكسر في ولاية أبي البختري، فأمر بكشف السقف، وذكر ما تقدم عن ابن زبالة، على أنَّ ابن زبالة ويحيى أشارا في كتابيهما إلى تصوير الحجرة والحائز الدائر عليها، لكن الصورة ساقطة من النسخة التي وقعت لنا.

---

(١) ش: "وفي هذا التصوير لما شاهدناه من خط . . . مقارب إلا الطرف الجدار الداخل. . ." .

وقد صوَّر ذلك ابن النجار في كتابه، وأظنه أخذه من نسخة وقعت له من ابن زبالة مشتملة على تلك الصورة، وتبعه عليها ابن عساكر في **تحفة الزائر**، والمراغي في تاريخه، وهي بعيدة مما وجدنا عليه صورة الحجرة الشريفة، فلنبدأ بتصويره، ثم تصوير الصورة التي شاهدناها، ثم الصورة التي استَقَرَّ بناء الحجرة الشريفة عليها، وقد تبعتُ في حكاية تصوير ابن النجار ما صنعه المراغي، فإني نقلته من خطه، فقال: وجعل عمر بنيان الحجرة الشريفة على خمس زوايا لئلا يستقيم لأحد استقبالها بالصلاة، لتحذيره ﷺ من ذلك، وهذه صورتها وصورة الحائز حولها كما ضبطه ابن النجار(١)، والله أعلم(*):

---

(١) تحقيق النصرة ٥١ ونقل الناشر صورة الحجرة الشريفة من كتاب الدرة الثمينة لابن النجار المؤرخة في سنة ٧٦٧هـ والمحفوظة بدار الكتب المصرية برقم: ٥٩ تاريخ وهي صورة باهتة في المطبوعة، لم نستطع إخراجها منها فأخرجنا ما في نسخة س بدلاً منها.

(*) الصورة الآتية كما تظهر في نسخة س هي أوضح رسماً مما في بقية النسخ.

هنا صورة ٢

Photo No 2

وهذا التصوير ينافي ما تقدم من رواية ابن زبالة وغيره: أنَّ البيت مربعٌ، مبنيٌّ بحجارة سودٍ وقَصَّة.

ثم بنى عليه عمر بن عبد العزيز هذا البناء الظاهر المخمس، لآنه صوَّر فيه البيت مخمساً أيضاً كما ترى، وهو خلاف الذي شاهدناه عند انكشافه في العمارة التي أدركناها، فرأيناه مربعاً مبنياً بالأحجار السود المنحوتة؛ لونها يقرب من لون أحجار الكعبة الشريفة، ولها من الهيبة والأنس ما لا يُدرك إلاَّ بالذوق، ولم نجد بين الجدار الخارج والداخل من جهة المغرب فضاءً أصلاً، ولا مغرز إبرة، ولم نجد للبيت الداخل باباً أصلاً ولا موضع باب، لا في الجهة الشامية ولا في غيرها، ووجدنا الفضاء الذي خلف البيت الشريف من جهة الشام، بينه وبين البناء الظاهر، شكله مثلث، ومساحته نحو ثمانية أذرع بذراع اليد المتقدم تحريره، وذلك من جدار البيت الشامي إلى زاوية البناء الظاهر المقابلة له، وهي الزاوية الشمالية التي ينحرف عنها، صفحتي الشكل المثلث المذكور، وهناك إسطوانة ملاصقة لجدار البيت الشامي في صف إسطوانة مربعة القبر واسطوانة الوفود، وبعض الاسطوانة المذكورة داخل في الجدار المذكور، وقد طوق على أعاليها بأطواق من الحديد، وأُدعمت بجذع من جذوع النخل رأسه في أعاليها، ورأسه الآخر في زاوية البناء الظاهر الشمالية المتقدم ذكرها.

والظاهر أنَّ ذلك جُعِلَ[1] بعد الحريق لتشقق الاسطوانة المذكورة وتأثير النار فيها، وهي الاسطوانة التي تقدم ذكرها في التصوير الأول المأخوذ من كلام ابن شَبَّة عند نهاية جدار البيت الشامي مما يلي المشرق، لكننا لم نجدها كذلك، بل قريبة من وسط الجدار الشامي، غير أنَّ متولي العمارة ومن كان معه أخبروني أنهم وجدوا عند نقض جدار البيت الشامي من داخله رأس جدار في محاذاة الاسطوانة المذكورة يشهد الحال أنه كان آخذاً من الشام إلى ما يحاذيه من القبلي، فكأنه كان نهاية الحجرة الشريفة من جهة المشرق، وكأنه لما انهدم زِيدَ فيها ذلك القدر.

---

(١) ص: أن جعل ذلك.

قالوا: ولا يخفى على الناظر أن بقية الجدار الشامي مما يلي المشرق لم يُبْنَ مع الجانب الآخر منه، بل هي ملصقة إلى رأس الجدار المذكور بحيث لم يدخل أحجار أحدهما في الآخر، ولا هي مرتبطة كما هو عادة البناء الواحد.

ورأيت أنا ما يقابل هذا الجانب من الجدار القبلي مما يلي المشرق، فرأيت ما يشهد بإحداث بنائه بحيث إنه مبني بالحجارة غير الوجوه كنسبة الجدار الشرقي، بخلاف بقية جدارات الحجرة الشريفة، فإنها كلها من داخلها وخارجها مبنية بالحجارة الوجوه المنحوتة، وإنما لم أشاهد ما قدمته مما حُكيَ لي في أمر الجدار الشامي لأني اجتنبت حضور الهدم احتياطاً لنفسي، وظهر بذلك أنَّ البيت الشريف كان من جهة المشرق على ما صوره ابن شَبَّة، ثم حدث ذلك بعده، ولم يُنَبِّـه عليه أحدٌ من المؤرخين.

ويحتمل أنَّ ذلك الجدار هو الذي أحدثته عائشة رضي الله عنها بينها وبين القبور الشريفة، فقد تقدم عن ابن سعد روايته عن مالك بن أنس، قال: قُسِّمَ بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، وقسم كان تكون فيه عائشة وبينهما حائط.

قلت: فهذا الاحتمال هو الذي يترجح عندي، والله أعلم.

ووجد بين جدار البيت الشرقي وبين الجدار الظاهر الشرقي فضاء مختلف كالزقاق الرقيق، فعند ابتدائه من جهة الشام نحو ذراع اليد يمرُّ فيه الرجل منحرفاً، فإذا قرب من جهة القبلة تضايق بحيث لا يمر فيه إلاَّ الصغير منحرفاً، وسَعته هناك نحو ثلث الذراع.

وقد نقل ابن شَبَّة: أنه كان ثلاثة أذرع، فهذا مؤيد لما قدمناه من حدوث التغيير في الجدار الشرقي الداخل، ورؤيته تقضي بذلك دون بقية الجدران.

ووجدنا بين جدار البيت القبلي والجدار الظاهر القبلي فضاءً مختلفاً أيضاً كالزقاق الرقيق، فأوله من جهة المشرق نحو ذراع اليد، فإذا قرب من الوجه الشريف تضايق بحيث يصير نحو شبر ثم أقل من ذلك، إلى ملتقى الحائطين في جهة المغرب، وهذا الفضاء لا يمكن المرور فيه، لأنَّ الاسطوانة التي في البناء

الظاهر عند مواجهة موقف الزائر لسيدنا عمر رضي الله عنه بعضها بارز في الفضاء المذكور، وفي محاذاتها بناء بنحو عرضها قد سَدَّ ما بين الجدارين من الفضاء، وكأنه جعل لإدعام الجدار من أجل الانشقاق الآتي ذكره، أو لمنع المرور هناك، جزى الله فاعله خيراً[1].

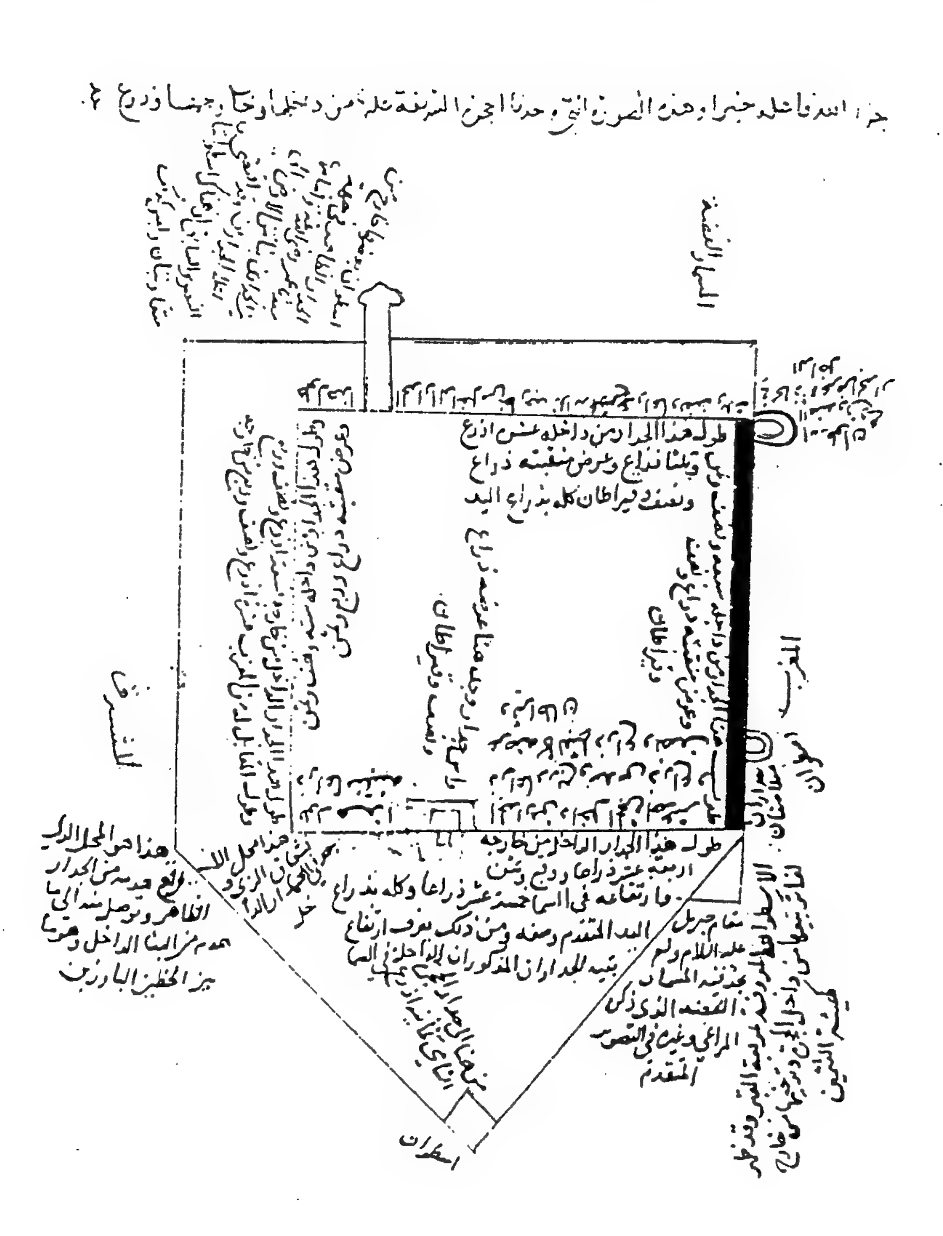
وهذه الصورة التي وجدنا الحجرة الشريفة عليها من داخلها وخارجها وذرع جدارها الداخل والخارج.

«وفي هذا التصوير تغيير لأنَّ الكاتب من الأصل تصرَّف فيه تحسيناً للتصوير وإلاَّ فقد عرفت مما سبق أن رأس هذه الصفحة هنا ملاصقٌ للصفحة التي تليها من الجدار الداخل في المغرب، وأنَّ الفضاء هنا ضيِّقٌ لا يتسع لجهة المشرق، فمن كتب من هذه النسخة فليأت بالصورة على الصواب»[2]، [*]:

(١) في ش بياض نصف صفحة، وفي البياض جاء: "في ملك المملوك لرب الملوك عثمان بن عبد العزيز بن منصور بن حمد بن إبراهيم بن حسين الناصري العمروي النجدي بالشري الشرعي بالبصرة سنة ١٢٤١".

(٢) وردت هذه العبارة في خ، م٢وهي على ما يظهر من إضافة السمهودي.

(*) الصورة الآتية كما تظهر في نسخة س وهي أوضح رسماً مما في بقية النسخ.



هنا صورة ٣

Photo No 3

وأما طول جدران الحائز الظاهر من كل زاوية إلى الأخرى من خارجه، فطول الجدار القبلي من زاويته التي تلي القبلة من المغرب[1] إلى زاويته التي تلي المشرق سبعة عشر ذراعاً ـ بتقديم السين ـ ينقص يسيراً، وذلك موافق لما تقدم في تصوير ابن النجار.

وطول الجدار الغربي من القبلة إلى طرف مقام جبريل ستة عشر ذراعاً ونحو[2] نصف ذراع، ومنعطف مقام جبريل هناك الشام، وذَرْعُ منعطفه ذراعان ونصف ذراع، وجملة ذلك تسعة عشر ذراعاً، فهو المراد مما تقدم في تصوير ابن النجار، لكنه يوهم أنَّ وجه مقام جبريل غير داخل في التسعة عشر ذراعاً التي ذكرها للجدار الغربي، وليس كذلك.

وطول الجدار المنعطف من مقام جبريل إلى الزاوية الشمالية اثنا عشر ذراعاً ونصف ذراع راجح.

وطول الجدار الشرقي من القبلة إلى الزاوية التي ينحرف منه إلى جهة الشمال اثنا عشر ذراعاً ونصف ذراع راجح.

وطول الجدار المنعطف من الجدار المذكور عند الزاوية المذكورة إلى الزاوية الشمالية نحو أربعة عشر ذراعاً.

وفي ما ذكرناه من الذَّرعِ في الثلاثة الجدر[3] الأخيرة مخالفة لما تقدم في تصوير ابن النجار ومن تبعه.

وأما طول الحائز الظاهر في السماء فثلاثة عشر ذراعاً وثلث ذراع، ويرجح من بعض الجوانب يسيراً، وعرض منقبته ذراع وربع وثمن.

ونقل الأقشهري: أنَّ ابن شَبَّة نقل عن أبي غسان: أنَّ طول الحِظار الذي على البيت ـ يعني الحائز المذكور ـ من جهة ارتفاعه ثلاثة عشر ذراعاً غير سدس[4].

---

(١) ش: التي تلي المغرب إلى زاويته...
(٢) سقطت من خ.
(٣) سقطت من ش.
(٤) الروضة الفردوسية ورقة ٢٢ب ـ ٢٣أ.

قلت: وقد رأيت بأعلاه سترة من آجُرٍّ قدر نصف ذراع يشهد الحالُ أنها محدَثة لإحداث السقف الآتي ذكره للحجرة الشريفة بعد حريق المسجد الأول، فلا مخالفة بين ما وجدناه وبين ما ذكره أبو غسان.

وأما ارتفاع الجدار الداخل في السماء، فقِسْتُهُ من خارجه، من جهة الشام فكان خمسة عشر ذراعاً، وارتفاع تلك الأرض التي في شامي الحجرة بين الجدارين على أرض الحجرة ذراع ونحو ربع ذراع، ومع ذلك فالحائز الخارج أرجَحُ من الداخل بيسير أو مُسَاوٍ له، وسببُ ذلك علوُّ الأرض الخارجة عن هذا الحائز على الأرض الداخلة بين الحائزين بأرجح من ذراع ونصف، مع أنَّ الأرض الداخلة بين الحائزين من جهة الشام التي هي كهيئة المثلث وُجِدَتْ مَجْدُولةً بالحجارة والقَصَّة بحيث لم يَتَأَتَّ لهم حفرُ أساسٍ فيها، ولله الحمد على ذلك.

وأما ما تقدم في ما نقلناه من خط المراغي ـ وهو موجود في كلام ابن النجار وابن عساكر ـ من أنَّ طول حيطان الحائز الخارج في السماء ثلاثة وعشرون ذراعاً، فهذا مخالف لما شاهدناه، ولِمَا قدَّمناه عن أبي غسان، وكأنهم أرادوا بهذا ذَرْعَ ما بين الأرض المحيطة بالحجرة وبين سقف المسجد.

وهذا البناء لم يبلغ به عمر بن عبد العزيز سقف المسجد اتفاقاً، بل فوقه شباك من خشب متَّصِل ذلك الشباك بسقف المسجد كما يظهر عند رفع الكسوة، وكأنَّ ابن النجار توهَّمَ أنَّ الحائط المذكور متصلٌ بالسقف، لأنه قال: وبنى عمر بن عبد العزيز على حجرة النبي ﷺ حائزاً من سقف المسجد إلى الأرض، وصارت الحجرة في وسطه وهو على دورانها[1].

وينبغي حمل كلامه على أنَّ المراد أنه بناه من سقف المسجد إلى الأرض بما جعل عليه من الشباك، وكذلك يحمل ما ذكره في ذَرْعه، لأنَّ الشباك المذكور له ذكر في كلامه، فإنه ذكر ما سيأتي من أنَّ الجمال الأصفهاني[2] جدد تأزير الحجرة

---

(١) الدرة الثمينة ٢/٣٩٣.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني، وزير صاحب الموصل زنكي، توفى سنة ٥٥٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٤٩ مع مصادر ترجمته.

بالرخام، ثم قال: وعمل لها مشبكاً من خشب الصندل والآبنوس، وأداره حولها مما يلي السقف[1]، أي: على رأس الجدار المذكور.

قلت: ولعله أول من أحدث هذا الشباك، لأنه لا ذكرَ له في كلام متقدمي المؤرخين والله أعلم.

وقال ابن النجار: واعلم أنَّ على حجرة النبي ﷺ ـ أي: على سقفها ـ ثوباً مشمعاً مثل الخيمة، وفوقه سقف المسجد، وفيه ـ أي: في ما[2] تحت المشمع المذكور ـ خَوخة عليها ممرق ـ أي: طابق مقفول[3] ـ وفوق الخوخة في سقف السطح خوخة أخرى فوق تلك الخوخة، وعليها ممرق مقفول[4] أيضاً، وبين سقف المسجد وبين سقف السطح ـ أي: السقف الثاني لسطح المسجد ـ فراغ نحو الذراعين[5].

قلت: أما الممرق الذي ذكره في سقف المسجد الذي يلي الحجرة الشريفة فقد أدركناه موجوداً عليه قفل من حديد ومشمع جدده متولي العمارة التي أدركناها إلى أنْ احترق المسجد في زماننا، وعملت القبة التي جعلت بدلاً عن القبة الزرقاء.

وأما الممرق الذي ذكره في سقف الحجرة تحت المشمع الذي أشار إليه، فهذا كان قبل حريق المسجد الأول، ولم يوجد في السقف الذي عمل بدله بعد الحريق ممرق، نعم وجد عليه ستارة من المحابس[6] اليمنية مُبَطّنة، وسنذكر وصفه إنْ شاء الله تعالى عند ذكر العمارة المتجددة في زماننا، على أنَّ الذي يقتضيه كلام المطري ومن بعده: أنه ليس ثَمَّ غير طابق واحد في سقف المسجد، فإنه قال: وعلى سقف الحجرة بين السقفين ـ أي: سقفي المسجد ـ ألواح، وقد سُمِّر بعضها على بعض، وسمِّرَ عليها ثوبٌ مشمع، وفيها طابق مقفل إذا فتح كان النزول منه

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

(٢) خ: مما.

(٣) الصواب: مُقْفَل لأنَّ الفعل أقفل وليس قَفَل.

(٤) صوابه: مقفل.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٤٩٤.

(٦) هي أثواب تطرح على ظهر الفراش للنوم عليه، **تاج العروس** ٤/ ١٢٤ .

إلى ما بين حائط بيت النبي ﷺ وبين الحائط الذي بناه عمر بن عبد العزيز[1].

قلت: وليس ما ذكره في وصف هذا الطابق بصحيح، لأنَّ النزول منه يكون على وسط الحجرة سواء كما شاهدناه، مع أنَّ المطري ومن تبعه اتفق كلامهم ـ كما سيأتي ـ على سقف الحجرة بعد الحريق إنما هو سقف المسجد، وهو خلاف ما وجدنا الأمر عليه أيضاً، والله أعلم.

---

(١) التعريف ٣٧ ـ ٣٨.

الفصل الثالث والعشرون
في عمارةٍ اتُّفقت بالحجرة الشريفة على ما نقله الأقشهري عن ابن عات، وما وقع من الدخول إليها عند الحاجة له وتأزيرها بالرخام

قال الأقشهري، ومن خطه نقلت ما لفظه: أخبرنا الشيخ الراوية أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الشاطبي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله القضاعي الحافظ، قال: حدثنا صاحبنا الرحال أبو عمر أحمد بن أبي محمد هارون بن عات النفزي[1]، قال: حُدِّثتُ بالمدينة الشريفة، أو قال بمدينة السلام، بأنهم سمعوا منذ سنين؛ قريباً من الأربعين هَدَّةً في الروضة الشريفة ـ أي: الحجرة فإنه يُعَبَّرُ عنها بذلك ـ فكتب في ذلك إلى الخليفة، فاستشار الفقهاء، فأفتوا أنْ يدخلها رجلٌ فاضل من القَوَمَة على المسجد، فاختاروا بدراً الضعيف، وهو شيخ فاضل يقوم الليل ويصوم النهار، وهو من فتيان بني العباس، فَدُلِّيَ حتى دخل الروضة ـ أي الحجرة ـ فوجد الحائط الغربي قد سقط، وهو حائط دون الحائط الظاهر، فَصُنِعَ له لَبِنٌ من تراب المسجد، فبناه وأعاده على هيئته كما كان، ووجد هناك قَعْباً من خشب قد أصابه وقوع الحائط فكسره، فَحُمِلَ إلى بغداد مع شيء من تراب الحائط، وكان يوم وصول ذلك بغداد يوماً مشهوداً تجمَّع لاستقباله الناسُ، وازدحموا على رؤيته، وعُطِّلَت الصناعات والبيع، وكانت رحلة ابن عات[2] سنة

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢/١٣ ـ ١٤ وقال: توفي غازياً فشهد وقعة العقاب التي =

ثلاث عشرة وست مئة، وقد قال قريباً من أربعين سنة فيكون ذلك سنة سبعين وخمس مئة، أو ما دون ذلك، وهكذا ذكره في رحلته ومنها نقلته، ويكون ذلك في دولة المستضيء بالله بن المستنجد بالله، انتهى كلام الأقشهري[١].

ولعل هذا الحائط المنهدم في هذه العمارة إنما هو الشرقي من الجدار الداخل، وأُطلق عليه اسم الغربي بالنظر إلى الجدار الخارج الذي يليه، فتكون هذه الواقعة هي التي اتفق فيها بناء الجدار المتقدم وصفه، ووقع فيها تقديمه عن محله الأول، وأبقوا رأسه كما تقدمت الإشارة إليه، وهو إنما بُنِيَ بالحجر، ولا يتأتى هناك بناء باللبن إلاَّ في السترة التي جُعلت على رأس الجدار، فلعله أراد باللبن المتخذ من تراب المسجد هذا، لكن في كلام ابن النجار ونقله مَنْ بعده وأقرَّه، ما يقتضي أنه لم يقع دخول إلى الحجرة الشريفة من سنة أربع وخمسين وخمس مئة إلى زمانه، وقد توفي سنة ثلاث وأربعين وست مئة، فإنه قال في كتابه: **الدرة الثمينة** ما لفظه: واعلم أنَّ في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة سمعوا صوت هدَّةٍ في الحجرة، وكان الأمير قاسم بن مهنا الحسيني[٢]، فأخبروه بالحال، فقال: ينبغي أنْ ينزل شخص إلى هناك ليبصر ما هذه الهدة، فافتكروا في شخص يُصلح لذلك، فلم يجدوا لذلك إلاَّ عمر النسائي؛ شيخ شيوخ الصوفية بالموصل[٣]، وكان مجاوراً بالمدينة، فذكروا ذلك له، فذكر أنَّ به فتقاً؛ والريح والبول يحوجه إلى دخول الغائط مراراً، فألزموه، فقال: امهلوني حتى أروِّضَ نفسي.

وقيل: إنه امتنع من الأكل والشرب وسأل النبي ﷺ إمساك المرض عنه بقدر ما يبصر ويخرج، ثم أنهم أنزلوه في الحبال من الخوخة إلى الحظير الذي بناه عمر، ودخل منه إلى الحجرة ومعه شمعة يستضيء بها، فرأى شيئاً من طين السقف

= أفضت إلى خراب الأندلس سنة ٦٠٩هـ، وانظر: مصادر ترجمته فيه، فالظاهر أن في التاريخ وهماً، وانظر: **التكملة لوفيات النقلة** للمنذري ٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ورأي السمهودي هنا صحيح.

(١) **الروضة الفردوسية** ورقة ٣٢أ **والوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١١٥.

(٢) هو عز الدين أبو فليتة، ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٣٧٨ ترجمة طويلة وابن تغري بردي في **المنهل الصافي** ٤/ ١٩١ وسرد تاريخ أمراء المدينة ٤/ ١٨٥ ـ ١٩٨.

(٣) ورد له ذكر في **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية** لابن الأثير ١٢٩ **والروضتين** لأبي شامة ١/ ١٣٨.

قد وقع على القبور، فأزاله وكنس التراب بلحيته، وقيل: إنه كان مليح الشيبة، وأمسك الله تعالى ذلك الداء بقدر ما خرج من الموضع وعاد إليه.

وهذا ما سمعته من أفواه جماعة، والله أعلم بحقيقة الحال في ذلك[1].

وعبارة المراغي تبعاً للمطري في النقل عن ابن النجار: فأنزلوه بالحبال من بين السقفين من الطابق المذكور، ونزل بين حائط النبي ﷺ وبين الحائز ومعه شمعة يستضيء بها، ومشى إلى باب البيت، ودخل من الباب إلى القبور المقدسة، فرأى شيئاً من الردم، إما من السقف أو من الحيطان. . . إلى آخره[2].

قلت: وهذا لا يطابق ما ذكره ابن النجار وعليه رتَّبَ المراغي إشكاله الآتي بيانه.

ثم قال ابن النجار: وفي شهر ربيع الآخر من سنة أربع وخمسين وخمس مئة؛ في أيام قاسم أيضاً وجدوا من الحجرة رائحة منكرة، وكثر ذلك حتى ذكروه للأمير، فأمرهم بالنزول إلى هناك، فنزل بيان الأسود الخصي؛ أحد خدَّام الحجرة ومعه الصفي الموصلي، متولي عمارة المسجد، ونزل معهما هارون الشادي[3] الصوفي، بعد أنْ سأل الأمير في ذلك، وبذل له جملة من المال، فلما نزلوا وجدوا هراً قد هبطَ ومات وجيَّف، فأخرجوه، وكان في الحائز بين الحجرة والمسجد[4].

وقال المراغي وغيره في النقل عن ابن النجار: فوجدوا هراً قد سقط من الشباك الذي في أعلى الحائز، ووقع بين الحائز وبيت النبي ﷺ[5].

وقال ابن النجار: وكان نزولهم يوم السبت الحادي عشر من ربيع الآخر ومن ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم ينزل أحدٌ هناك[6]، فاعلم ذلك، انتهى.

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦.
(٢) تحقيق النصرة ٨٣.
(٣) ص والدرة الثمينة: الشاوي، ش، س، م١، م٢: السادي، خ: الساري.
(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٦.
(٥) تحقيق النصرة ٨٣.
(٦) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٦.

فهذا يخالف ما نقله الأقشهري عن ابن عات، لاقتضائه أنَّ تلك الواقعة في سنة سبعين وخمس مئة أو ما قاربها، والظاهر أنَّ القضية واحدة، ولم نجد من دوَّنَها فنقل كلٌّ منهما بحسب ما بلغه.

وقال الزين المراغي عقب ذكره للواقعة الأولى التي حكاها ابن النجار المتضمنة للدخول إلى القبور الشريفة ما لفظه: وينبغي تأمل هذا النقل، لأنَّ الوصول إلى القبور الشريفة متعذر، إنْ كان الجدار الذي أحدثته عائشة ـ المتقدم ذكره ـ باقياً، فإنْ جاء نَقْلٌ بإزالته وبإمكان الاستطراق معه من باب أو نحوه فهو واضح، وإلاَّ ففيه نظر[1].

قلت: نظره إنما يتوجه على ما قدَّمه من أنَّ النزول كان إلى ما بين الحائطين، وأنه مشى إلى باب البيت، وليس في كلام ابن النجار تَعَرُّضٌ لشيء من ذلك، بل مقتضى ما قدمناه عنه من: أنَّ الحجرة الشريفة بها ممرق، وبسقف المسجد مثله، أنَّ النزول إنما هو من العلو إلى سقف الحجرة، ثم منه إليها، فلا نظر.

على أنَّ الجدار الذي أشار إليه، وأنَّ عائشة بنته، ولم نجد له أثراً إلاَّ ما تقدمت الإشارة إليه من رأس جدار بالحائط الشامي مقتضٍ لأنه كان هناك جدار من الشام إلى القبلة، وكذلك الباب لم نجد له أثراً، كما قدمناه.

وأما تأزير الحجرة بالرخام فليس له ذكر في كلام ابن زبالة، وله ذكر في كلام يحيى، فإنه روى ما حاصله: أنَّ بيت فاطمة الزهراء لما أخرجوا منه فاطمة بنت حسين وزوجَها حسن بن حسن وهدموا البيت بعث حسن بن حسن ابنه جعفراً، وكان أَسَنَّ ولده، فقال له: اذهب ولا تبرحَنَّ حتى يبنوا فتنظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا، هل يُدخلونه في بنيانهم، فلم يزل يرصُدُهم حتى رفعوا الأساس وأخرجوا الحجر، فجاء جعفر إلى أبيه فأخبره، فخَرَّ ساجداً وقال: ذلك حجرٌ كان النبي ﷺ يصلي إليه إذا دخل إلى فاطمة أو كانت فاطمة تصلي إليه، الشك من يحيى[2].

---

(١) تحقيق النصرة ٨٣.

(٢) بالنص في كتاب المناسك للحربي ٣٦٦ عن يحيى بن حسن العلوي.

وقال علي بن موسى الرضا: وَلَدَتْ فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر[1].

قال يحيى: ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين ولم أرَ فينا رجلاً أفضلَ منه، إذا اشتكى شيئاً من جسده كشف الحصى عن الحجر فيمسح به ذلك الموضع[2]، ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عَمَّرَ الصانعُ المسجدَ ففقدناه عندما أزر القبر بالرخام، وكان الحجر لاصقاً بجدار القبر قريباً من المربعة[3].

قال بعض رواة يحيى: الصانع هذا هو إسحاق بن سلمة، كان المتوكل وَجَّه به على عمارة المدينة ومكة.

قلت: كانت خلافة المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، وتوفي في شوال سنة سبع وأربعين، وكان هذا مأخذ ابن النجار في قوله: أنَّ المتوكل في خلافته أمر إسحاق بن سلمة، وكان على عمارة الحرمين من قِبَلِه أن يؤزِّر الحجرة بالرخام ففعل[4].

ثم في خلافة المقتفي سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة جدده جمال الدين وزير بني زنكي[5]، وجعل الرخام حولها قامةً وبَسْطَةً[6].

قلت: ولم يذكر أحدٌ من المؤرخين تجديداً لهذا الرخام بعد ذلك، وقد جدده في زماننا متولي العمارة الآتي ذكرها الجناب الشمسي المحسني الخواجكي ابن الزمن بأمر المقام الشريف السلطاني قايتباي عز نصره، ووجد في الصفحة القبلية عند ابتدائها من جهة المغرب في اللوح السماقي اللون الثاني في تلك الجهة من الألواح الملونة التي يحيط بها الرخام الأبيض البارز قطعةً أوسع من الدينار ملصقة في ظاهر اللوح المذكور بالجص، فأُشيعَ أنها جوهرةٌ نفيسة ذات لَمَعَان، ثم

---

(١) المصدر نفسه ٣٦٧.
(٢) التحفة اللطيفة ١/ ٢٩٢.
(٣) كتاب المناسك ٣٦٧.
(٤) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٣.
(٥) انظر عنه وعن أعماله التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير ١١٨ ـ ١١٩، ١٢٧ وما بعدها.
(٦) المصدر نفسه والمغانم المطابة ص١٦٥.

إنَّ متولي العمارة أرانيها فإذا هي حجر عسلي اللون تميل حمرته إلى الصفرة، قال: وأظنه حجر اليَرَقان، وقد خشي عليه متولي العمارة إنْ أُعيد لصقاً كهيئته الأولى، فأمر بنقر الرخامة المذكورة[1] وتنزيله فيها، ففعلوا ذلك، وأعادوا تلك الرخامة إلى محلها.

ولم أرَ من نبَّه على ابتـداء حدوث الرخام الذي حول الحجرة الشريفة بالأرض، والظاهر أنه حدث عند حدوث تأزيرها بالرخام، لما تقدم من كلام يحيى في أمر الحجر الذي كان يُتَبَرَكُ به من أنَّ الحسين بن عبد الله كان يكشف عنه الحصى، وأنه لم يدخل في البناء، وأنه فقده عند تأزير الحجرة بالرخام، فَدَلَّ ذلك على أنه رَخَّمَ الأرضَ أيضاً، وإلاَّ لَمَا استتر الحجر المذكور.

وأما ترخيم المُصَلَّى الشريف، فلا أدري متى زمنُ حدوثه، وله ذكر في رحلة ابن جبير[2].

وأما الرخام الذي بالمحراب العثماني وما حوله، فالقديم منه ـ أعني: بعد الحريق الأول ـ ترخيم المحراب وشيء يسير عن جنبيه، وفي دولة السلطان الملك الظاهر جقمق ـ في أول عشر الستين وثمان مئة ـ أمر بعمل الوزرة التي في الجدار القبلي، فاتصل ذلك بترخيم المحراب المذكور.

وقد جُدِّدَ غالبُ ذلك في العمارة التي أدركناها أيضاً، وأُبدلَ الطراز الأول الذي كان بأعلى الوزرة، وكان محمَّراً بماء الذهب، بالطراز الموجود اليوم، ثم زال ذلك كله في حريق المسجد الثاني، ثم أُعيد مع زيادة فيه مما يلي المنارة الرئيسية، ومع ترخيم ما حول الحجرة الشريفة وتأزيرها بالرخام، ومع ما سبق من عمل محراب المُصَلَّى الشريف وترخيمه، ورخَّموا أيضاً الدعائم المواجهة للوجه الشريف التي أحدثوها عند عمارة القبة الثانية من داخل المقصورة وخارجها، وجميع ما يوجد من الرخام بالمسجد اليوم من عمل سلطان زماننا الأشرق قايتباي، أعزَّ الله أنصاره، وضاعف اقتداره، والله أعلم.

---

(١) ش: الرخام المذكور.

(٢) رحلة ابن جبير ١٦٩.

الفصل الرابع والعشرون
في الصندوق الذي في جهة الرأس الشريف والمسمار الفضة المواجه للوجه الشريف ومقام جبريل من الحجرة الشريفة وكسوتها وتخليقها

أما الصندوق فلم أعلم ابتداء حدوثه[١]، وكذلك القائم المُحَلَّى فوقه، إلاَّ أنه قد ظهر لنا في العمارة التي أدركناها أنه كان موجوداً قبل حريق المسجد الأول، لأنَّ متولي العمارة كان قد قلعه لاقتضاء رأيه قَلْعَ حلية الفضة التي كانت على القائم الخشب الذي فوق الصندوق ليُحْكِمَ صَوْغَها، وزاد ذلك فضةً وتمويهاً بالذهب، وأصلح حلية الصندوق أيضاً، وكان ذلك سبباً لإصلاح[٢] أصل الاسطوانة التي كان بها، فلما قلعوا الصندوق المذكور ظهر فيه قوائم صندوق عتيق، وفي تلك القوائم أثرُ الحريق، وكأنَّهم جدَّدوا عليه صندوقاً، وجعلوا ذلك المحترق في جوفه، وقد أُعيد كذلك.

وقد ذكر المجد الشيرازي هذا الصندوق والقائم، فقال: وفي الصفحة الغربية من الحجرة الشريفة صندوق آبنوس مُخَتَّم بالصَّندل مُصَفَّح بالفضة مكوكب بها، هو قبالة رأس النبي ﷺ وفيه اسطوان، وفوق الصندوق قائم من خشب مُجَدَّد، واما الصندوق فطوله خمسة أشبار وعرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه في الهواء أربعة أشبار[٣].

---

(١) ذكره الحربي المتوفى سنة ٢٨٥هـ في كتاب المناسك ٣٩٦، "ولذلك خُلِّقَت الأسطوان التي هناك عند الصندوق الكبير ليكون علامة".

(٢) ص: سبب الاصلاح.

(٣) المغانم المطابة ص١٦٥.

قلت: وقد ظفرت بذلك كله في كلام ابن جبير في رحلته[1]، غير ما يتعلق بالقائم المذكور، ومن ذلك أخذ المجد وصفَ القائم بكونه مجدداً، وكانت رحلة ابن جبير عام ثمانين وخمس مئة، فاستفدنا بذلك وجود ذلك الصندوق قبل الحريق في ذلك الزمان، وما ذكره من: أنَّ الصندوق المذكور قبالة الرأس الشريف فيه تَجَوُّز، لأنَّه قد ظهر لنا في هذه العمارة أنه في محاذاة الجدار الداخل القبلي، وسيأتي أنَّ الوجه الشريف إلى الجدار، فالرأس الشريف متأخر عن الصندوق المذكور يسيراً.

ومستند المجد وغيره في هذا الإطلاق ما روى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه عن أبيه عن جده: أنه كان إذا جاء يُسَلِّم على النبي ﷺ وقف عند الإسطوانة التي تلي الروضة، ثم يسلم، ثم يقول: ها هنا رأس رسول الله ﷺ[2]، والمراد به ما قدمناه، والله أعلم.

وذرع الصندوق المذكور في الارتفاع: ذراع ونصف وربع، بذراع اليد، وأعلى القائم فوقه محاذٍ لرأس الوَزْرَة الرخام، وطول القائم المذكور: ثلاثة أذرع، وهو خمس صفحات أُلْصِقَ بعضُها على بعض وجُعِلَّتْ محيطةً بما ظهر من الإسطوانة التي الصندوق بأصلها فوقه، فإنَّ بعض الإسطوانة في البناء الملاصق لها من الحائز المذكور، ولو أحاطت الصفحات بجميع الاسطوانة لكانت أكثر من خمس، ولكان شكلها مثمَّناَ، وهو مُخَتَّم بالخشب الأسود الهندي، مُعَصَّب بصفائح الفضة المُمَوَّهة طولاً وعرضاً بأحسن صناعة، وصفائحه الطولية من الفضة أربع، والمقاطعة لها من جهة العرض خمس، وفي رأسه من أعلاه حلية رقيقة كالزيق[3]، وزِنَةُ ما عليه من الفضة زيادة على أَلْفَيْ قُفلة[4]، وأخذوا لأجل تمويهه

(١) رحلة ابن جبير ١٦٩.

(٢) الدرة الثمينة ٢/٣٩٩ والروضة الفردوسية ورقة ١٣ب.

(٣) الزيق: ما أحاط بالعنق من الثياب، ويعني: كان مطوّقاً بحلية رقيقة. والزيق بلغة أهل المدينة: التزويق.

(٤) جاء في حاشية خ: "زنة القفلة بالمثاقيل أربعة من عسل ومثقال من دوادستر، قال بعضهم: القفلة ثلثي مثقال بالوزن".

من حاصل المسجد أربعين مثقالاً من الذهب، كما أخبرني به متولي العمارة.

وأما الصندوق فلم يُغَيَّر، وكله مُغَشًّى بالفضة، وقد احترق في حريق المسجد الثاني، ووجدوا حليته من الفضة، فجددوا صندوقاً في محله، وجعلوا موضع القائم الذي كان فوقه رخاماً مكتوباً فيه البسملة والصلاة والتسليم على النبي ﷺ والترضِّي عن أصحابه وغير ذلك.

وأما المسمار المواجه للوجه الشريف، فقد تقدم أنَّ بينه وبين أول الصفحة الغربية من المغرب خمسة أذرع، وقد اعتبرتُ ذلك فنقص يسيراً نحو سدس ذراع، وكأنه لاختلاف الأذرعة، ولم أعلم ابتداء حدوث التعليم بهذا المسمار أيضاً.

والمذكور في كلام المتقدمين إنما هو التعريفُ بأنْ يجعل القنديل على رأسه، لكنْ قال المطري: إنَّ ما ذكر من القيام تحت القنديل تجاه الحجرة الشريفة للسلام كان قبل احتراق المسجد الشريف[1]، فإنه لم يكن يقابل وجه النبي ﷺ إلاَّ قنديل واحد، ولما جُدد جُعِلَ هناك عدَّة قناديل، وإنما علامة الوقوف تجاه الوجه الكريم اليوم مسمار فضة في رخامة حمراء، انتهى.

وهو يُوْهِم حدوث التعليم به بعد الحريق، وليس كذلك، لأنَّ ابن النجار ذكر التعليم به ـ كما سيأتي ـ ولم يدرك الحريق، ولأنَّ ابن جبير ذكره في **رحلته**[2] وهو أقدم من ابن النجار، فقال عند وصف الحجرة الشريفة: وفي الصفحة القبلية أمام وجه النبي ﷺ مسمار فضة هو أمام الوجه الكريم، فتقف الناس أمامه للسلام[3]، انتهى.

وأيضاً فقد روى ابن الجوزي في: **مثير العزم الساكن**: أنَّ ابن أبي مليكة كان يقول: من أحبَّ أنْ يقوم وُجَاه النبي ﷺ فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه، ثم قال ابن الجوزي: وثم ما هو أوضح علماً من القنديل، وهو مسمار

---

(١) التعريف للمطري ٢٢، ٣٢ وما بعده من كلام السمهودي.

(٢) رحلة ابن جبير ١٦٩.

(٣) الدرة الثمينة ٢/٣٩٩ بالفاظ مغايرة.

من صُفر في حائط الحجرة، إذا حاذاه القائم كان القنديل فوق رأسه[1].

وقال يحيى في كتابه: كان ابن أبي مليكة يقول: إذا جعلت القنديل على رأسك والمرمرة المدخولة في جدار القبر قبالة وجهك استقبلت وجه رسول الله ﷺ.

قلت: وكان هذا المسمار في موضع تلك المرمرة، ولهذا قال ابن النجار: إنَّ اليوم هناك علامة واضحة، وهي مسمار من فضة في حائط حجرة النبي ﷺ إذا قابله الأنسان كان القنديل على رأسه، فيقابل وجه النبي ﷺ[2]، انتهى.

ولم أرَ لهذا المسمار ذكراً في كلام مَنْ صَنَّف في المناسك قبل ابن جماعة، والذي في مناسك ابن الصلاح[3] ـ أخذاً من الإحياء ـ ذكر القنديل، وجعله حذاء رأس الزائر، ونقله عن ابن أبي مليكة، واقتضى كلامه: أنَّ الواقف هناك يكون بينه وبين السارية التي عند رأس القبر عند زاويته الغربية وهي اسطوان الصندوق نحو أربعة أذرع، فهو قريب مما تقدم في التعليم بالمسمار المذكور، وإنْ لم يُصَرِّح به.

لكنْ قال الأقشهري ـ ومن خطه نقلت ـ: أخبرنا الإمام العالم رضي الدين أبو أحمد إبراهيم بن محمد بن أبي بكر إمام مقام إبراهيم الخليل بمكة ـ توفي في تاسع شهر ربيع الأول من عام اثنين وعشرين وسبع مئة ـ والشيخ الوزير[4] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن عيسى المومناني[5]، قالا[6]: أخبرنا الإمام أبو

---

(١) الجملة: "ثم قال ابن الجوزي. . . فوق رأسه" ليست في ص واستدركت في الحاشية بخط الناسخ نفسه، والخبر في مثير الغرام الساكن ٤٨٧.

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٩.

(٣) انظر عنه: معجم المؤلفين ٦/ ٢٥٧ مع مصادر ترجمته.

(٤) م٢: والشيخ عبد العزيز، خ: والشيخ العزيز.

(٥) في الروضة الفردوسية ورقة ١٢ب: "الوزير أبو بكر محمد بن محمد بن عيسى" وفي ورقة ٣٤أ: "الشيخ الوزير أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن معنصر المومناني"، وترجم المراكشي في الذيل والتكملة ٨/ ٣٥٠ لأبي عبد الله محمد بن عيسى بن معنصر المومناني المتوفى سنة ٦٣٩هـ، وترجم له ابن الزبير في صلة الصلة ٣/ ٣١ وابن خميس في أدباء مالقة ورقة ٤٥أ ـ ب، فلعله والد ما ذكر هنا.

(٦) م٢: قال.

عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح الشهرزوري[١]، قال: ثم يأتي الزائر الضريحَ المقدس فيستدبر القبلة ويستقبل جداره نحو ثلاثة أذرع أو أربعة أذرع من الجدار وُجَاه المسمار الذي في الجدار القبلي من الحجرة المشرفة[٢].

هذا ما نقلته من خط الأقشهري بحروفه، ولم أرَه في كلام ابن الصلاح.

والذي نقله ابن عساكر في **تحفته** عن ابن الصلاح، وهو من تلامذته، إنما هو ما قدمناه، وروايته[٣] عن إبراهيم الطبري عن ابن الصلاح تخليط، فإنَّ وفاة ابن الصلاح في سنة ثلاث وأربعين وست مئة، والذي أدركه إنما هو والد إبراهيم المذكور، وهو المعروف بالرضي الطبري، فإنَّ مولد الوالد المذكور سنة ثلاث وثلاثين وست مئة، فإنما أدرك من زمن ابن الصلاح عشر سنين، فكيف يكون ولده راوياً عن ابن الصلاح بلا واسطة؟

وقال الأقشهري عقب ما تقدم عنه: وقد سقط هذا المسمار سنة عشرين وسبع مئة، ولم يُرَدَّ إلى موضعه إلاَّ في عام أربع وعشرين وسبع مئة[٤].

قلت: وقد أخرج في هذه العمارة من موضعه عند ترخيم جدار الحجرة الشريفة، ثم أُعيد في محله الأول بعينة في الرخامة الحمراء التي كان بها، ثم سقط من محله في الحريق الثاني، وجدد مسمار آخر في محله، ولا يختلف أحدٌ ممن أدركناه بالمدينة الشريفة في أنَّ ذلك الموضع تجاه الوجه الشريف، وهو الذي يقتضيه الحالُ عند مشاهدة الحجرة الشريفة من داخلها.

غير أني رأيت في كلام يحيى ما يوهم خلاف ذلك، فإنه ذكر أن الموضع الذي يواجه الوجه الشريف هو ما بين الإسطوانة المتوسطة في قبلة جدار قبر النبي ﷺ، بين هذا الموضع وبين الاسطوان شبران وثلاثة أصابع منفرجة من الحفيرة إلى الوسطى، وأنَّ كلَّ من أدركه من أهل بيته كانوا إذا وقفوا للسلام على

---

(١) انظر: بروكلمان ١/٣٥٨ **معجم المؤلفين** ٥/٢٥٧ مع مصادر ترجمته.

(٢) **الروضة الفردوسية** ورقة ١٢ب ـ ١٣أ، ٣٢أ.

(٣) م٢: ورايته.

(٤) لم تُصوَّر الورقة ١٦أ ـ ب في نسختي المصورة عن مخطوطة برلين، فلعل هذا الخبر وما قبله فيها.

النبي ﷺ وقفوا قريباً من هذا الموضع، وكانت ثَمَّ علامة، قد يعلمـوا بها؛ حُفيرة، ولم تزل ثَمَّ منذ عملت إلى أنْ عَمَّر الصانعُ المسجدَ[1] في ولاية أمير المؤمنين المتوكل، فإنه أزَّر القبر بالرخام فذهبت العلامة منذ ذلك.

وقال: إنَّ موسى بن جعفر قال: من وقف في هذا الموضع منحرفاً واضعاً شقَّ وجهه الأيمن استقبل وجه رسول الله ﷺ، وكان علي بن الحسين يقف ثَمَّ، انتهى.

قلت: الاسطوانة الوسطى التي يشير إليها هي البارزة في الصفحة القبلية من جدار القبر، يقف قربها المُسَلِّمُ على عمر رضي الله عنه، وبينها وبين المسمار المذكور نحو ثلاثة أذرع أو أزيد.

وقد قال: إنَّ الموضع الذي ذكره بينه وبين الاسطوانة المذكورة شبران وثلاثة أصابع، فيكون بعيداً من المسمار المذكور بنحو الذراعين.

وقد شاهدنا الإسطوانة المذكورة من داخل الحجرة فرأيناها قريبةً من نهايتها بحيث إنَّ من دُفن هناك ووجهه في محاذاة الموضع[2] الذي ذكره يحيى كانت رجلاه في جدار الحجرة الشرقي، كما نُقِلَ ذلك في دفن عمر رضي الله عنه، فيبعد كلَّ البعد[3] كون الوجه الشريف في محاذاة ذلك الموضع.

على أنَّ ما نقله عن موسى بن جعفر يقتضي أن استقبال الوجه الشريف للواقف في الموضع الذي ذكره إنما يكون مع الانحراف ووضع شق الوجه الأيمن ـ يعني: على جدار القبر ـ وعلى هذا فيستقبل الزائر جهة المغرب حتى يحصل ذلك، وذلك لأنَّ الحائط القبلي منحرف ـ كما أشرنا إليه في التصوير ـ فلا يقتضي ذلك أنَّ المستَقْبِلَ للمحل الذي عَيَّنَه من غير وضع وجهه يكون مقابلاً للوجه الشريف، وإنما يُسامِتُ الواقفُ الوجه الشريف إذا حاذى المسمار المتقدم وصفه.

---

(١) ش: وكانت ثم عليه قد يعلموا بها حفيرة ولم يزل ثم منذ عملت إلى عمر الصانع المسجد".

(٢) ص: ذلك الموضع.

(٣) "كل البعد": سقطت من ص.

وكأنَّ يحيى يرى أنَّ الزائر يلصق خدَّه بجدار القبر على الهيئة السابقة، فيصير محل المسمار المذكور أمامه، ولذلك أورد عقب ما تقدم عنه قصة أبي أيوب الأنصاري الآتي ذكرها في التزامه القبر[1].

واعلم أنَّ تشبيك باب المقصورة التي حدثت إدارتها على ما حول الحجرة الشريفة قد يمنع من مشاهدة المسمار المذكور إلاَّ لمن يتأمل ذلك من تشبيكه، وذلك يشغل قلب الزائر، وقد تحرر لنا أنَّ ما يقابله من ذلك هو الصرعة[2] الثانية من باب المقصورة القبلي الذي على يمين مستقبل القبر الشريف، فمن حاذى هذه الصرعة كان محاذياً لذلك، وهذا المسمار مموَّه بالذهب؛ رأسه مستدير، وقد أحدث متولي العمارة مسماراً آخر رأسه فضة، لكنه في أول هذه الصفحة القبلية مما يلي المغرب قريباً من جهة الصندوق المتقدم وصفه، ورأس هذا المسمار مُكوكب كالقبة، فلا يشتبه بالمسمار المتقدم، وأحدث أيضاً مسمارين آخرين في ابتداء الصفحة الغربية مما يلي القبة قريباً من مسماره المتقدم، وما علمت السببَ في إحداث ذلك، وقد زالت هذه المسامير الثلاثة المحدثة بالحريق الثاني.

وأما الموضع المعروف بـ: **مقام جبريل** عند مربعة القبر، فقد تقدم: أنه كان هناك مسمار في منحرف المربعة إلى الزاوية الشمالية من الحجرة علامة عليه، فلم نجده هناك، وسألت عنه الخدَّام والمرخِّمين فقالوا: إنهم لم يجدوا هناك شيئاً.

وتسمية ذلك الموضع بمقام جبريل تقدم مستنده في الكلام على "إسطوان مربعة القبر"، ولم أدرِ لِمَ سُمِّيَ بذلك، إلاَّ أنَّ ابن جبير ذكر هذا المحل من الحجرة الشريفة، وقال: وعليه سِتْرُ مُسْبَلٌ، يقال: إنه كان مهبط جبريل عليه السلام[3]، انتهى

لكن ترجم ابن شَبَّة[4] في كتابه لمقام جبريل، ثم قال: قال أبو غسان:

---

(١) شفاء السقام للسبكي ١١٣ عن كتاب أخبار المدينة ليحيى بن الحسن الحسيني.
(٢) الصرعة: دفة الباب أو مصراعها.
(٣) رحلة ابن جبير ١٦٩ .
(٤) م٢: بن أبي شيبة.

علامة مقام جبريل عليه السلام التي يُعرف بها اليوم أنك تخرج من الباب الذي يقال له: باب آل عثمان، فترى على يمينك إذا خرجتَ من ذلك الباب على ثلاثة[1] أذرع وشبر، وهو من الأرض على نحو من ذراع وشبر حَجَراً أكبر من الحجارة التي [بُنِيَ][2] بها جدار المسجد[3]، قال: فكان مالك بن أنس يقول[4]ـ وسقط ما بعد ذلك من كتاب ابن شَبَّة[5] فلم أدرِ ما هو ـ لكن يستفاد من ذلك حكاية خلاف في مقام جبريل: هل هو داخل المسجد عند المربعة المذكورة أو خارجه عند باب آل عثمان، وهو المعروف اليوم بباب جبريل؟ ولعل ذلك سبب تسمية الباب المذكور بذلك، كما ستأتي الإشارة إليه.

وقال ابن زبالة: أجافَ[6] المسجد من شرقيه في سلطان محمد بن عبد الله ابن سليمان الربعي[7]ـ من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ـ من ناحية موضع الجنائز، فأمر به[8] فَبُنِيَ، وتعلَّم مقام جبريل عليه السلام بحجر ونُقِشَ فيه خاتم سليمان[9] ومُشِقَ لأنْ يعرف به مقام جبريل، ومقام جبريل يمناه داخل في المسجد، فبلغ ذلك مالك بن أنس، فتكلم فيه وأنكره وعابه، فَغُيِّر وجُعِلَ مكانه حجرٌ طويلٌ مُصْمَتٌ لا عَلَم فيه مخالف لحجارة المسجد[10]، انتهى.

فيحتمل أنْ يريد بقوله: «مقام جبريل يمناه داخل في المسجد» الموضع

---

(١) في مخطوطة تاريخ المدينة: "ثلاث".

(٢) سقطت من الأصول ويقتضيها السياق لإتمام المعنى، والسطر مطموس في صورة مخطوطة أخبار المدينة.

(٣) في مخطوطة أخبار المدينة لابن شبَّة: "المسجد ذلك"، والظاهر ان بعض كلمات الجملة قد تصحَّفت، فلعلها كانت: "التي في جدار المسجد ذلك".

(٤) تاريخ المدينة ١/ ٥ ـ ٦ وفي المخطوطة زيادة: "ما أرى مقام جبريل . . ." وبعدها بياض.

(٥) م٢: من كتاب يحيى بن أبي شيبة.

(٦) في الأصول: خاف، وفي القاموس المحيط ٤/ ١٢١: «جافه: كمعه صرعه والشجرة قلعها من أصلها فانجأفت»، وفي تاج العروس ٦/ ٥٢: جأف: انقلع وسقط.

(٧) ولأه الرشيد المدينة، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٧١.

(٨) م: فأمرته.

(٩) هو النجمة السداسية الرؤوس التي يسميها اليهود زوراً: "نجمة داود".

(١٠) انظر: كتاب المناسك للحربي ٣٩٧.

المتقدم ذكره من الحجرة الشريفة، ويحتمل أنْ يريد: أنَّ الباب قد قُدِّمَ عن محله الأول في محاذاته، فصار[1] مقام جبريل داخل المسجد في محاذاة ذلك.

ويرجح هذا أنَّ الظاهر أنَّ الأصل في مقام جبريل ما قدمناه في غزوة بني قريظة من رواية صاحب **الاكتفا**: أنَّ جبريل عليه السلام أتى في ذلك اليوم على فَرَس عليه اللأمَة حتى وقفَ بباب المسجد عند موضع الجنائز، وإنَّ على وجه جبريل لأثَرَ الغبار[2]، انتهى.

فلذلك سُمِّي الباب المذكور بباب جبريل، إذ لم يكن حينئذ للمسجد باب في ناحية الجنائز غيره.

وفي رواية البيهقي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي ﷺ عندنا فسَلَّم علينا رجلٌ[3] ونحن في البيت، فقام رسول الله ﷺ فَزِعَاً، فقمتُ في أثره، فإذا بِدِحْيَة الكلبي، فقال: هذا جبريل عليه السلام يأمرني أنْ أذهب إلى بني قريظة[4]، والله أعلم.

وأما كسوة الحجرة الشريفة، فقد ذكر ابن النجار ما قدَّمناه في تأزير الحجرة الشريفة بالرخام وعمل الجواد الأصبهاني في الشباك المتخذ من خشب الصندل المتقدم وصفه بأعلى جدارها، ثم قال: ولم تزل الحجرة الشريفة على ذلك حتى عمل لها الحسين بن أبي الهيجاء ـ صهر الصالح[5] وزير الملوك المصريين ـ ستارة من الدبيقي الأبيض، وعليها الطروز والجامات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر، ونيَّطها وأدار عليها زناراً من الحرير الأحمر، والزنار مكتوب عليه **سورة يس** بأسرها، وقيل: إنه غرم على هذه الستارة مبلغاً عظيماً من المال، وأراد تعليقها

---

(١) ص: فسار.

(٢) **الاكتفا** ٢/١٧٦.

(٣) سقطت من ص.

(٤) **دلائل النبوة** ٤/٨.

(٥) هو الصالح طلائع بن رُزِّيك، وزير الفائز والعاضد، قُتل سنة ٥٥٦هـ، **بدائع الزهور** ١/٢٣١ **ووفيات الأعيان** ٢/٥٢٦ مع مصادر ترجمته.

على الحجرة، فمنعه قاسم بن مهنا[1] أمير المدينة، وقال: حتى نستأذن الإمام المستضيء بأمر الله.

فبعث إلى العراق يستأذن في تعليقها، فجاءه الإذن في ذلك، فعلقها نحو العامين، ثم جاءت من الخليفة ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة، وعلى دَوَران جاماتها مكتوب بالرقم: أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي، وعلى طرازها اسم الإمام المستضيء بأمر الله، فشيلت تلك ونفذت إلى مشهد علي بن أبي طالب بالكوفة، وعُلِّقَت هذه عوضها[2].

فلما وليَ الإمام الناصر لدين الله نفذ ستارة أخرى من الإبريسم الأسود، وطرزها وجاماتها من الإبريسم الأبيض، فَعُلقت فوق تلك، فلما حجت الجهة أم الخليفة وعادت إلى العراق عَمِلَت ستارة من الأبريسم الأسود أيضاً على شكل المذكورة ونفذتها فعلقت على هذه، ففي يومنا هذا على الحجرة ثلاث ستائر بعضهن على بعض[3]، انتهى.

وهو يقتضي: أنَّ ابن أبي الهيجاء أول من كسا الحجرة في خلافة المستضيء بأمر الله، وكانت خلافته في سنة ستٍ وستين وخمس مئة، ومات سنة خمس وسبعين وخمس مئة.

وفي كلام رزين ما يقتضي مخالفته، فإنه قال في ضمن كلامٍ نقله عن محمد بن إسماعيل، ما لفظه: فلما كانت ولاية هارون أمير المؤمنين وقدمت معه الخَيْزُران، أمرت بتخليق مسجد رسول الله ﷺ وتخليق القبر وكسته الزنانير وشبائك الحرير، انتهى.

وقد رأيت في العتبية ما يصلح أن يكون مستنداً في أصل الكسوة، فإنه قال في أوائلها: قيل لمالك: قلتَ إنه ينبغي أنْ يُنظرَ في قبر النبي ﷺ كيف يكسون

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٤ وأورد السخاوي الخبر مع تغيير يسير في بعض الألفاظ في التحفة اللطيفة ١/ ٢٩٧ والنص هنا وفي الكتاب كله مشحون بأخطاء شنيعة وتصحيفات عجيبة.

(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٤.

سقفه، فقيل: يُجعلُ عليه خيش، فقال: وما يعجبني الخيش، وإنه ينبغي أنْ يُنْظرَ فيه[١]، انتهى.

قال ابن رشد في بيانه: كَرِه مالك كَشفَ سقف قبر رسول الله ﷺ ورأى من صونه أنْ يكون مُغَطًّى، ولم يرَ أنْ يُكتَفَى من ذلك بالخيش، وكأنه ذهب إلى أنْ يُغَطَّى بتغطية البيوت المسكونة، وقد أخبرني من أثق به: أنه لا سقفَ له اليوم تحت سقف المسجد[٢]، انتهى.

وقد يُضمُّ إلى ذلك أنه إنما جاز كسوة الكعبة لما فيه من التعظيم، ونحن مأمورون بتعظيم النبي ﷺ، وتعظيمُ قبره من تعظيمه، وهذا أولى بالجواز، مما سيأتي عن السبكي في مسألة القناديل من الذهب حيث سلك بها هذا المسلك.

وليس في كلام ابن زبالة ويحيى تعرُّضٌ لأمر كسوة الحجرة، ولعله لأنها إنما حدثت بعدهما، مع أنَّ ابن زبالة ذكر ما قدَّمناه في كسوة المنبر الشريف وجعل الستور على الأبواب، ونَقَلَ: أنَّ كسوة الكعبة كان يُؤتى بها المدينة قبل أنْ تصلَ إلى مكة، فَتُنْشَر في مؤخر المسجد، ثم يُخْرَجُ بها إلى مكة، ولم يذكر للحجرة كسوة[٣].

ثم ذكر تخليق الحجرة والمسجد، فقال: وقدمت الخيزران أم موسى أمير المؤمنين المدينة في سنة سبعين ومئة، فأمرت بمسجد النبي ﷺ فَخُلِّق، وولي ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها، فقام إليها إبراهيم بن الفضل بن عبيد الله بن سليمان مولى هشام بن إسماعيل[٤]، فقال: هل لكم أنْ تسبقوا مَنْ بعدكم وأنَّ تفعلوا ما لم يفعل مَنْ كان قبلكم؟ قالت له مؤنسة: وما ذلك؟ قال: تُخَلِّقُون القبر كله، ففعلوا، وإنما كان يَخَلَّقُ منه ثلثاه أو أقل، وأشار عليهم فزادوا في خَلُوق اسطوان التوبة والاسطوان التي هي عَلَمٌ عند مُصَلَّى النبي ﷺ فخَلَّقوها حتى بلغوا بهما أسفلهما،

---

(١) **البيان والتحصيل** ١/ ٤٠٩: "وانه لينبغي أن ينظر في أمره".

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٣) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٧٦ عن ابن زبالة.

(٤) **التحفة اللطيفة** ١/ ٨٢ وذكر معنى الخبر.

وزادوا في الخلوق في أعلاهما[1]، انتهى.

ولو كان لكسوة الحجرة وجود في زمانه لتعرض له[2]، واعلم أنَّ في عشر الستين وسبع مئة، في دولة السلطان الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون اشترى قريةً من بيت مال المسلمين بمصر، ووَقَفَها على كسوة الكعبة المشرفة في كلَّ سنة، وعلى كسوة الحجرة المقدسة والمنبر الشريف في كلِّ خمس سنين مرة، هكذا ذكره التقي الفاسي في **شفاء الغرام**[3].

وذكره الزين المراغي إلاَّ أنه قال في الوقف على كسوة الحجرة: في كل ست سنين مرة، تعمل من الديباج الأسود المرقوم بالحرير الأبيض، ولها طراز منسوج بالفضة المذهبة دائر عليها، إلاَّ كسوة المنبر فإنها بتقصيص أبيض[4].

قلت: وما ذكراه من المدة المذكورة بالنسبة إلى الحجرة كأنه كان معمولاً به في زمانهما، وأما في زماننا فتمضي عشرُ سنين ونحوها ولا تُعمل، نعم كل ما وليَ ملك بمصر فإنه يعتني بإرسال كسوة.

وذكر الحافظ ابن حجر في الكلام على كسوة الكعبة: أنَّ الصالح هذا اشترى حصة من بلد يقال لها: سندبيس؛ اشترى الثلثين منها من وكيل بيت المال، ووقفها على هذه الجهة[5]، ولم يتعرض لكسوة الحجرة، فلعل الثلث الثالث الذي لم يذكره يتعلق بكسوة الحجرة لِمَا قدمناه.

ويحتمل أنَّ ما يرد من الكسوة من جهة الملوك لا من وقفٍ، وعادتهم إذا وردت كسوة جديدة قَسَّم شيخُ الخُدَّام الكسوة العتيقة على الخدام ومن يراه من غيرهم، ويحمل إلى السلطان بمصر منها جانباً.

---

(١) كتاب **المناسك** للحربي ٣٧٢ وأورد ابن النجار هذا الخبر مختصراً في **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٦٤.

(٢) الجملة: "ولو كان . . . لتعرض له" ساقطة من خ، س، م١.

(٣) **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ١٢٣.

(٤) **تحقيق النصرة** ٦٦.

(٥) **فتح الباري** ٣/ ٤٦٠ وجاء اسم القرية فيه: «بيسوس أو بيسوس».

وحكم بيع كسوة الحجرة كحكم بيع كسوة الكعبة، وقد اختلف العلماء في ذلك قديماً، وفي المسألة عندنا وجهان.

وقال الحافظ صلاح الدين خليل العلائي[1]: إنه لا يتردد في جواز ذلك الآن، لأنَّ وقف الإمام للضيعة المتقدمة على الكسوة كان بعد استقرار هذه العادة والعلم بها، فينزل الواقف عليها[2]، انتهى والله أعلم.

---

(١) خ: العلان، وهو خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي المتوفى سنة ٧٦١هـ، انظر: بروكلمان ٢/ ٦٤ وملحقه ٢/ ٦٨ ومعجم المؤلفين ٤/ ١٢٦ مع مصادر ترجمته.

(٢) نقلاً من شفاء الغرام ١/ ١٢٦.

الفصل الخامس والعشرون
في قناديل الذهب والفضة التي تُعَلّق حول الحجرة الشريفة وغيرها من معاليقها

اعلم أني لم أرَ في كلام أحدٍ ذكرَ ابتداء حدوث ذلك، إلا أنَّ ابن النجار قال ما لفظه: وفي سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رأس الزُّوَّار إذا وقفوا مُعَلَّقٌ نيفٌ وأربعون قنديلاً كباراً وصغاراً من الفضة المنقوشة والساذجة، وفيها[1] اثنان بِلَّوْر، وواحد ذهب، وفيها قمرٌ من فضة مغموس في الذهب، وهذه تُنفَذُ من البلدان من الملوك وأرباب الحشمة والأموال[2]، انتهى.

قلت: واستمر عمل الملوك وأرباب الحشمة إلى زماننا هذا على الإهداء إلى الحجرة الشريفة قناديل الذهب والفضة.

ورأيت بخط شيخنا العلامة ناصر الدين العثماني[3] أشياء نَقَلَها من خط قاضي طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح[4] يتضمن ما كان يَرِدُ في كلٍّ سنة من ذلك، فذكر في سنةٍ خمسةَ عشرَ قنديلاً، وفي أخرى ثلاثة عشر، وفي أخرى عشرة، وفي أخرى أحد وعشرين.

قلت: وفي زماننا هذا يَرِدُ في غالب السنين ما يزيد على العشرين، ولا

---

(١) خ: وفيه، وهو يريد: وفي القناديل.

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٤.

(٣) هو ناصر الدين أبو الفرج محمد بن أبي بكر بن الحسين القرشي العثماني المراغي، توفي سنة ٨٨٠هـ، انظر: التحفة اللطيفة ٢/ ٤٥٨ والمنجم في المعجم للسيوطي ١٧٩ مع مصادر ترجمته.

(٤) ترجم له السخاوي في التحفة اللطيفة ٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠ ترجمة حسنة وقال: توفي سنة ٨٢٦هـ.

ضابط لذلك، فإنه يرد من نذور من ناس مختلفين، وكأنَّ هذه القناديل كانت إذا كثُرت رَفَعوا بعضها ووضعوه بالحاصل الذي في وسط المسجد، فاجتمع فيه شيء كثير، فاتفق ـ على ما ذكره الحافظ ابن حجر ـ في سنة إحدى عشرة وثمان مئة: أنْ فوَّض السلطان الناصر فرج لحسن بن عجلان سلطنة الحجاز، فاتفق موت ثابت بن نعير، وقررحسن مكانه أخاه عجلان بن نعير المنصوري، فثار عليهم جمَّاز بن هبة بن جماز الجمازي الذي كان أمير المدينة، وأرسل إلى الخدَّام بالمدينة يستدعيهم، فامتنعوا من الحضور إليه، فدخل المسجد الشريف، وأخذ ستارتي باب الحجرة، وطلب من الخدام تسعة آلاف درهم على أن لا يتعرض لحاصل الحرم، فامتنعوا، فضرب شيخهم، وكسر قفل الحاصل[١]، هكذا رأيته في أنباء الغمر للحافظ ابن حجر.

والذي رأيته في محضر عليه خطوطُ غالب أعيان المدينة الشريفة، ما حاصل حاصله: «أنَّ جماز بن هبة المذكور، كان أمير المدينة، فبرزت المراسيم الشريفة بتولية ثابت بن نعير إمرة المدينة وأنْ يكون النظر في جميع الحجاز لحسن بن عجلان، ولم يصل الخبر بذلك إلاَّ بعد وفاة ثابت بن نعير، فأظهر جماز بن هبة الخلاف والعصيان وجمع جموعاً من المفسدين وأباح نَهْبَ[٢] بعض بيوت المدينة، ثم حضر مع جماعة إلى المسجد الشريف، وأهانَ من حضر[٣] من القضاة والمشايخ وشيخ الخدام باليد واللسان، وشهرَ سيفه عليهم، وكسر باب قبة[٤] حاصل الحرم الشريف، وأخذ جميع ما فيها من قناديل الذهب والفضة التي تُحْمَل على تعاقب السنين من سائر الآفاق تقرباً إلى الله ورسوله وأشياء نفيسة وختمات شريفةً وزيتَ المصابيح وشموعَ التراويح وأكفان ودراهم يوارى بها الطرحاء، وقطع مكاتيب الأوقاف وغَسَلها، وقصد الحجرة الشريفة، وأحضر السلَّم لإنزال

(١) أنباء الغمر ٢/ ٤٠٣، ٤٣٦ وقُتلَ جماز في سنة ٨١٢هـ والتحفة اللطيفة ٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.
(٢) ش: المفسدين وانهب بعض بيوت. . . '.
(٣) ص: حضر معه.
(٤) ص: القبة.

كسوة الضريح الشريف والقناديل المعلقة حوله، فلم يُقَدَّرْ له ذلك ومنعه الله منه، وأخذ ستر أبواب الحجرة الشريفة من خزانة الخدام، وتعطَّل في ذلك اليوم وليلته والذي يليها المسجدُ الشريفُ من الأذان والإقامة والجماعة، وأخذ جماعته وأقاربه في نهب بيوت الناس ومصادرتهم، وأخذ جمال السواني، وارتحل هارباً عقب ذلك، ولما اتصل بحسن بن عجلان ما فُوِّض إليه من أمر الحجاز استدعى بعجلان بن نعير وأقامه في إمرة المدينة، وعرَّفه ما برزت به المراسيم أولاً في ولاية أخيه» انتهى.

وذكر الحافظ ابن حجر: أنه أخذ من الحاصل أحد عشر خوشخاناً[(١)] وصندوقين كبيرين وصندوقاً صغيراً بما في ذلك من المال، وخمسة آلاف شقة من البطائن، وصادر بعض الخدام، ونزح عنها، فدخل عجلان بن نعير ومعه آل منصور فنوديَ بالأمان، ثم قدم عقبه أحمد بن حسن بن عجلان ومعه عسكر[(٢)]، يعني: من مكة.

قلت: ورأيت بخط شيخنا العلامة ناصر الدين المراغي[(٣)] قائمةً ذكر أنه نقلها من خط قاضي طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح[(٤)]، صورتها: الذي كان في القبة وأخذه جماز بن هبة، هو: من القناديل الفضة ثلاثة وعشرون قنطاراً وثلثِ قنطار، غير الذي في الرفوف، والصندوقين الذهب، ثم ذكر تفصيل ذلك في ثمانِ عشرة ورقة[(٥)].

ثم كتب ما صورته: خوشخانة مختومة لم تُفْتَح، والظاهر أنها ذهب، وزنة

---

(١) في أنباء الغمر ٢/٤٠٣: «حوائج خاناه» وخوشخاناه كلمة فارسية تعني: صندوقاً أو ما يشبهه، دوزي:

Supplement aux Dictionnaires Arabes, Leiden 1967, 1/412.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هو العثماني المراغي، وقد سبقت ترجمته.

(٤) سبق أن ذكرت أن السخاوي ترجم له في **التحفة اللطيفة** ٢/١٤٩ ـ ١٥٠ ترجمة حسنة.

(٥) ص، خ، ش، م٢: وزنة.

القناديل التي في الرفوف أربع قناطير إلاَّ ثلث، وتسعة[1] قناديل ذهب بالعدد في صندوق، وصندوق صغير مقفول[2]، انتهى.

وبلغنا أنه دفن غالب ذلك، ثم أخذه الله أخذاً وَبيلاً فقُتِلَ هو ومن اطَّلَع معه على دفن ذلك، فلم يُعلم مكانه إلى اليوم.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر قَتْلَه في سنة اثنتي عشرة وثمان مئة، فقال: وفيها قُتل جماز بن هبة بن منصور الحسيني أميـر المدينة، وقد كان أخذ حاصل المدينة ونزح عنها، فلم يُمْهَل وقُتل في حرب جرت بينه وبين أعدائه[3]، انتهى.

قلت: إنما بيَّتَه بعض عرب مطير فاغتاله وهو نائم.

ورأيت في القائمة المتقدم ذكرها التي نقلها شيخنا المتقدم ذكره ما صورته: «وزن[4] ما في الحجرة من قناديل الذهب تسع قناطير[5]، وورد بعد ذلك من أم السلطان قنديل زنته ألف مثقال، وورد من أخت السلطان قنديل زنته ألف وخمس مئة، وأربع قناديل كبار؛ في الواحد منهم أربعة صغار، وفي الثاني اثنان صغار، وفي الثالث عدة قناديل معفوسة[6]، وفي الرابع قنديل، زنة الجميع ثلاثة آلاف وسبع مئة وعشرون مثقالاً، وعلى يد الطواشي صندل قنديلان[7] صغار، وعُلِّق بعد ذلك عدة قناديل لم تُكتَب» انتهى.

والظاهر أنه سقط بعد قوله: "من قناديل الذهب"، لفظ: "والفضة".

وفي هذه القائمة أيضاً: «أنَّ بالقبة ـ يعني: بعد قصة جماز المتقدمة ـ من قناديل الفضة مئة رطل وسبعة عشر رطلاً، وضعها بيسق[8] بيده»، انتهى.

---

(١) ش، خ، ص: تسع.
(٢) صوابه: مقفل.
(٣) أنباء الغمر ٢/٤٣٦.
(٤) سقطت من م٢.
(٥) م٢: تسع قناديل.
(٦) يريد: سبق استعمالها فهي ليست جديدة.
(٧) في الأصول: قنديلين.
(٨) بيسق بن عبد الله الشيخي الظاهري أمير حاج المحمل، توفي بطالاً سنة ٨٢١هـ، الدليل الشافي ١/٢١٠.

ثم أنَ الأمير غرير بن هيازع بن هبة الحسيني الجمازي أخذ جانباً من الحاصل المذكور سنة أربع وعشرين وثمان مئة زاعماً أنه على سبيل القرض وامتُحِنَ بعض قضاة المدينة بسبب ذلك، ثم حُمل غرير المذكور إلى القاهرة محتفظاً به ومات بها مسجوناً[1].

ولم تزل هذه القناديل في زيادة حتى عدا عليها في ليلة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ستين وثمان مئة برغوث بن بتير بن جريس الحسيني[2]، فدخل الدارَ المعروفة بدار الشباك، بجانب باب الرحمة ليلاً، ولم يكن بها ساكن، وتسَوَّرَ جدار المسجد، ودخل بين سقفي المسجد الشريف من شباك هناك، ومشى حتى بلغ ما يحاذي سقف الحجرة الشريفة، فأخذ من تلك القناديل شيئاً كثيراً، وكأنه تردَّدَ لذلك المرة بعد الأخرى، ولم يشعر أهل المسجد ونظَّاره بشيء من ذلك، غيرَ أنَّ أمَةً لبعض جيران الدار المذكورة رأت من سطح دارهم شخصين في أعلى دار الشباك يتعاطيان شيئاً له حجمٌ كبير وصوتُ صليلٍ، فلما أصبحت أخبرت بَوَّاب المسجد فلم يعبأ بذلك لخلوِّ تلك الدار، وبُعْدِ ذلك عن الأفكار.

ولكنَّ الله أراد هتك المذكور وحلول النقمة به، فأنهى بعضُ الناس إلى أمير المدينة أن المذكور معه شيء كثير من المال غير معهود، فأمسكه الأمير وضيَّقَ عليه بالسجن، فانخلسَ ليلاً، ثم شاع بالمدينة بيع سبائك من الفضة والذهب، فكثر القال والقيل، ثم في شهر ربيع الأول من سنة إحدى وستين استفاض أنَّ برغوثاً بالينبع ومعه قطع من ذهب القناديل، فافتقد النظار[3] الحجرة الشريفة، فرأوا أكثر القناديل مأخوذاً، فعلموا الحال، لكن لم يعلموا الكيفية، واتُّهِمَت ابنة السراج النفطي[4] بممالأة برغوث على ذلك، وأنه إنما تسوَّر من بيت أبيها لكونه

---

(١) ترجم له ابن حجر في إنباء الغمر بأنباء العمر ٣/ ٢٩٠ وقال: في حوادث سنة ٨٢٥ هـ: «فقبض عليه في ذي الحجة وأُحضر صحبة الركب إلى مصر فاعتُقِل بالقلعة فمات بعد ثمانية عشر يوماً».

(٢) ترجم له السخاوي في التحفة اللطيفة ١/ ٢١٢ ترجمة قصيرة قال فيها: «فشنق في شعبان سنة ٨٦١».

(٣) خ: الناظر.

(٤) هو سراج الدين عمر بن أحمد بن محمد بن أحمد النفطي المتوفى سنة ٨٨٥هـ، قال السخاوي في التحفة اللطيفة ٢/ ٣٣٢: «اعتمده السيد السمهودي في كثير مما شاهده أو تلقاه عن من يوثق به».

متصلاً بالمسجد من قبلتـه، وأظهر الله براءتها بعد ذلك.

وكان بالمدينة إذ ذاك زين الدين استاذدار الصحبة[1]، فعقد مجلساً لذلك، واجتمع أعيان أهل المدينة، وكتبوا إلى أميرالينبع بالقبض على برغوث وإرساله، فقبض عليه فاعترف أنه فَعَل ذلك هو ودبوس بن سعد الحسيني الطفيلي[2]، وجعل أنَّ دخوله من بيت المرأة المتقدم ذكرها، وأنَّ بعض الخدام واطأهُ على ذلك، ثم أظهر الله الحقَ، وأن دخوله إنما كان من دار الشباك، وأنَّ شريكه المُعِينَ له على ذلك دبوس المذكور، ولم يرَ أميرُ ينبع إرساله إلى المدينة، بل تركه عنده منتظراً الأوامر السلطانية، ثم[3] إنَّ أمير ينبع[4] أمسك دبوساً وبعض أقاربه، فأنكر هو وأقرَّ عليه بعض جماعته وأحضروا جانباً من الذهب والفضة، ثم هرب برغوث من الحبس بالينبع، ثم ساقه الله إلى المدينة، فلما وصل دُلَّ عليه أميرها، فأمسكه وحبسه مع دبوس وذويه، فهربوا، ثم أظفر الله بهم، ولم يغب منهم إلا دبوس، وبرزت المراسيم بقتل من تَجَرَّأ على هذه العظيمة، فقَتلَ أمير المدينة برغوثاً وآخر معه من أقاربه يسمى: ركاباً[5]، وصلبهما، ثم ظفر بدبوس وقتله أيضاً.

وأُخْبِرتُ عن برغوث أنه قال: كنت كلما توجَّهت في حال هَرَبي لغير جهة المدينة كأني أجدُ من يصدُّني عن ذلك، وإذا قصدت جهة المدينة تيسرت لي، وكأنَّ شخصاً يَقُودُني إليها حتى دخلتها.

وأما عدة القناديل الموجودة في زماننا هذا بالحجرة الشريفة فقد ضُبِطت في أول سنة إحدى وثمانين وثمان مئة بامر السلطان الأشرف لشيخ الحرم الأمير إينال[6]

---

(١) جاء إلى المدينة منفياً، انظر: **بدائع الزهور** لابن إياس ٢/ ٣٣٤، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٨٤.

(٢) ترجم له السخـاوي في **التحفة اللطيفة** ١/ ٣٣١، وقال: قتله أمير المدينة سنة ٨٦٢هـ تحت جبـل عير.

(٣) خ: حتى.

(٤) خ، ش، ص: المدينة.

(٥) **التحفة اللطيفة** ٢/ ٣٥٠، قُتِل سنة ٨٦١هـ.

(٦) هو إينال شيخ الإسحاقي الظاهري جقمق، ولي مشيخة الخدام بالمدينة عقب مرجان التقوي وتوفي سنة ٨٨٦هـ بالمدينة، انظر: **التحفة اللطيفة** ١/ ٢٠٧ و**الضوء اللامع** ٢/ ٣٢٦.

والقضائي الزكوي[1]، فكان عدة معاليق الذهب ثمانية عشر قنديلاً وبعض قنديل، وأربع مشنات، ومغرافان وسواران، وزنة ذلك سبعة آلاف قفلة وست مئة وخمسة وثلاثون؛ من ذلك قنديل كبير في جهة الوجه الشريف زنته أربعة آلاف وست مئة قفلة، أهداه سلطان الكلبرجه[2] شهاب الدين أحمد[3].

وعدة معاليق الفضة ثلاث مئة قنديل وأربعة وأربعون قنديلاً، وثريا كبيرة؛ زنة ذلك ستة وأربعون ألف قفلة وأربع مئة وخمسة وثلاثون قفلة، وكانت ضُبِطت قبل ذلك في سنة اثنتين وستين وثمان مئة على يد الأمير برد بك التاجي[4]، فتحرر من النظر بين المقدارين أنَّ الزائد على ما ضُبِط في التاريخ المتقدم من الذهب ألف قفلة ومئة وخمسة وخمسون، ومن الفضة ثلاثة عشر ألف قفلة وسبع مئة وخمسة وثمانون قفلة، فذلك القدر هو الوارد من عام ثلاثة[5] وستين إلى آخر عام تسعة[6] وسبعين.

وهناك من المعاليق أيضاً غير ما تقدم قنديل من بلور بتابوت من فضة، وقناديل نحاس أربعة، وفولاذ واحد مُكَفَّت بالذهب، مشبَّك مكتوب عليه: أنَّ الناصر محمد بن قلاوون عَلَّقَه من يده، أي: عام حجه[7].

---

(١) هو زكي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح، **التحفة اللطيفة** ٢/ ٥١٥ ـ ٥١٦، قتله الأشراف في ثالث ذي الحجة سنة ٨٨٢هـ، **التحفة اللطيفة** ١/ ٣١ **وبدائع الزهور** ٣/ ١٤٥.

(٢) كتبت في الأصول بأشكال مختلفة، والكلبرجه: تعني الشجرة ذات الورد، وقد كانت عاصمة السلاطين البهمنية في مقاطعة الدكن، وكان السلطان فيروز البهمني أولهم وثانيهم السلطان أحمد، وقد تناول المقريزي تاريخها وأسماء سلاطينها وسلاطين دله (دلهي) باختصار في **السلوك** ج٤، ق٢/ ٧٧٣ ـ ٧٧٥.

(٣) هو شهاب الدين أحمد شاه بن أحمد بن حسن شاه بن بهمن سلطان كلبركه،كما في **إنباء الغمر بأنباء العمر** لابن حجر ٣/ ٥٥٥، وقد توفي سنة ٨٣٨ هـ، **والسلوك** للمقريزي ج٤، ق٢/ ٩٥٣.

(٤) ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ١/ ٢١٢ ترجمة قصيرة وقال: "كان معماراً أيام الظاهر جقمق".

(٥) في الأصول: ثلاث.

(٦) في الأصول: تسع.

(٧) الجملة: "مكفت بالذهب... عام حجه" وردت في ص فقط، بيد أن جملةً شبيهة بها وردت في=

ثم ورد في سنة ثمانين في مشيخة الشيخ إينال ـ ولم يدخل في الجملة المتقدمة ـ قنديلان من الذهب زنتهما مئة وخمسة وعشرون قفلة، ومن الفضة اثنان وثلاثون قنديلاً زنتها ألف ومئتان وخمسة وسبعون قفلة.

وفي سنة إحدى وثمانين قنديل ذهب زنته مئة واثنان وأربعون قفلة، وأربعة وعشرون قنديلاً من الفضة زنتها تسع مئة وخمسون قفلة.

وفي سنة اثنتين وثمانين، من الفضة أحد وثلاثون قنديلاً زنتها ألف وخمس مئة وخمسون قفلة، ولم يرد شيء من الذهب.

وفي سنة ثلاث وثمانين، من الذهب قنديل واحد زنته عشرون قفلة، ومن الفضة خمسة وعشرون قنديلاً زنتها ألف ومئة وخمسة وثلاثون قفلة.

وفي سنة أربع وثمانين من الفضة تسعة عشر قنديلاً زنتها سبع مئة وخمسة وأربعون قفلة، ولم يرد شيء من الذهب.

فجملة ما ورد في ولاية الأمير إينال في المدة المذكورة من الذهب أربعة قناديل جملة زنتها مئتان وسبعة وثمانون قفلة، ومن الفضة مئة قنديل وتسعة وعشرون قنديلاً؛ جملة وزنها خمسة آلاف وست مئة وخمسة وخمسون قفلة.

ولما شرعوا في عمارة الحجرة الشريفة ـ الآتي ذكرها ـ في سنة إحدى وثمانين وثمان مئة، رفعوا جميع المعاليق التي كانت حولها، ووضعت بالقبة التي بصحن المسجد بأمر متولي العمارة: الجناب الشمسي[1]، ولم تزل بها إلى تاريخه.

= الخلاصة ٣٠١ وهي: «ومن أحسن ما رأيت من معاليق الحجرة قنديلاً من فولاذ كبيراً حسن التكوين مخرمًا مكفتاً بذهب يضيء إذا أسرج فيه وعليه مكتوب: أنَّ الناصر محمد بن قلاوون علقه بيده هناك، وكان بالقبة، فعلقه الشجاعي شاهين الجمالي قبالة المصلى النبوي»، والظاهر أنَّ أحد القراء نقل معناها من الخلاصة واثبته في حاشية النسخة التي نُقلت ص منها، أو أنها من زيادات السمهودي نفسه.

(١) يريد: ابن الزمن.

ولم يكن اليوم حول الحجرة الشريفة من المعاليق إلا ما تجده في آخر سنة إحدى وثمانين إلى آخر سنة أربع وثمانين.

ثم حَسَّنَ متولي العمارة للسلطان صرف ذلك في مصالح المسجد والمدينة الشريفة، فَحَمَل بعضَهُ من الحاصل المذكور إلى مصر قبيل الحريق الثاني.

ثم وجدوا ما سقط بسبب الحريق من القناديل التي كانت معلقة بحالها، ثم صرف متولي العمارة بعضَ ذلك في تذهيب السقف المُعاد بعد الحريق.

ثم وُضِع بهذه القبة ما تَجَمَّد[(١)] من مصاريف حب السماط المجدد، فاجتمع بها نحو ثلاثة عشر ألف دينار، فاتفق أنَّ أمير المدينة حسن بن زبيري[(٢)] المنصوري حضر بجماعة مع الاستعداد بالأسلحة والسيوف المسلولة، فدخل المسجد الشريف على تلك الحالة وقت الظهر من سادس ربيع الأول عام أحد وتسع مئة[(٣)]، وأمر خازندار[(٤)] الحرم الشريف بإحضار مفاتيح الحاصل المذكور، فامتنع من ذلك، فضربه ضرباً مُبَرِّحاً، ثم عمد إلى باب الحاصل المذكور وأحضر فأساً وكسره وأخذ جميع ما فيه من النقد والقناديل والسبائك، فحمل منه ثلاثة أحمال على فرسين وبغل، وغرائر تسع[(٥)] على ظهور الحمالين، ثم ذهب إلى حصنه وأحضر الصُّياغ وسَبَك تلك القناديل[(٦)].

وذكر أنه صنع ذلك رغبةً عن إمرة المدينة، لأنَّ ولايته كانت بطريق النيابة عن السيد الشريف محمد بن بركات لتفويض السلطان الأشرف إليه أمر الحجاز، وأنَّ المشار إليه صار يأخذ حصته مما يُحمل له من الإقطاع ومن الصدقات، وعَطَّل عليه أهل مصر بعض إقطاعه، فحمله ذلك على ما سبق.

---

(١) خ: ش: يحمل؛ ص: تجد.

(٢) ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ١/ ٢٧٦ وذكر الخبر بكامله.

(٣) ش، م١: عام أحد وسبعماية.

(٤) م٢: وامر جات بواب الحرم.

(٥) ش: وغرا يؤسع.

(٦) وهذا من إضافات السمهودي بعد الانتهاء من تصنيف الكتاب في سنة ٨٨٦هـ واضافاته في سنة ٨٨٨هـ.

وأما حكم هذه المعاليق ونحوها من تحلية الصندوق المتقدم ذكره والقائم الذي بأعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة وتحليتها، وقد تكلَّـم السبكي[1] في حكم قناديل الكعبة وحليتها والقناديل التي حول الحجرة الشريفة، وألَّف في ذلك كتاباً سَمَّـاه: **تَنَزُّل السكينة على قناديل المدينة**، فأورد حديث البخاري وغيره في كنز الكعبة وما تضمنه من إقرار النبي ﷺ له بمحله، ثم أبي بكر بعده، ورجوع عمر رضي الله عنه لذلك، لَمَّا ذَكَّرَه به شيبة[2]، وقال: "هما المرآنِ يُقتَدى بهما"[3].

فهذا الحديث عمدة في مال الكعبة، وهو ما يُهدى إليها أو ما يُنذر لها[4] وما يوجد فيها من الأموال.

قال ابن بطَّال: أراد عمر إنفاقه في منافع المسلمين، ثم لما ذكر أن النبي ﷺ لم يتعرض له أمسك، وإنما ترك ذلك ـ والله أعلم ـ لأنَّ ما جعل في الكعبة وسُبِّلَ لها يجري مجرى الأوقاف، فلا يجوز تغييره عن وجهه، وفي ذلك تعظيمٌ للإسلام وترهيبٌ للعدو[5].

قلت: قد تَعَقَّب ذلك الحافظ ابنُ حجر باحتمال: أن يكون النبي ﷺ إنما تركه رعايةً لقلوب قريش، كما ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، ويؤيده ما وقع عند مسلم في بعض طرق حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه: "لولا أنَّ قومك حديثوا عهدٍ بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض"، الحديثَ[6]، فهذا التعليل هو المعتمد[7].

قلت: لكن قد يقال: حيث تركه النبي ﷺ لهذه العلة ثم تركه أبو بكر ثم عمر

---

(١) هو تقي الدين السبكي والد تاج الدين عبد الوهاب السبكي صاحب **طبقات الشافية الكبرى**.

(٢) هو شيبة بن عثمان الحجبي.

(٣) نقلاً من **المغانم المطابة** ص٥٣٤ وما بعدها عن كتاب السبكي، وجاء في **فتح الباري** ٣/ ٤٥٦، «هما المرآن أقتدي بهما»، وأورد ابن حجر رواية «هما المرآن يقتدى بهما» على بناء الفعل للمجهول من رواية ابن مهدي ١٣/ ٢٤٩.

(٤) هذا قول التقي السبكي كما ورد في **فتح الباري** ٣/ ٤٥٧.

(٥) نقلاً من **المغانم المطابة** ص٥٣٥ وانظر: **فتح الباري** ٣/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

(٦) **فتح الباري** ٣/ ٤٣٩، ١٣/ ٢٢٥ وصحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ٩٩.

(٧) **فتح الباري** ١٣/ ٤٥٧.

بعد الهمِّ به ورجوعه عن ذلك ثم مَن بعده، فهو إجماع على تركه، فلا نتعرض نحن له، لِمَا يترتب عليه من الشناعة، والله أعلم.

قال السبكي: ولا يغلط في أنَّ ذلك يُصرف إلى فقراء الحرم، فإنما يكون ذلك إذا كان الإهداء إلى الحرم أو إلى مكة، أما إذا كان للكعبة نفسها فلا يُصرف إلاَّ إليها، كأنْ تعرض لها عمارة فحينئذ ينظر: فإنْ كانت تلك الأموال قد أُرصدت لذلك صُرِفَت فيه وإلاَّ فيختص بها الوجه الذي أُرْصِد له، فالمُرصَد للبخور مثلاً لا يُصرف للسترة.

قال: وأما القناديل التي فيها والصفائح التي عليها فلا يُصرف منها شيء، بل تبقى على حالها، وقول عمر: "لقد هممت أنْ لا أدَعَ فيها صفراء ولا بيضاء"[١] محتمل للنوعين، ولم ينقل إلينا صفتها التي كانت ذلك الوقت، ومن قال: أول من ذهَّب البيت في الإسلام الوليد، لا ينفي أنْ يكون البيت ذُهِّبَ في الجاهلية، وبقي إلى عهد عمر[٢].

قلت: قد نقل التقي الفاسي عن خط الحافظ رشيد الدين ابن المنذري[٣] في اختصاره لـ: **تاريخ المسبحي** ما لفظه: وفيها ـ أي: في سنة خمس وستين[٤] ـ استتم ابن الزبير بناء الكعبة، ويقال: إنه بناها بالرصاص المذوَّب المخلوط بالورس، وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب ومفاتيحها ذهباً[٥]، انتهى.

فإنْ صَحَّ فهو أولى ما يُحْتَجُّ به.

ثم نقل السبكي[٦] عن الرافعي، أنه قال: لا يجوز تحلية الكعبة بالذهب

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٤٥٦.

(٢) كل ما سبق نقله السمهودي باختصار من **المغانم المطابة** ص٥٣٥ وما بعدها عن السبكي.

(٣) هو أبو بكر محمد بن عبد العظيم المنذري المتوفى سنة ٦٤٣هـ، انظر: **سير أعلام النبلاء** ٢٣/ ٢١٨ مع مصادر ترجمته.

(٤) **فتح الباري** ٣/ ٤٤٥.

(٥) انظر: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ١/ ٩٨ حيث ورد قسم من الخبر، و**أخبار مكة** للأزرقي ١/ ٢١٢.

(٦) كل ما بعد هذا منقول من **المغانم المطابة** عن كتاب السبكي الآتي ذكره في الحاشية.

والفضة وتعليق قناديلها؛ ثم نقل: أنَّ في تحلية الكعبة والمساجد بالذهب والفضة وتعليق قناديلها وجهين مرويين في **الحاوي** وغيره:

أحدهما: الجواز، تعظيماً كما في المصحف، وكما يجوز سَتْر الكعبة بالديباج.

وأظهرهما: المنع، إذ لم ينقل ذلك عن فعل السلف.

ثم استشكل كلام الرافعي، فقال: وأما التسوية بين الكعبة والمساجد فلا ينبغي، لأنَّ للكعبة من التعظيم ما ليس للمساجد، بدليل جواز سَتْرها بالحرير إجماعاً، وفي سَتر المساجد به خلاف، فحكاية الخلاف فيها مشكل، وترجيح المنع أشكل، وكيف وقد فُعل ذلك في صدر هذه الأمة، وقد تولى عمر بن عبد العزيز عمارة مسجد رسول الله ﷺ عن الوليد وذَهَّبَ سقفه بأمره من غير مراجعة، بل لما ولي الخلافة بعد ذلك أراد أن يُزيل ما في جامع بني أميّة من الذهب فقيل لـه: إنـه لا يتحصل منه شيء يقوم بأجرة حَكِّه، فتركه[1].

والصفائح التي على الكعبة يتحصل منها شيء كثير، فلو كان فعلها حراماً لأزالها في خلافته، فلما تركها ومعه جميع من يحجُّ كلَّ عام، وجب القطع بجوازها، وهذا في تحلية الكعبة بالصفائح، ولا مَنْعَ من جريان الخلاف في التمويه لإزالة المالية، ولا من إجراء الخلاف في سائر المساجد تمويهاً وتحلية[2].

على أن القاضي حسين[3] جَزَم بِحَلِّ تحلية المسجد بالقناديل من الذهب ونحوها، وأنَّ حكمها حكم الحلي المباح، وهذا أرجح مما قال الرافعي، لأنه ليس على تحريمها دليل، والحرام من الذهب إنما هو استعمال الذكور له، والأكل والشرب ونحوها، وليس في تحلية المسجد بالقناديل ونحوها شيء من ذلك،

---

(١) فتح الباري ٣/ ٤٥٧.

(٢) اختصر السمهودي مناقشات ابن حجر في فتح الباري ٣/ ٤٥٧ وما بعدها.

(٣) هو حسين بن محمد بن أحمد، شيخ الشافعية بخراسان، أبو علي المروذي شيخ البغوي، توفي سنة ٤٦٢هـ، انظر: **سير أعلام النبلاء** ١٨/ ٢٦٠ مع مصادر ترجمته.

لكن لا أقول إنه ينتهي إلى حَدِّ القُربة في سائر المساجد[١].

وتعليل الرافعي لما قاله: بأنَّ ذلك لم يُنْقَل عن فعل السلف عجيب! إذ لا يقتضي ذلك التحريم، ومن حرَّم اتِّخاذ الآنية ـ وهو الأصحُّ ـ فإنما حرَّمه لأنَّ النفس تدعو إلى الاستعمال المحرَّم، وذلك إذا كانت له، وأما إذا جعلها للمسجد فلا تدعو النفس لذلك، فكيف يُحرَّم وهي لا تسمى أواني؟[٢]

قال: ورأيت الحنابلة قالوا بتحريمها للمسجد، وجعلوها من الأواني أو مَقِيسَة عليها، وليس بصحيح[٣].

ومن يقول بجواز التحلية والقناديل في سائر المساجد، فلا شكَّ أنه يقول بها في المساجد الثلاثة بطريق الأَوْلَى، ومن منع فلم يصرح في المساجد الثلاثة بشيء، لكن عموم كلامهم يشملها، وينبغي ترتيبُ الخلاف: ففي المساجد غير الثلاثة وجهان أصحهما الجواز، ومسجد بيت المقدس أولى بالجواز، والمسجدان: مسجد مكة ومسجد المدينة أولى منه ثم المسجدان على الخلاف في تفضيلهما، وقد يقال إنَّ مسجد المدينة أولى[٤] لمجاورة النبي ﷺ وقصد تعظيمه بما في مسجده من ذلك، وهذا كله بُحِث، والمنقول ما تقدم.

وهذا في الاتخاذ من غير وَقْفٍ، فإنْ وَقَفَ المتخذ من ذلك فقد قطع القاضي حسين والرافعي بأنه لا زكاة فيه، وقد رجَّحَ الرافعي فيها التحريم، فكيف يُرجِّح ذلك؟ إذ مقتضاه صحة وقفها، فلعل مراد الرافعي: إذا وقفت على قصد صحيح وإذا فَرَّعْنَا على صحة وقفها.

قال: وهذا حكم المساجد في ذلك، وأما الحجرة الشريفة فتعليق القناديل فيها أمرٌ معتاد من زمان، ولا شك أنها أولى بذلك من غيرها، والذين ذكروا

---

(١) نقلاً من المغانم المطابة ص٥٣٧.
(٢) هذا تعليل الفيروزأبادي في المغانم المطابة ص٥٣٧.
(٣) نقلاً من المصدر نفسه ص٥٣٨.
(٤) خ: "منه ثم المساجد غير الثلاثة ثم المسجدان على الخلاف في تفضيلهما".

الخلاف في المساجد لم يذكروها؛ وكم من عالم صالح قد أتى للزيارة ولم يحصل من أحدٍ إنكارٌ لذلك.

فهذا وحده كافٍ في جواز ذلك مع ما تقدم واستقراء الأدلة، فلم يوجد فيها ما يدل على المنع.

قال: فنحن نقطع بالجواز، والحجرة الشريفة هي بيت عائشة وما حوله، وأشار إلى بيان أنَّ ما حوله إما منه أو من بقية الحُجَر المُدْخَلة في المسجد.

قال: والمدفن الشريف بالحجرة له شرف على جميع المساجد وعلى الكعبة، فلا يلزم من المنع في المساجد والكعبة المنع هنا.

قال: ولم نرَ أحداً قال بالمنع هنا، فما وقف من ذلك إكراماً لذلك المكان صَحَّ وقفه، وإن اقتصر على إهدائه صَحَّ أيضاً كالمُهْدى للكعبة، وكذلك المنذور له، وقد يزاد هنا فيقال: إنه مستحقٌ للنبي ﷺ والنبي ﷺ حيٌّ، وإنما يحكم بانقطاع ملكه بموته عما كان في ملكه وجعله صدقة بعده.

وأما هذا النوع فلا يمتنع ملكه له، وهو الذي في أذهان كثير من الناس حيث يقولون: هذا للنبي ﷺ[1].

ثم أورد ما رواه يحيى بن الحسين بسنده من الخبر الآتي في إجمار المسجد عن عبد الله بن محمد بن عمار عن أبيه عن جده، قال: أُتيَ عمر بن الخطاب بِمِجْمَرة من فضة فيها تماثيل، فدفعها إلى سعدٍ؛ جَدِّ[2] المؤذنين، وقال: أجمر بها في الجمعة وفي شهر رمضان، فكان سعد يُجْمِرُ بها بين يدي عمر بن الخطاب، الخبر الآتي.

ثم قال: عبد الله بن محمد بن عمار بن سعد القرظ ضعَّفَه ابن معين[3]، وكذا الراوي عنه، ومحمد بن عمار حَسَّنَ له الترمذي، فلو سَلِمَ ممن دونه كان جيداً.

---

(١) كل هذه المناقشات لخصها الفيروزأبادي في المغانم المطابة ص٥٣٤ ـ ٥٤٤ من كتاب تنزيل السكينة على قناديل المدينة لعلي بن عبد الكافي السبكي ومنه نقل السمهودي.

(٢) في الأصول: أحد، وهو سعد بن عائذ، انظر عنه الإصابة ٢/ ٢٩ وقد توارث عنه بنوه الأذان.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ٤٩٠.

ومقتضى اشتراط الفقهاء الاحتواء في المجمرة عدم تحريم هذا الصنيع، لكنَّ العرف دالٌّ على عدِّ ذلك استعمالاً، فإما أنْ يكون الحديث ضعيفاً، وإما أنْ يكون احتمل ذلك لأجل المسجد تعظيماً له، فتكون القناديل بطريق الأَوْلَى، إذ لا استعمال فيها.

قال: ولا يجوز صرف شيء من قناديل الحجرة في عمارتها، ولا في عمارة المسجد، لأنها إنما أُعِدَّتْ للبقاء، وليس قصد صاحبها إلاَّ ذلك، سواء وقفها أو اقتصر على إهدائها.

قال: وقد سُئِلْتُ عن جواز بيعها لعمارة المسجد النبوي، فأنكرته واستقبحته، وكيف يبلغ ملوك الأرض أنَّا بعنا قناديل نبينا لعمارة حرمه ونحن نفديه بأنفسنا فضلاً عن أموالنا؟ وما برحت الملوك يفتخرون بعمارته[1].

قلت: وقد تعقبه جماعة، والمحل قابل للمناقشة، وليس ذلك من غرضنا، غير إنا نقول: ستر الكعبة بالديباج قام عليه الإجماع[2]، وأما التحلية بما ذكر فلم يثبت عن من يُحْتَجُّ بفعله، وترك عمر بن عبد العزيز يحتمل أعذاراً ليس هذا محل بيانها.

وقد نقل الشيخ الموفق[3] الإجماع على تحريم استعمال أواني الذهب، والقناديل من الأواني بلا شك، واستعمال كل شيء بحسبه، فاستعمال ما ذكر بتعليقه للزينة، وقد سلم تحريم اتِّخاذ الآنية[4] منها أيضاً[5].

---

(١) كل ما سبق من مناقشات نقلها السمهودي من المغانم المطابة ص٥٣٦ وما بعدها عن السبكي.

(٢) فتح الباري ٣/ ٤٥٩.

(٣) وهو موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي المتوفى بدمشق سنة ٦٢٠هـ، مؤلف كتاب المغني على مختصر الخرقي وكتاب الروضة في الأصول وغيرهما، انظر: بروكلمان ١/ ٣٩٨ وملحقه ١/ ٦٨٨ ومعجم المؤلفين ٦/ ٣٠ وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٤ مع مصادر ترجمته.

(٤) خ: للابنية.

(٥) نقلاً من فتح الباري ٣/ ٤٥٧ وانظر هذه المناقشات والآراء في فتح الباري ٣/ ٤٥٦ ـ ٤٦٠.

وقد ذكر الجمال الكازروني[1] المدني أشياء أيَّدَ بها كلام السبكي:

منها: أنَّ الله تعالى قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾[2] قال: وهي بيوت النبي ﷺ، قاله مجاهد.

ومعنى "ترفع": تُعَظَّم ويُرفَعُ شأنها وتُزَيَّن، وتزيينها تعليق قناديل الذهب فيها، وتُطَهَّر من الأنجاس والأقذار وتُطيَّب.

قلت: قوله: "ومن تعظيمها تعليق ذلك فيها"، هو محل النزاع، لأنَّ من حَرَّم ذلك لا يسلمه، والله أعلم.

ومنها: أنه روي عن عثمان تعليق قناديل الذهب بالمسجد النبوي.

قلت: ولعله من اختلاق أعدائه عليه، ولم أَرَهُ مسطوراً في تأليف، ولو كان له أصلٌ لذكره مؤرخو المدينة.

ومنها: أنَّ عمر بن عبد العزيز فَعَله في بنيانه للوليد ولم يُنْكَر عليه.

قلت: ولم أره في تأليف أيضاً.

ومنها: أنه روي أن سليمان بن داود عليه السلام بنى مسجد القدس، وبالغ في زينته وتعليق القناديل فيه، وشَرْعُ من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يرد ناسخ.

قلت: ولم يُنْقَل تعليق داود عليه السلام لقناديل الذهب به، ولو صَحَّ ذلك فالناسخ في شرعنا تحريمُ الآنية، وهذا آنية، وما تقدم عن السبكي في كونه ليس بآنية ممنوع[3].

ومنها: ما رواه الثعلبي في حديث إتيان المساجد يوم القيامة، وفيه: "وأئمتها يسوقونها، وعمارها ومزينوها ومحلوها متعلقون بها"، الحديث.

قلت: أخذ ذلك من رواية القرطبي عن الثعلبي ـ كما رأيته في بعض

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن روزبة، جمال الدين الكازروني المتوفى بالمدينة الشريفة سنة ٨٤٣هـ، التحفة اللطيفة ٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥.

(٢) سورة النور ٣٦.

(٣) فتح الباري ٣/ ٤٥٧.

النسخ ـ وقد راجعت القرطبي أيضاً في ذلك فرأيته روى الحديث المذكور من طريق الثعلبي، وليس فيه: "ومزينوها ومحلوها"، بل لفظه: "وعمارها متعلقون بها".

ومنها: ما رواه سعيد بن ربّان ـ بالموحدة المشددة ـ قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أبي هند، قال: حَمل تميمٌ ـ يعني: الداريَّ ـ من الشام إلى المدينة قناديل وزيتاً ومقطاً وقنديلاً أو قنديلين من الذهب، فلما انتهى إلى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة، فأمر غلاماً يقال له: أبو البراد، فقام فبسط المقط وعلق القناديل، وصَبَّ فيها الماء والزيت، وجعل فيها الفُتُلَ، فلما غربت الشمس أمر أبا البراد فأسرجها، وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فإذا هو بها تَزْهَرُ، فقال: من فَعَلَ هذا؟ قالوا: تميم الداري يا رسول الله، قال: نوَّرت الإسلام وحلِّيتَ مسجده، نوَّر الله عليك في الدنيا والآخرة[1]، الحديث.

قلت: قد أخذ ذلك من تفسير القرطبي، كما رأيته في بعض النسخ، وفي بعضها إسقاط عزوه للقرطبي، وقد راجعت تفسير القرطبي فرأيته أورد الحديث المذكور بحروفه، وليس فيه قوله: "وقنديلاً أو قنديلين من الذهب" ولا قوله: "وحليت مسجده".

ومنها: ما رويَ أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل الشام تَلَقَّاه معاوية بعساكر وجنود كثيرة وخيول مسوَّمة وأسلحة مُخَوَّصة بالذهب والفضة ولبوس الحرير والديباج وزينة حسنة كزينة فارس والروم، فقال عمر: ما هذا يا معاوية؟ وما هذه الزينة والفخار؟ لقد أتيتَ أمراً إمراً وارتقيت مرتقى صعباً! فقال: يا أمير المؤمنين هذا غَيْظُ كُفَّارِنا ومَقْهَرةٌ لأعدائنا، وإنَّ فَرَائصهم لترتعد، وإنَّ قوائمهم لَتَخُور من ذلك، وإنا لنجد بذلك المَظْهَرَ عليهم والذلةُ والصَّغَار فيهم، وأشربوا في قلوبهم الرُّعب حين يرون مساجدنا مُحَلَّاة بالذهب وسقوفها مُنَقَّطة

---

(١) انظر: معرفة الصحابة ٣/ ١٩٢، ١٩٣: "عن أبي هريرة قال: أول من أسرج في المسجد تميم الداري"، وأشار المحقق إلى المعجم الكبير للطبراني ٩/ ٣٩٢ ومجمع الزوائد ٩/ ٣٩٢ وتاريخ دمشق لابن عساكر. ٣/ ٢٧٥ عن أبي نعيم، وانظر: الخلاصة ٣٣٣.

بقناديل الذهب. . . الخبر؛ وفيه: أنَّ عمر سكت عنه[1].

قلت: الخبر ذكره المؤرخون، ومثله لا تقوم الحجة به، ولم أرَ فيه الزيادة المتعلقة بتحلية المساجد.

ولقد رأيت في بعض النسخ نسبة ذلك للذهبي في **تاريخ الإسلام**، واسقط العَزْوَ في نسخة أخرى، فليراجع ذلك من **تاريخ الإسلام**، فإنْ لم تكن فيه هذه الزيادة فالذي يظهر لي أنَّ بعض المتعصبين ألحق هذه الأشياء في الروايات المتقدمة ليتـم بهـا الاستدلال، فإنَّ المسألةَ وقع فيها تعصبات، وكأنَّ الجمال الكازروني إنما أراد إفادة أصل وضع القناديل، وذكر ما يُشعر بهذا الأمر، فلما رأى ذلك المتعصب أنَّ الاستدلال لا يتم إلا بذلك ألحقه، ولم يشعر أنه لو كان ذلك موجوداً لم يكن فيه حجة لعدم اتصال السند الصحيح في ذلك.

ومن تأَمَّلَ سيرة النبي ﷺ وأحواله لم يَخْفَ عليه أنَّ كلَّ ذلك لم يكن يعجبه في حياته، هذا الذي أعتقده، والله أعلم.

---

(١) وروى ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ١٣١ خبراً في معناه.

الفصل السادس والعشرون
في الحريق الأوّل القديم المستولي على تلك الزّخارف المُحْدَثة بالحجرة الشريفة والمسجد وسقفهما، وما أُعيد من ذلك وما تَجَدَّدَ من تَوْسِعَة المُسَقَّفِ القِبلي بزيادة الرواقين فيه وغير ذلك

قال المؤرخون: احترق المسجد النبوي لَيلة الجمعة أولَ شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وست مئة، في أوَّل الليل.

ونقل أبو شامة: أنَّ ابتداء حَرقه كان من زاويته الغربية من الشمال[١]، وسبب ذلك ـ كما ذكره أكثرهم ـ أنَّ أبا بكر بن أوحد الفرَّاش ـ أَحَدَ القُوَّام بالمسجد الشريف ـ دخل إلى حاصل المسجد هناك ومعه نار، فغفل عنها إلى أنْ علِقَت في بعض الآلات التي كانت في الحاصل، وأعجزه طفؤها[٢]، ثم احترق الفرَّاش المذكور والحاصل وجميع ما فيه[٣].

وقد صَنَّف القُطب القسطلاني في ذلك وفي النار المتقدم ذكرها ـ في **الفصل الثالث**[٤] من **الباب الثاني** ـ وهي نار الحجاز التي ظهرت بالمدينة الشريفة في ذلك العام كتاباً سمَّاه: **عروة التوثيق في النار والحريق**[٥] ذكر فيه بدائعَ من حكم الله

---

(١) الذيل على الروضتين ١٩٤.

(٢) في الأصول: طفيها، ويقال: طَفِئت النار طُفُوءاً كانطفأت وأطفأتُها فانطفأت.

(٣) نقلاً من المغانم المطابة ص١٧٧ والسطر الأول فقط من كتاب الذيل على الروضتين لأبي شامة ١٩٤ والوفا بما يجب لحضرة المصطفى مخطوطة لايدن ورقة ٩٠ب.

(٤) جاء ذكر النار في الفصل السادس عشر من الباب الثاني، والظاهر أنَّ السمهودي يشير إلى الأصل.

(٥) لم يصل إلينا بعد.

تعالى في حدوث ذلك، وقد كان القطب بمكة حين وقع ذلك، وقد نبَّه فيه على ما يوافق ما قدمناه عن المؤرخين.

فقال: كتب إليَّ الصادق في الخبر، وشافهني من شاهدَ الأثر، أنَّ السبب في حريق المسجد الشريف دخول أحد قَوَمة المسجد في المخزن[1] الذي في الجانب الغربي من اخريات المسجد لاستخراج قناديل لمنائر المسجد، فاستخرج منها ما احتاج إليه، ثم ترك الضوء الذي كان في يده على قفص من أقفاص القناديل وفيه مُشَاقٌ[2] فاشتعل فيه، وبادر لأن يطفئه فغلبه، وعَلِقَ بحُصُرٍ وبُسُطٍ وأقفاص وقصبٍ كان في المخزن، ثم تزايد الالتهاب وتضاعف إلى أنْ علا إلى سقف المسجد[3]، انتهى.

وفي العبر للذهبي: أنَّ حرقه كان من مِسرَجة القُوَّام[4].

قال المؤرخون: ثم دَبَّتْ النار في السقف بسرعة آخذةً قِبلةً، وأعجلت الناس عن إطفائها بعد أنْ نزل أمير المدينة واجتمع معه غالب أهل المدينة فلم يقدروا على قَطعها، وما كان إلاَّ أقلَّ من القليل حتى استولى الحريقُ على جميع سقف المسجد الشريف، واحترق جميعه حتى لم تَبْقَ خشبةٌ واحدةٌ[5].

قلت: لعل مرادهم: لم تبق خشبة كاملة، لما قدَّمناه من مشاهدة بقايا خشبٍ كثيرٍ عند إخراج الهَدْم الذي كان بالحجرة.

قال القطب القسطلاني: وتَلفَ جميعُ ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر النبوي والأبواب والخزائن والشبابيك والمقاصير والصناديق وما اشتملت عليه من كتبٍ وكسوةِ الحُجرة؛ وكان عليها إحدى عشرة ستارة.

---

(١) خ، م١، م٢: في الخزن.

(٢) المشاق جمع مُشاقَة كثُمامة: ما سقط من الشعر أو الإبريسم أو الكتان أو القطن عند المشط، وهي المُشاطة تاج العروس ٧/ ٧٠ والظاهر أن القناديل كانت ملفوفة بها.

(٣) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ورقة ٩٠ب.

(٤) المصدر نفسه ورقة ٩١أ والعبر في خبر من غبر ٣/ ٢٧٢ «حوادث سنة ٦٥٤».

(٥) نقلاً من المغانم المطابة ص١٧٧ وانظر: العبر في خبر من غبر ٣/ ٢٧٢.

ثم ذكر القطب حِكَمَاً لذلك وأسراراً، ككون تلك الزخارف لم تُرضِه ﷺ، وككون القلوب لَمَّا لاحظت المساجد الثلاثة بعين التعظيم، ولا يجوز في ذلك أنْ تَنَزَّلَ فوق قدرها، بل لا بُدَّ أنْ يعتقد أنَّ صفة قهره تعالى وعظمته مستولية على الجميع، فهو الواحد القهار، فوقع الحريق في الكعبة وبيت المقدس قديماً، ثم وقع بهذا المسجد في هذا الزمان عقب ظهور المعجزة العظيمة في ظهور نار الحجاز التي أخبر بها النبي ﷺ وحماية جيرانه منها لَمَّا التجؤا إليه وانطفاؤها عند الوصول إلى حرمه ـ كما سبق ـ.

وربما خطر ببال العوام أنَّ حبس النار عنهم ببركة الجوار موجبٌ لحبسها عنهم في الآخرة؛ فاقتضى الحال التبيين بذلك.

ونظم الأقشهري أبياتاً، مضمونها أنَّ تسليط النار كان على تلك الزخارف المنهيِّ عنها، وأنَّ ما كان حقاً فيبقى، وما كان زوراً فبالنار يُحرق[1].

قال: وأنشدني الحافظ الصالح[2] الشيخ [محمد بن][3] إبراهيم بن محمد الكناني[4] شيخ المؤذنين هو وأبوه، قال: وُجِدَ بعد الحريق في بعض جدران المسجد بيتان وهما:

لـم يَحْتَـرِقْ حـرمُ النبي لـريبـةٍ ... يُخْشَـى عليـه ومـا بـه مـن عـارِ
لكنه أيدي الروافضِ لامَسَتْ ... تلك الرسومَ فَطُهِّرَتْ بالنَّارِ[5]

---

(١) الروضة الفردوسية ورقة ١٥أ: "قلت لما بلغني قول الصرصرى قلت . . ."، وذكر أبياتا من الشعر ذكرها السخاوي في ترجمته في التحفة اللطيفة ٢/ ٤١١ ـ ٤١٢.

(٢) خ: ابن الصالح الشيخ ابراهيم، م٢: الحافظ صالح ابراهيم.

(٣) في الأصول: "الحافظ الصالح ابراهيم بن محمد الكناني"، والزيادة من الروضة الفردوسية ورقة ١٥أ، ونقل السخاوي هذا الخبر والأبيات من الروضة الفردوسية في التحفة اللطيفة ٢/ ٤٠٧.

(٤) في الروضة الفردوسية: "صاحبنا الفاضل الشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم بن مرتضى الكناني رئيس المؤذنين. . ."، وترجم له السخاوي في التحفة اللطيفة ٢/ ٤٠٧ وقال: "مات سنة تسع وعشرين وسبع مئة".

(٥) الروضة الفردوسية ورقة ١٥أ في الحاشية العليا وانظر: نصيحة المشاور وتسلية المجاور ورقة ١١١ب.

قلت: وأوردهما المجد بلفظ:

لَمْ يَحْتَرِقْ حَرَمُ النَّبِي لِحَادِثٍ ... يُخْشَى عَلَيْه وَلاَ دَهَاهُ العَارُ

لكنَّمَا أَيْدِي الرَّوَافِضِ لاَمَسَتْ ... ذَاكَ الجنابَ فَطَهَّرَتْهُ النَّارُ[1]

وأورد بعدهما بيتين آخرين، هما:

قُلْ للروافض بالمدينة ما لَكُمْ ... بقيادكم للذمِّ كلَّ سفيهِ

ما أصبح الحرم الشريف مُحَرَّقاً ... إلاَّ لسبِّكُمُ الصحابةَ فيهِ[2]

قلت: وهذا لأنَّ الاستيلاء على المسجد والمدينة كان في ذلك الزمان للشيعة، وكان القاضي والخطيب منهم، حتى ذكر ابن فرحون: أنَّ أهلَّ السنَّة لم يكن أحدٌ منهم يتظاهر بقراءة كتب أهل السنة[3].

قال المؤرخون: ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثماني، وعدة صناديق كبار متقدمة التاريخ، صنعت ـ يعني: تلك الصناديق ـ بعد الثلاث مئة، وهي باقية إلى اليوم ـ يعني: زمانهم ـ وذلك لكون القبة المذكورة بوسط صحن المسجد وببركة المصحف الشريف العثماني[4].

وكانت عمارة القبة المذكورة ـ على ما ذكره ابن فرحون ـ سنة ستٍ وسبعين وخمس مئة[5].

قالوا: وبقيت سَوَاري المسجد قائمةً كأنها جُذُوع النخل إذا هبَّت الرياح تتمايل، وذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت، ووقع السقف الذي كان

---

(١) المغانم المطابة ص١٧٧:

(٢) المصدر نفسه، وفي حاشية خ كتب الشهابي السمهودي: "وقد نظم بعضهم بيتين:

لله في النار الذي وقعت به ... سرٌّ عن العقلاء لا تخفيه

إذ لا تبقي في فناه بقية ... مما بنته بني أمية فيه".

(٣) نصيحة المشاور وتسلية المجاور ورقة ٩ب.

(٤) نقلاً من المصدر نفسه ورقة ٧أ.

(٥) المصدر نفسه.

على أعلى الحجرة على بيت سقف النبي ﷺ فوقعا جميعاً فوق الحجرة الشريفة وعلى القبور المقدسة[١].

وعبارة الذهبي ـ وتبعه التقي السبكي ـ: فوقع بعضُ سقف الحجرة، وكلُّ ذلك قبل أنْ ينام الناس[٢]، وأصبحوا يوم الجمعة فعزلوا موضعاً للصلاة، وكُتِبَ بذلك للخليفة المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر بالله في شهر رمضان، فوصلت الآلات صحبة الصناع مع ركب العراق في الموسم، وابْتُدِيء بالعمارة أول سنة خمس وخمسين وست مئة.

قال المطري: ولما شرعوا في العمارة قصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور الشريفة فلم يجسروا على ذلك، واتفق رأي صاحب المدينة يومئذ ـ وهو الأمير منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا الحسيني[٣] ـ ورأي أكابر أهل الحرم الشريف من المجاورين والخُدَّام أنْ يُطالع الإمام المستعصم[٤] بذلك ليُفْعَلَ ما يصلُ به أمره، فأرسلوا بذلك، وانتظروا الجواب، فلم يصل إليهم جوابٌ لاشتغال الخليفة وأهل دولته بإزعاج التتار لهم[٥] واستيلائهم على أعمال بغداد في تلك السنة، فتركوا الرَّدمَ على ما كان عليه، ولم ينزل أحدٌ هناك، ولم يتعرضوا له ولا حركوه[٦].

وعبارة المجد الشيرازي: فتركوا الردم على ما كان عليه، ولم يجسر أحدٌ على التعرض لهذه العظيمة التي دون مرامها تزلُّ الأقدام، ولا يتأتَّى من كلِّ أحدٍ باديء بدئه الدخول فيه والإقدام[٧].

---

(١) نقلاً من التعريف للمطري ٢٨.

(٢) العبر في خبر من غبر ٣/ ٢٧٢ «حوادث سنة ٦٥٤».

(٣) ترجم ابن فرحون له في نصيحة المجاور ورقة ١٤٠أ وقال: "أصبح حاكم المدينة في سنة ٦٤٩هـ وتوفي سنة ٦٥٧هـ"، وترجم السخاوي لوالده شيحة بن هاشم بن قاسم، أبي عيسى، ترجمة طويلة وذكر ولده منيف وعيسى جد العياسى، التحفة اللطيفة ١/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨.

(٤) ش، ت: المستعظم، م٢: المعتصم.

(٥) سقطت من ص.

(٦) التعريف ٢٨.

(٧) المغانم المطابة ص١٧٧.

قلت: وقد كنت في تعجُّبٍ عظيمٍ من أهل ذلك الزمان في تركهم لذلك، وألَّفتُ كتاباً سمَّيتُه: **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى**[1] بيَّنت فيه: أنَّ الواجب في سلوك الأدب مع هذا النبي العظيم والقيام بما وجب على الأمة من تعظيمه وتعظيم قبره الشريف هو إزالـةُ ذلك عنه وقَمُّـه من حجرته الشريفة، وقد اتَّفقت العمارة الآتي بيانها.

ولم يكن تأليفي السابق سبباً في شيء من ذلك ـ كما سيأتي بيانه ـ حتى إني لم أُطلع عليه متولي العمارة إلاَّ بعد هدمه لشيء من جدار الحجرة، فلما نقبوا الجدار الظاهر شاهدتُ بين الجدارين في الفضاء الذي خلف الحجرة أمراً مَهُولاً من الهدم الذي خَصَّ ذلك الموضع، فإنه ـ كما سيأتي ـ كان فيه نحو القامة، فعلمت أنَّ أهل ذلك الزمان لم يتركوه إلاَّ لعلمهم بأنَّ إزالته لا تتأتى إلاَّ بانتهاك الحرمة، فتوقفوا في ذلك، فجزاهم الله تعالى خيراً، وما كنت أعتقد إلاَّ أنه أمرٌ خفيف يتأتى قَمُّـه مع رعاية الأدب، فوجدته أمراً مَهولاً؛ معظَمُهُ ردمُ سقف المسجد الأعلى وما بين السقفين من البناء الذي على رؤوس السواري وغير ذلك، ولذلك استخرتُ الله تعالى في عدم حضور ذلك عند إخراجه، ووقفت بين يَدَي النبي ﷺ وسألت منه المَدَدَ في أنْ يوفقني الله تعالى لما يُرضيه في ذلك، فحفظني الله من حضور ذلك.

وقال المطري ـ عقب قوله: ولم يتعرضوا له ولا حركوه ـ: إنهم أعادوا سقفاً فوقه على رؤوس السواري التي حول الحجرة الشريفة، فإنَّ الحائط الذي بناه عمر بن عبد العزيز حول بيت النبي ﷺ بين هذه السواري التي حول بيت النبي ﷺ لم يبلغ به السقف[2].

قلت: تبع المطري على ذلك من جاء بعده، فتوافقوا على أنهم لم يجعلوا للحجرة بعد الحريق سقفاً، لأنَّ السقف الذي على رؤوس السَّواري هو سقف المسجد، فاقتضى ذلك أنهم جعلوا سقف المسجد سقف الحجرة، وذكروا أنهم أداروا الشباك على رأس جدار عمر بن عبد العزيز حتى بلغوا به سقفَ المسجد.

---

(١) نشره حمد الجاسر ضمن **رسائل في تاريخ المدينة**، الرياض ١٣٩٢، ١٩٧٢.

(٢) **التعريف** ٢٨ و**المغانم المطابة** ص١٧٨.

وأول شيء ابتدأوا به من سقف المسجد ما حاذى الحجرة الشريفة منه، وفيه مخالفة لما شاهدناه في العمارة الآتية بيانها، فإنهم وجدوا عليها سقفاً مربعاً على جدارها الداخل، ويتَّصِلُ بالخارج من المشرق والمغرب، وهو دوين رأس الجدار الخارج بنحو شبرٍ، ثم تبيَّن عند كشفه آثار السقف المنهدم، وأنَّ أخشابه كانت في الجدار الداخل، ولم يعيدوا هذا السقف المجدد موضع الأول، لأنه لا يتأتَّى إلاَّ بهدم سترته وإصلاح أماكن لرؤوس الخشب، فتركوا ذلك تأدباً واحتراماً، ووضعوا ذلك السقف على أعلى سترة الجدار، وبنوا فوقه سترة لطيفة، وجعلوا على ذلك السقف ستارة من المحابس اليمنية مبطَّنَة بقماش أزرق مربوطة بمقطٍّ[1] في الشباك الذي بأعلى الحائز الظاهر، وليس ذلك السقف مطيَّناً، وهو سقفٌ محكم من ألواحٍ ثخينة جداً من الساج الهندي، وسمَّروا بعضها إلى بعض على قوائمَ من خشبٍ، وجعلوه أربع قطعٍ؛ كلُّ قطعةٍ كالباب العظيم، وجعلوا عند ملتقى كلِّ قطعتين من تلك القطع مقصّاة من حديد، وكَلَّبوا بعضها إلى بعض تكليباً محكماً، وجعلوا تحته ثلاث جِزَمٍ[2] من الساج الهندي تحمله، وأوصلوا أطراف تلك الألواح بالجدار الظاهر ـ كما تقدم ـ ولم يجعلوا في تلك الألواح دهاناً ولا نقوشاً ولا كتابةً، غير أنَّ النجار الذي صنع السقف المذكور كتب اسمه على طرفه نقراً، وكذلك سقف المسجد المحاذي للحجرة الشريفة مما يلي هذا السقف جميعُه من الساج النقي ليس عليه دهانٌ ولا نقوشٌ، وفي وسطه طابق عليه قفلٌ فوقه أنطاع ومشمع، ولم يزل موجوداً إلى أنْ عُمِلَتْ القبة الثانية بعد الحريق الثاني، وجعلوا على جدار الحجرة الداخل من جهة الشام ألواحاً من رأس الجدار إلى سقف المسجد.

والعجب أنهم عند رفع هذا السقف وجدوا جزمتين من الأخشاب التي تحته قد تآكلتا ولم يبق إلاَّ جزمة واحدة، ومع ذلك كانت كافية في حمله، فجزى الله

---

(١) المقط والمقاط: بكسر الميم، الحبل الصغير الشديد الفتل يكاد يقوم من شدة فتله، على وزن كتاب، **النهاية في غريب الحديث** ٤/٣٤٧.

(٢) الجزمة: هي القطعة.

تعالى أهلَ ذلك الزمان خيراً، والظاهر أنَّ ذلك فُعِلَ عند إعادة سقف المسجد الذي ذكره المطري.

ولنرجع إلى ما ذكره عقب ما تقدَّم عنه:

قال: وسقفوا في هذه السنة ـ وهي سنة خمس وخمسين[1] ـ الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلي وإلى الحائط الشرقي إلى باب جبريل عليه السلام، المعروف قديما: بباب عثمان، ومن جهة المغرب الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر الشريف[2].

ثم دخلت سنة ست وخمسين وست مئة فكان في المحرَّم منها واقعة بغداد واستيلاء التتار عليها وقتلهم الخليفةَ المذكور مع أهلها[3].

قلت: وهي من أعظم الوقائع، وقد ذكرتها في كتابي: **الوفـا**[4] وأشرت إليها في **الفصل الثالث** من **الباب الثاني** عند ذكر نار الحجاز، وذكرت ما أفاده الذهبي من استيلاء الحريق على بغداد أيضاً، حتى تربة الخلفاء، وكانوا في العام قبله قد أشرفوا على الغرق، فسبحان الملك العظيم.

قال المطري ـ عقب ما تقدم ـ: فوصلت الآلات من مصر، وكان المتولي عليها حينئذ الملك المنصور نور الدين علي بن المعز عز الدين أيبك الصالحي[5]، ووصل أيضاً آلات وأخشاب من صاحب اليمن يومئذ وهو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول[6]، فعملوا إلى باب السلام، المعروف قديماً بباب مروان، ثم عزل صاحب مصر المذكور ـ يعني: في آخر سنة سبع وخمسين، في ذي القعدة منها ـ وتولى مكانه مملوك أبيه الملك المظفر سيف

---

(١) المغانم المطابة ص١٧٨.

(٢) التعريف ٢٨ والمغانم المطابة ص١٧٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الإشارة هنا إلى كتابه الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٤٤ ـ ١٤٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٨١ مع مصادر ترجمته وحسن المحاضرة ٢/ ٣٨.

(٦) تولى ملك اليمن سنة ٦٤٧هـ وتوفي سنة ٦٩٤هـ، كنز الدرر للدواداري ٨/ ٣٥٨.

الدين قطز المعزي[1]، واسمه الحقيقي محمود بن مودود، وأمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وأبوه ابن عمه، أُسِرَ عند غلبة التتار، فبيع بدمشق، ثم انتقل بالبيع إلى مصر، وتملَّك في سنة ثمان وخمسين[2].

قلت: إنما وليَ في يوم السبت ثامن عشر ذي القعدة من سنة سبع، وفي شهر رمضان من سنة ثمان كانت وقعة عين جالوت التي أعزَّ الله فيها الإسلام وأهلَه على يديه، ولم يستكمل في ملكه السنة بكمالها، بل قُتِلَ بعد الوقعة بشهر وهو داخلٌ إلى مصر[3]، فكان العمل بالمسجد الشريف تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة المعروف قديماً بباب عاتكة، ومن باب جبريل إلى باب النساء المعروف قديماً بباب رَيْطَةَ ابنة أبي العباس السفَّاح[4].

وتولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ويعرف بالبندقداري، فعمل في أيامه باقي سقف المسجد الشريف؛ من باب الرحمة إلى شمالي المسجد، ثم إلى[5] باب النساء، وكمل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفاً فوق سقف[6].

قلت: وذكر المؤرخون: أنَّ الظاهر ركن الدين المذكور لما وَلِيَ حصل منه الاهتمام بذلك، فجهَّزَ الأخشاب والحديد والرصاص، ومن الصنَّاع ثلاثة وخمسين صانعاً وما يُمَوِّنُهم، وأنفق عليهم قبل سفرهم، وأرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحي[7] وغيره، ثم صار يمدُّهم بما يحتاجون إليه من الآلات والنفقات[8].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٠٠ مع مصادر ترجمته.

(٢) التعريف ٢٩ والمغانم المطابة ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) غدر به بيبرس البندقداري وجماعته.

(٤) التعريف ٢٩.

(٥) سقطت من ص.

(٦) سقطت من ص، وعن الخبر انظر: التعريف ٢٩.

(٧) التحفة اللطيفة ١/ ٢٢٣ وفي الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ٨٩ : "علم الدين الغوري" وفي المغانم المطابة ص١٧٨ : "الأمير جمال الدين محسن الصالحي وشهاب الدين غازي اليغموري".

(٨) المغانم المطابة ص١٧٨.

ثم لم يزل المسجد على ذلك حتى جَدَّدوا السقف الشرقي والسقف الغربي ـ أي: الذي عن يمين صحن المسجد وشماله ـ في سنتي خمس وست وسبع مئة في أوائل دولة السلطان الناصر محمد بن قلاوون الصالحي، فَجُعِلا سقفاً واحداً نسبةَ السقف الشمالي إلى سقف الدكاك فإنه جُعِلَ في عمارة الملك الظاهر كذلك[1].

ثم في سنة تسع وعشرين وسبع مئة، أمر السلطان الملك الناصر محمد المذكور بزيادة رواقين في المسقف القبلي متَّصِلين بمؤخره، فاتَّسع مسقفه بهما وعمَّ نفعهما[2].

قلت: ثم حصل فيهما خَللٌ فجدَّدهما الملك الأشرف برسباي[3] في ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وثمانِ مئة على يد مقبل القديدي[4] من مال جوالي قبرص، على ما أخبرني به بعض مشايخ الحرم، ورأيته مكتوباً كذلك باللوح الذي[5] بظاهر العقود من المسقف القبلي مما يلي رحبة المسجد، وهو سقف واحد في موازاة سقف المسجد الأسفل[6]، ولذلك صار سقف مقدم المسجد القديم مرتفعاً من أعلاه على هذين الرواقين وغيرهما من بقية المسجد، وله باب يدخل إليه من بين السقفين شارع في مبدأ الرواقين المذكورين مما يلي المشرق.

وجدد الأشرف المذكور أيضاً شيئاً من السقف الشامي مما يلي المنارة السنجارية، ثم حصل خللٌ في سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد في دولة الظاهر جَقْمَق فجُدِّدَ ذلك في سنة ثلاث وخمسين وثمانِ مئة وما قبلها على يد الأمير بردبك التاجي المعمار وغيره.

ثم في دولة مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي ـ أدام الله تعالى تأييده

---

(١) نقلاً من المغانم المطابة ص ١٧٨ ـ ١٧٩ عن التعريف للمطري (٢٩) وانظر: تحقيق النصرة ٧١.

(٢) التعريف ٣٩.

(٣) تولى السلطنة في سنة ٨٢٥هـ وتوفي في سنة ٨٤١هـ.

(٤) في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ورقة ٩٤أ "القائدي".

(٥) ص: التي كانت بظاهر، ش، م١: التي بظاهر.

(٦) سقطت من ص.

ونصره ـ أُنهيَ إليه احتياجُ سقوف المسجد الشريف للعمارة، فبرز أمرُه الشريف بذلك ـ كما ستأتي الإشارة إليه ـ للجناب الخواجكي الشمسي شمس الدين ابن الزمن ـ أعزَّه الله بعزٍّ طاعته ـ فحضر لذلك في أثناء سنة تسع وسبعين صُحبةَ أمير جدة ورتَّبَ أمرَ العمارة وسافر صحبته أيضاً، فهدَّموا عقود المسجد التي تلي رحبته من جهة المشرق وسقف الرواق الذي كان عليها، لاقتضاء نظرهم ذلك، ونقضوا بعض أساطينه فوجد بعضها لا رصاصَ فيه، وبعضها فيه رصاص، ثم أعادوا ذلك في سَنَتِهم، وهدَّموا أيضاً جانباً من سور[1] المسجد الشريف مما يلي المشرق من جهة المنارة المعروفة بالسنجارية، من باب سُلَّمِها، وهو الباب الثاني جوف بابها الظاهر، إلى ما يوازي حرف الدكاك من القبلة، وذلك آخر المسقف الشامي، ومقدار ذلك سبعة وعشرون ذراعاً بذراع اليد المتقدم وصفه؛ هدَّموا ذلك من أعلاه إلى أسفله، وبلغوا به دكَّ الأُسِّ القديم، وظهر في أصل جدار المنارة المذكورة انشقاق؛ وكانت تضطرب عند الهدم بحيث خُشِيَ سقوطُها، فسكبوا في ذلك الشق كثيراً من الجص المُذاب حتى امتلأ، وكان ما هدموه من سور[2] المسجد وعقوده مبنياً بالجص السكب، فذكر مهندس العمارة: أنَّ الجدار إنما اختلَّ لأنَّ السباخ له تأثير في إذابة الجص، واقتضى رأيه أنْ يؤسسه بالطين والنورة المخلوطة بناعم الحصباء، ففعلوا ذلك في الجدار المذكور كله وفي العقود المذكورة أيضاً، وكحلوا أطراف وجوه الأحجار بالجص من داخل المسجد وخارجه، ورفعوا السقف الكائن أمام المنارة المذكورة إلى جنب ما هدموه من الجدار المذكور، وأعادوا ذلك من سنتهم أيضاً.

ثم اتفقت أمور اقتضت تأخير العمارة، فتعطلت في سنة ثمانين، ثم ورد الخواجا الشمسي ابن الزمن إلى المدينة صحبة أمير جدة في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين، وأقام لمباشرة العمارة بنفسه، فرفعوا سقف الروضة الأعلى وما اتصل به مما حول القبة الزرقاء الآتي ذكر عملها بأعلى الحجرة الشريفة في سقف

(١) ص: سواري.

(٢) ص: سواري.

المسجد الأعلى، ورفعوا أيضاً شيئاً مما يلي ذلك من جهة ما يوازي غربي المنبر الشريف لتكسُّرِ كثيرٍ من أخشابه، وكان ذلك السقف مع بقية سقف مقدم المسجد على عبَّاراتٍ من خشبٍ موضوعةٍ على أبنيةٍ فوق رؤوس السواري بعرض تلك السواري، كما أنَّ السقف الأسفل المشاهد مما يلي المسجد موضوع على عبارات كذلك فوق رؤوس السواري، فاقتضى رأي متولي العمارة إبدال تلك الأخشاب بعقود من آجُرٍّ كهيئة القناطر التي حول رحبة المسجد، ورأى أنَّ ذلك أبقى وأحكم من الأخشاب، مع أنَّ عبَّارات السقف الأسفل ـ كما قدَّمناه ـ على رؤوس السواري بأصل تلك العقود، ولكنه رأى الإحكام في ذلك، ففعله في القطعة التي رفعها من السقف المذكور فقط، ووضع أخشابَ ذلك السقف على تلك القناطر، فارتفع بسببه ذلك المكان من السقف الأعلى على بقية ما حوله منه، وصار الماشي يمشي[1] بين السقفين في تلك الجهة يمشي منتصباً أو منحنياً قليلاً، وكان لا يتأتى قبل ذلك المشي هناك إلاَّ مع انحناء كثير، وتلك القناطر موضوعة على ما يحاذي صفَّ الأساطين التي هي قبلة الروضة والمُصَلَّى الشريف من أولها من جهة المشرق إلى الاسطوانة التي تلي المنبر من جهة المغرب وعلى ما يحاذي الصفَّ الثاني وهو صفُّ إسطوان عائشة رضي الله عنها في موازاة الصفِّ المتقدم ذكره من المشرق إلى المغرب، وعلى ما يوازي الصفَّ الثالث وهو صفُّ اسطوان المحرس[2] من المشرق إلى المغرب أيضاً.

وأما ما يوازي صفَّ اسطوان الوفود فقد كان عليه بناء حائط حاجز لما بين السقف الأسفل والأعلى فيه باب يدخل منه إلى ما بين السقفين، فهدموا ذلك الحائط واحكموا بناءه، وجعلوا أطراف الخشب عليه أيضاً، فهذه الثلاثة الأروقة هي التي ارتفع سقفها الأعلى على ما حوله من الأساطين اللاصقة بالمقصورة إلى الأساطين التي تلي المنبر، وصار سقف الرواقين اللذين بين الروضة والجدار القبلي مع سقف ما يحاذي الحجرة الشريفة إلى الجدار الشرقي، وسقف ما كان

---

(١) سقطت من ص.

(٢) خ: المحرص.

غربي المنبر من مقدم المسجد كله منخفض عن ذلك.

ووجدوا أخشاباً كثيرة متفرقة نحو الأربعين من السقف الأعلى أيضاً قد تكسَّرت، فزرقوا بدلها، ووضعوا إلى جانب بعضها أخشاباً مُزْرَقَةً[1]، وسمَّروها من غير كشف للسقف، وقلعوا السقف الأسفل الذي بالرواق الشرقي مما يلي الأرجل الشريفة، وجانباً من سقف رواق باب جبريل إلى باب النساء، وسقف الرواق الأوسط الذي يلي الرواق الذي سبقت عمارتهم إياه في العام الماضي، وأعادوا ذلك وقلعوا السقف الأسفل المحاذي لموقف الزائرين تُجاه الوجه الشريف، وكان من أقدم السُقُف، ومع ذلك تعبوا في قلعه أكثر من غيره لإتقانه وإحكامه، فإنه من عمل الأقدمين، وأظنهم وجدوا اسم الظاهر بيبرس عليه، ثم أعادوه وأصلحوا شيئاً في المسقف الشامي وغيره.

وجددوا أيضاً دهانَ بعض السُقُف التي حول الحجرة داخل المقصورة التي تُعرف اليوم بالحجرة من غير قلعٍ لتلك السُقُف.

ثم احترق ذلك كله في جملة حريق المسجد الثاني الآتي ذكره في الفصل التاسع والعشرين، وجعلوا سقف المسجد عند إعادته سقفاً واحداً جميعه، كما سيأتي.

---

(١) خ: مزوقة.

الفصل السابع والعشرون
في اتّخاذ القبة الزرقاء
التي جُعلت على ما يحاذي سقف الحجرة الشريفة
بأعلى سقف المسجد تمييزاً لها وإبدالها بالقبة الخضراء
والمقصورة الدائرة بالحجرة الشريفة

أما القبة المذكورة، فاعلم أنه لم يكن قبل حريق المسجد الشريف الأول وما بعده على الحجرة الشريفة قبة، بل كان حول ما يوازي حجرة النبي ﷺ في سطح المسجد حَضِيرٌ مقدار نصف قامة مبنياً بالأَجُرِّ تمييزاً للحجرة الشريفة عن بقية سطح المسجد، كما ذكره ابن النجار[1] وغيره، واستمر ذلك إلى سنة ثمانٍ وسبعين وست مئة؛ في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي، فعُمِلَت تلك القبة، وهي مربعةٌ من أسفلها مُثَمَّنَةٌ من أعلاها بأخشاب أُقيمت على رؤوس السواري، وسُمِّرَ عليها ألواح من خشب، ومن فوقها ألواح الرصاص، وفيها طاقة إذا أبصر الشخص منها رأى سقف المسجد الأسفل الذي فيه الطابق، وعليه المشمع المتقدم ذكره، وحول هذه القبة على سقف المسجد ألواح رصاص مفروشة في ما قَرُب منها، ويحيط بها وبالقبة درابزين من الخشب جُعِلَ مكان الحظير الآجُرِّ، وتحته أيضاً ـ بين السقفين ـ شباك يحكيه محيطٌ بالسقف الذي فيه الطابق، وعليه المشمع المتقدم ذكره.

ولم أرَ في كلام مؤرخي[2] المدينة تَعَرَّض[3] لمن تولَّى عملَ هذه القبة.

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٩٤.

(٢) ر: المورخي.

(٣) كذا في الأصول، فلعل الجملة كانت: "... المدينة من تعرَّض لمن تولى...".

ورأيت في **الطالع السعيد الجامع أسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد**[١]، في ترجمة الكمال أحمد بن البرهان عبد القوي الربعي ناظر قوص: أنه بنى على الضريح النبوي هذه القبة المذكورة[٢].

قال: وقصد خيراً وتحصيلَ ثوابٍ[٣].

وقال بعضهم: أساء الأدب بعلو النجارين ودق الحطب[٤].

قال: وفي تلك السنة وقع بينه وبين بعض الولاة كلام، فوصل مرسوم بضرب الكمال، فضرب، فكان من[٥] يقول: إنه أساء الأدب، وإنَّ هذا مجازاة له، وصادره الأمير علم الدين الشجاعي[٦]، وخرَّبَ داره وأخذ رخامها وخزائنها، ويقال: إنهم بالمدرسة المنصورية[٧]، انتهى.

ويؤيد ما نقله عن بعضهم ما رواه أبو داود في سننه عن أنس بن مالك: «أنَّ رسول الله ﷺ خرج فرأى قبةً مُشْرِفَةً، فقال: ما هذه» قال له أصحابه: هذه لفلانٍ ـ رجل من الأنصار ـ قال: فسكت وحملها في نفسه، حتى إذا جاء صاحبُها رسولَ الله ﷺ سَلَّمَ عليه في الناس فأعرض عنه، صنع ذلك مراراً، حتى عرف الرجلُ الغضبَ فيه والإعراض عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه، فقال: والله إني لأُنْكِرُ رسول الله ﷺ، قالوا: خرج فرأى قبَّتك، قال: فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سوَّاها بالأرض، فخرج رسول الله ﷺ ذاتَ يوم فلم يَرَها، قال: ما فعلت القبة؟ قالوا: شكا إلينا صاحبُها إعراضَك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: أما إنَّ كلَّ بناءٍ وَبَالٌ على صاحبه إلاَّ ما لا، إلاَّ ما لا، إلاَّ ما لا بُدَّ منه[٨].

---

(١) هو لجعفر بن ثعلب الأدفوي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، وهو مطبوع.

(٢) **الطالع السعيد** ٨٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) خ: فكان يقوى من يقول، ت، س، م٢: فكان يقول من يقول.

(٦) مدبر الملكة ووزيرها زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون، قُتِل سنة ٦٩٣هـ، انظر حوادث قتله في **السلوك** للمقريزي ج١، ق٣/ ٧٩٨ ـ ٨٠٢ و**الدليل الشافي** ١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٧) **الطالع السعيد** ٩٠، وعن المدرسة المنصورية، انظر تعليق المحقق سعد محمد حسن رحمه الله حولها.

(٨) **البيان والتحصيل** لابن رشد ١٧/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠ و**المعجم المفهرس** ٥/ ٢٢١ عن أبي داود وأحمد.

وقد جُدِّدتْ هذه القبة في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، فاختلَّتْ[1] الألواح الرصاص عن وضعها، فَخَشُوا من كثرة الأمطار، فَجُدِّدَتْ وأُحْكِمَتْ في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد في سنة خمسٍ وستين وسبع مئة، قاله الزين المراغي[2].

وقد ظهر في بعض أخشابها خللٌ في سنة إحدى وثمانين وثمان مئة، فعضَّدَها متولي العمارة الشمس ابن الزمن بأخشاب سُمِّرَتْ معها، وقلع ما حولها من ألواح الرصاص التي على أعلى السطح بينها وبين الدرابزين المتقدم ذكره، فوجدوا تحت ذلك أخشاباً قد تآكلت من طول الزمان ونَداوة مياه الأمطار، فأصلحوا ذلك وأعادوه بعد أنْ أضافوا إليه كثيراً من الرصاص من حاصل المسجد ومما أُحضر من مصر، وجددوا الدرابزين المحيط بها أيضاً.

وقد كانت مياه الأمطار تتسرَّبُ من بين تلك الألواح وتصل إلى سقف الحجرة الشريفة، فإنَّ آثار المياه وجدت هناك، وأثَّرَتْ في الشباك الذي بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز بحيث تآكل بعضه، فاصلحه متولي العمارة أيضاً.

وأثَّرَت الأمطار أيضاً في الستارة التي على سقف الحجرة الشريفة بحيث تآكل بعضها، ثم احترق ذلك كله في حريق المسجد الثاني، فاقتضى رأيهم تأسيس القبة البيضاء الموجودة اليوم، على دعائمَ بأرض المسجد وعقود من الآجُرِّ، وجعلوا تلك الدعائم في موازاة الأساطين التي كان بينها درابزين المقصورة ـ الآتي وصفها ـ وزادوا من جهة الشام دعائمَ بعضها عند المثلث الذي بالحجرة الشريفة من بناء عمر بن عبد العزيز، وزادوا هناك اسطواناً، وعند التأسيس لذلك وجدوا عند صفحة المثلث الشرقية قبراً بَدَا لحدُه وبعضُ عظامه، وإنْ صحَّ القول بدفن فاطمة رضي الله عنها في بيتها ـ كما ستأتي الإشارة إليه ـ فهو قبرها، وأبدلوا بعض الأساطين بدعائم، وأضافوا إلى بعضها اسطوانة أخرى، وقرنوا بينهما ليتأتّى لهم العَقْدُ عليها، وحصل في ما بين جدار المسجد الشرقي وبين تلك الدعائم ضيقٌ

---

(١) ص: فاختلف.

(٢) التعريف ٣٩ وتحقيق النصرة ٨١.

لاتِّخاذ بعض تلك الدعائم هناك، فخرجوا بجدار المسجد الشرقي في البلاط الذي يلي الجدار المذكور نحو ذراع ونصف، فإنهم هَدموا ذلك الجدار، وأعادوه إلى باب جبريل عليه السلام، ولم ينقلوا باب جبريل عن محله.

ثمَّ أنَّ القبة المذكورة تشققت من أعاليها ولم ينفع الترميم فيها، ففوَّض السلطان الأشرف للمقر الشجاعي شاهين الجمالي[1] النظرَ في أمرها وأمر المنارة الشرقية[2] أيضاً [3]عند توليته شيخ الحرم الشريف، فاقتضى الرأي بعد مراجعة أهل الخبرة، هَدْمَ أعالي القبة المذكورة واختصار قليل منها، فاتخذ أخشاباً في طاقاتها وجعل عليها سقفاً يمنع ما يسقط عند الهدم للحجرة الشريفة، ثم هَدَم أعاليها وأعاد بناءها أحكم من البناء الأول، بحيث حمل لها الجبس الأبيض من مصر وجعله[4] في بنائها، فجاءت حسنة محكمة، ثم رفع ذلك السقف عند تمامها، وذلك عام اثنين وتسعين وثمان مئة.

وأما المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة بين الأساطين حول جدار الحجرة الظاهر وحول بيت فاطمة رضي الله عنها فقد أحدثها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، وذلك أنه لما حجَّ سنة سبع وستين وست مئة، أراد أنْ يجعل على الحجرة الشريفة درابزيناً من خشب ـ وهو المقصورة المذكورة ـ فقاس ما حول الحجرة الشريفة بيده وقدَّره بحبال وحملها معه، وعمل الدرابزين، وأرسله في سنة ثمان وستين، وأداره عليها، وعمل لها ثلاثة أبواب: قبلياً وشرقياً وغربياً، ونصبه بين الأساطين التي تلي الحجرة إلا من ناحية الشام فإنه زاد فيه إلى مُتَهَجِّدِ النبي ﷺ.

ثم زِيْدَ لهذه المقصورة بابٌ رابعٌ أُحْدِثَ عند زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما

---

(١) كان نائب جدة في ٨٧٢هـ وفي سنة ٨٨٦ و٨٩٣هـ، وتولى مشيخة الخدام بالمدينة الشريفة سنة ٨٩١ هـ واستمر على نظر الحرم الشريف حتى وفاته في سنة ٩٠٢هـ، بدائع الزهور ٣/ ١٠، ٩٣، ١٨٢، ٢٢٦، ٣٨٧ والضوء اللامع للسخاوي ٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وقد سبقت ترجمته.

(٢) ش، م١: المنارة الشريفة.

(٣) سقطت من س، ر، ت، م١، م٢.

(٤) ص: وجعلوه.

في سنة تسع وعشرين وسبع مئة، وهو من جهة الشمال في رحبة المسجد، وكان عليه قبل الحريق الثاني سقفٌ مرتفع يحيط به رفرف، ثم أُحدث هذا الباب، وأمامه من جهة رحبة المسجد سقف لطيف أيضاً نحو ستة أذرع دُوَيْنَ السقف المتقدم وجعل له رفرف أيضاً يمنع الشمس، وبسط تحته الرخام الملون شبه الرخام الذي تقدم ذكره حول حائز عمر بن عبد العزيز بالأرض داخل هذه المقصورة، وذلك في دولة الظاهر جقمق سنة ثلاث وخمسين وثمان مئة.

قال الزين المراغي: واعلم أنَّ الذي عمله الملك الظاهر ـ أي: ركن الدين[1] ـ من الدرابزين نحو القامتين، فلما كان في سنة أربع وتسعين وست مئة زاد عليه الملك العادل زين الدين كتبغا[2] شباكاً دائراً عليه، ورفعه حتى وصله بسقف المسجد[3]، انتهى.

وقد جدد، متولي العمارة المتقدم ذكره بعضَ هذه المقصورة أيضاً مما يلي الروضة الشريفة في العمارة الأولى، ثم احترقت في الحريق الثاني، فجعلوا بدلها شبابيك من النحاس[4] من جهة القبلة، وعلى أعلاها شَبَكَة من شريط النحاس كالزرد، بين أخشابٍ مُتَّصِلةٍ بالعقود المحيطة بالحجرة الشريفة، وجعلوا لبقيتها من جهة الشام وما اتَّصلَ بها من جهة المشرق والمغرب مشبَّكاً من الحديد المُشَاجر، وبأعلاه شريط[5] النحاس أيضاً، وأحدثوا مشبكاً من الحديد المُشَاجر أيضاً لم يكن قبل ذلك، جعلوه فاصلاً بين الرحبة التي خلف مثلث الحجرة الشريفة وبينها، وبها[6] بعض المثلث المذكور، وبه بابان: أحدهما عن يمين المثلث، والآخر عن يساره، وصار هذا المشبك متوسطاً بين مشبك الحجرة الشامي وما يقابله.

---

(١) يريد: الملك الظاهر بيبرس البندقداري.

(٢) السلطان المملوكي كتبغا بن عبد الله المنصوري تسلطن سنة ٧٩٤ هـ وتوفي سنة ٧٠٢هـ، انظر: الدليل الشافي لابن تغري بردي ٢/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤ مع مصادر ترجمته.

(٣) التعريف ٣٩ وتحقيق النصرة ٨٥.

(٤) خ: نحاس.

(٥) ص: شرايط.

(٦) خ: وبين.

وقد صارت هذه المقصورة تُعرف بالحجرة الشريفة، وأبوابها بأبواب الحجرة، وما يُعَلَّقُ بسقفها بقناديل الحجرة، كما تقدم في عبارة السبكي.

وفي كلام ابن فرحون ما يقتضي أنه كان ثَمَّ مقصورة متصلة بهذه المقصورة من جهة المغرب ثم أُزيلت، ولفظه: وقد تساهل مَنْ كان قبلنا فزادوا على الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة عملت وقايةً من الشمس إذا غَرَبَتْ، وكانت بدعةً وضلالة تصلي فيها الشيعة، لأنها قطعت الصفوف، واتَّسَمَت بمن ذُكر من الصنوف، وندم على ذلك واضعها، ولقد كنت أسمع بعضهم يقف على بابها ويؤذن بأعلى صوته: "حي على خير العمل"، وكانت مواطن تدريسهم، وخلوة علمائهم، حتى قيَّض الله لها من سعى فيها فأصبحت ليلة مخلعة أبوابها، مقوَّضَة[1] أخشابها، متصلة صفوفها، وأُدخل بعضها في الحجرة الشريفة ـ يعني: ما اشتمل عليه الدرابزين المذكور ـ وجُعِلَ فيها الباب الشامي، وكان ذلك مع زيادة الرواقين اللذين زادهما الملك الناصر[2]، انتهى.

وذكر لي بعضُ مشايخ المدينة نقلاً عن من أدركه من المشايخ: أنَّ هذه المقصورة كانت في شامي اسطوان الوفود إلى جهة باب الحجرة الشامي، والشيعة اليوم يصلون في ذلك الموضع.

ومقتضى ما قدمناه عن ابن النجار في بيت فاطمة رضي الله عنها ـ حيث قال: "وبيتها اليوم حوله مقصورة وفيه محراب، وهو خلف حجرة النبي ﷺ[3]" ـ وجود مقصورة هناك قبل حريق المسجد، فلعل ذلك مستند الظاهر ركن الدين في إحداثِ ذلك.

وقد ذكر المطري ما صنعه الظاهر من هذه المقصورة، ثم قال: وظن الملك الظاهر أنَّ ما فعله تعظيماً[4] للحجرة الشريفة، فحجر طائفة من الروضة المقدسة

---

(١) في نصيحة المشاور «معوجة».

(٢) نصيحة المشاور وتسلية المجاور ورقة ٨أ ـ ٨ب، والملك الناصر: هو محمد بن قلاوون.

(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٠ والروضة الفردوسية ورقة ١٩أ.

(٤) كذا في الأصول، وفي التعريف: "وظن ان في ذلك زيادة حرمة الحجرة المقدسة فحجر..."، فلعل الجملة كانت: "أن ما فعله كان تعظيماً".

مما يلي بيت النبي ﷺ، ومنع الصلاة فيها مع ما ثبت من فضلها وفضل الصلاة فيها، فلو عكس ما حَجَرَهُ وجعله خلف بيت النبي ﷺ من الناحية الشرقية وألصق الدرابزين بالحجرة مما يلي الروضة لكانَ أخَفَّ، إذ الناحية الشرقية ليست من الروضة ولا من المسجد المشار إليه، بل مما زيد في المسجد أيام الوليد(١).

قال: ولم يبلغني أنَّ أحداً من أهل العلم والصلاح ممن حضر ولا ممن رآه بعد تحجيره أنكر ذلك، أو تفطَّنَ له وألقى له بالاً، وهذا من أهم ما ينظر فيه(٢).

قال الزين المراغي عقبه: ينبغي أن يُعلمَ أنَّ للظاهر سلفاً في ذلك، وهو ما حجره عمر بن عبد العزيز على الحجرة الشريفة من جهة الروضة أيضاً، لكنه قليل(٣)، انتهى.

قلت: وهذا بناءً على ما تقرر عنده من أنَّ جدار الحجرة الذي داخل الحائز هو نهاية المسجد في زمنه ﷺ، وقد قدمنا في حدود المسجد ما يَرُدُّ ذلك، ولو سَلَّمَ: أنَّ ذلك نهاية المسجد، وأنَّ عمر بن عبد العزيز اتَّخذ الجدار المذكور فيه، فذلك لمصلحة حفظ القبر الشريف، ولجعل بنائه على هيئة لا يتأتى معها استقبال القبر الشريف ـ كما قدَّمناه ـ وهذه المقصورة بضدِّ ذلك، والله أعلم.

وقال البدر ابن فرحون ـ في ترجمة ولي الله سيدي الشيخ علي الواسطي ـ ما لفظه: حكى لي جمال الدين ـ يعني: المطري ـ أنَّ الشيخ بعث إلى الملك الناصر يقول له: أنا أضمن لك على الله تعالى قضاء ثلاث حوائج إنْ قَضَيتَ لي حاجة واحدة، وهي إزالة هذا الشباك الذي على الحجرة الشريفة ـ يعني: المقصورة ـ فبلغه ذلك فتوقف ولم يفعل(٤).

قال البدر ابن فرحون: وليته فعل؛ فإنَّ الشباك الذي يدور على الحجرة قطع جانباً من المسجد، وحَجَر كثيراً من الروضة، وفي كل زمان يجدد ويعمر بما

---

(١) تحقيق النصرة ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) التعريف ٣٩.

(٣) تحقيق النصرة ٨٥.

(٤) نصيحة المشاور وتسلية المجاور ورقة ٤٦ب.

يتقوى به ويتأبّد، وأدخل فيه قطعة كبيرة لما أزيلت المقصورة[1]، يعني: المتقدم ذكر إزالتها.

وقال المجد الشيرازي، عَقِبَ ذكره لما تقدم عن المطري: والذي ذكره مُوَجَّهٌ، غير أنَّ أحدَ الأبواب مفتوح دائماً لمن قصد الدخول والزيارة، فيمكن من أراد الصلاة الدخول والوقوف مع الصف الأول في الروضة، ولا يخفى أنَّ في تقريب الدرابزين من الحجرة إخراجاً للبناء عن وضعه اللائق، وأيضاً فيه تضييق عظيم على الزائرين، لا سيما عند زحام المواسم، فإنه مع هذا الاتساع ينخنق[2] المكان بالخلق، فكيف لو ضُيِّقَ بحيث يتصل الدرابزين بجدار الحجرة؟ لا يقال: إنه كان يتسع من جهة المشرق للزائرين، لأنَّ الناس إنما يقصدون هذه الجهة لكون الرأس الشريف هناك، وليكون الابتداء بالتسليم على النبي ﷺ دون أنْ يتخطوا الشيخين رضي الله عنهما، فتأمل ذلك فإنه صحيح[3].

قال: وهذه الكيفية لا مزيد عليها في الحسن، ولم يتعطل شيء من الروضة بسبب ذلك، بل بسبب كسل المُصَلِّين، وقد رأيتُ جماعة من الخدام يصلون داخل الدرابزين في أيام الجمعات[4]، انتهى.

قلت: ما ذكره صحيح بالنسبة إلى زمنه، فإنَّ الباب المذكور كان مفتوحاً في سائر الأوقات[5].

وقد نبَّه على ذلك ابن جماعة[6] في منسكه، محاولاً غلقه في المواسم فقط، فقال: إنَّ هذا الدرابزين حَجَرَ طائفة من الروضة الشريفة مما يلي بيت النبي ﷺ، وصار ما بين الحجرة والدرابزين مأوى للنساء بأولادهنَّ الصغار في أيام المواسم،

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) ص: يخنق.
(٣) المغانم المطابة ص١٨٤ والنص في هذه الورقة مطموس والوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٠٤.
(٤) المصدر نفسه والوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٠٤.
(٥) بعد هذا زيادة في الوفا فانظرها في صفحة ١٠٤.
(٦) هو عبد العزيز بن محمد، عز الدين ابن جماعة القاضي، ترجم له السخاوي في التحفة اللطيفة ٢/١٨٦ وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية ٢/٢٥٣ مع مصادر ترجمته.

وربما قذر الصغار فيه، وقد تحَدَّثتُ مع الملك الناصر[1] رحمه الله لما حجَّ وزار سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة في غلق الدرابزين أيام الموسم، فسكت لما ذكرته ولم يجبني بشيء، وهذا من أهم ما ينظر فيه، انتهى.

فحدث بعد ذلك غلقُ الأبواب كلها دائماً، ولا يفتح منها شيء إلا في وقت إسراج القناديل ونحوه، ولا يدخل لذلك إلا بعض الخدام والفراشين أو بعض من له وجاهة بإذن شيخ الخدم، فيدخل للزيارة ليلاً، وتحقق بسبب ذلك تعطيل تلك البقعة، وحُرِم الناس التبرك بأسطوان السرير، فإنَّ محله في شرقي اسطوانه، كما تقدم، وكذلك الوقوف للزيارة في موقف السلف بينها وبين الحجرة الشريفة أو على نحو أربع أذرع من جدار القبر ـ على ما يأتي بيانه ـ وكذلك التبرك بمُرَبَّعة القبر ومقام جبريل ـ كما قدَّمناه ـ وبيت فاطمة رضي الله عنها، فإنَّ ذلك كلَّه في جوف المقصورة، بل كانت المقصورة سبباً لما هو أعظم من ذلك وأطم، وهو ابتناء دعائم القبة المتقدم ذكرها بأرضها، فإنها صارت عند العوام بل وعند من لا إحاطة له بأحوال المسجد أنها ليست من المسجد، بل من الحجرة، فعاملوها معاملة غير المسجد.

ولما وقعت المفاوضة في عملها صَرَّحتُ بتحريم ذلك، فأشار بعضهم بعمل القبة المذكورة على رؤوس الأساطين من غير بناء، ثم رجعوا عن ذلك وأنا غائب بمصر.

وسبب غلق الأبواب المذكورة أن النجم بن حَجِّي[2]ـ قاضي الشام ـ لما حَجَّ في الموسم الشامي رأي ازدحام الناس بذلك المحل وما أشار إليه ابن جماعة في

---

(١) هو محمد بن قلاوون.

(٢) هو نجم الدين عمر بن حجي السعدي الحسباني تولى كتابة السر بالقاهرة في رجب من سنة ٨٢٧هـ وقُبض عليه ونفي إلى الشام في جمادى الآخرة من السنة نفسها، وأعيد إلى قضاء الشافعية بدمشق سنة ٨٣٠هـ، ووجد مذبوحاً في بستان له بدمشق في ذي القعدة من سنة ٨٣٠هـ، **بدائع الزهور** لابن إياس٢/ ٩٣، ٩٧، ١١١، ١١٦ **والضوء اللامع** ٦/ ٧٨ **والنجوم الزاهرة** ١٥/ ١٤٤**ونزهة الخاطر وبهجة الناظر** للأنصاري ٢/ ١١٠ ـ ١١٢، ١١٧ ـ ١٢٠، ١٢٢**وطبقات الشافعية** لابن قاضي شهبة ٤/ ٤٢١ **والسلوك** للمقريزي ج٤، ق٢/ ٧٥٠، ٧٦١.

ما تقدَّم عنه، فأفتى بغَلْقِها، وخالفه الولي العراقي[(١)] عند قدومه مع الحاج المصري، فأفتى بفتحها[(٢)].

وأخبرني بعضُ مشايخ الحرم[(٣)]: أنَّ ذلك كان في سنة اثنتين وعشرين وثمان مئة، وأنَّ الحال استمَرَّ على ما أفتى به الولي العراقي.

فلما وَلِيَ النجم بن حجي ديوان الإنشاء تسبب في بروز المراسيم السلطانية بالأمر بالغَلْقِ سنة ثمان وعشرين، واستمر ذلك إلى اليوم[(٤)].

كذا أخبرني به بعض مشايخ الحرم[(٥)].

ورأيت حاشيةً على كلام المجد بخط الحافظ جمال الدين ابن الخياط اليمني[(٦)]، ولفظها: "ومما أحدث في دولة الملك الأشرف بَرِسْبَاي صاحب مصر والشام بعد الثلاثين وثمان مئة سُمِّرَتْ أبواب الدرابزين المذكور، وصار الناس يزورون من وراء الدرابزين من غير دخولِ أحدٍ إلى الحجرة الشريفة، قصدوا بذلك زيادة الحرمة، وتنزيه المشهد الشريف عن كثرة اللامسين بالأيدي وغيرها[(٧)]، فإنَّ كثيراً من جُهَّال العرب وغيرهم يُلصِقون ظهورهم بصندوق القبر الشريف وجداره، قاصدين بذلك التبركَ، والخير كله في استعمال الأدب"، انتهى.

قلت: والصوابُ المتعيِّن وجوب فتح بعض تلك الأبواب، خصوصاً في غير أيام الموسم، وليس الطريق في إزالة المفسدة المذكورة غلق تلك الأبواب وتعطيل تلك البقعة، بل وقوف الخدَّام عند ذلك المحل، ومنع من تعاطى فيه[(٨)] ما لا يليق

---

(١) هو أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى بالقاهرة سنة ٨٢٦هـ، انظر: بروكلمان ٢/ ٢٢ وملحقه ٢/ ٦٩ ومعجم المؤلفين ١/ ٢٧٠ مع مصادر ترجمته.

(٢) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٠٤ "على ما نقله عنه لي شيخنا . . . شرف الدين المناوي".

(٣) المصدر نفسه، هو شيخه ناصر الدين أبو الفرج المراغي.

(٤) المصدر نفسه ١٠٥.

(٥) أخبره بذلك شيخه المراغي أيضاً.

(٦) هو محمد بن أبي بكر بن محمد بن صالح، جمال الدين أبو عبد الله ابن الرضي الهَمْدَاني الجِبْلي التعزي اليمني، المتوفى سنة ٨٣٩هـ، ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ٧/ ١٩٤ ترجمة موسعة.

(٧) في الأصول: "وغيره".

(٨) م٢: ومنع تعاطي فيه، خ، ت، س: ومنع من يتعاطى منه ما لا يليق.

بالأدب، على أنَّ ذلك لم يُحْسِم المادة، لأنَّ تلك الأمور ـ أعني: لمس الجهال ووضعهم الظهور ـ يُفْعَل اليوم بهذا الدرابزين، ولا شكَّ أنَّ الجدار الذي كان يُفْعَلُ به ذلك ليس هو نفس القبر، بل ولا جدار الحجرة ـ كما قدَّمنا ـ بل جدار آخر دائرٌ به، كما أنَّ هذه المقصورة دائرة به، فإنْ كان ذلك يقتضي تعطيل ذلك المحل فليعطَّل من أجله المسجد بأجمعه، وتعطيل المسجد أو شيء منه حرام، فلا يُرتَكَبُ لدفع مكروه مع إمكان دفعه بغيره، وما يقال من أنه ربما وُجِدَ في بعض المواسم هناك قذر، فقد كان شيخنا شيخ الإسلام فقيه العصر شرف الدين المناوي[1] يقول في جوابه: لا شك أنَّ ذلك المحل من المسجد، فإنْ كان وجود القذر فيه مقتضياً[2] لتعطيله وصيانته بالغلق فَلْيُغْلَق المسجد بأجمعه، فإنَّ حكم الكلِّ واحدٌ من حيث وجوب صَوْنِه واختصاص ما يقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم حاصل بالجدار الكائن عليه، وطريقُ التعظيم المنعُ من ذلك، كما قدمناه[3]، على أنَّ لمس جدار القبر وتقبيله ليس مما أجمع عل كراهيته، كما سنوضحه إنْ شاء الله تعالى في باب الزيارة.

ولما قدم مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي ـ أعز الله أنصاره ـ المدينة الشريفة للزيارة سنة أربع وثمانين وثمان مئة واجتمعت به بالروضة الشريفة أردت أنْ أتكلم معه في فتح بعض تلك الأبواب في غير أيام الموسم، فرأيته قد تعاظَمَ دخول هذه المقصورة لما عُرِضَ عليه ذلك، وقال: لو أمكنني الوقوف للزيارة في أبعد من هذا الموضع فعلت، ورأى أنَّ ذلك هو التعظيم، فعلمت أنه لا يوافق على ما أريده، والله أعلم.

---

(١) هو يحيى بن محمد الحدادي المناوي الشافعي المتوفى بالقاهرة سنة ٨٧١هـ، ترجم له السخاوي في الذيل على رفع الإصر ٤٤٠ ـ ٤٦٩ ترجمة حافلة، وانظر: بروكلمان ٢/ ٧٧ وملحقه ٢/ ٨٤ ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٢٧ مع مصادر ترجمته.

(٢) في الأصول: مقتضٍ.

(٣) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٠٥.

الفصل الثامن والعشرون
في ما تجدد من عمارة الحجرة الشريفة في زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا، وما حصل بسببه من إزالة هدم الحريق الأول من ذلك المحل الشريف ومشاهدة وضعه المنيف وتصوير ما استقرّ عليه أمر الحجرة في هذه العمارة

اعلم أنَّ بعض سُقُف المسجد التي تقدم تجديدها، كان قد ظهر تكسُّرُ بعض أخشابه في هذه الدولة الأشرفية ـ أعزَّ الله أنصارها وأعلى في سلوك العدل منارها ـ فورد المدينة المقر الأشرفي السيفي شاهين الجمالي مُنْصَرَفَهُ من جدة المعمورة، فأروه ذلك، وأروه الحائز المخمَّس الدائر على الحجرة الشريفة لانشقاقٍ فيه قديمٍ يظهر إذا رُفعت الكسوة عند منتهى الصفحة الشرقية وانعطافها إلى الزاوية الشمالية، فرفعوا عنه الكسوة، وأحضروا بعض أرباب الخبرة بسبب ذلك، فاختلف النقل عمن حضر ذلك في كونه ضرورياً أو غير ضروريٍ، فاجتمتُ بالمشار إليه بسبب ذلك، فذكر لي أنَّ الذي تحرر أنه ليس بضروري، لأنه شقٌ في طول الحائط لا في عرضه، وهو قديم مملوء بالجص، والحائط ليس عليه سقف يثقله فَيُخْشَى عليه، فأعجبني كلامه.

ثم أُنهي في سنة ثمانٍ وسبعين لمولانا السلطان الأشرف احتياج المسجد الشريف للعمارة، وسقوط منارة مسجد قباء، وكان الجناب الخواجكي الشمسي ابن الزمن مغرماً بمثل ذلك، وسبق له بالمدينة الشريفة عمارته لمدرسته المعروفة بالزمنية على يد بعض جماعته، ففوض إليه السلطان أمْرَ عمارة المسجد النبوي، فكان ما تقدم من مجيئه إلى المدينة الشريفة في أثناء سنة تسعٍ وسبعين، وتقريره

أمرَ العمارة، ثم توجه إلى مصر المحروسة، فكان من أمر العمارة ما قدمناه.

ثم رَغِبَ في أمر العمارة المقر الشرفي شرف الدين الأنصاري[1] ـ تغمده الله برحمته ـ ففوض له ذلك، وحضر صحبة الحاج إلى مكة المشرفة، وأقام بها مدة حتى يتكامل حصول آلات العمارة، فتوفي بها ليلة سابع عشر صفر[2] عام أحد وثمانين وثمان مئة، بعد شكوى خفيفة.

ثم وردت المراسيم الشريفة بتفويض أمر العمارة للجناب الشمسي ابن الزمن ـ وكان بجدة المعمورة ـ فورد المدينة الشريفة صحبة شادِّ جدة في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين، وأحضر معه جماعة من أرباب الصنائع، وأقام لينظر في أمر العمارة بنفسه، فكان ما تقدم من إصلاح السقف الأعلى وعمارة غيره من السُقُف المتقدم ذكرها، وإحكام القبة الزرقاء المحاذية للحجرة الشريفة بسقف المسجد، وإصلاح حِلية الصندوق الكائن بأصل الاسطوان التي في جهة الرأس الشريف، والقائم المجدد فوقه.

ولما نزعوا القائم العتيق وما تحته من الصندوق وجدوا ما تحت ذلك من أحجار الاسطوانة المذكورة متشظيّاً، وأحجارُها قطعٌ مجوفةٌ كالخرز، وكذا كل أساطين المسجد العتيقة، وفي جوفها الرصاص وعمد الحديد، وأهل المدينة يسمون كلَّ قطعة منها: خرزة، ويسمونها أيضاً: فلكة، فاقتضى رأيهم تعليق ما على رأس الإسطوان المذكور من أخشاب السقف، فجعلوا مرمة من الأخشاب حول الاسطوان المذكورة ليكسروا الخرز المشقق من تلك الاسطوان، وهن ست، ثم يعلقون ما صحَّ من الاسطوان إلى أنْ يدخلوا مكان ذلك بدله، ثم شرعوا في كسر تلك الخرز ونزعها، فتعسر ذلك عليهم وحصل بسببه دقٌّ عنيفٌ، حتى كانت جدران الحجرة تهتزُّ له لاتصالها بالاسطوان المذكورة، فحصل بسبب ذلك كلام

---

(١) هو موسى بن علي بن سليمان التتائي الشافعي، وليَ نظر الجيش ونظر الخاص وغير ذلك من الوظائف السنية حتى عُدَّ مدبر المملكة في عصر السلطان قايتباي، **بدائع الزهور** ٣/ ١٢٠ و**الضوء اللامع** ١٠/ ١٨٤.

(٢) ص: من صفر.

من الناس، ولكن بعد كسر بعض الخرز وإخراجه، وكانوا يعالجون في إخراج الرصاص أيضاً علاجاً أعظم من العلاج في الحجر، فعقدوا مجلساً وطلبني متولي العمارة للحضور فيه، فترددت لأنه بلغني أنَّ بعض الناس أوغَرَ صدره مني، وقرر عنده أني حريص على أنْ لا تكون هذه العمارة على يده، وكنت أرى منه محبةً وميلاً، ثم تنكَّرَ بعض التنكر، وعلمت أنَّ الرجوع عن إصلاح الاسطوانة المذكورة غير ممكن لكسر بعضها وإخراجه، فعلمت فواتَ وقت النظر، فأجبت الرسول بذلك، ولم أحضُر معهم مع علمي بأنَّ بعض أهل المجلس كان مغرىً بمخالفة ما أشير به، وإنْ كان في غاية الوضوح، سامحه الله، ثم افترقوا على إتمام ذلك، فمكثوا أياماً يعالجونه حتى تمَّ، وأعادَوا مكان الخرز الستَّ مثلها من خرز اسطوانٍ نقضوه من أساطين مسجد قباء، فكان ذلك بقدر تلك الخرز سواء، وأحكموا إعادتها بالرصاص وعمد الحديد أحسن إحكام.

وقد كنت أستبعد قدرتهم على ذلك، واتعجب من قيام بقية الاسطوان من أعلاه، مع رفع أسفله وكونه كالجبل من الحجر والرصاص، ولكن ساعدهم المدد المحمدي في ذلك مع حسن معرفة المعلم المباشر لسبك الرصاص.

ثم كان ما تقدم من إعادة الصِندوق المذكـور والقائم فوقه إلى محلهما، ونقض الرخام المُؤَزَّر به جدار الحجرة الظاهر وتجديده ـ كما تقدم ـ وعند قلع رخام الصفحة الآخذة من الزاوية الشمالية إلى الصفحة الشرقية مع ما يليها من صفحة المشرق عند منعطفها ظَهَرَ الشقُّ المتقدم ذكره، وهو انشقاق قديمٌ سَدَّ الأقدمون خَلَلَه بِكِسَرِ الآجُرِّ وأفرغوا فيه الجُصَّ وبيَّضوه بالقَصَّة فانشقَّ البياض من رأس وَزَرة الرخام إلى رأس الجدار المذكور، فأرادوا اختبار ما تحت البياض ليعلموا قدره، فقشروا البياض عنه، واخرجوا ما في خلله من الجص والآجر، فظهر من خلله بناء الحجرة المربع الذي هو جوف البناء المخمَّس المذكور، فظهر منه ملتقى حائطه الشامي وحائطه الشرقي، وظهر هناك شقٌّ أيضاً في جدار الحجرة الداخل عند ملتقى الجدارين تدخل اليد فيه، وهو قديم أيضاً، وقد سدَّه المتقدمون، ثم اتَّسعَ قليلاً على دوام الأيام.

فلما كان عشية السبت ثالث عشر شعبان عقدوا مجلساً في جوف المقصورة عند الجدار المذكور، حضره القضاة والمشايخ والخدَّام وشيخهم إينال[1]، وطلبوني لذلك المجلس، فترددت في الحضور ـ لما قدمته ـ ثم توضَّأتُ وصَلَّيتُ صلاة الاستخارة وسألت الله أنْ يُلهمني السَّداد والصواب، وحضرت فوجدت الأمر قد اتفق عليه، وشاهدت ما قدَّمته من وصف ذلك، ورأيت على ذلك البناء الداخل من الهيبة والأنس ما لا يُوصف ولا يُدرك إلاَّ بالذوق، وتحرَّر لي: أنَّ سبب انشقاق الجدار الظاهر انشقاق الجدار الداخل وميلانه نحو الجدار الظاهر، وكأنَّ الأقدمين لمَّا رأوا انشقاق الجدار الداخل ـ ولعل رؤيتهم لذلك، والله أعلم، عقب الحريق عندما أحدثوا السقف المتقدم وصفه على الحجرة الشريفة ـ أدعموا الجدار الداخل بأخشاب جعلوها بين الجدار الداخل والخارج عند رأسيهما في شرقي الحجرة، فمال الجدار الظاهر من أعلاه بحيث صار أعلاه لا يوازي أسفله، وخرج بسبب ذلك عن الاستقامة، فحدث فيه الشق المذكور.

ورأيت الحاضرين بين ساكت ومشير، فترجح عندي سلوك رأي ابن عباس رضي الله عنهما في أمر الكعبة، حيث أشار بترميمها فقط، ورأيت أنَّ ما يطلب هنا من الأدب أوجَبُ مما يُطلب هناك، فحاولت إدعام البناء الظاهر ببناء، فلم أُوافق عليه، فسألت مهندسَ العمارة ـ وكان أعرفَ الحاضرين بهذا الأمر ـ هل تحققتَ الآن إشراف هذا الجدار على السقوط، وأنه لا يتأتَّى تأخيره، أم يحتمل التأخير مدةً إذا رُمَّ بالجص والآجر، كما كان أولاً فيؤخر إلى أنْ يصير غير محتمل للتأخير، فإنه لا يفعل هنا إلاَّ ما تدعو إليه الضرورة في الحال؟ فقال: الترميم شيء وقطع الفرط شيء آخر.

ثم سأل متولي العمارة عن كيفية ما يكتب ليطالع به المسامع الشريفة، فقال له القضائي الزكوي ـ قاضي الشافعية، وأحد الناظرين، سامحه الله ـ: سَرِّح العمالَ غداً للهدم، وكتابة المحضر علينا، وخافَتَ متولى العمارة بالإنكار عليه في إحضاري، وحَثَّه على الإعراض عن كلامي.

---

(١) هو إينال الإسحاقي الظاهري، انظر: **التحفة اللطيفة** ١/ ٢٠٧ و**بدائع الزهور** لابن إياس ٣/ ١١٤.

ثم إنَّ متولي العمارة ذكر لي أنه رأى رؤيا فهِمَ منها الهدم، فصمَّم عليه، ورأيت عنده من شجاعة الجَنَان وثبات الجأش في هذا الأمر ما لا يوصف، وبلغني أنَّ بعض الناس ذكر له ما سبق من كلامي دليلٌ على ما كان قد ألقاه إليه من حرصي على أن لا تكون هذه العمارة على يده، وأنْ لا يفوز بهذه المنقبة العظيمة التي لم يُسبق إليها، ومن يسمعْ يَخَلْ[1]، ولكني أُشْهِدُ الله ورسوله على أني لم أُرِدْ سوى محض الوفاء بما أوجبه الله علينا من الأدب مع حبيبه ﷺ ومن بذل النصيحة.

ثم في صبيحة الرابع عشر من شعبان المذكور شَرَعوا في هدم المحل الشريف المتقدم ذكره من الجدار الظاهر، فهدموا جانباً من الصفحة الشرقية وجانبها مما يليها من الصفحة المنحرفة منها إلى جهة الزاوية الشمالية، وسَعَةُ ذلك خمسة أذرع بذراع اليد، وذلك من بعد نحو أربعة أذرع من الأرض إلى رأس الجدار المذكور، فظهر حينئذ هَدمُ الحريق الذي في الفضاء الكائن بين جداري الحجرة الشريفة، ورأينا فيه كثيراً من الأخشاب المحترقة قد سلم من بعضها قدر الذراع أو نحوه.

ثم في خامس عشر الشهر المذكور حضروا لتنظيف ذلك، وتوجه متولي العمارة لشيخنا العارف بالله تعالى سيدي شهاب الدين الأبشيطي[2]، قدس الله روحه، وسأله في الحضور للتبرك به، فحضر من خارج الجدار، وامتنع من الدخول وقرأ الفاتحة، وقال: نظفوا على بركة الله، ثم انصرف، وقال لي بعد ذلك: ذكروا لنا أنَّ هَدْمَ ذلك ضروري، فقلنا لهم: الضروري يُعمل، فلما دخلوا لإزالة ذلك شاهدتُ أمراً مَهُولاً من ردم الحريق بحيث لم يتأتَّ إزالته إلاَّ بالعَتَل والمساحي، وتحققت بسبب ذلك عذر من أدرك زمن الحريق في عدم إزالة ما بالحجرة الشريفة منه، كما قدمناه، وكان ارتفاعه في ذلك المحل نحو القامة، وهو

---

(١) معناه: من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقعْ في نفسه عليهم المكروه وتتغير نفسه عليهم، وقد ورد المثل في أكثر من مصدر، انظر: **معجم الأمثال العربية** لرياض عبد الحميد مراد ٢/ ٣٨٧.

(٢) هو أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر الشافعي المتوفى سنة ٨٨٣هـ، ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ١/ ١٠٠ ـ ١٠٢ وفي **الضوء اللامع** ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧ وانظر: **معجم المؤلفين** ١/ ١٦٣ مع مصادر ترجمته.

رَدْمٌ من السقف الأعلى وجصٌ وآجُرٌ من الجدار الذي كان بأعلى سقف المسجد لتمييز الحجرة الشريفة عن غيرها، كما تقدم بيانه، ومما كان على رؤوس الأساطين ومما احترق من أخشاب ذلك، فاشتغلوا بتنظيفه وتزاحم الناس عليه فاستمروا في ذلك حتى بلغوا في تنظيفه الأرض القديمة، بحيث ظهر تحصيبُ ذلك المحل بحصباء تُشْبِه ما في المسجد، غيرَ أنها اسوَدَّتْ من نَدَاوة الأرض.

واعتبرتُ التفاوت بين الأرض المُرَخَّمة خارج الجدار الظاهر والأرض المذكورة بداخله، فكانت الأرض المذكورة ـ أعني: الداخلة بين الجدارين ـ أخفض من الخارجة بذراع وثلث بذراع اليد، وظهر من وصف البناء الداخل ما قدمناه في **الفصل الثاني والعشرين** من كونه مربعاً بأحجار منحوتة عليها أبهة عظيمة، وأنَّ الصفحة الغربية منه مُلاصقة للصفحة الغربية من البناء الظاهر، وليس بينهما ولا مغرز إبرة، وأنه لا بابَ فيه ولا موضع باب، وفي الصفحة الشمالية لاصق بها الاسطوان الذي[1] قدمنا وصفه، وأنَّ بعضه داخل في الصفحة المذكورة، وقد أثَّرَ فيه الحريقُ كما قدمناه، حتى تشطَّبَ بعضه سيما في أعاليه، وهو في صفِّ مربعة القبر، يليها من جهة المشرق.

وتبين حينئذ ما في الجدار الداخل من الانشقاق المتقدم وصفه في شماليه مما يلي المشرق، فأدخلوا فيه شمعةً، فشاهدوا في ما يقابله من الجدار القبلي مما يلي المشرق أيضاً انشقاقاً مثله، وتبيَّن لي أنَّ البناء المتقدم وصفه بين الجدارين القبليين في موازاة الاسطوانة الظاهرة في الجدار القبلي التي يقف عندها المُسَلِّمُ على عمر رضي الله عنه، إنما جُعِلَ إدعاماً للجدار المذكور لمَّا حدث به ذلك الانشقاق، وظهر ما أدعموه به من الأخشاب بين الجدارين[2] الداخل والخارج في جهة المشرق، على ما قدمناه، فتردد متولي العمارة في نقب الجدار الشامي لإحكام ذلك الشق وترميم الشق المقابل له.

ثم عزم على هدم الجدار المذكور ـ أعني: جدار الحجرة الداخل من جهة

---

(١) في الأصول عدا س: التي.
(٢) ش، م١: الجدار.

الشام ـ بأجمعه، فبدأ برفع السقف الذي وجد على الحجرة نفسها ـ كما قدمناه ـ وحينئذ ظهر لهم ساحة الحجرة الشريفة، وستر الله تعالى القبور الشريفة عن الأعين بالردم، ثم علمت أنَّ هذا الموطن يُطلب فيه من التثبُّت والأدب التام ما لا يُطلب في غيره، فانصرفت عازماً على أنْ لا أحضر معهم ما داموا في تعاطي الهدم وأنْ أحضر معهم في البناء.

ثم أفاضوا في عقد قبة سُفلية على جدار الحجرة الداخل رعاية للإتقان والإحكام، فكرهت ذلك لعلمي أنه يَجُرُّ إلى هدم معظم الحجرة مع ما فيه من تغيير الهيئة الأولى.

ثم في حادي عشر شعبان المذكور أجمعوا أمرهم على ذلك، فشرعوا في هدم الجدار الشامي والشرقي من البناء الداخل، فوجدوا في الجانب الذي يلي المغرب من الجدار الشامي، وكذا في ما يقابله من القبلي، وكذا في الغربي عندما هدموا أسفل السترة المبنية على السقف المحترق بين فصوص الأحجار وأعلاها مع رأس الجدر المذكورة، لَبِناً غيرَ مَشْوِيٍ؛ طول اللبنة منه أرجح من ذراع، وعرضه نصف ذراع، وسمكه ربع ذراع، وطول بعضه وعرضه وسمكه واحد، وهو نصف ذراع، ولم يجدوا مثل ذلك في الجدار الشرقي، ولا في ما يليه من الشامي والقبلي.

وقد عاب بعضُ الناس على الأقدمين في وضعهم ذلك في الجدار، ونَسَبَهُم به إلى التقصير، وربما قال: إنَّ البنائين زمن الوليد ـ لما أمر ببناء المسجد على يد عمر بن عبد العزيز ـ كانوا كفاراً، وإنَّ ذلك من غشِّهم، وهذا جهلٌ من قائله.

وقد قدمنا من شرح حال بناء الحجرة ما فيه كفايةٌ، وتقدَّم أنَّ عمر بن الخطاب أو ابن الزبير هو الباني للحجرة على ما رواه ابن سعد، ولو سلم أنَّ تلك البناية في ولاية عمر بن عبد العزيز للعمارة المتقدمة، فهو أتقى لله من أن يُهْمِلَ قبر نبيِّهِ بيد الكفار حتى يغشُّوا في بنائه بمثل ذلك.

وقد ظهر لي في ذلك: أنَّ السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالأحجار لقصد الإحكام والبقاء ـ وكان ما عدا الأساس منها مبنيّاً باللبِنِ في عهده ﷺ كما يؤخذ

مما قدَّمناه ـ فرأوا أنْ لا يخلو بناؤهم من بركة ذلك اللبن، فوضعوا منه ما رأوا فيه الصلابة بين الأحجار المبنية بالقَصَّة، ولولا إتقان ذلك البناء لما مكث هذه المدة المديدة، والعجبُ أنَّ الخَلَل والانشقاق لم يحصل إلا في الناحية الخالية منه، وقد قدمنا أنَّ الذي يظهر أنَّ تلك الناحية سقطت وأعيدت، واختلاف البنائين شاهد بذلك، حتى إنَّ الجدار الشرقي لم يكن مبنياً بالحجارة المواجهة[1] إلا من داخله دون خارجه، وعرض منقبته[2] أقل من عرض بقية الجدر.

ولما بلغوا في هدم الجدار الشامي أرض الحجرة الشريفة شَرعوا في تنظيف الرَّدم الساتر للقبور الشريفة، وذلك في صبيحة الثالث والعشرين من شعبان المذكور، ومكثوا في ذلك إلى غروب الشمس مع كثرتهم حتى بلغني أنَّ الحجرة الشريفة امتلأت بهم، ولم يخصوا مكاناً دون مكان، فظنوا أنَّ القبر الشريف قريباً[3] من وسط الحجرة، وليس كذلك، كما سَنُبَيِّنُهُ.

ووضعوا ما أخرجوه من الردم عند طرف المسقَّف الغربي؛ في زاويته المتَّصِلة بمسقف الدكاك، وبَنَى عليه متولي العمارة تلك الدكة البارزة هناك.

ثم وفَّى القاضي الزكوي بما وعد به متولي العمارة من كتابة المحضر، وكتب فيه أهل المدينة، ولم أكتب فيه، واعتذرت بأنه لم يسبق لي عادة بمثل ذلك، وبعثوا به إلى مصر المحروسة.

فلما كان في صبيحة الخامس والعشرين من الشهر المذكور، بعث إليَّ متولي العمارة لأتبرَّك بمشاهدة الحجرة الشريفة بعد تنظيفها، وصار قائل يقول: ظهر القبر الشريف، وقائل يقول: لم يجدوا لجميع القبور الشريفة أثراً، فحثَّني داعي الشوق وغلبة الوجد، واستحضرت ما وقع لبعض السلف من سؤاله لعائشة رضي الله عنها أنْ

---

(١) خ: الموجهة.

(٢) بمعنى: عرض الجدار إذا أُحدثَ فيه نَقبٌ، والمنقبة: هي: "الطريق الضيق بين دارين لا يستطاع سلوكه".

(٣) كذا في الأصول، وله وجه في النحو على إضمار كان.

تُرِبَهُ القبورَ الشريفة، وغير ذلك مما سبق ومما سيأتي في باب الزيارة، ووصف السلف للقبور الشريفة، وذكرهم ذرع الحجرة الشريفة وكيفيتها، كما تقدم، فعزمت على الإقدام، وتمثلتُ بقول بعضهم:

ولوقيل للمجنون أرض أصابها غبارُ ثَرَى ليلى لَجَدَّ وأسرعا
لعلَّ يرى شيئاً له نسبةٌ لها[1] يُعَلِّلُ قلباً كادَ أنْ يتصدعا

فتطَهَّرتُ وتوجهت لذلك مستحضراً عظيم ما توجهت إليه، وموقع المثول ببيت أوسع الخلق كرماً وعفواً، وذلك هو المعوَّل عليه، واستحضرت قول بعضهم:

عَصَيتُ فقل لي كيف ألقى محمداً وَوَجهي بأثواب المعاصي مبرقعُ

ثم أنشدت الذي يليه:

عسى الله من أجل الحبيب وقربه يُداركني بالعفو فالعفو أوسعُ

وسألتُ الله أنْ يمنحني حُسنَ الأدب في ذلك المحل العظيم، ويُلهمني ما يستحقه من الإجلال والتعظيم، وأنْ يرزقني منه القبول والرضى، والتجاوز عما سلفَ ومضى، فاستأذنت ودخلت من مؤخر الحجرة، ولم أتجاوز ذلك المحل، فشممت رائحة ما شممت في عمري رائحةً أطيبَ منها، ثم سَلَّمت بوجلٍ وحياءٍ، على أشرف الأنبياء، ثم على ضجيعيه خلاصة الأصفياء، ودعوت بما تيسَّر من الدعوات، وتشفَّعت بسيد أهل الأرض والسماوات، واستنزلت به في بيته من الأزمات، واغتنمت هذه الفرصة في جميع الحالات، ولله در القائل[2]:

تَمَتَّعْ إنْ ظَفِرتَ بِنَيلِ قُرْبٍ وحَصِّل ما استطعت من ادِّخارِ
فقد وسَّعتُ أبواب التداني وقد قَرَّبتُ للزوارِ داري
وقد هبَّت نُسيمات لنجدٍ فَطِبْ واشرب بكاساتٍ كبار
فما وقتٌ يمرُّ بمستعادٍ وما دارُ الأعزَّة بالقرار

---

(١) خ، م٢: نسبة بها.
(٢) لم أقف بعد على قائل هذه الأبيات.

فـودع أرض نجـدٍ قبـل بعـدٍ　　فمـا نَجْـدٌ لمـرتَحِـلٍ بـدار

أقـول لمـن يَمُـرُّ بـأرض نجـدٍ　　ويظفَـرُ مـن رباهـا بـالـديـار

تـزوَّدْ مـن شَميـمِ عَـرارِ نجـدٍ　　فمـا بعـدَ العشيَّـة مـن عَـرار[١]

وقـل أيضـاً لمُغْتَنِـمٍ صفـاءً　　على معنىً يلـوحُ لـذي اعتبـار

إذا العشرون من شعبان ولَّتْ　　فـواصِـلْ شُـربَ ليلـكَ بـالنهـار

ولا تشـرِبْ بـاقـداحٍ صغـارٍ　　فإنَّ الوقتَ ضاقَ عن الصغار

فلما قضيتُ من ذلك الوطرَ، متَّعتَ عيني من تلك الساحة بالنظر، لأتحف بوصفها المشتاقين، وأنْشُرَ من طِيبِ أخبارها في المحبين، فتأملتُ الحجرة الشريفة فإذا هي أرض مستوية، وتناولتُ من ترابها بيدي فإذا فيه نَداوة وحصباء كالحصباء المتقدم وصفها بين الجدارين يظهر عند فحصه بالأصابع، ولم أجد للقبور الشريفة أثراً، غير أنَّ بأوسط الحجرة موضعاً فيه ارتفاع يسير جداً، توهموا أنه القبر الشريف النبوي، فأخذوا من ترابه للتبرك في ما زعموا، ومنشأ ذلك الوهم جَهْلُ من كان هناك بأخبار الحجرة الشريفة، وذلك المحل ليس هو القبر النبوي قطعاً، ولعله قبر عمر رضي الله عنه، لأنَّ الشافعي رضي الله عنه قد نَصَّ على أنَّ النبي ﷺ إنما لُحِدَ له في جدار القبلة[٢].

قال الشافعي في ما نقله عنه الأقشهري رداً على من قال: إنَّ النبي ﷺ أُدْخِلَ لقبره معترضاً: هذا من فحش الكلام في الأخبار، لأنَّ قبر رسول الله ﷺ كان قريباً من الجدار، وكان اللحد تحت الجدار فكيف توضع الجنازة على عرض القبر حتى سُلَّ معترضاً؟ فدلَّ على أنَّ هذا النقل غير صحيح[٣]، انتهى.

وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه، قال: رُشَّ قبر النبي ﷺ، وكان

---

(١) كتاب شرح ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح المرزوقي، رقم: ٤٦٦ وكتاب المناسك للحربي ٦٠٣ وتاج العروس ٣/ ٣٥٣ نسبها الصاغاني لجعدة بن معاوية بن حزن العقيلي.

(٢) الكامل لابن عدي ٥/ ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٣) الروضة الفردوسية ورقة ٨٠أ وكتاب الأم للشافعي ١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢ وفي المغني لابن قدامة ٢/ ٤٩٧: «أن النبي ﷺ سل من قبل رأسه سلاً».

الذي رشَّ الماء بلال بن رباح بقربةٍ؛ بَدَأَ من قِبَلِ رأسه حتى انتهى إلى رجليه، ثم ضَرَّجه بالماء إلى الجدار، لم يقدر على أنْ يدور من الجدار لأنهم جعلوا بين قبره وبين حائط القبلة نحواً من سَوْط[١].

وقال ابن سعد في **طبقاته**: أخبرنا شُريح بن النعمان عن هشيم، قال: أخبرني رجل من قريش؛ من أهل المدينة، يقال له: محمد بن عبد الرحمن عن أبيه، قال: سقط حائط قبر النبي ﷺ في زمن عمر بن عبد العزيز ـ وهو يومئذٍ على المدينة في ولاية الوليد ـ فكنت في أول مَنْ نَهَضَ، فنظرت إلى قبر رسول الله ﷺ، فإذا ليس بينه وبين حائط عائشة رضي الله عنها إلاَّ نحو من شبرٍ، فعرفت أنهم لم يُدخلوه من قبل القبلة[٢].

وعلى تقدير أنْ يكون ثَمَّ موضع بين القبر الشريف وبين جدار القبلة بحيث يتأتى إدخاله ﷺ من ناحية القبلة فلا يكون ذلك الموضع محل القبر الشريف، لبعده من جدار القبلة جداً.

وفي ما رواه ابن زبالة ويحيى من خبر عبد الله بن محمد بن عقيل، في قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة المتقدم ذكره أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لمزاحم لما دخل: يا مزاحم كيف ترى قبر النبي ﷺ؟ قال: متطأطياً، قال: فكيف ترى قبر الرجلين؟ قال: مرتفعين، قال: أشهد أنه رسول الله.

وقد قدَّمنا من وصف داخل الحجرة وذكر ذرعها ما فيه كفاية.

وقد تأمَّلتُ التفاوت بين أرض الحجرة الشريفة وبين أرض الفضاء الخارج بين الجدار الشامي الداخل وزاوية الجدار الخارج، فوجدتُ أرض الحجرة أَنْزَلَ منه بنحو ذراع ونصف، وتقدم: أن أرض الفضاء المذكور أخفضُ مما حول الحجرة من المسجد بذراع وثلث، فيكون التفاوت بين داخل أرض الحجرة وأرض المسجد نحو ثلاثة أذرع.

---

(١) ورد قسم من هذا الخبر عن جابر بن عبد الله في **طبقات** ابن سعد ٢/٣٠٦.

(٢) **طبقات** ابن سعد ٢/٣٠٧.

وتأمَّلتُ آثارَ رَدْمِ الحريـق في الجدرات، فرأيته في بعضها نحو ثلاثة أذرع وشيء، وفي بعضها نحو ذراعين، وأخبرني المباشرون لإخراجه بذلك أيضاً.

ثم هدموا من الجدار القبلي، مما يلي المشرق جانباً، نحو أربعة أذرع وشيء، حتى بلغوا به أرض الحجرة.

وهدموا أيضاً جانباً من الجدار الغربي مما يلي الشام حتى بلغوا به الأرض أيضاً، وذلك نحو خمسة أذرع منه؛ فعلوا ذلك ليتأتى لهم إحكام القبة التي أجمعوا أمرهم عليها، ولم يبق من أركان الحجرة الشريفة سوى مجمع جدار القبلة وجدار المغرب.

ثم أنهم هدموا من علوِّ ما بَقِيَ من الجدارين المذكورين نحوَ خمسة أذرع، ولم يبق من بناء الحجرة الأصلي إلاَّ ما فضل منهما[1].

ووجدوا عند هدم مبدأ الجدار القبلي من أعلاه ميزاباً قد احترق بعضه من جهة ما كان بناء الجدار، وبقي منه نحو الذراع، وهو من عَرْعَرٍ له رائحةٌ ذكية، وسَعةُ مجرى الماء فيه نحوَ أربعة أصابع أو خمسة، كأنَّه كان ميزاباً للحجرة الشريفة قديماً فحرص الأقدمون على ما بقي منه بعد الحريق ووضعوه بين السترة التي أحدثوها لأجل السقف وبين رأس الجدار فجزاهم الله خيراً.

ولما أُعيدَ بناء الحجرة حَرَصْتُ على أن يُعاد فيها، فوعدني متولي العمارة بذلك، فلما كان عند ختم البناء سألته عنه، فذكر لي أنه جعله في البناء الآتي ذكره في أعلى الجدار الشامي بين ما بقي من لَبنِ الحجرة وليَّسَ[2] عليه بطين ذلك اللبن.

ثم عند الشروع في إعادة بناء الحجرة اقتضى رأيهم إدخال الاسطوان المتقدم وصفه، خلف جدار الحجرة الشامي لتشقُّقِه فزادوا في عرض ذلك الجدار من

---

(١) ص: منها.

(٢) ليَّس: غطاه بالطين، وما زالت الكلمة مستعملة في الحجاز، إلا انَّ العراقيين يقولون: ليَّص، بالصاد.

الرحبة المثلثة الشكل، المتقدم وصفها، بين الجدارين، وكان الشروع في إعادة بناء الحجرة في سابع عشري شعبان المذكور، فابتدأوا بالجدار المذكور، وأوصلوه بالجدار الغربي، وأعادوا ذلك بأحجار الحجرة التي نقضوها منها، ثم رأوا أنَّ إحكام القبة التي عزموا عليها يقتضي تربيع محلها، بحيث لا يزيد طوله على عرضه، وقد قدَّمنا في ذرع الحجرة ما يقتضي عدم ذلك.

فعقدوا قَبْواً على نحو ثلث الحجرة الذي يلي المشرق والأرجل الشريفة، وجعلوا الجدار الخارج من جهة المشرق متصلاً بجدار الحجرة الداخل، فأدخلوا ما كان بينهما في جدار القبو المذكور إلى نهاية ارتفاعه، وكذا فعلوا في ما كان بين الجدار القبلي الداخل والخارج؛ سَدُّوه أيضاً بالبناء حتى لم يبق حول البناء الداخل فضاء إلاَّ ما بقي من الرحبة المثلثة الشكل في جهة الشام، وصار عُلُوُّ القبة المذكورة فضاءً أيضاً بين القبة وبين الجدار الظاهر في جهة المشرق، وعقدوا القبة المذكورة على ما بقيَ من الحجرة، وهو ما يلي المغرب منها في جهة الرؤوس الشريفة، وحاول بعض الناس أنْ يكون عقد القبة بالآجر، فكرهت ذلك لِمَا لا يخفى، فاجتنبه متولي العمارة، جزاه الله تعالى خيراً، وعَقَدها بالاحجار المنحوتة من الحجر الأسود، وكَمَّلها بالأبيض.

وأخبروني أنَّ ارتفاع القبة المذكورة من داخل أرض الحجرة الشريفة إلى محَدَّب القبة المذكورة ـ وهو أعلاها المغروز فيه هلالها ـ اثنا عشر ذراعاً بذراع العمل، فيكون بالذراع المتقدم وصفه ثمانية عشر ذراعاً وربع ذراع.

ومن أرض الحجرة أيضاً إلى نهاية القبو الذي بُنِيَ عليه أحدُ حوائط القبة المذكورة ثمانية أذرع وشيء بذراع العمل، وذلك نحو أحد عشر ذراعاً بالذراع المتقدم وصفه، وارتفاع حائط القبة الشرقي ـ وهو الذي يلي القبو المتقدم وصفه ـ عن[1] طرف القبو الذي بنيَ عليه الحائط المذكور ذراع وثلثان بذراع العمل، وذلك: ذراعان ونصف راجح بالذراع المتقدم وصفه.

---

(١) ص: على.

وصار ما بين حائط القبة المذكور وبين حائط الحجرة الظاهر في جهة المشرق ـ أعني: سطح القبو المذكور وما اتَّصَل به ـ كما كان بين الجدارين وأُدْخِلَ في عرض الجدار رحبة واحدة يحيط بها من المغرب حائط القبة المتقدم وصفه، ومن المشرق حائط الحجرة الظاهر، ومن القبلة حائط الحجرة الظاهر أيضاً، ومن الشام سترةٌ بُنيت له في ما بين جدار القبة الذي يليه وجدار الحجرة الظاهر في المشرق.

وذرع هذه الرحبة المذكورة بسطح القبو المذكور طولاً من القبلة إلى الشام سبعة أذرع ونصف سدس ذراع بذراع العمل، وذلك أحد عشر ذراعاً بالذراع المتقدم وصفه.

وذَرعُها عرضاً مختلف؛ فمما يلي القبلة ذراعان ونصف بذراع العمل، ومما يلي الشام نحو الثلاثة.

وأما جدار القبة الشامي، فقد تقدم أنهم زادوا في عرضه من الرحبة خلفه وجعلوه أيضاً متفاوت العرض، فجعلوا ما يلي المشرق منه ـ وهو الموضع المحاذي للاسطوانة التي وقعت الزيادة في العرض لأجل إدخالها وإدعامها بذلك ـ أزيدَ من الجهة التي تلي المغرب منه بنحو نصف ذراع، فإنهم جعلوا عرض الجدار في هذه الجهة، من أسفل عقد القبة، نحو ثلاثة أذرع بذراع اليد، وعرضه في الجهة الأخرى دون ذلك بنحو نصف ذراع، بحيث صارت جهة الاسطوان المذكور بارزة عن بقية ذلك الجدار في الرحبة المذكورة، كما سيأتي تصويره.

وقد جعلوا على رأس هذا الجدار بناءً يسيراً مما بقيَ من اللبن الذي أُخرج من بعض جدار الحجرة، كما تقدم وصفه، بعد أنْ تفرَّق اللبن المذكور، وأُخِذ الكثير منه.

وتركوا في نحو وسط هذا الجدار خَوخَةً، فلما لم يبق إلاَّ هي أدخلوا منها شيئاً كثيراً من الحصباء؛ جاءوا بها من عَرَصَة العقيق من جنس حصباء المسجد بعد غسلها لِيَضَعُوهَا على القبور الشريفة، وكنت قد ذكرت لبعضهم أنَّ موضع القبر

الشريف النبوي مما يلي الجدار القبلي، وأنه يُستَنْبَطُ مما قدَّمناه في مسمار الفضة المحاذي للوجه الشريف أنَّ أول القبر الشريف من جهة المغرب على نحو ذراعين بذراع اليد من الحائط الغربي، لأنَّا إذا أسقطنا عرض الجدارين الغربيين ـ وهما الداخل والخارج، وهو نحو ثلاثة أذرع مما بين المسمار وأول الجدار الظاهر الغربي، وهو نحو خمسة أذرع، كما تقدم ـ كان الباقي نحو الذراعين إلى الرأس الشريف، فاستحسن ذلك، فحضر معهم لما دخلوا من الخوخة المذكورة لوضع الحصباء على القبور الشريفة، فوضعوا ذلك على المحل الشريف المذكور كما وصفت، وأخذوا بالهيئة المشهورة في كيفية القبور الشريفة من أنَّ رأس أبي بكر رضي الله عنه خلفَ منكب النبي ﷺ، ورأس عمر رضي الله عنه خلف منكب أبي بكر، فوضعوا الحصباء عليهما كذلك، وكان بعض المباشرين لذلك حنفيّاً ـ وهو صهر متولي العمارة ـ فجعلها مسنَّمة، وذلك بعد أن أكثروا في الموضع المذكور من البَخور بالعُود والعَنْبر وغيرهما من أنواع الروائح، وعَرْفُ المحل الشريف على ذلك كِلّه راجِحٌ فائِحٌ، ولله دَرُّ القائل:

بطيـبِ رسـولِ اللهِ طـابَ نسيمُهـا
فما المِسكُ ما الكافورُ ما المَنْدَلُ الرَّطْبُ

وألقى جماعة من الناس من تلك الخوخة أوراقاً ـ كتبوا فيها التشفع بالنبي ﷺ ومآربَ يسألونها ـ بالحجرة الشريفة، ثم سدُّوا الخوخة المذكورة واحكموا بناءها كبقيَّة الجدار، وبيَّضوا القبة المذكورة وجميع جدرانها من خارجها بالجص، وجاءت حسنة فاضَ عليها أنسُ المحل الشريف، ونصبوا بأعلاها هلالاً من نحاس يظنه الرائي ذهباً، وهو قريب من سقف المسجد الأول؛ فإنَّ القبة المذكورة تحته، ثم سدوا ما بقي من نقب الجدار الظاهر، وحضرت معهم في ذلك الوقت، وحضرت أيضاً بعض بناء الحجرة الشريفة، وتبركت بالعمل فيه، ولم أحضر غيرَ ذلك طلباً للسلامة، وأنشدت في ذلك المحل الشريف قصيدتي التي تطَفَّلتُ بها على واسع كرم الجناب الرفيع الحبيب الشفيع الحَالِّ بذلك الحِمَى المنيع، التي أولها:

قِفْ بالديارِ لِحيٍّ في ذرى الحَرَمِ وَحَيِّ هذا المُحَيَّا من ذوي إِضَمِ

وكان الفراغ من ذلك وخَتْمُ بناء الجدار الظاهر في يوم الخميس المبارك سابع شوال من السنة المذكورة، وأصرفوا في ذلك وفي غيره من عمارات المسجد وإعادة مَنَارة مسجد قُباء وتجديد بعض سقفه وإحكام مصرف المياه التي كانت تجتمع حول المسجد عند كثرة الأمطار مالاً جزيلاً، ومن أعظم ذلك نفعاً ما جعل لمصرف المياه المذكورة ـ كما سيأتي وصفه ـ فقد عَمَّ نفعه، وذلك كله في الصحائف الشريفة السلطانية الأشرفية، أعزَّ الله أنصارها، وأعلى في سلوك العدل منارها، على يد متولي العمارة الجناب الشمسي المتقدم ذكره ضاعف الله تعالى حسناته.

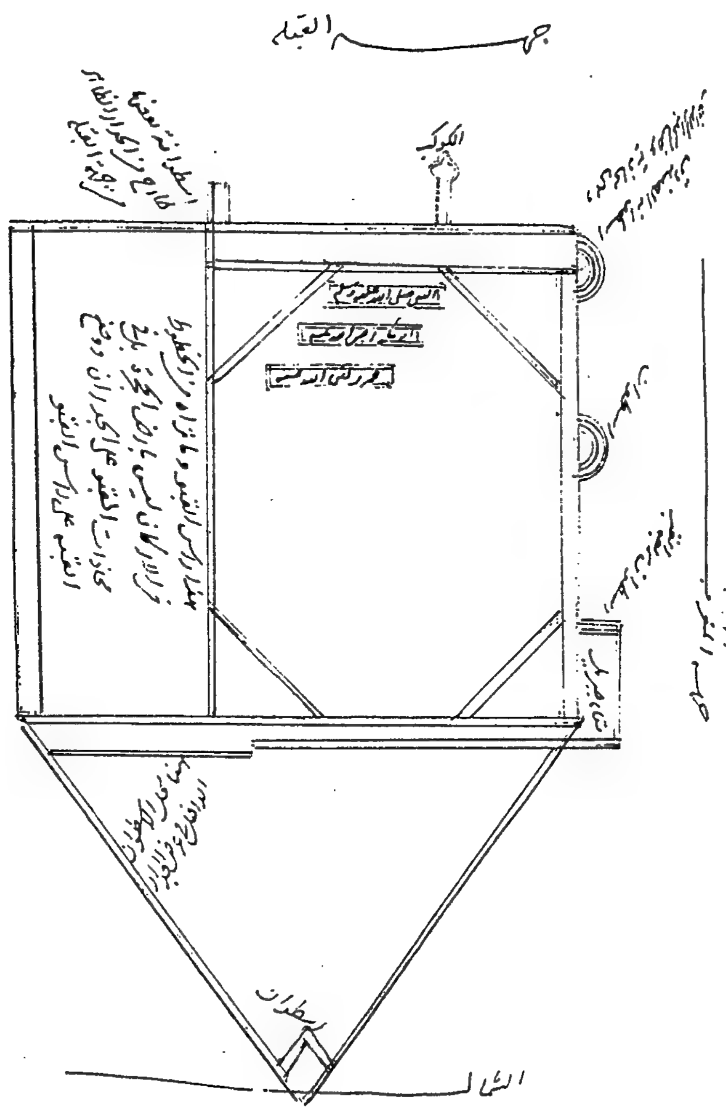
وهذا تصوير ما استقر عليه الأمر من هذه العمارة في صورة الحجرة المشرفة والقبور الشريفة فيها[١]، [*]:

---

(١) هذا التصوير لا يظهر في ر، ت، س.

(*) الصورة الآتية مأخوذة من نسخة م١ لأنها أوضح مما في بقية النسخ.

198



ثم حدث بعد الحريق الثاني عند انشاء القبة الثانية التي جعلوها بدلا
عن القبة الزرقاء المتقدم ذكرها تاسيس دعامة وعقد في جهة المغرب
عند مقام جبريل عليه السلام متصل بجدار الحجرة الظاهر من اعلاه واسطوان

هنا صورة ٤

Photo No 4

ثم حدث بعد الحريق الثاني عند إنشاء القبة الثانية التي جعلوها بدلاً عن القبة الزرقاء المتقدم ذكرها، تأسيسُ دعامةٍ وعقدٍ في جهة المغرب عند مقام جبريل عليه السلام متَّصل بجدار الحجرة الظاهر من أعلاه واسطوان وعقد في مقابلة ذلك في المشرق متصل بالجدار الظاهر أيضاً في جهة المغرب.

الفصل التاسع والعشرون
في الحريق الحادث في زماننا
بعد العمارة السابقة وما ترتّب عليه

أَلْحَقْتُهُ هنا مع إلحاق ما تقدمت الإشارة إليه في الفصول السابقة، لحدوثه بعد الفراغ من مسوَّدة كتابنا هذا، لأني توجَّهت إلى مكة المشرفة للاعتمار أول شهر رمضان عام ستة وثمانين وثمان مئة، فوردَ عليَّ بها عدَّة كتبٍ من الصادقين في الخبر، وشافهني من شاهد الأمرَ والأثرَ، بما حصل من الخطب العظيم، والرزء الجسيم، باحتراق المسجد النبوي أولَ الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان، وذلك أنَّ رئيس المؤذنين وصدر المدرسين الشمسي شمس الدين محمد ابن الخطيب[1] قام يُهَلِّلُ حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية، وصعد المؤذنون بقية المنائر، وقد تراكم الغيمُ فحصل رعدٌ قاصف أيقظ النائمين، فسقطت صاعقة أصاب بعضهـا هلالَ المنارة المذكورة، فسقط شرقي المسجد وله لهب كالنار، وانشقَّ رأسُ المنارة، وتوفي الرئيس المذكور لحِينِه صَعِقاً، فَفَقَد مَنْ كان على بقية المنائر صوتَه، فنادوه فلم يُجِبْ، فصعد إليه بعضهم فوجده ميّتاً، وأصاب ما نزل من الصاعقة سقفَ المسجد الأعلى؛ بين المنارة الرئيسية وقبّة الحجرة النبوية فَثَقَبَهُ ثُقباً كالترس، وعلقت النار فيه وفي السقف الأسفل، ففتح الخُدَّام أبواب المسجد قبل الوقت المعتاد وقبل إسراجه، ونودي بالحريق في المسجد، فاجتمع أمير المدينة وأهلُها بالمسجد الشريف، وصعد أهلُ النجدة منهم

(١) ترجم له السخاوي في التحفة اللطيفة ٢/ ٤٣٨ وذكر منافسته للسمهودي في التدريس وإنابته للقاضي الزكوي وموته بالصاعقة التي أصابت المنارة الرئيسية وتسببت في حريق المسجد النبوي الشريف.

بالمياه لإطفاء النار، وقد التهبت سريعاً في السقفين وأخذت لجهة الشمال والمغرب، فعجزوا عن إطفائها، وكلما حاولوه لم تزدد إلا التهاباً واشتعالاً، فحاولوا قطعها بهَدْم بعض ما أمامها من السقف، فسبقتهم لسرعتها، وتطبق المسجد بدخان عظيم، فخرج[1] غالبُ من كان به، ولم يستطيعوا المكث، فكان ذلك سببَ سلامتهم، وهرب من كان بسطح المسجد إلى شماليه، ونزلوا بما كان معهم من حبال الدِّلاء التي اسْتَقَوا بها الماء لخارج المسجد على الميضأة والبيوت التي هناك وما حول ذلك، وسقط بعضهم فهلك، ونزل طائفة منهم إلى المسجد من الدَّرج فاحترق بعضهم ولجأ بقيتهم إلى صحن المسجد مع مَنْ حالت النار بينه وبين أبواب المسجد ممن كان أسفل، ومنهم صاحبنا الشيخ العالم صدر المدرسين الشمسي شمس الدين محمد بن المسكين المعروف بالعوفي[2]، فمات بعد أيام لضيق نَفَسِه بسبب الدخان مع توعُّكٍ سابق، رحمه الله تعالى.

واحترق من الخدام الزيني سند[3] نائب خازن دار الحرم، تغمده الله برحمته.

ومات جماعة تحت هَدم الحريق من الفقراء وسُودَان المدينة، وجملةُ من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفساً، وكانت سلامة من بقي بالمسجد على خلاف القياس، لأنَّ النار عَظُمَتْ جداً حتى صارت كبحرٍ لُجِّي من نار، ولها زفير وشهيق وألْسُنٌ تصعد في الجو، وصار لفحها يؤثر من البعد حتى أثَّرَتْ في النخلات التي بصحن المسجد، وعلق منها شيء بالمنارة الرئيسية فاحترقت، ووصلت النار لثياب الرئيس شمس الدين رحمه الله فاحترقت بعد موته، وصارت النار ترمي بشرر كالقصر فتسقط بالبيوت المجاورة للمسجد، ومع ذلك فلا تؤثر فيها، حتى

---

(١) ص: فجزع.

(٢) له ذكر في التحفة اللطيفة للسخاوي ٢/ ٥١٠ والظاهر أنه ولد القاضي فخر الدين محمد بن محمد بن الحارث المعروف بابن المسكين الفقيه الشافعي الذي كان معاصراً لأبي عبد الله بن فرحون والد البدر ابن فرحون صاحب نصيحة المشاور.

(٣) ص: شند.

سقط بعض الشرر على سَعَفٍ[1] فلم يحترق، وحُمِلتْ بعض خزائن الكتب من تحت سقف المسجد إلى صحنه فأصابها الشرر فاحرقها.

ونُقِلَ عن جمعٍ كثيرٍ أنهم شاهدوا حينئذٍ أشكال طيور بيض كالإِوَزِّ يحومون حول النار كالذي يكفُّها عن بيوت الجيران.

وأُخبر أمير المدينة الشريفة السيد الشريف زين الدين قسيطل الجمازي[2]: أنَّ شخصاً من العرب صادق الكلام رأى في المنام ليلة ثاني عشر من رمضان أنَّ السماء فيها جَرَادٌ منتشرٌ، ثم عقبته نار عظيمة، فأخذ النبي ﷺ النار وقال: أُمْسِكُهَا عن أمتي، فجزاه الله عن أمته ـ خصوصاً جيرانه ـ أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

وحُكِيَ أيضاً عن بوَّاب رباط السبيل: أنه ذكر مثل تلك الرؤيا عن غيره، كتب لي بذلك صاحبنا العلامة شيخ المحدثين بالحرم النبوي[3] الشيخُ شمس الدين ابنُ شيخنا العلامة ناصر الدين العثماني أمتع الله به.

هذا مع ما حصل لأهل المدينة الشريفة من الدَّهشة العظيمة والحيرة لما شاهدوا من هول هذه النار ومنظرها الفظيع، حتى أيقن بعضهم بالهلاك، وانتقل بعض أهل الدور منها لمَّا وصل إليهم الشَّرر، وخرج بعضهم من باب المدينة الذي يلي البقيع، وبعضهم من بابها الذي يلي المصلَّى، وظنوا أنَّ النار محيطةٌ بهم.

قال الشمس العثماني: وصار لجميع المدينة من جميع جهاتها بالبكاء ضجيج، وبالدعاء عجيج، قال: وأمرُ هذه النار عجيبٌ، وليس الخبر كالمعاينة، وصار المسجد كالتنور، ولم يمضِ إلاَّ أقل من عشر درج وقد استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف، غير ما وقعت المبادرة لإخراجه أولاً وهو يسير، وغير القبة التي

---

(١) ص: سقف.

(٢) هو قسيطل بن زهير الحسيني الجمازي، ولي المدينة سنة ثلاث وثمانين وثمان مئة إلى سنة سبع وثمانين وثمان مئة، ترجم له السخاوي ترجمة قصيرة في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٣٨٤ و**الضوء اللامع** ٦/ ٢٢١.

(٣) ش: بالحرم النبي.

بصحن المسجد ـ وسبق ذكر سلامتها في الحريق الأول.

وكنتُ تركت كتبي بالخلوة التي كنت أُقيم بها في مؤخر المسجد، فَكَتَبَ[١] إليَّ باحتراقها، ومنها أصلُ هذا التأليف وغيره من التواليف، والكتب النفيسة نحو ثلاث مئة مجلد[٢]، فَمَنَّ الله تعالى عليَّ ببرد الرضى والتسليم، وفراغ القلب من ذلك، حتى ترجحت هذه النعمة عندي على نعمة تلك الكتب، لِمَا كنت أجدُه قبلُ من التعلُّقِ بها، فلله الحمد والشكر على ذلك.

هذا مع ما منَّ الله به عليَّ من غيبتي عن هذا الأمر المَهُول، فإنَّ وقوعه كان في ليلة الوصول إلى الحرم المكي، ولم يَتَّفِقْ لي منذ سكنت المدينة الخروجُ منها في رمضان، بل كنت أُلازِمُ المسجدَ النبوي فيه من أوَّله إلى آخره؛ ليلاً ونهاراً، فكان ذلك سببَ النجاة من هذا الأمر.

ولما اشتعلت النار في السقف المحاذي للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التي بسقف المسجد الأعلى، واحترقت أخشابها وما يحاذيها من السقف الأسفل والشباك الدائر على حائز عمر بن عبد العزيز الذي تُعَلَّقُ الكسوة بأعلاه، وسقط ما سقط من ذلك على القبة السفلى التي تقدم تجديدها، فلما أصبحوا بدأوا بطفي ما سقط على القبة المذكـورة، واستمروا في ذلك إلى آخر النهار، فسلمت القبة المذكورة مع أنَّ بعضها من الحجر الأبيض الذي يُسرِعُ تأثره بالنار، وذلك من المعجزات النبوية، لأنَّ كثيراً من أساطين المسجد الشريف سقطت لما ذاب بعض رصاصها وتهشَّمت، وهي من الحجر الأسود، ومع ذلك تفَتَّتَ كأنه أحجار نورةٍ، وعدة ما سقط منها مئة وبضع وعشرون اسطواناً، وما بقي منها فقد أثَّرتْ فيه النار أثراً بيِّناً، وسلمت الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة أيضاً، فالحمد لله على حماية الحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة.

---

(١) ش: بالحرم النبي.

(٢) في حاشية خ كتب الشهابي السمهودي: "وكانت هذه المصاحف والربعات الشريفة اربعة عشر الفا وتسعماية وخمسين وخزاين كتب جليلة اربع في كل خزينة اربعة واربعون الف مجلد انتهى، منقولة من رسالة للشيخ قطب الدين محمد الحنفي المكي من كتاب المسمى بالاعلام فيما وقع في بيت الله الحرام".

واحترقت المقصورة التي كانت حول الحجرة الشريفة والمنبر الشريف وما كان أمام المصلَّى المنيف بالروضة الشريفة من الصندوق وما عليه من المحراب المتقدم وصفه، وسقطت أكثر عقود المسجد، وما بقي منها فهو آيلٌ إلى السقوط، وسقط علُّو المنارة الرئيسية، ثم خَشُوا من سقوط بعض ما بقي منها فهدموا نحو ثلثها.

وكتبوا إلى سلطان مصر مولانا الأشرف سلطان الحرمين الشريفين قايتباي أيد الله أنصاره بذلك سادس رمضان، واقتضى رأي نائب الناظر سَدَّ أبواب حواصل المسجد حتى القبة التي بوسطه، المُرْصَدُ فيها زيتُ مصابيحه[1]، وتُرِكَ الردم على حاله حتى ترد الأوامر الشريفة، فتضرَّر الناس بذلك، فاتفقت الآراء على تنظيف مقدم المسجد ما عدا ما جاور الحجرة الشريفة خوفاً على ما سقط من حلية قناديلها ـ مع أنها يسيرة كما يؤخذ مما سبق[2] ـ فجعلوا على ذلك حاجزاً من الآجُرِّ، ونقلوا هدم مقدم المسجد إلى ما يلي باب الرحمة من مؤخره، وعمل في ذلك أميرُ البلد والقضاة والأشراف وعامة الناس، حتى الكثير من النساء والأطفال، تقرباً إلى الله تعالى بغير أجرة، ولم يتأخر عن ذلك إلاَّ المُخَدَّراتُ من النساء.

وبنوا في محل المنبر منبراً من آجُرٍّ، وصَلَّوا بالمصَلَّى النبوي من حينئذ وعملوا لأبواب المسجد ـ غير باب جبريل ـ خوخاً يُدْخَلُ منها، وسدَّوا ما زاد على ذلك، ونصبَ الخُدَّام خياماً بالمسجد إذ لم يبق به ظل، وصار بعض أهل الخير يُسرج قناديل متعددة من عنده في المسجد مع توفر الزيت بحاصله، لكن تعذَّر ذلك بسبب سدِّه، واستمرت النار في ما لم يُنْقَل هدمه من المسجد حتى في ما حول الحجرة الشريفة وموقف الزائرين تُجاه الوجه الشريف، وأخبر بعضهم بمشاهدة الدخان يتصاعد من ذلك المحل الشريف بعد مدة.

---

(١) أي: زيت مصابيح المسجد.

(٢) يشير إلى احصائها على يد إينال شيخ الحرم والقاضي الزكوي في ما سبق في الفصل الخامس والعشرين.

وفي أثناء شوّال أخبر قاضي المالكية شمسُ الدين السخاوي[1] حفظه الله تعالى: أنه رأى في النوم من يقول له: أطْفِئُوا النار من الحُجرة الشريفة ـ يعني: الموضع الذي تركوا تنظيفه حولها ـ فتفقدوا ذلك فوجدوا النار في ثمانية مواضع، فأطفَؤوا ذلك، ثم رأوا أنَّ مادة هذه النار لا تنقطع إلاّ بتنظيف الرَّدم، فاجتمعت الآراء على ذلك بعد توقُّفٍ تامٍّ من نائب الناظر، وعيَّنُوا لتعاطيه من يثقون به من الخُدَّام والفقهاء والفقراء، وكان الصوابُ المبادرة لذلك أولاً، ولكن على كلٍّ خير مانع، ولا يدري أحدٌ أسرارَ ما الله في عباده صانع.

ولما نظفوا ذلك وجدوا حلية الصندوق المَجْعُول في جهة الرأس الشريف وجانباً من الكُسْوَة وبعض البُسُط سالماً لسقوط الردم عليه، ووجدوا القناديل التي كان التخوُّفُ في تنظيف ذلك المحل لأجلها، وأداروا على الحجرة الشريفة جداراً من الآجُرِّ في موضع المقصورة المحترقة، وجعلوا فيها شبابيك وطاقاتٍ وأبواباً، وقام بمصروف ذلك بعضُ النساء المباركات وغيرها، وسامح البنَّاؤون بنصف أجرهم مع توفُّر المصروف بحاصل المسجد الشريف، وأحضرت تلك المرأة أيضاً وغيرها كسوةً للحجرة الشريفة من القماش الأبيض فَجُعِلَتْ عليها.

وفي ذلك كله عبرة تامة وموعظة عامة لأولي الأبصار، وهو منذرٌ بأمر عظيم، ولهذا اختصَّ به هذا المحل المَنْسُوبُ إلى النذير ﷺ، وقد ثَبَت أنَّ أعمال الأمة تُعْرَضُ عليه ﷺ، فلما ساءت منا الأعمال المعروضة ناسَبَ ذلك الإنذار بإظهار عُنْوَان النار المُجَازَى بها في موضع عَرَضها.

ولم أزل في وَجَلٍ مما يعقب ذلك حيث لم يَحْصُل الاتِّعاظ والانزجار، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾

---

(١) هو محمد بن أحمد بن موسى، شمس الدين السخاوي المالكي المتوفى بالمدينة الشريفة سنة ٨٩٥هـ، ترجم له السخاوي ترجمة حافلة في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤١ و**الضوء اللامع** ٧/ ١١٠ والتنبكتي في **نيل الابتهاج** ٣٣٢.

(٢) سورة الإسراء ٥٩.

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[1]، وكأنَّ لسان القدرة ينادي: ألا تتعظون[2] بما تَرَون وتسمعون؟ ألا تنتهون وتنزجرون؟ ألا ترون إلى هذا المحل الشريف مع عظيم نسبته وعلوِّ رتبته ومكانته لما تلوَّثَ بآثاركم معشَرَ المذنبين، وتدَنَّس بأقذاركم كافة الغافلين، أرسلت عليه بحراً من النار السماوية تُطهِّرُهُ من تلك الآثار، وتزجركم عن التمادي على الإصرار، وموالاة قبائح الأوزار، وتشهد بصائركم عموم القدرة، فترسلون من الأبصار سَوَابقَ العَبـرة، تأسفاً على ما اجترحتموه قبل هذه العِبْرَة، فمن لم يَنْتَهِ بهذا الزاجر الفعلي عن إصراره، ولم يقتبس من هذه النار العظيمة قَبَساً يهتدي بأنواره، فلينظر في ما حدث عقيب حريق المسجد القديم، ويتفكر في ضعفه عن احتمال العذاب الأليم، حمانا الله من ذلك، وسلك بنا أجمعين أحسن المسالك.

ومن العجائب أنه لم يتأتَّ إخراج ردم هذا الحريق بعد نقله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجَّاج من سائر الآفاق للزيارة، وشاهدوا هذه العِبْرَة العظيمة، ورأوا ما اجتمع من الردم كالآرام[3] والتلول الجسيمة.

ثم قُبيلَ دخول الحاج مكة بالقعدة الحرام من العام الثاني أرسل الله سَيلاً عظيماً بمكة المشرفة مَلأَ ما بين الجبلين وعلاَ جدار أبواب المُعَلَّى، ودخل جوف الكعبة الشريفة، وارتفع فيها أزيدَ من قامة، وهدم دوراً كثيرة يقال: إنها تزيد على ألفي دار، وذهب بسبب ذلك من الأموال والأنفس ما لا يُحصيه إلا الله تعالى، حتى أنهم ضَبَطوا من وُجِدَ تحت الردم بالمسجد الحرام فقط عند تنظيفه فكانت عدتهم نحو الثمانين، وقيل: أزيد من مئة، ولم أقف في ما نُقِلَ من سيول الجاهلية والإسلام على مثل ذلك، ولما نظفوا ذلك الردم ـ وهو أتربة ونقض هدم حملها السيل ـ لم يتأتَّ إخراجه قبل وصول الحجاج، وصار ذلك كالآرام والتلول العظيمة

---

(١) سورة الزمر ١٦.

(٢) ص: إلا تتعظوا.

(٣) الارام: هي الأعلام تنصب في المفاوز يهتدى بها، تاج العروس: «أرم»، لعلها: كالآكام.

في المسجد الحرام، فحضر الحجاج كلهم وشاهدوا ذلك، فسبحان مَنْ بيده الخلق والأمر لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون.

ولما وصل خبر الحريق لرودس من بلاد النصارى أظهروا بذلك فَرَحاً واستبشاراً، وتظاهروا بالزينة وضرب النواقيس، فلم يمض ذلك اليومُ إلا وقد أرسل الله عليهم زَلازل عظيمة هَدَمت عليهم جانباً من سور البلد والكنيسة وكثيراً من دورهم، وهلك منهم بذلك خلائق لا يُحْصَون، ودامت الزلازل عليهم أياماً، شاهدت ذلك في كتبٍ وردت من ثغر إسكندرية بخط من يُعتمد عليه، وذكروا أنَّ المخبر لهم بذلك أهلُ المراكب الواردة من رودس المذكورة، وأنهم سافروا والزلازلُ مستمرة بها، وهم يُخرجون الموتى من تحت الهدم بعد انتقال من بقي إلى خارج البلد، فتأمل هذه المعجزات النبوية، والآيات الربانية.

ولما وصل القاصد إلى مصر المحروسة، واتصل علم الحريق المذكور بسلطانها، عَظُمَ ذلك عليه، وبرزت أوامره الشريفة بالمبادرة إلى تنظيف المسجد الشريف، ورأى أنَّ في تأهيل الله تعالى له لعمارة ذلك مزيد التشريف وكمال التعريف، وأنه كرامة من الله أكرمه بها، وذخيرة يرجو الفوز بسببها، فاستقبل أمر العمارة بهمة تعلو الهمم العلية، ورَسَمَ بإبطال عمائره المكيّة وبتوجه شادِّها السيفي الأمير سنقر الجمالي(١) صُحبة الحاج الأول بزيادة على مئة صانع من البنائين والنجارين والنشارين والدهانين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخِّمين وغيرهم، وكثير من الحمير والجمال، وصحبته وصحبة أخيه المقر الأشرفي الشجاعي شاهين(٢) والأمير قانم الفقيه(٣) شيخ الحرم الشريف مبلغ عشرون ألف

---

(١) هو سنقر الرومي الجمالي أخو شاهين توفي سنة ٩٠٢هـ، له ترجمة حسنة في **التحفة اللطيفة** ١/ ٤٢٩ **والضوء اللامع** ٣/ ٢٧٣.

(٢) هو شاهين الجمالي أخو سنقر الجمالي، وقد سبقت ترجمته.

(٣) هو أبو علي قانم المحمدي الظاهري شيخ الخدام بالحرم النبوي الشريف بعد إينال، وتوفي سنة ٨٩٠هـ، ترجم له السخاوي في **التحفة اللطيفة** ٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ وقد أجازه السخاوي ببعض تواليفه **والضوء اللامع** ٦/ ٢٠٠.

دينار، وشرع السلطان في تجهيز الآلات والمُؤَن حتى كثرت في الطُّور والينبع والمدينة الشريفة.

ثم جهَّزَ متولي العمارة الأولى بالمدينة الشريفة ـ وهو الجناب العالي الخواجكي الشمسي شمس الدين ابن الزمن ـ في أثناء ربيع الأول وصحبته أكثر من مئتي جمل ومن مئة حمار وأزيد من ثلاث مئة من الصنَّاع أهل الصنائع الأولى وغيرهم من الجمَّالين والمبيِّضين والسبَّاكين والجَبَّاسين، وأصرفوا لهم شيئاً من الأجرة قبل سفرهم، وقد صارت أحمال المؤن متواصلة قلَّ أنْ تنقطع براً وبحراً، واستقبلوا أمرَ العمارة بجدٍّ واجتهاد، فهدموا المنارة الرئيسية التي أصابها الحريق إلى أساسها، وهدموا من سور المسجد من ركن المنارة التي بباب السلام إلى آخر جدار القبلة وما يليه من المشرق إلى باب جبريل، وما يلي المنارة من المغرب أيضاً إلى باب الرحمة، وأعادوا المنارة الرئيسية وسور المسجد المذكور، وزادوا في عرضه يسيراً، ووسعوا المحراب العثماني، وسقَّفُوا مقدم المسجد سقفاً واحداً، بعد أنْ قصَّروا أساطينه وجعلوا عليها عقوداً من الآجرّ فوقها أخشاب السقف، وكانت الأساطين المذكورة قبل ذلك واصلةً إلى سقف المسجد كهيئة ما بقي من أساطينه في بقية المشرق والمغرب والشام، وجعلوا على المحراب العثماني قبَّةً على رؤوس الأساطين بعد أنْ قرنوا إلى كل اسطوانة ثانية، وجمعوا في بعضها بين خمس أساطين، ليتأتّى لهم عقد القبة المذكورة، وأزالوا الاسطوانة التي كانت في مُحاذاة الاسطوانة التي إليها المُصَلَّى النبوي بينها وبين المحراب العثماني، وجعلوا على ما يحاذي الحجرة الشريفة وما حوله قبةً عظيمة على دعائمَ بأرض المسجد وعقوداً من الآجر بدلاً عن القبة الزرقاء التي كانت قبل الحريق، وكانت تلك على رؤوس السواري ـ كما سبق في **الفصل السابع والعشرين** ـ وقدَّمنا هناك ما حصل من ضيق المسجد من جهة المشرق بسبب ابتناء بعض تلك الدعائم هناك، فخرجوا بجدار المسجد الشرقي ـ أعني: ما حاذى ذلك منه ـ بنحو عرض الجدار في البلاط الشرقي، وأبقوا الباب المعروف بباب جبريل في محله.

ثم أحدثوا اسطواناً في جانب مثلث الحجرة ليشتَدَّ به العقدُ الذي عليه القبة في تلك الناحية، وحفروا لذلك أساساً عظيماً ظهر بسببه القبر المنسوبُ في أحد الأقوال لفاطمة الزهراء رضي الله عنها، وزادوا دعامتين وعقداً[١] إلى جانب الاسطوانتين اللتين في جهة الوجه الشريف، ولم يبالوا بما حدث بسبب ذلك من الضيق في الموضع المواجِه للوجه الشريف داخل المقصورة وغيره لخشيتهم من سقوط القبة المذكورة، وكانوا قد وجدوا في جدار المنارة الرئيسية عند هدمها خزانةً وضع الأقدمون بها أوراق المصاحف المحترقة في الحريق الأول وسدُّوا عليها، فأخرجوا تلك الأوراق ووضعوها في أعلى القبة المذكورة عند ختمها، فبدأ في القبة تشقُّقٌ، فقيل لهم: إنَّ ذلك بسبب وضع الأوراق المذكورة بها، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٢]، فأخرجوا تلك الأوراق، فقضيت العجب من ذلك.

ومن الغريب أني كنت قد عزمت على التوجه إلى أرض مصر لزيارة والدتي وأهلي قبل الشروع في العمارة المذكورة، فلم أحضر شيئاً من ذلك، ومَنَّ الله تعالى بالوصول إلى الوالدة والأهل، فتوفيت الوالدة بعد قدومي بعشر ليالٍ، وكانت مدة غيبتي عن أهلي ست عشرة[٣] سنة، ثم مَنَّ الله تعالى بالعَوْد إلى المدينة الشريفة بعد تعويض ما تدعو الحاجة إليه من الكتب المحترقة، فوجدتهم قد عمروا القبة المذكورة ومقدم المسجد، وعقدوا العقود المتصلة بهذه القبة من المشرق والشام، وجعلوها قَبْواً بدل السقف، واتخذوا في ما بين الحجرة الشريفة والجدار القبلي قبة لطيفة، وحولها ثلاثٌ أخر[٤] تسمى: مجاريد، وجعلوا بين عقود[٥] هذه

---

(١) ص، خ: وعقدوا.

(٢) سورة الحشر ٢١.

(٣) ص: ستة عشر.

(٤) ش: ثلاثة اخرى.

(٥) سقطت من ص.

القباب وبين المنارة الرئيسية التي أعادوها بادهنجاً[١] للضوء والهواء، وكان باب المنارة المذكورة من جهة المغرب، فنقلوه إلى جهة الشام، وأحدثوا أمامه أربع دَرَجات بأرض المسجد وإلى جانبها خزانة، وجعلوا موضع بابها الأول خَلْوَةً للخطيب يجلس بها إلى أنْ يخرج للخطبة يوم الجمعة، وكان جلوسه في الأعصار الخالية هناك مع وجود باب المنارة به، واتخذوا أيضاً قبتين أمام باب السلام من داخله، وبنوا الباب المذكور بالرخام الأبيض والأسود وزَخْرَفُوه زخرفة عظيمة، وكذلك القباب المذكورة، وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المُصَلَّى الشريف، واتخذوا له محراباً في محل الصندوق الذي كان هناك وزخرفوه بالرخام، وكذا المحراب العثماني زخرفةً عظيمة، وأعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وترخيم الجدار القبلي، وأزالوا البناء الذي عمله أهل المدينة في موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة، وأبدلوا ما يلي القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس، وبأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزَّرَد، وجعلوا لبقيتها مما يلي الشام مشبَّكاً مشاجراً من الحديد وفاصلاً عن يمين مثلث الحجرة ويساره فيه بابان ـ كما سبق بسط كلٍّ ذلك في محله ـ وعملوا المنبر ودكَّة المؤذنين من رخام، وجعلوا في ما يلي باب الرحمة وباب النساء إلى مؤخر المسجد دكتين؛ أحداهما بالمسقَّف الغربي والأخرى بالمسقف الشرقي، وجعلوهما أَخْفَضَ من الدكاك الشامية يسيراً، وردموهما من أتربة المسجد.

واتخذوا في ما أعادوه من الجدار الشرقي خزائنَ للكتب، وطاقات كباراً كالأبواب المقنطرة في أعالي الجدار وطاقات متسعة مستديرة أيضاً تكثيراً للضوء، ولم يكن بأعالي الجدار المذكور أولاً غير شباك واحد، وجعلوا نظير تلك الطاقات في الجدار القبلي أيضاً.

وبنوا الجدار من ابتداء تلك الطاقات بالآجرّ، وسبب الاحتياج إلى ذلك أنَّ

---

(١) البادهنج: هو ما يسمى: البادكير بالعراقية الدارجة، وهو يشبه المدخنة ويبنى في السراديب خاصة للتهوية، انظر معناه في المصارد العربية:

R. Dozy, *Supplrment aux Dictionnaires Arabes,* 1/47.

أساطين مقدم المسجد الشريف كانت واصلة إلى سقفه كما سبق، ولم يكن بذلك قناطر من العقود سوى ما يلي الرحبة من الرواقين اللذين جدَّدهما الناصر ـ كما سبق ـ وكان الساقط من الأساطين بمقدم المسجد هو الأكثر لسقوط العقود التي كانت بين السقفين عليها وقت الحريق واشتعال النار المذيبة للرصاص الذي بين خرز الأساطين، فاقتضى رأيهم إعادة تلك الأساطين قصيرة وتكميلها إلى السقف بعُقُود القناطر[1]، فأخذت القناطر حصة من الضوء، فعوَّضوا ذلك بتلك الطاقات، وأكد عندهم فتحها أخذُ متولي العمارة للدور التي في قبلة المسجد المعروفة بدور العشرة ليجعلها مدرسة للسلطان، وعَرَّض الجدار القبلي يسيراً منها، وجعل فيها فتحات لشبابيك متعددة أيضاً، ثم صرف الله عزمه عن ذلك وسدَّ فتحات الشبابيك المذكورة كلها بفصوص الأحجار كنسبة بناء الجدار، وسدَّ أيضاً الطاقات التي بالجدار القبلي إلاَّ ما يحاذي القبة التي على المحراب العثماني، فجعل لها وَلِمَا بقيَ من الطاقات قمريات من الزجاج ومشبكات من شريط النحاس.

ثم استبدل متولي العمارة الرباط المعروف بالحصن العتيق وما في شاميّه من المدرسة الجوبانية[2] والدار التي كانت تعرف بدار الشباك ـ وذلك كله في ما بين باب الرحمة وباب السلام ـ عند هدم هذا الجانب من الجدار الغربي ليتخذ في ذلك مدرسة ورباطاً لسلطان زماننا الأشرف أدام الله تعالى تأييده وتسديده، واتخذ في الجدار المذكور فتحاتٍ لشبابيك كثيرة في ثلاث طبقات عدتها ثلاثون فتحة، إلاَّ أنَّ الفتحة الثالثة من على يسار الداخل من باب السلام في موضع باب خَوخَة أبي بكر الصديق الآتي ذكرها في أبواب المسجد، جعلوه باباً ينفذ إلى المسجد، وكذا الفتحتان اللتان بينهما وبين باب السلام جعلوا لهما بابين إلى المسجد فقط، وصارت هذه الأبواب الثلاثة في المسجد دون المدرسة من أجل حاصل المسجد

(١) سقطت من ص، وفي ش: القناطرفا، وفي خ: عقود القنا.
(٢) أنشأها جوبان الأمير الكبير نائب المملكة القآنية وأتابك العساكر المغولية، ترجم له الفيروزأبادي في **المغانم المطابة** ص٤٧٠ ترجمة طويلة ووصف هذه المدرسة وصفاً دقيقاً.

الذي كان هناك، والفتحة الخامسة[1] ـ وهي الثالثة من خوخة أبي بكر ـ جعلوها باباً ينفذ من المسجد إلى أسفل المدرسة، وجعلوا على الفتحات التي في الطبقة العليا شبكة من شريط النحاس شبه الزرد، لأنها جعلت لمجرد الضوء، وقد تكلَّم الناس مع متولي العمارة في أمر الشبابيك واتخاذها بجدار المسجد الشريف القبلي قبل انتقاله إلى هذه الجهة، وكثر الكلام في ذلك، فكاتب السلطان فاستفتى علماء مصر في ذلك فأفتاه جماعة منهم بذلك[2]، فقلدهم فيه، وعوَّض ما فات من المصاحف والربعات، وبعث بعض ذلك على يدي بحيث اجتمع من ذلك أكثر مما فات، وكذلك الكتب، بعث بجانب منها وَوَعَد بإرسال ما يُحْتَاجُ إليه، وكان من التوفيق بعثُهُ للأمير الكبير الفخري قانم الفقيه ناظراً على المسجد الشريف وشيخاً لخدَّامه، وهو محبٌّ للعلم وأهله، مُغْرَمٌ بتلاوة القرآن الشريف، لم يُرَ على طريقته مِثْلُه في هذا الباب، فصار يباشر أمر الربعات والمصاحف بنفسه ومماليكه، واتخذ لها كراسيَ[3] صغاراً تُوضَعُ عليها بالروضة الشريفة في أوقات الصلوات النهارية، فيقرأ هو والناس فيها، فَعَمَّ نفعها.

ولما قارب المسجد التمام أخذوا في عمارة الرباط والمدرسة المذكورين، وأسسوا لهما منارة في ناحيتهما التي تلي باب الرحمة، وشرعوا أيضاً في عمارة رباط آخر بدَلَ رباط الحصن العتيق، وفي حمام قبالة الرباط المذكور استأجروا أرضَ الحمام من الناظر على الميضَأة التي بباب السلام فإنها منها، وشرعوا أيضاً في عمارة سبيل وفرن وطاحون ومطبخ للدشيشة[4] وكالة ذات حواصل في الدور التي اشتروها قبل ذلك للسلطان من دور العياسى[5] وما يلي ذلك في جهة القبلة،

---

(١) سقطت من ص.

(٢) قال ابن إياس في بدائع الزهور ٣/١٩٦: «وقد أجاز ذلك بعض علماء الجاه».

(٣) كذا في الأصول، والصواب: كراس.

(٤) وهي حسو يتخذ من بُرٍّ مرضوض، لغة في الجشيشة، تاج العروس «دش».

(٥) في الأصول: العباسا، وهم العياسا أو العياسي وهم الأشراف بنو عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسيني وهو جد العياسا، كما جاء في التحفة اللطيفة ١/٤٤٦، ٢/٣٦٦ حيث ورد فيها محرفاً: "وهو جد العباسي"، ومثل ذلك في ترجمة ضيغم بن خشرم ومقتل =

وذلك أنَّ السلطان أعزَّ الله أنصاره بعد رجوعه من الحج شرع في شراء أماكن وجعلها وقفاً ليحمل ريعها إلى المدينة الشريفة ليُفَرِّق منه على أهلها ويُعْمَلَ منه سماطٌ كسماط الخليل عليه السلام، وأبرز لذلك ستين ألف دينار ـ كما ذكرناه في **الفصل الثالث والثلاثين** ـ فاتخذوا هذه الأماكن لذلك، وهو أمرٌ لم يُسْبَق إليه، فسح الله تعالى في أجله، وبلَّغه من الخير غايةَ سؤله وأمله.

ولم يكن بالمدينة حمام قبل ذلك من مدة مديدة، وكذا الطاحون، وإنما يستعملون الأرحَاء التي تُدارُ بالأيدي.

ثم كتب إليَّ بعض الثقات بتكامل تحصيل تلك الأماكن، وأنَّ متحصلها سبعة آلاف إردب وخمس مئة إردب من الحَبِّ في كلِّ سنة، وأن السلطان أدام الله نصره أنجزَ وقفها وشَرَع في عمارة أماكن بمصر تقوية للوقف، ورسم بإبطال المُكُوس بالمدينة وتَعويض أميرها.

وقد كملت سُقُف المسجد النبوي كلها في أواخر شهر رمضان عام ثمانية[1] وثمانين وثمان مئة، وتَمَّت عمارة المسجد الشريف عقب ذلك، ولم يبق سوى اليسير من العمائر السابق ذكرها وإكمال ترخيم المدرسة الأشرفية.

وفي عام تسعة وثمانين حضر جماعة من الدهانين، بعث بهم السلطان الأشرف ـ أعزَّ الله أنصاره ـ من مصر لمحو ما بلغه أنه جُعِلَ في بعض سقف المسجد الشريف من الدهان بالنيلة وإبداله بالأَزَوَرْد، وجهَّزَ معهم أساقيل[2] لذلك، فعملوه على أحسن وجه.

ثم جهَّز المقر الأشرف عين الأعيان ونخبة الزمان البهائي بهاء الدين أبا البقاء ابن الجيعان[3] ـ عظَّم الله شأنه وأسبغ عليه نعمه وإحسانه ـ في ركبٍ مع جماعة من

= القاضي الزكوي ١/ ٤٦٤ فقال: "بسبب أخذ دار الأشراف العباسيين"، أي: العياسيين.

(١) في الأصول: ثمان.

(٢) أساقيل جمع أسقلة وهي ما يربطه المهندسون من الاخشاب والحبال ليتوصلوا بها إلى المحال المرتفعة، **تاج العروس** ٧/ ٣٣٧.

(٣) هو أبو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر، قُتِل غيلةً سنة ٩٠٢هـ، انظر عنه: **بدائع الزهور** ٣/ ٣٦٣.

خواصه، فوصل المدينة الشريفة سابع ذي القعدة الحرام من العام المذكور، ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية موقوفة بالمدرسة الأشرفية، وأحمال كثيرة من الحَبِّ والدقيق والقدور النحاس التي جُعِلتْ برسم السِّماط المتقدم ذكره، وبقايا آلات العمارة مما جُهِّزَ في المراكب الشريفة إلى الينبع، فقرر أمر السماط، فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله: لكلِّ نَفَرٍ سُبْعُ إردب مصري ـ بتقديم السين على الموحدة ـ وسوّى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد، وجعل للآفاقيين ما يكفيهم من الخبز وطعام الجشيشة[1] في كل يوم، وقرر أمر المدرسة، وصرف للمرخمين وغيرهم من أرباب الصنائع مصروف بقية عملهم، وأحسن النظر في ذلك حتى زاد جماعةً منهم من ماله، وتلطَّف بهم وأحسنَ، فانطلقت الألسن بالدعاء له، أحسن الله له الجزاء، وجعل نصيبه من خيري الدارين من أوفر الأجزاء.

وقد قارن هذه العمارة من السعد وتسهيل الأمور ما لا يوصف، ويسَّرَ الله تعالى لهم من آلات العمارة ما لم نكن نظنُّ حصوله بنواحي المدينة الشريفة، خصوصاً أخشاب الدَّوم، فقطعوا من الموضع المعروف بالشقرة[2] ومن الصويدرة[3] ومن الفرع[4] وغير ذلك ما لا يُحصيه إلاَّ الله تعالى، وكذلك أخشاب السَّمُر.

---

(١) فصل ابن حجر القول في معنى الجشيشة في فتح الباري ١/ ٥٢١ وهي نوع من أنواع الهريسة.

(٢) سيذكر السمهودي تحديدها في آخر الكتاب، وقال الحربي في كتاب **المناسك** ٥٢١: «من النخيل إلى الشُّقْرَة ثمانية عشر ميلاً ونصف» ووصفها وأورد ما قيل فيها من شعر، وقال حمد الجاسر بعد ذلك: «لا تزال الشقرة معروفة وفيها قرية ذات نخل، يقارب سكانها ٣٠٠ نسمة، ولها واد طويل يمتد من الشمال إلى الجنوب حيث يجتمع مع وادي الحناكية بقاع حضوضي».

(٣) قال حمد الجاسر: «كان يُعرف بالطرف»، وسوف يذكره السمهودي في ما بعد، «ويبعد عن الحناكية غرباً ب ٣٨ كيلاً ويقع بعد وادي الشقرة في واد يجتمع بوادي الشقرة»، **المناسك** ٥٢١ و**المغانم** ٢٣٧.

(٤) سيذكره السمهودي ويحدده في آخر الكتاب إعتماداً على ابن إسحاق والسهيلي والمجد الفيروزآبادي وغيرهم.

وقد أخبرني بعض المباشرين لهذه العمارة الميمونة أنَّ المصروف فيها وفي ما شرعوا فيه من عمارة المدرسة وتوابعها نقداً وأثمان آلات وبهائم وغير ذلك، مئة وعشرون ألف دينار، ومع ذلك فلم يتم بعد.

ثم[1] بعد أنْ مَنَّ الله تعالى بإتمامها بلغ السلطانَ الملك الأشرف أنَّ متولي العمارة تسمَّح في استعمال مُؤَنٍ غير صالحة، وأنَّ القبة التي سبق اتخاذها على أعلى ما يحاذي الحجرة الشريفة قد تشققت ثم رُمَّتْ ثم تشققت، ولم يفد الترميم فيها، وأنَّ المنارة الرئيسية قد مالت، مع أمور أخرى، فتغير خاطره على متولي العمارة[2]، ثم انتخب لذلك المقر الشجاعي شاهين الجمالي لما اشتمل عليه من الفضل والنبل وإصابة الرأي، وفوّض إليه مشيخة الحرم ونظره ونظر السماط.

فورد المدينة الشريفة في موسم عام أحد وتسعين وثمان مئة، وجمع الناس للنظر في ذلك، وراجَعَ فيه أهل الخبرة، فاقتضى الحالُ هَدْمَ المنارة الرئيسية وهدم أعالي القبة المذكورة، ولما هدم المنارة المذكورة ظهر أنَّ الخللَ من عدم المبالغة في حفر أساسها، فَحُفِرَ أساسُها حتى بلغ به الماء، واتخذ لها أحجاراً من الحجر الأسود مُتقَنَة، وأحكم بناءها مع الحسن الفائق، بحيث لم يُرَ قبلها بالمدينة الشريفة مثلها، وجعل بابها من المغرب في محله الأول، وأبطل تلك الدرج المحدثة بأرض المسجد على ما سبق.

وأما القبة فاتخذ في الطاقات المحيطة بجوانبها سَقفاً يمنع من سقوط ما يهدم منها إلى أرض الحجرة الشريفة، ثم شرع في هدمها وإعادتها، بحيث لم يرفع كسوة الحجرة الشريفة ولم يتخذ المسجد طريقاً للعمال في ذلك، بل اتخذ أساقيلَ يُمْشَى عليها إلى سطح المسجد في ناحيته الشرقية، واتخذ حاجزاً لمحل المنارة يحول بينها وبين المسجد بحيث يظن الظانُّ أنَّ المسجد لا عمارةَ به، وصانه أيضاً

---

(١) الجملة الطويلة: "ثم بعد أن منَّ الله . . . وكلٌّ ميسر لما خلق له"، لا تظهر في س، ش، م١، م٢.

(٢) يريد: ابن الزمن هنا.

من الامتهان بعمل أرباب الصنائع، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، وجعل ثوابه على ذلك من أوفر الأجزاء.

وقد جاءت القبة حسنة مع الإتقان، حتى إنه استصحب في هذه العمارة الجِبْسَ من مصر المحروسة، واستعمله في البناء، وحرص على إتقان الآجُرِّ، وزاد العمال فيه على عادتهم، ولم يُوَفَّق متولي العمارة قبله[1] لشيء من ذلك، سامحه الله، وكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له.

وقد ذكر ابن النجار ما كان عليه الخلفاء من الاهتمام بعمارة المسجد النبوي، فقال: ولم تزل الخلفاء من بني العباس ينفذون الأمراء على المدينة الشريفة ويَمُدُّونهم بالأموال لتجديد ما ينهدم من المسجد النبوي، فلم يزل ذلك مُتَّصِلاً إلى أيام الناصر لدين الله ـ أي: الخليفة في زمنه ـ، قال: فإنه ينفذ في كلِّ سنةٍ من الذهب العين الإمامي[2] ألفَ دينار لعمارة المسجد، وينفذ عدة من النجارين والبنَّائين والنقاشين وأرباب الحِرَف، وتكون مادتهم مما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الألف، وينفذ من الحديد والصناع والرصاص والحِبال والآلات شيئاً كثيراً، ولا تزال العمارة متصلة في المسجد حتى إنه ليس به موضع أصبع إلا وهو عامر[3]، انتهى.

قلت: وعقب وفاة ابن النجار بيسير انتقل أمرُ المدينة الشريفة إلى ملوك مصر، ولم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف، ومن أعظمهم هِمَّةً في ذلك، وأحبِّهم في سلوك هذه المسالك، سلطانُ زماننا الملك المالك لصفوة الممالك الأشرف أبو النصر قايتباي، أعزَّ الله أنصاره، وضاعف اقتداره، فلذلك أجرى الله على يديه هذه العمارة، وآثره بهذه الأثارة[4]، ومن تأمَّل ما قدمناه في **الفصل السادس والعشرين** في الحريق الأول عن المؤرخين من عمل سقف

---

(١) يريد ابن الزمن أيضاً، لأنه لم يكن على وفاق مع السمهودي.

(٢) ص: الى ما سي، وهو تصحيف ظاهر.

(٣) **الدرة الثمينة** ٢/٣٧٨، اختصر السمهودي نص ابن النجار وغيَّر بعض ألفاظه.

(٤) أي: اختصَّه بهذه المأثرة واختاره لها.

المسجد على يدِ مَنْ سبق وطول مدته وصفته، وأحاط علماً بما أسلفناه عن سلطان زماننا في عمارته، حكم يقيناً بعلوِ همَّته وفخار منقبته ومرتبته، واختصاصه بما لم يَفُزْ به مَنْ سبقه، فكان هو سابقاً وإنْ عُدَّ في الزمان لاحقاً، وقد ذكرنا ما له بالحجاز الشريف من الآثار الجميلة، وبعض مناقبه الجليلة في **الفصل الثالث والثلاثين** في خَوخَة آل عمر رضي الله عنه، لما خَصَّه الله به من حَسْم مادة المفاسد المترتبة عليها في زماننا، وأمره بسَدِّ طابقها، شكر الله صنيعه، وحَصَّنَه من العُداة بحُصُونه المنيعة.

خاتمة

في ما نُقِلَ من عمل نور الدين الشهيد لخندق حول الحجرة الشريفة مملوء بالرصاص وذكر السبب في ذلك، وما ناسبه

اعلم أني قد وقفتُ على رسالة قد صَنَّفها العلامة جمال الدين الأسنوي[1] في المنع من استعمال الولاة للنصارى، وسماها بعضهم بـ: **الانتصارات الإسلامية**؛ ورأيت عليها بخط تلميذه شيخ مشايخنا زين الدين المراغي[2]، ما صورته: **نصيحة أولي الألباب في منع استخدام النصارى كُتَّاب**[3] لشيخنا العلامة جمال الدين الأسنوي، ولم يسمِّه، فسميَّته بحضرته فأقرَّني عليه[4] انتهى.

فرأيته ذكر فيها ما لفظه: وقد دعتهم أنفسهم ـ يعني: النصارى ـ في سلطنة الملك العادل نور الدين الشهيد إلى أمر عظيم ظنوا أنه يتِمُّ لهم، ويأبى الله إلا أنْ يُتِمَّ نورَه ولو كَرِه الكافرون[5]، وذلك أنَّ السلطان المذكور كان له تهجُّدٌ يأتي به

---

(١) هو عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٢هـ، انظر: بروكلمان ٢/ ٩٠ وملحقه ٢/ ١٠٧ ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٠٣ مع مصادر ترجمته.

(٢) هو مؤلف كتاب تحقيق النصرة.

(٣) كذا وردت، منها نسخ مخطوطة في القاهرة والمتحفة البريطانية وجامع الزيتونة بتونس، وذكرها بروكلمان بعوان: رسالة في عدم استخدام أهل الذمة تبليتهم (توليتهم) عموم (أمور) المسلمين، وعنها، انظر: Steinschneider, M., Polemische und apologetische Literatur, p. 104 . ونشرها Moshe Perlmann بعنوان: Asnavi's Tract Against Christian Officials في كتاب ذكرى اكناس كولدزيهر، القسم الثاني، وظهرت مستقلة في القدس سنة ١٩٥٨.

(٤) قال السمهودي في الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٢٩: "وأنا أروي التأليف المذكور عن ولده الشيخ العلامة ناصر الدين أبي الفرج المراغي عن والده زين الدين المذكور عن مؤلفه".

(٥) إشارة إلى الآية ٨ من سورة الصف: «والله متم نوره ولو كره الكافرون».

بالليل، وأوراد يأتي بها، فنام عقبَ تهجده، فرأى النبي ﷺ في نومه وهو يُشير إلى رجلين أشْقَرَين ويقول: أنجدني! أنقذني من هذين! فاستيقظ فَزِعاً، ثم توضَّأ وصَلَّى ونام، فرأى المنامَ بعينه، فاستيقظ وصلى ونام، فرآه أيضاً مرةً ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نومٌ، وكان له وزير من الصالحين يقال له: جمال الدين الموصلي[1] فأرسل خلفه ليلاً، وحكى له جميعَ ما اتفق له، فقال له: وما قُعُودك؟ اخرجِ الآن إلى المدينة النبوية، واكتم ما رأيت، فتجهَّز في بقية ليلته وخرج على رواحلَ خفيفة في عشرين نَفَراً، وصحبته الوزير المذكور، ومال كثير، فقدم المدينة في ستة عشر يوماً، فاغتسل خارجها ودخل فَصَلَّى بالروضة، وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع، فقال الوزير، وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إنَّ السلطان قَصَد زيارة النبي ﷺ وأحضر معه أموالاً للصدقة، فاكتبوا من عندكم، فكتبوا أهل المدينة كلهم، وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي ﷺ له، فلم يجد تلك الصفة، فيعطيه ويأمره بالانصراف، إلى أنْ انقضت الناس، فقال السلطان: هل بقي أحدٌ لم يأخذ شيئاً من الصدقة؟ قالوا: لا! فقال: تفكروا وتأملوا، فقالوا: لم يبق أحدٌ إلاَّ رجلان مغربيان[2] لا يتناولان من أحد شيئاً، وهما صالحان غنيّان يُكثران الصدقة على المحاويج، فانشرح صدرُه وقال: عليَّ بهما، فأُتِيَ بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي ﷺ إليهما بقوله: أنجدني! انقذني من هذين! فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب، جئنا حاجَّينِ فاخترنا المجاورة في هذا العام عند رسول الله ﷺ، فقال: أصدقاني، فصمَّما على ذلك، فقال: أين منزلهما؟ فأُخْبِر بأنهما في رباط بقرب الحجرة الشريفة، فأمسكهما وحضر إلى منزلهما، فرأى فيه مالاً كثيراً وخَتْمَتين وكتباً في الرقائق، ولم يرَ فيه شيئاً غير ذلك، فاثنى عليهما أهلُ المدينة بخير كثير وقالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة

---

(١) هو الوزير الجواد أبو جعفر محمد بن علي الأصبهاني، وزير زنكي الأتابك صاحب الموصل، انظر: **سير أعلام النبلاء** ٢٠/٣٤٩ مع مصادر ترجمته.

(٢) في الأصول: رجلين مغربيين.

وزيارة النبي ﷺ وزيارة البقيع كلَّ يوم بكرة وزيارة قُباء كلَّ سبت، ولا يَرُدَّان سائلاً قط بحيث سَدَّا خَلَّة أهل المدينة في هذا العام المجدب، فقال السلطان: سبحان الله! ولم يظهر شيئاً مما رآه، وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه، فرفع حصيراً في البيت فرأى سرداباً محفوراً ينتهي إلى صَوْبِ الحجرة الشريفة، فارتاعت الناس لذلك، وقال السلطان عند ذلك: اصدقاني حالكما، وضربهما ضرباً شديداً، فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثَهُما النصارى في زيٍّ حجاج المغاربة، وأمالوهما[1] بأموالٍ عظيمة، وأمروهما بالتَحَيُّلِ في شيء عظيمٍ خَيَّلته لهم أنفسهم، وتوهموا أنْ يُمَكِّنَهُم الله منه، وهو الوصول إلى الجناب الشريف، ويفعلوا به ما زَيَّنه لهم إبليسُ في النقل وما يترتب عليه، فنزلا في أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة، وفَعَلا ما تقدم وصارا يَحْفِرانِ ليلاً، ولكلٍّ منهما محفظة جلد على زيٍّ المغاربة، والذي يجتمع من التراب يجعله كلٌّ منهما في محفظته، ويخرجان لإظهار زيارة البقيع، فيلقيانه بين القبور، وأقاما على ذلك مدةً، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدتِ السماء وأبرقت، وحصل رجيف عظيم بحيث خُيِّل انقلاع تلك الجبال، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة، واتفق مسكُهُما واعترافُهما، فلما اعترفا وظهر حالُهما على يديه، ورأى تأهيلَ الله له لذلك دون غيره بكى بكاءً شديداً، وأمر بضرب رقابهما، فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة، وهو مما يلي البقيع.

ثم أمرَ بإحضار رَصاص عظيم، وحَفَر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها، وأذيب ذلك الرصاص، وملأ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سوراً رصاصاً إلى الماء، ثم عاد إلى مُلكه، وأمر باضعاف النصارى، وأمر أنْ لا يُسْتَعملَ كافرٌ في عمل من الأعمال، وأمر مع ذلك بقطع المكوس جميعها[2]، انتهى[3].

---

(١) كذا في الأصول وفي **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى**١٣٠، وفي نص الأسنوي: «فأمدُّوهما» وهي أنسب معنىً هنا.

(٢) ورد النص في صفحة ١٤ ـ ١٨ من رسالة الأسنوي مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) في حاشية خ جاء: «وفي كتاب **النصرة على الدوام في المنع من مقالات العوام** بعد ذكره لقصة نور الدين الشهيد ثم عاد إلى مكة المشرفة وأمر باضعاف النصارى وقطع كلمتهم وأمر أن لا يستعمل =

وقد أشار إلى ذلك الجمال المطري باختصار[1]، ولم يذكر عمل الخندق حول الحجرة وسَبْك الرصاص به، لكن بيَّنَ السنة التي وقع فيها ذلك مع مخالفة لبعض ما تقدم.

فقال في الكلام على سور المدينة المحيط بها اليوم: وصل السلطان نور الدين محمود بن زَنكي بن آقسنقر في سنة سبع وخمسين وخمس مئة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعضُ الناس وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدَّثه من أكابر من أدرك: أنَّ السلطان محمود المذكور رأى النبي ﷺ ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول في كل واحدة: يا محمود انقذني من هذين: لشخصين أشقرين تُجاهه، فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك، فقال له: هذا أمر حَدَثَ في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك، فتجهَّز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك، حتى دخل المدينة على غَفْلَةٍ من أهلها والوزيرُ معه، وزار وجلس في المسجد لا يدري ما يصنع، فقال له الوزير: أتعرف الشخصين إذا رأيتهم؟ قال: نعم، فطلب الناس عامةً للصدقة، وفرّق عليهم ذهَبَاً كثيراً وفضة، وقال: لا يبقَيَنَّ أحدٌ بالمدينة إلاَّ جاء، فلم يبق إلاَّ رجلانِ مُجَاوِرَانِ[2] من أهل الأندلس نازِلانِ[3] في الناحية التي تلي[4] قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب التي تُعرف اليوم بدار العشرة[5]، فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا[6]: نحن على كفاية ما نَقْبَلُ شيئاً، فَجَدَّ في طلبهما، فَجِيءَ بهما، فلما رآهما قال للوزير:

= كافر في عمل من الأعمال وامر في ذلك بقطع المكوس جميعاً وكتب بذلك إلى ساير أعماله بمصر والشام وديار بكر واستمر الأمر على ذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى فتولى بعده الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وله بقية . . . ».

(١) التعريف ٣٦، ٧٣.

(٢) في الأصول والتعريف للمطري ٧٤ رجلين مجاورين والتصحيح من المغانم المطابة.

(٣) في الأصول والتعريف للمطري ٧٤ نازلين والتصحيح من المغانم المطابة.

(٤) سقطت من الأصول والتعريف، والزيادة من المغانم المطابة ص١٩٠.

(٥) هي دار آل عبد الله بن عمر، المغانم المطابة ص١٧٠ ـ ١٧١.

(٦) ص: فقال، خ: فقالا.

هما هذان! فسألهما عن حالهما وما جاء بهما؟ فقالا: لمجاورة النبي ﷺ، فقال: اصدقاني، وتكرر السؤال حتى أفضى إلى مُعاقَبتهما، فأقرَّا أنهما من النصارى، وأنهما وَصَلا لكي ينقلا من في هذه الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهم، ووجدهما قد حفرا نَقْباً تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة، ويجعلان الترابَ في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه، هكذا حَدَّثني عمن حدَّثَه، فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة النبي ﷺ خارج المسجد، ثم أحرقا بالنار آخر النهار وركب متوجهاً إلى الشام[1]، انتهى.

وقد ساق المجد هذه الواقعة على الوجه الذي ذكره المطري، فقال: ومن الحوادث في المسجد الشريف ما نقله جماعة من مشايخ المدينة وعلمائها، وذكر ما تقدم[2].

وكذلك الزين المراغي، ذكر ما تقدَّم عن المطري نقلاً عنه، وزاد: أنَّ وزير السلطان نور الدين الذي استحضره ـ وذكر له القصة ـ هو الموفق خالد بن محمد بن نصر القَيسراني الشاعر، قال: وكان موفقاً[3]، انتهى.

ومأخذه في ذلك ـ كما رأيتُه في حاشيةٍ بخطه على كتابه ـ أنَّ الذهبي قال في ترجمة الموفق هذا: موفق الدين أبو البقاء صاحب الخط المنسوب، كان صدراً نبيلاً وافر الحشمة، وَزرَ للسلطان نور الدين، توفي بحلب سنة ثمان وثمانين وخمس مئة، انتهى.

وقد خالف الزين في ذلك ما قدَّمناه عن شيخه الأسنوي من تسمية الوزير المذكور بجمال الدين الموصلي، ولا يلزم من كون الموفق وزَرَ للسلطان نور الدين أنْ يكون هو الوزير عند وقوع الرؤيا المذكورة لاحتمال أنه وزر له بعد ذلك أو قبله.

(١) التعريف ٣٦، ٧٣.
(٢) المغانم المطابة ص١٨٩ ـ ١٩٠ .
(٣) تحقيق النصرة ١٤٦ ـ ١٤٧.

وجمال الدين الموصلي هذا هو الجواد الأصفهاني[١]، وقد تقدم ذكره في ترخيم الحجرة، ووصفه بأنه وزير بني زَنكي لأنه كان وزيرَ والد نور الدين الشهيد الذي هو زنكي[٢]، ثم وزر لولده غازي[٣]، وأدرك دولة نور الدين الشهيد[٤] وزمان هـذه الواقعة، فالظاهر أنه وزر له، وأنه المراد في هذه الواقعة.

والعجب أني لم أقف على هذه القصة في كلام من ترجم نورَ الدين الشهيد مع عظمها، وهي شاهدة لما ذكره الإمام اليافعي[٥] في ترجمته: من أنَّ بعض العارفين من الشيوخ ذكر أنه كان في الأولياء معدوداً من الأربعين، وصلاح الدين[٦] نائبه من الثلاث مئة[٧]، انتهى.

وقال ابن الأثير: طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا، فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نو الدين[٨]، انتهى.

وقد اتفق بعد الأربع مئة من الهجرة ما يقرب من قصة رؤيا نور الدين الشهيد المتقدمة، على ما نقله الزين المراغي عن **تاريخ بغداد** لابن النجار، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن المبارك المقرىء، عن أبي المعالي صالح بن شافع الجيلي، أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن محمد المعلم، ثنا أبو القاسم عبد الحليم بن محمد المغربي: أنَّ بعض الزنادقة أشار على الحاكم العُبيدي صاحب مصر بنقل

---

(١) ترجم له ابن الأثير في **التاريخ الباهر** ١٢٧ ـ ١٣٠ وأبو شامة في **الروضتين** ١/ ١٣٦ ـ ١٣٩ و**سير أعلام النبلاء** ٢٠/ ٣٤٩ مع مصادر ترجمته.

(٢) **سير أعلام النبلاء** ٢٠/ ١٨٩ وهو عماد الدين زنكي بن آقسنقر، مع مصادر ترجمته.

(٣) المصدر نفسه ٢٠/ ١٩٢.

(٤) هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، انظر: **سير أعلام النبلاء** ٢٠/ ٥٣١ مع مصادر ترجمته.

(٥) هو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي ثم المكي الشافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ، مؤلف **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** وغيره، انظر: **معجم المؤلفين** ٦/ ٣٤ مع مصادر ترجمته.

(٦) يريد: الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي.

(٧) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٣١، يريد: من الأربعين الأقطاب والثلاث مئة الأبدال.

(٨) **التاريخ الباهر** لابن الأثير ١٦٣ و**نصيحة المشاور** ورقة ١٣٢ب، و**الكامل في التاريخ** لابن الأثير ١١/ ٤٠٣ و**سير أعلام النبلاء** ٢٠/ ٥٣٤ عن ابن الأثير: "طالعت السير فلم أر فيها . . .".

النبي ﷺ وصاحبيه من المدينة إلى مصر، وزيَّنَ له ذلك، وقال: متى تَمَّ لك ذلك شَدَّ الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر، وكانت مَنقَبَةً لسكانها، فاجتهد الحاكم في مدةٍ وبنى بمصر حائزاً، وأنفق عليه مالاً جزيلاً[1].

قال: وبعث أبا الفتوح[2] لنبش الموضع الشريف، فلما وصل إلى المدينة الشريفة وجلس بها حضر جماعة من المدنيين ـ وقد علموا ما جاء فيه ـ وحضر معهم قاريء يعرف بالزلباني[3]، فقرأ في المجلس: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[4] فماج الناس وكادوا يقتلون أبا الفتوح ومَنْ معه من الجند، وما منعهم من السرعة إلى ذلك إلاَّ أنَّ البلاد كانت لهم.

ولما رأى أبو الفتوح ذلك، قال لهم: الله أَحَقُّ أن يُخشى، والله لو كان عليَّ من الحاكم فوات الروح ما تعرَّضتُ للموضع، وحصل له من ضيق الصدر ما أزعجه؛ كيف نهض في مثل هذه المخزية، فما انصرف النهارُ ذلك اليوم حتى أرسل الله ريحاً كادت الأرضُ تزلزلُ من قوتها حتى دحرجت الإبل بأقتابها والخيلَ بسروجها كما تدحرج الكُرة على وجه الأرض، وهلك أكثرها وخلق من الناس، فانشرح صدر أبي الفتوح وذهب روعه من الحاكم لقيام عذره من امتناع ما جاء فيه[5].

قلت: ونقل ابن عذرة في كتاب **تأسي أهل الإيمان في ما جرى على مدينة القيروان** لابن سعدون القيرواني[6]، ما لفظه: ثم أرسل الحاكم بأمر الله إلى مدينة

---

(١) **تحقيق النصرة** ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) هو أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد الحسيني المكي، ولي مكة سنة ٣٨٤هـ وتوفي سنة ٤٣٠هـ، ترجم له السخاوي ترجمة طويلة في **التحفة اللطيفة** ١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ وذكر الخبر بكامله عن ابن النجار.

(٣) في **التحفة اللطيفة**: بالركباني وفي **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى** ١٣١ "بالزلباتي" وفي **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام** ١/ ٤٩٢ و**إتحاف الورى** ٢/ ٤٢٧ "بالركباني".

(٤) سورة التوبة ١٢ ـ ١٣.

(٥) **تحقيق النصرة** ١٤٨ و**التحفة اللطيفة** ١/ ٢٧٣ و**المنهل الصافي** ٤/ ١٩٠ و**غاية المرام** ١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣ و**إتحاف الورى بأخبار أم القرى** ٢/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ وتاريخ ابن خلدون ٤/ ١٠٩.

(٦) هو محمد بن سعدون البدوي القيرواني المتوفى في أغمات سنة ٤٨٥هـ، انظر: **معجم المؤلفين** ١٠/ ٢٣.

الرسول ﷺ من ينبش قبر النبي، فدخل الذي أراد نبشه داراً بقرب المسجد وحفر تحت الأرض ليصل إلى قبر النبي ﷺ، فرأوا أنواراً وسُمِع صائحٌ: إنَّ نبيكم يُنبَشُ، ففتَّشَ النَّاس فوجدوهم وقتلوهم، انتهى.

ومما يناسب ذلك ما ذكره المحب الطبري في **الرياض النضرة في فضائل العشرة**، قال: أخبرني هارون بن الشيخ عمر بن الزغب ـ وهو ثقةٌ صدوق مشهور بالخير والصلاح والعبادة ـ عن أبيه ـ وكان من الرجال الكبار ـ قال: كنت مجاوراً بالمدينة وشيخُ خدَّام النبي ﷺ إذ ذاك شمسُ الدين صواب اللمطي[1]، وكان رجلاً صالحاً كثير البر بالفقراء والشفقة عليهم، وكان بيني وبينه أُنسٌ، فقال لي يوماً: أُخبِرُكَ بعجيبة؛ كان لي صاحبٌ يجلس عند الأمير ويأتيني من خبره بما تَمَسُّ حاجتي إليه، فبينما أنا ذات يومٍ أذ جاءني فقال: أمرٌ عظيمٌ حَدَثَ اليوم، قلت: وما هو؟ قال: جاء قومٌ من أهل حلب[2] وبذلوا للأمير بذلاً كثيراً، وسألوه أنْ يُمِكِّنَهم من فتح الحجرة وإخراج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما منها، فأجابهم إلى ذلك، قال صواب: فاهتممت لذلك هَمَّاً عظيماً، فلم أنشب أنْ جاء رسولُ الأمير يدعوني إليه، فأجبته، فقال لي: يا صواب يَدُقُّ عليك الليلة أقوامٌ المسجدَ، فافتح لهم ومَكِّنْهُم مما أرادوا ولا تعارضهم ولا تعترض عليهم، قال: فقلت له: سمعاً وطاعةَ، قال: وخرجت ولم أزل يومي أجمعَ خلفَ الحجرة أبكي، لا ترقأ لي دمعة ولا يشعر أحدٌ ما بي، حتى إذا كان الليل وصَلِّينا العشاء الآخرةَ وخرج الناس من المسجد وغَلَّقنا الأبواب، فلم ننشبْ أنْ دُقَّ الباب الذي حذاء باب الأمير ـ أي باب السلام ـ فإنَّ الأمير كان سَكَنُهُ حينئذ بالحصن العتيق[3].

قال: ففتحت الباب، فدخل أربعون رجلاً أعدُّهم واحداً بعد واحد، ومعهم المساحي والمكاتل والشموع وآلات الهدم والحفر، قال: وقصدوا الحجرة

---

(١) م٢: اللطمي، ذكره السخاوي في **التحفة اللطيفة** ١/ ٤٦٠ وقال: «صواب الشمسي اللمطي شيخ الخدام، ستأتي له حكاية مع الثناء عليه في هارون بن عمر بن الزغب» و**التحفة** ناقصة كثيراً، ولم يترجم له المجد في **المغانم المطابة**.

(٢) من أهل حلب: يريد من الشيعة.

(٣) سبق الإشارة إلى أنَّ مقرَّ أمراء المدينة كان في هذا الحصن، وقد حدد السمهودي موقعه.

الشريفة، فوالله ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الأرض جميعهم بجميع ما كان معهم من الآلات، ولم يبق لهم أثر.

قال: فاستبطأ الأميرُ خبَرَهم، فدعاني، وقال: يا صواب! ألم يأتِك القوم؟ قلت: بلي، ولكن اتفق لهم ما هو كيت وكيت، قال: انظر ما تقول! قلت: هو ذالك، وقُمْ فانظر هل ترى منهم باقية أو لهم أثراً؟ فقال: هذا موضع هذا الحديث، وإنْ ظهر منك كان بقطع رأسك، ثم خرجت عنه.

قال المحبُّ الطبري: فلما وعيت هذه الحكاية عن هارون حكيتها لجماعة من الأصحاب فيهم من أثق بحديثه، فقال: وأنا كنت حاضراً في بعض الأيام عند الشيخ أبي عبد الله القرطبي[1] بالمدينة والشيخ شمس الدين صواب يحكي له هذه الحكاية؛ سمعتها بأذني من فيه[2].

انتهى ما ذكره الطبري.

قلت: وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله بن أبي محمد المرجاني[3] هذه الواقعة باختصار في تاريخ المدينة له، وقال: سمعتها من والدي ـ يعني: الإمام الجليل أبا عبد الله المرجاني ـ قال: وقال لي: سمعتها من والدي أبي محمد المرجاني سمعها من خادم الحجرة، قال أبو عبد الله المرجاني: ثم سمعتها أنا من خادم الحجرة الشريفة، وذكر نحو ما تقدم، إلاَّ أنه قال: فدخل خمسة عشر، أو قال: عشرون رجلاً بالمساحي والقِفَاف، فما مشوا غير خطوة أو خطوتين وابتلعتهم الأرض، ولم يُسَمِّ الخادم[4]، والله أعلم.

---

(١) هو محمد بن عمر بن يوسف، أبو عبد الله الأندلسي القرطبي المتوفى بالمدينة سنة ٦٣١هـ، انظر: التحفة اللطيفة ٢/ ٥٥٧ والتكملة لوفيات النقلة للمنذري ٣/ ٣٥٨ مع مصادر ترجمته.

(٢) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٥١ ـ ١٥٢.

(٣) عبد الله بن عبد الملك المرجاني، المتوفى سنة ٧٧٠هـ له كتاب بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار، ومنه نسخة في مكتبة الحرم المكي الشريف وأخرى في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، وانظر: التحفة اللطيفة ٢/ ٥٦.

(٤) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ١٥٢ ـ ١٥٣.

الفصل الثلاثون
في تحصيب المسجد الشريف
وذكر البُزاق فيه وتخليقه وإجماره
وذكر شيء من أحكامه

روى أبو داود في سننه عن أبي الوليد، قال: سألت ابن عمر عن الحصى الذي في المسجد، فقال: مُطِرنا ذاتَ ليلةٍ، فاصبحت الأرض مُبتَلَّةً، فجعل الرجلُ يأتي بالحصى في ثوبه ويَبسُطُه تحته، فلما قَضَى رسول الله ﷺ الصلاة قال: ما أحْسَنَ هذا[1]!

وهو صريح في جعل الحصى في المسجد في زمنه ﷺ.

ويؤيده ما رواه أصحابُ السنن من حديث أبي ذر: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإنَّ الرحمة تواجهه، فلا يمسح الحصى[2].

وكذا ما رواه أحمد من حديث حذيفة، قال: سألت رسول الله ﷺ عن كلِّ شيء حتى عن مسح الحصى، فقال: واحدة أو دعْ[3].

وكذا ما رواه أبو داود بإسناد جيد عن أبي هريرة، قال أبو بدر[4]: أراه رفعه

---

(١) نقلاً من المغانم المطابة ص١٧٦ وانظر: سنن أبي داود، الصلاة ٣٨٧ والتعريف ٦٤ عن جامع الأصول لابن الأثير.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٣٠١ باختلاف يسير في الألفاظ.

(٣) المصدر نفسه ٢/٣٠٢ وفي حديث آخر: «فقال مرة واحدة وإلا فدع»، وشرح صحيح مسلم ٣/ ٤١.

(٤) هو شجاع بن الوليد أبو بدر السكوني الحافظ، انظر: ميزان الإعتدال ٢/ ٢٦٤ وكتاب الكنى للدولابي ١/ ١٢٦.

إلى النبي ﷺ، قال: إنَّ الحصاة لتُناشِدُ الذي يُخرجها من المسجد[1]، لكن قد سئل الدارقطني عن هذا الحديث فذكر أنه رُوِيَ موقوفاً على أبي هريرة، وقال: رَفْعُهُ وَهمٌ من أبي بدر.

وروى يحيى عن بعض السلف: أنه كان إذا خرج بالحصاة من المسجد في ثوبه أو نعله أمر بردِّها إلى المسجد[2].

وروى ابن شَبَّة عن سليمان بن يسار، قال: الحصاة إذا أُخرجت من المسجد تصيح حتى تُرَدَّ إلى موضعها[3].

وذكر البرهان ابن فرحون: أنَّ مالكاً سُئِلَ عن الرجل يخرج من المسجد فيجد شيئاً من حصى المسجد قد تَعَلَّق بوجهه، أيلزمه ردُّه إلى المسجد؟ فقال: لا يلزمه ذلك، وأرخصُ له في طرحه، فقال السائل: يا أبا عبد الله إنهم يقولون: إذا أُخرِجَت الحصاة من المسجد تصيح حتى تُرَدَّ إلى المسجد، فقال له مالك: دعها تصيح حتى يَنْشَقَّ حلقهُا، فقال: أوَ لها حلقٌ؟ قال: فمن أين تصيح؟[4]

وروى ابن أبي شَيبة[5] عن ابن عباس، أنه قال لنفيع[6] في الحصاة: رُدَّها وإلاَّ خاصَمتك يوم القيامة[7].

وحكى الأقشهري عن شيخ الخدَّام ظهير الدين [مختار][8] بن عبد الله الأشرفي[9]، قال: أتاني عامَ خمسة عشر وسبع مئة رجلٌ من الشام في موسم

---

(١) سنن أبي داود، الصلاة ٣٨٩ والمصنف ٢/ ٣٠٣ عن أبي هريرة أو كعب.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٤.

(٣) نقلاً من الروضة الفردوسية ورقة ٢٣أ، وهو في المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٣٠٤ عن سليمان بن يسار.

(٤) البيان والتحصيل ١/ ٣٩٨: قال مالك: "إن ردها فحسن وما أرى عليه ذلك".

(٥) في الأصول: ابن شبة، وهو تصحيف: "ابن أبي شيبة"، فقد ورد الخبر في المصنف ٢/ ٣٠٣ وإعلام الساجد ٣٤٠ ـ ٣٤١ عن ابن ابي شيبة، والظاهر أنَّ السمهودي نقل الخبر منه.

(٦) هو أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي المتوفى سنة ٥١ هـ، أنظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٥.

(٧) المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٣٠٣ وإعلام الساجد ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٨) الإضافة من الروضة الفردوسية لأنَّ الخبر منقول منها.

(٩) ترجم له ابن فرحون في نصيحة المشاور ٢٢أ وقال: "توفي سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة"، وابن حجر في الدرر الكامنة ٤/ ٣٤٥.

الحاج وقال: كنت حججتُ عامَ أولَ وحملت شيئاً من تراب المسجد وحصبائه، فلم أزل أراه في المنام يقول لي: رُدَّني إلى موضعي؛ عذَّبتني عذَّبَك الله، فها أنا أتيت به، قال: فأخرج صُرَّةً فيها ما ذكره، فصببناها في المسجد[1]، انتهى.

والذي يقتضيه كلام المؤرخين أنَّ تحصيب المسجد إنما حدث في زمان عمر ابن الخطاب، فقدْ روى يحيى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزهري، قال: قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول الله ﷺ: ما ندري ما نفرش في مسجدنا، فقيل له: افرش الخصف والحصر، قال: هذا الوادي المبارك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "العقيق وادٍ مبارك"[2]، قال: فحصبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وروى ابن زبالة عن عبيد الله بن عمر، قال: قدِمَ سفيان بن عبيد الله الثقفي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومسجد رسول الله ﷺ غير محصوب، فقال: أما لكم وادٍ؟ فقال عمر: بلى، قال: فاحْصِبُوه منه، فقال عمر: احصبوه من هذا الوادي المبارك، يعني: العقيق[3].

قال المطري: رمل المسجد الشريف ـ أي: الذي يحصب به ـ يُحْمَلُ من وادي العقيق، من العرصة التي تسيل من الجمَّاء الشمالية إلى الوادي، وليس بالوادي رملٌ أحمر غير ما يسيل من الجمَّاء[4]، وهو رمل أحمر يُغَرْبَلُ ثم يُفَرَشُ في المسجد، انتهى.

وروى ابن زبالة من طريق الضحاك عن بشر بن سعيد أو سليمان بن يسار ـ شَكَّ الضحاك ـ أنه حَدَّثَ: أنَّ المسجد كان يُرشُّ في زمان النبي ﷺ وزمان أبي

---

(١) الروضة الفردوسية ورقة ١٢٣أ في الحاشية، وانظر: فصل "من كره إخراج الحصى من المسجد"، في المصنف لابن أبي شيبة ١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٤/ ١٧٠: عن عمر بن الخطاب «حدثني رسول الله ﷺ أتاني الليلة آت من ربي ـ وهو في العقيق ـ أن صلِّ في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة» وانظر: المصنف ٢/ ٣٤٠.

(٣) كتاب المناسك للحربي ٣٦٤ روى خبراً يشبه هذا، وفيه عثمان بن أبي العاص الثقفي بدلاً من سفيان بن عبيد الله الثقفي، مع اختلاف في الألفاظ وفضائل المدينة للجندي ٣٦.

(٤) التعريف ٦٤ وفيه "الجبل" «هو تصحيف بيِّن، وبقية الخبر لا تظهر في التعريف المطبوع».

بكر وعامة زمان عمر، وكان الناس يتنخَّمون فيه ويَبْصُقون حتى عاد زَلَقاً، حتى قدم ابن مسعود الثقفي، فقال لعمر: أليس قربَكُم وادٍ؟ قال: بلى، قال: فَمُرْ بحصباء تُطرح فيه فهو أكَفُّ للمخاط والنخامة، فأمر عمر بها[1].

وهذه الرواية مع ضعفها قد اشتملت على أنهم كانوا يبصقون في المسجد.

وفي **الصحيحين** عن أنس مرفوعاً: "البُزَاقُ في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها"[2]، وقد رواه ابن زبالة.

وروى أيضاً عن ابن عمر، أنَّ النبي ﷺ رأى نُخامةً في المسجد فقال: "من فعل هذا جاء يوم القيامة وهي في وجهه"[3].

وحديث ابن عمر، رواه البزار[4] وابن خزيمة في صحيحه[5].

وروى أحمد عن أبي أمامة، أنه ﷺ قال: "البُصَاقُ في المسجد سيئة، ودفنه حسنة"[6]، ورواه ابن شبّة بمعناه[7].

وروى أيضاً عن أبي هريرة، قال: "إنَّ المسجد لينزوي من النخامة كما ينزوي الجلد من النار"[8]، ولهذا جـزمَ النووي في **التحقيق** و**شرح المهذَّب** بتحريمه.

ووقع في عبارة بعض أصحابنا التعبيرُ بالكراهة، وحَمَلَها بعضهم على كراهة التحريم.

وقال بعض العلماء: إنما يكون البزاق في المسجد خطيئة لمن لم يدفنه لأنه

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المعجم المفهرس ١/ ١٧٨ عن البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والدارمي وأحمد، وانظر: تاريخ المدينة ١/ ٢٥ وصحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٧ والكامل لابن عدي ٢/ ١٨٧ والمصنف ٢/ ٢٦٠.

(٣) تاريخ المدينة ١/ ٢٧.

(٤) كشف الأستار ١/ ٢٠٨ ومجمع الزوائد ٢/ ١٩.

(٥) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٨.

(٦) المصنف ٢/ ٢٦٠.

(٧) تاريخ المدينة ١/ ٢٥.

(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٦.

يَقْذَرُ[1] المسجد ويُتأذى به[2].

قال القرطبي: ويدل على صحة هذا التأويل حديث أبي ذر الذي رواه مسلم وغيره: "ووجدت في مساويء أعمالها ـ أي: الأمة ـ النخامة تكون في المسجد لا تُدفن"[3]، فلم يثبت لها حكم السيئة بمجرد إيقاعها في المسجد، بل بذلك وببقائها غير مدفونة[4].

قلت: الرواية الأولى بيَّنت أنَّ الفعل خطيئة، وأنَّ الدفن يكفرها كما يكفر الجَلْدُ معصية الزنى، فلتُحمل الرواية الأولى عليها؛ لأنَّ الإخبار فيها عمَّا استقرَّ عليه الأمر.

لكن ابن شَبَّة روى من طريق الفرج بن فضالة عن أبي سعيد، قال: رأيت واثلة بن الأسقع دخل مسجدَ دمشق فصلَّى فيه، فبَزَقَ تحت رجله اليسرى ثم عَرَكَها، فلما انصرفتُ قلت له: أنت صاحب رسول الله ﷺ تَبْزُقُ في المسجد؟ فقال: هكذا رأيت النبي ﷺ صَنَع[5].

ورواه أبو داود من الطريق المذكور بنحوه، وفرج بن فضالة ضَعَّفَه الدارقطني وغيره، وقَوَّاه أحمد، واقتصر الحافظ ابن حجر في التقريب على تضعيفه[6].

وروى ابن شبَّة أيضاً بإسناد فيه ضعيف عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "من دخل مسجدي هذا فبَزَقَ أو تَنَخَّمَ فليَحْفرْ فليبعد وليدفنه، فإنْ لم يفعل فليبزق في ثوبه حتى يخرج به"[7].

وهذا لو صَحَّ كان حُجةً لهذا المذهب.

---

(1) يقذر: من باب طرب.

(2) نقلاً من إعلام الساجد ٣٠٩.

(3) صحيح مسلم ٢/٧٧ باب النهي عن البصاق في المسجد، وفيه: "النخاعة" وصحيح ابن خزيمة ٢/٢٧٦.

(4) نقلاً من إعلام الساجد ٣٠٩.

(5) تاريخ المدينة ١/٢٤.

(6) انظر: ميزان الإعتدال ٣/٣٤٣ ـ ٣٤٥ فقد أورد أقوال العلماء فيه بما فيهم الدرقطني.

(7) تاريخ المدينة ١/٢٧ وصحيح ابن خزيمة ٢/٢٧٧.

فإنْ قيل: يعضده حديث البخاري عن أنس، أنَّ النبي ﷺ: رأى نُخامةً في القبلة، فشقَّ ذلك عليه حتى رؤيَ في وجهه، فقام فحكَّه بيده، فقال: "إنَّ أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربَّهُ، أو إنَّ ربَّه بينه وبين القبلة، فلا يبزقنَّ أحدكم قِبَلَ قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدمه[1]، ثم أخذ طرف ردائه فَبَصَق فيه ثم ردَّ بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا"[2].

وكذا ما رواه ابن شبَّة ـ باسناد جيد ـ عن أبي نضرة: أنَّ النبي ﷺ: "رأى نخامة في قبلة المسجد، فغضب غضباً شديداً حتى كاد يدعو على صاحبها، ثم قال: لا يَبزُقْ أحدكم في قبلته، فإنَّ ربَّه مستقبله، ولا عن يمينه فإنَّ عن يمينه ملكاً، ولكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى، فإنْ كان على يساره أحدٌ فليبزق في ثوبه"[3].

وفي روايةٍ: "فإنْ كان عن يساره أحد يكره أنْ يبزق نحوه فليبزق في ثوبه، وبزق النبي ﷺ في ثوبه وحكَّ بعضه ببعض"[4].

فاقتضى ذلك جواز البصاق في المسجد في ما عدا القبلة واليمين حالة الصلاة، وهو مقيَّدٌ بالدفن، لما سبق.

قلنا: مَسَاقُ الحديث لبيان أدب المُصَلِّي في كيفية البصق، من غير تعرُّضٍ لكونه في المسجد، والبصاق في المسجد قد بيَّنـه منطوق الحديث السابق؛ فلا يُتْرَكُ بهذا.

وأفاد القَفَّال[5] في فتاويه ـ وقد ذكر حديث النخامة في المسجد ـ فائدة حسنة، فقال: هذا الخبر محمول على ما إذا نزلت النخامة من الرأس، أما إذا

---

(١) مسند الحميدي ٢/٣١٩، ٥١١، ٥١٢.
(٢) فتح الباري ١/٥١٤.
(٣) تاريخ المدينة ١/٢٣.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) هو محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الشافعي المتوفى بالشاش سنة ٣٦٥ هـ أو بعدها بقليل، انظر: معجم المؤلفين ١٠/٣٠٨ مع مصادر ترجمته.

كانت من الصدر فهي نجسة، فلا يجوز دفنها في المسجد[1].

وروى أبو داود من حديث ابن عمر، قال: «بينا رسول الله ﷺ يخطب يوماً إذ رأى نخامة في قبلة المسجد، فتغيَّظ على الناس، ثم حَكَّهَا، واحسبه قال: فدعا بزعفران فلطَّخَه به، وقال: إنَّ الله قِبَلَ وجه أحدكم فلا يبزقن بين يديه»[2].

وروى ابن شَبَّة عن شيخه خلاد بن يزيد بن عبد العزيز بن أبي روَّاد عن نافع عن ابن عمر: «أنَّ النبي ﷺ صَلَّى ذاتَ يوم، فرأى في قبلة المسجد نخامة، فلما قضى صلاته أخذ عوداً فحكَّها، ثم دعا بخَلُوق فخَلَّقَ مكانها، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إذا صلَّى أحدكم فلا يَتْفُلْ أمامه ولا عن يمينه، فإنه يستقبل الرب عزَّ وجل بوجهه»[3].

وروى ابن شَبَّة أيضاً بسندٍ جيد إلى أبي الوليد، قال: قلت لابن عمر: ما بَدْء الزعفران؟ ـ يعني: في المسجد ـ فقال: رأى رسولُ الله ﷺ نخامة في المسجد، فقال: ما أقبح هذا! مَنْ فعلَ هذا؟ فجاء صاحبها فحكها وطَلَاها بزعفران، فقال رسول الله ﷺ: هذا أحسن من ذلك[4].

ورواه يحيى بلفظ: قلت لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن إلا تخبرني ما كان بَدْءُ هذه الصفرة التي في قبلة المسجد؟ قال: نعم، صلَّى بنا رسول الله ﷺ حتى إذا انصرف رأى نُخَامةً في القبلة، وذكره، وقال: فسارعَ الناسُ إليه، فكان هذا بدأهُ.

وروى النسائي وابن ماجة عن أنس، قال: رأى رسول الله ﷺ: نخامة في قبلة المسجد، فغضب حتى احمرَّ وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحكَّتْهَا، فجعلت مكانها خَلوقاً، فقال رسول الله ﷺ: ما أحسنَ هذا[5]!

وروى ابن شَبَّة بسندٍ جيد عن أبي نضرة: أنَّ ذلك الذي بَزَقَ في قبلته جاء

---

(١) نقلاً من إعلام الساجد ٣٠٩.

(٢) المعجم المفهرس ٥/ ٣٦ وأورد ابن شَبَّة حديثاً شبيهاً بهذا في تاريخ المدينة ١/ ٢١.

(٣) تاريخ المدينة ١/ ٢١ ـ ٢٢ وانظر مسند أحمد ٣/ ٨ عن حديث شبيه بهذا عن أبي سعيد الخدري.

(٤) المصدر نفسه ١/ ١٨.

(٥) المعجم المفهرس ٦/ ٣٨٩ وصحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٠ والتاريخ الكبير للبخاري ٤/ ١/ ٦٠.

بشيء من زعفران فطَلَى ذلك المكان، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ[1].

وروى أيضاً بسندٍ لا بأس به، قال: أبصر رسول الله ﷺ في حائط المسجد بُزاقاً، فحَكَّه على خرقة، وأخرجه من المسجد، فجعل مكانه شيئاً من طيب أو زعفران أو وَرْسٍ[2].

وعن إبراهيم بن قدامة عن أبيه: أنَّ عثمان بن مظعون تَفَلَ في القبلة، فأصبح مكتئباً، فقالت له امرأته: ما لي أراك مكتئباً؟ قال: لا شيء إلاَّ أني تَفَلْتُ في القبلة وأنا أُصلِّي، فعَمَدَتْ إلى القبلة فَغَسَلَتها ثم عَمِلَتْ خَلوقاً فخلَّقَتْهَا، فكانت أول من خَلَّقَ القبلة[3].

وروى أيضاً برجال ثقاتٍ عن جابر بن عبد الله، قال: أتانا رسول الله ﷺ في مسجدنا هذا وفي يده عُرْجُون ابن طاب[4]، فرأى في قبلة مسجدنا نخامة فحَكَّها بالعُرجون، ثم أقبل علينا فقال: أيُّكم يُحبُّ أنْ يُعْرِضَ الله عنه؟ قلنا: لا أيَّنا يا رسولَ الله، قال: فإنَّ أحدكم إذا قام يُصَلّي فإنَّ الله قِبَلَ وجهه فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه، وليبصق قبل يساره تحت رجله اليسرى، فإنْ عجلت به بادرة فليقل هكذا بثوبه، ثم طوى بعضه على بعض[5]؛ أروني عبيراً، فقام فتىً من الحي يشتَدُّ إلى أهله فجاء بخلوق في راحته، فأخذه النبي ﷺ على رأس العرجون ثم لطخ به أثر النخامة، قال جابر رضي الله عنه: فمن هنالك جعلتم الخلوق في مساجدكم[6].

وقد رواه أبو داود بنحوه.

وجابر هو من بني حرام، بطن من بني سَلِمَة، ومسجدهم كان بمنازلهم التي

---

(١) تاريخ المدينة ١/ ٢٣.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٨.
(٤) انظر: مشارق الأنوار ٢/ ٣٨٥: "نوع من تمور المدينة طيب".
(٥) المستدرك ١، ٢٥٧
(٦) تاريخ المدينة ١/ ١٩.

في غربي بُطحان ومساجد الفتح، وليس هو مسجدالقبلتين كما وقع للمطري[1] وجماعة حتى جعلوا أمر الخلوق، لما سنبينه.

وسيأتي ما رواه ابن زبالة من حديث جابر: أنَّ النبي ﷺ صَلَّى في مسجد بني حرام بالقاع، وأنه رأى في قبلته نخامة، وكان لا يفارقه عرجون ابن طاب يتخصَّر به، وذكر الحديث الآتي، وفيه: "فكان أول مسجدٍ خُلِّقَ".

وروى أبو داود وابن حِبَّان في صحيحه عن أبي سهلة السائب بن خلاد ـ من أصحاب النبي ﷺ ـ: أنَّ رجلاً أَمَّ قوماً فبَصَقَ في القبلة ورسول الله ﷺ ينظر، فقال رسول الله ﷺ حين فرغ: لا يُصَلِّي لكم، فأراد بعد ذلك أنْ يصلي لهم فمنعوه، وأخبروه بقول رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: نعم، وحسبت أنه قال: إنَّك آذيتَ الله ورسوله[2].

وفي رواية أوردها المجد: أنَّ النبي ﷺ لما رأى النخامة في المحراب قال: مَنْ إمام هذا المسجد؟ قالوا: فلان، قال: قد عَزَلْتُهُ، فقالت امراته: لِمَ عَزَلَكَ النبي ﷺ من الإمامة؟ فقال: رأى نخامةً في المحراب، فَعَمَدَتْ إلى خَلوقٍ طيِّبٍ فَخَلَّقَتْ به المحراب، فاجتاز رسول الله ﷺ فقال: مَنْ فعل هذا؟ فقالوا: امرأةُ الإمام، قال: وَهَبْتُ ذنبه لامرأته ورددتُه إلى إمامته[3].

قلت: واختلاف هذه الروايات صريح في أنها وقائع متعددة، فلا تعارضَ فيها، نعم! هي متضمنة للرد على ما رواه ابن شَبَّة عن جابر بن عبد الله، قال: كان أول من خَلَّقَ المسجد ورزقَ المؤذنين عثمان رضي الله عنه[4]، وقد تقدَّمَ في الفصل الرابع من رواية يحيى عن جابر بنحوه، إلاَّ أنْ يُحمل على أنَّ المراد أنه اتَّخَذَ له الخلوق من بيت المال.

---

(١) التعريف ٥١.

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٣/ ٧٧ والمعجم المفهرس ١/ ٥٠ عن أبي داود والنسائي وابن ماجة وأحمد.

(٣) المغانم المطابة ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٤) تاريخ المدينة ٣/ ٩٦١.

ونقل ابن زبالة عن ابن عجلان: أنَّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامِلِه على المدينة أنْ لا يُخَلَّقَ إلاَّ القبلة، وأنْ يغسل الأساطين، قال: فلم تكن الأساطين تُخَلَّق في سلطانه.

وقدمت الخيزران أمُّ موسى[1] في سنة سبعين ومئة، فأمرت بالمسجد فَخُلِّقَ ووَلِيَ ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها، فقام إليها إبراهيم بن الفضل بن عبيد الله[2] مولى هشام بن إسماعيل، فقال: هل لكم أنْ تَسْبِقوا مَنْ بعدكم وأنْ تفعلوا ما لم يفعل من كان قبلكم؟

قالت مؤنسة: وما ذاك؟

قال: تخلِّقون القبر كلَّه، ففعلوا؛ وإنما كان يُخَلَّقُ منه ثلثاه أو أقلّ، وأشار عليهم فزادوا في خَلُوق اسطوان التوبة والاسطوان التي هي عند مُصَلَّى النبي ﷺ، فَخَلَّقُوهُمَا حتى بلغوا بهما أسفلهما، وزادوا في الخَلُوقِ في أعلاهما[3].

وروى بعضهم عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ...﴾[4]، قال: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾: نَظِّفَاه وبَخِّرَاه وخَلِّقَاه.

وروى يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن علي بن حسن بن حسن بن حسن ـ وكان من خيار الناس ـ أنَّ رسول الله ﷺ أمر بإجمار المسجد، قال: ولا أعلمه إلاَّ قال: يوم الجمعة[5].

وروى ابن ماجه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: جَنِّبُوا مساجدَكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسلَّ سيوفكم، واتَّخِذوا على أبوابها المطاهر، وجَمِّروها[6].

---

(١) هي أم موسى الهادي وهارون الرشيد.

(٢) ذكره السخاوي في التحفة اللطيفة ١/ ٨٢ وذكر معنى الخبر.

(٣) نقلاً من كتاب المناسك للحربي ٣٧٢ وأورد ابن النجار هذا الخبر مختصراً في الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٤، وذكر السمهودي هذا الخبر في الفصل الرابع والعشرين بالنص.

(٤) سورة البقرة ١٢٥.

(٥) تحقيق النصرة ٨٧.

(٦) سنن ابن ماجة: ١/ ٢٤٧ (عبد الباقي) وإعلام الساجد ٣١٢ رواية الطبراني ومجمع الزوائد ٢/ ٢٦ =

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور[١]، وأنْ تُنَظَّف وتُطَيَّبَ[٢].

وروى يحيى من طريق محمد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل عن أبيه: أنه قدم على عمر بن الخطاب بِسَفَطٍ من عُودٍ، فلم يسع الناس فقال عمر اجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون فبقيت سنةً في الخلفاء إلى اليوم، يُوتَى كلَّ عامٍ بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة ويوم الجمعة عند المنبر من خلفه إذا كان الإمام يخطب[٣].

وعن سعد القرظ[٤]، قال: قُدِمَ على عمرَ بعودٍ، فقسمه بين المهاجرين، ثم قسم للمسجد حظاً، فكان يجمره في الجمع، فجرى ذلك إلى اليوم، وولاّه سعد القرظ، فكان الذي يجمر.

فقد تقدَّمَ من رواية يحيى أيضاً في الكلام على حكم قناديل الحجرة: أنَّ عمر أُتِيَ بِمِجْمَرَةٍ من فضة، وأنه دفعها إلى سعد ـ جَدِّ[٥] المؤذنين ـ وقال: أجمر بها في الجمعة وشهر رمضان، وكان سعد يجمر بها الجمعة، وكانت توضع بين يدي عمر بن الخطاب[٦].

وروى ابن زبالة عن نعيم المُجَمِّر عن أبيه: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: تُحْسِنُ تطوف على الناس بالمجمرة تجمرهم؟ فقال: نعم، فكان عمر يجمرهم يوم الجمعة[٧].

= والكامل لابن عدي ٤/ ١٣٥؛ ٥/ ٢١٩؛ ٦/ ٢٦٣ وتاريخ المدينة ١/ ٣٥.

(١) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٠.

(٢) إعلام الساجد ٣٣٥ والمعجم المفهرس ٤/ ٦٤ وصحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٠.

(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٦٤ وتحقيق النصرة ٨٧.

(٤) هو سعد بن عائذ مولى عمار بن ياسر وقيل مولى الأنصار، كان يتجر في القرظ، الإصابة ٢/ ٢٩.

(٥) في الأصول: أحد، وقد سبقت ترجمته.

(٦) تحقيق النصرة ٨٧.

(٧) المصدر نفسه.

وفي مسند أبي يعلى عن ابن عمر: أنَّ عمر كان يُجَمِّرُ مسجدَ رسول الله ﷺ كُلَّ جمعة[١].

قال أصحابنا: ويستحبُّ فرش المسجد، وقد ترجم البخاري للصلاة على الخُمْرة، وروى عن ميمونة: أنها كانت تصلي عليها[٢].

وقال ابن دريد: الخُمرة هي السجادة[٣].

وقال الطبري: هي مُصَلًّى صغير يُنسجُ من سعف النخل ويرسل[٤] بالخيوط[٥].

وقال البخاري في صحيحه: وصلَّى أنس على فراشه، وقال: كنا نُصَلّي مع النبي ﷺ فيسجد أحدنا على ثوبه[٦].

وقال يحيى: حدَّثنا أبو مُصْعب، قال: حدثنا مالك عن عمِّه أبي إسماعيل بن مالك عن أبيه: أنَّ طِنْفِسَةً لعقيل بن أبي طالب كانت تُطْرَحُ يوم الجمعة إلى جدار المسجد الغربي، فإذا غَشِيَ الطنفسة كلَّها ظلُّ الجدار، خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: ثم يرجع بعد صلاة الجمعة فَقَيَّلَ قائلة الضحى.

ورواه ابن زبالة أيضاً.

وروى يحيى عن عطاء بن أبي رَبَاح: أنَّ رسول الله ﷺ قال: تفقَّدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم[٧].

وعن موسى بن يعقوب: أنَّ النبي ﷺ اتبع غبار المسجد بجريدة.

---

(١) مسند أبي يعلى ١/ ١٧٠ ومجمع الزوائد ٢/ ١١ وقال: "فيه عبد الله بن عمر العمري وثقه أحمد واختلف في الاحتجاج به".

(٢) فتح الباري ١/ ٤٩١ وإعلام الساجد ٣٥٧.

(٣) نقلاً من إعلام الساجد ٣٥٧: «قال ابن دريد في الجمهرة»، ونُسب في فتح الباري ١/ ٤٣٠ للخطَّابي.

(٤) في إحدى نسخ إعلام الساجد: "يرمل".

(٥) نقلاً من إعلام الساجد ٣٥٧ وانظر: فتح الباري ١/ ٤٣٠ مع اختلاف وزيادة في الألفاظ.

(٦) المصدر نفسه ١/ ٤٩١.

(٧) المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٣٠٧.

ورواه ابن أبي شيبة عن يعقوب بن زيد، ولفظه: أنَّ النبي ﷺ كان يتبع غبار المسجد بجريدة[1].

وقد ذكرنا في آخر الكلام على فضل المسجد شيئاً مما جاء في النهي عن قِرْبَان المسجد لمن أكل الثوم أو البصل[2].

وذكرنا في زيادة عمر رضي الله عنه في الكلام على البطيحاء، ما جاء في النهي عن رفع الصوت فيه، وما يتعلق بإنشاد الشعر فيه.

وذكرنا في زيادة الوليد ما يتعلق بالصلاة على الجنائز فيه.

وروى ابن شبَّة عن شيبة بن نصاح مرسلاً: أنَّ النبي ﷺ قال: إذا رأى أحدكم القملة في ثوبه وهو في المسجد فليحفر لها فليدفنها، وليبصق عليها، فإنَّ ذلك كفارتها[3].

ورواه ابن زبالة.

ثم روى عن محمد بن المنكدر، قال: أخبرني من رأى أبا هريرة يَدْفِنُ قملةً في المسجد.

وروى يحيى عن يوسف بن ماهك، قال: رأيت عبيد بن عمير أخذ من ثوب ابن عمر قملة فدفنها في المسجد[4].

وعن أبي بكر بن المنكدر، قال: رأيت عمي محمد بن المنكدر يأخذ قملة وهو في المسجد فيقتلها في المسجد فيبزق عليها.

وعن جعفر بن محمد، قال: لا بأس بأنْ يدفن القملة في المسجد.

قلت: وهذه الأشياء لا تقوم الحجة بها، وقد روى أحمد في مسنده عن أيوب، قال: وجد رجلٌ في ثوبه قملة فأخذها ليطرحها في المسجد، فقال له

---

(١) نقلاً من إعلام الساجد ٣٣٥.
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ١/ ٥٢ ـ ٥٩.
(٣) تاريخ المدينة ١/ ٢٩.
(٤) المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٢٦٣.

رسول الله ﷺ: "لا تفعلْ رُدَّهَا في ثوبك حتى تخرج من المسجد"[1].

وروى ابن شبَّة بسند جيد عن يحيى بن أبي كثير اليماني عن الحضرمي: أنَّ النبي ﷺ قال: إذا أبصر أحدكم القملة وهو يصلي في المسجد فليَصْرُرْهَا في ثوبه ولا يقتلها في المسجد[2].

وروى يحيى عن ابن عمر، قال: إذا وجَدَ أحدُكم القملةَ في ثوبه وهو في المسجد، فليجعلها في ثوبه حتى يخرج[3].

قال النووي: فإنْ قَتَلَها لم يَجُزْ إلقاؤها في المسجد، لأنها ميتة، وكره مالك قتلها في المسجد[4].

ونقلَ ابن العماد[5] عن كتب المالكية: أنه يحرم طرح القمل حيّاً، بخلاف البرغوث، لأنَّ البرغوث يعيش بأكل التراب، بخلاف القمل ففي طرحه تعذيبه بالجوع، انتهى.

وقد جاءت أحاديث في النهي عن البيع والشراء وإنشاد الضالة في المسجد[6].

وروى ابن عدي[7] الحافظ من حديث علي بن أبي طالب، قال: صلَّيتُ العصر مع عثمان أمير المؤمنين، فرأى خيّاطاً في ناحية المسجد، فأمر بإخراجه، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنه يكنس المسجد، ويغلق الأبواب، ويرش أحياناً،

---

(١) مسند أحمد، باقي مسند الأنصار ٢٢٤٥٦.

(٢) تاريخ المدينة ٢٩/١ والمصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٢٦٢.

(٣) في معناه وألفاظه في إعلام الساجد ٣١٣.

(٤) نقلاً من إعلام الساجد ٣١٣ وفي البيان والتحصيل ٢٠٦/١٨، ٢٢٩ كراهة طرحها في النار.

(٥) هو أحمد بن عماد بن محمد الأقفهسي المتوفى سنة ٨٠٨هـ، مؤلف نظم الدرر من هجرة خير البشر وشرحها وكشف الأسرار عما خفي على الأفكار وغيرهما، انظر: بروكلمان ٢/ ٩٣ وملحقه ٢/ ١١٠ ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٦ مع مصادر ترجمته.

(٦) إعلام الساجد ٣٢٤.

(٧) هو عبد الملك بن محمد بن عدي الجرجاني الاستراباذي، سير أعلام النبلاء ٥٤١/١٤ مع مصادر ترجمته.

فقال عثمان: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: جنِّبوا صُنَّاعكم من مساجدكم[1].

قلت: ومن المنكرات في زماننا ما يتساهل فيه المتكلمون في أمر العمارة من استعمال النشَّارين والنجَّارين والحجَّارين بالمسجد النبوي للعمل في آلاته واكساب[2] أولئك العمال بذلك، مع ما يتولَّدُ من ذلك من الدَّقّ العنيف وتشعيث المسجد بما يُنْشَرُ من النشارة والنجارة وغير ذلك، مع إمكان عمل ذلك خارج المسجد الشريف والإتيان به مُهَيَّأً.

وقد قدَّمنا أنَّ عائشة رضي الله عنها كانت تسمع الوتد أو المسمار يُضْـرَبُ في بعض الدور المطيفـة بالمسجـد فَتُرْسِلُ إليهم: لا تؤذوا رسول الله ﷺ، وأنَّ علياً ما صنع مصراعي داره إلاَّ بالمناصع تَوَقِّياً لذلك[3].

وفي خبر رواه المقدسي في **مثير الغرام** عن كعب الأحبار: أنَّ سليمان عليه السلام قال للعفريت الذي أحضره لقطع الرخام لعمارة بيت المقدس: هل عندك حيلة أقطع بها الصخر؟ فإني أكره صوت الحديد في مسجدنا هذا والذي أَمَرَنا اللهُ به من ذلك هو الوقار والسكينة، فقال: ابتغِ لي وَكْرَ عقاب فإني لا أعلم في السماء طيراً أشدَّ منه ولا أكثرَ حيلة، فوجدوا وكر عقاب، فغطى عليه ترساً غليظاً من حديد، فجاء العقاب فلم يقدر عليه، فحلَّق في السماء متطلعاً[4]، فلبث يومَه وليلته، ثم أقبل ومعه قطعة من السامور[5]، فتفرقت له الشياطين حتى أخذوه منه، فأتوا به سليمان عليه السلام، فكان يقطع به الصخر[6]، انتهى.

---

(١) **تحقيق النصرة** ٨٩ ومثله مع اختلاف في الألفاظ في **تاريخ المدينة** ١/٣٦.

(٢) كذا في الأصول، وفي **الخلاصة** ٣٣٦: "واكتساب".

(٣) موضع خارج المدينة، وهو متبرز النساء على عهد النبي ﷺ، **المغانم المطابة** ٣٩٢، و**تحقيق النصرة** ٧٨ ويسمى الآن: زقاق البدور.

(٤) في كتاب **فضائل بيت المقدس والخليل والشام** لابن المرجى المقدسي ٢١: «منطلقاً».

(٥) هي كلمة سريانية Shamîrâ تعني: «الألماس»، وبالانجليزية diamond, adamant, steelgraver وفي خبر ورد في كتاب **فضائل بيت المقدس والخليل والشام** لابن المرجى المقدسي ٢٣: «وكان صخر هذا الذي دلَّهم على قطع الحجارة بالماس من غير حديد لعمل بيت المقدس».

(٦) **مثير الغرام** ورقة ١٢٧أ ـ ب و**فضائل بيت المقدس والخليل والشام** ٢٠ ـ ٢١ عن كعب أيضاً.

وكذلك إدخالُهم البغال والحمير الحاملة لتلك الآلات مع إمكان حمل الرجال لها من باب المسجد، والله الموفق.

وإذا سمع شخص مَنْ ينشد ضَالَةً في المسجد[١] فليقل له: أيها الناشد غيرك الواجد، وما أشبهه مما ورد، إلا أنْ يسأل الإنسانُ جلساءه فليس بذلك بأس، ولا يبلغ بذلك الصوت، كما نقله ابن زبالة عن مالك[٢].

ومن باع فيه، قيل له: لا أربَحَ الله تجارته، كما ورد مرفوعاً.

قال الزين المراغي: والقياس أن يقال للسائل فيه: لا فَتَح الله عليه، كما قال بعض شيوخنا[٣].

وفي **العتبية**: أنَّ مالكاً كره المَرَاوح في المسجد[٤]، ويجوز النوم فيه من غير كراهة عندنا، وكرهه بعضهم لغير الغريب الذي لا موضعَ له غيره[٥]، وروى في ذلك أحاديث.

وأسند أحمد بن يحيى البلاذري عن أبي سعيد مولى أبي أسيد، قال: كان عمر بن الخطاب يَعُسُّ في المسجد بعد العشاء، فلا يرى أحداً إلاَّ أخرجه، إلاَّ رجلاً قائماً يُصلِّي، فمرَّ بنفر من أصحاب النبي ﷺ فيهم أُبَيّ بن كعب، فقال: مَنْ هؤلاء؟ فقال أُبَيّ: نفرٌ من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خَلَّفكم بعد الصلاة؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، فجلس معهم، ثم قال لأدناهم: خُذْ في الدعاء، فدعا، فاستقرأهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليَّ وأنا بجنبه، فقال: هاتِ، فحُصِرْتُ وأخذني الخجل[٦]، فقال: قل! ولو أنْ تقول: اللّهم اغفر لنا، اللهمَّ ارحمنا، ثم أخذ عمر

---

(١) شرح صحيح مسلم ١/٥٩ ـ ٦٠.
(٢) البيان والتحصيل ١/٤٩٤ ـ ٤٩٥ وشرح صحيح مسلم ١/ ٦١: "قال مالك: يكره رفع الصوت في المسجد في العلم وغيره، وأجاز أبو حنيفة ومحمد بن مسلمة من أصحاب مالك رفع الصوت بالعلم والخصومة وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس، لأنه مجمعهم ولا بدَّ لهم منه".
(٣) تحقيق النصرة ٨٩.
(٤) البيان والتحصيل ١/٤٠١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣، كره مالك البيتوتة فيه لمن كان له منزل ولم يكرهه للضيفان والغرباء.
(٦) في طبقات ابن سعد: "فحصرت وأخذني من الرعدة أفكل حتى جعل يجد مسَّ ذلك مني".

في الدعاء، فما كان أحدٌ أكثر دمعة ولا أشدَّ بكاءً منه، ثم قال: تفرقوا الآن[١]، انتهى.

ولا يحرم إخراج الريح من الدبر في المسجد، لكنْ الأولى اجتنابه؛ لقوله ﷺ: "فإنَّ الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"[٢].

قال الزركشي: وقال بعض المتكلمين على الحديث من القدماء: الحدَثُ في المسجد خطيئة يُحْرَمُ بها المُحْدِثُ استغفار الملائكة ودعاءهم المرجو بركته[٣].

وروى ابن عَدي في **الكامل** من طريق حمزة بن أبي حمزة النَّصيبي[٤] عن أبي الزبير عن جابر، قال: إنَّ النبي ﷺ نهى أنْ يُمَرَّ باللحم في المسجد[٥].

قال ابن عدي: وهذا منكر بهذا الإسناد، لا يرويه عن أبي الزبير غير حمزة، وحمزة يضع الحديث[٦].

قلت: وقد روى ابن شَبَّة نحوه، غير أنه منقطع الإسناد، ويغني عنه ما ورد من النهي عن إتِّخاذ المسجد طريقاً[٧]، والله أعلم.

وقال مالك: لم تكن القراءة في المصحف بالمسجد من أمر الناس القديم، وأول من أحدثه الحجاج بن يوسف[٨].

وقال أيضاً: أكره أنْ يُقرأ في المصحف في المسجد، وأرى أنْ يُقاموا من المساجد إذا اجتمعوا للقراءة[٩].

---

(١) بالنص والإسناد في **طبقات ابن سعد** ٣/ ٢٩٤.
(٢) نقلاً من **إعلام الساجد** ٣١٣.
(٣) **إعلام الساجد** ٣١٣ ـ ٣١٤.
(٤) في الأصول: الضبي، وهو حمزة بن أبي حمزة الجزري النصيبي، انظر: **ميزان الإعتدال** ١/ ٦٠٦ وكتاب **الضعفاء والمتروكين** للدرقطني ٨٠ مع مصادر ترجمته.
(٥) نقلاً من **إعلام الساجد** ٣٥٥.
(٦) نقلاً من **إعلام الساجد** ٣٥٦.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) نقلاً من المصدر نفسه ٣٦٩.
(٩) نقلاً من المصدر نفسه.

قلت: الذي عليه السلف والخلف استحباب ذلك.

وفي **الصحيح**: "إنما بنيت ـ يعني: المساجد ـ لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن"، وهو عام في المصاحف وغيرها[(١)].

وقد روى ابن شَبَّة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: إنَّ أول من جمع القرآن في مصحف وكتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم وضعه في المسجد، فأمَرَ به يُقْرَأ كلَّ غداةٍ[(٢)].

وعن محرز بن ثابت مولى سلمة بن عبد الملك عن أبيه، قال: كنت في حَرَس الحجاج بن يوسف، فكتب الحجاج المصاحف، ثم بعثَ بها إلى الأمصار، وبعثَ بمصحف إلى المدينة، فكَرِهَ ذلك آلُ عثمان، فقيل لهم: أخرجوا مصحف عثمان يُقْرَأ، فقالوا: أُصيب المصحف يوم مقتل عثمان.

قال محرز: وبلغني أنَّ مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان، قال: فلما اسْتُخْلِفَ المهديُّ بعثَ بمصحف إلى المدينة، فهو الذي يُقْرَأُ فيه اليوم، وعُزِلَ مصحف الحجاج، فهو في الصندوق الذي دون المنبر[(٣)]، انتهى.

وقال ابن زبالة: حدثني مالك بن أنس، قال: أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القُرى بمصاحفَ، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير، وهو أول مَنْ أرسل بالمصاحف إلى القرى، وكان هذا المصحف في صندوق عن يمين الاسطوانة التي عُمِلَتْ علَمَاً لمقام النبي ﷺ، وكان يُفْتَحُ في يوم الجمعة والخميس، ويُقْرَأُ فيه إذا صُلِّيَتْ الصبح، فبعثَ المهديُّ بمصاحف لها أثمان، فجُعِلَتْ في صندوق ونُحِّيَ عنها مصحف الحجاج، فوضعت عن يسار السارية، ووضعت منابرُ لها كانت تُقْرَأ عليها، وحمل مصحف الحجاج في صندوقه فَجُعِلَ عند الإسطوانة التي عن يمين المنبر، انتهى.

قلت: ولا ذكرَ لهذا المصحف الموجود اليوم بالقبة التي بوسط المسجد

---

(١) نقلاً من المصدر نفسه.

(٢) تاريخ المدينة ١/٧.

(٣) المصدر نفسه ١/٧ ـ ٨.

المنسوب لعثمان رضي الله تعالى عنه في كلام أحدٍ من متقدمي المؤرخين، بل ولا ذكر له في كلام ابن النجار، وهو أول من أرَّخَ من المتأخرين، وقد ترجم لذكر المصاحف التي كانت في المسجد، ثم ذكر ما قدَّمناه عن ابن زبالة، ثم قال: وأكثر ذلك[1] دثَرَ على طول الزمان، وتفرقت أوراقه، قال: وهو مجموع في يومنا هذا في جِلالٍ في المقصورة ـ أي: المحترقة ـ إلى جانب باب مروان.

ثم ذكر: أنَّ بالمسجد عدة مصاحف بخطوط مِلَاحٍ موقوفة مخزونة في خزانتين ساجٍ بين يدي المقصورة خلف مقام النبي ﷺ، قال: وهناك كرسي كبير فيه مصحف مُقْفَلٌ عليه نُفِذَ به[2] من مصر، وهو عند الاسطوانة التي في صَفِّ مقام النبي ﷺ، وإلى جانبه مصحفان على كرسيين يقرأُ الناس فيهما، وليس في المسجد ظاهر سواهما[3]، انتهى.

ولم أرَ نسبة المصحف الموجود اليوم لعثمان رضي الله عنه إلاَّ في كلام المطري[4] ومَنْ بعده عند ذكر سلامة القبة التي بوسط المسجد من الحريق، كما قدَّمناه.

نعم، ذكر ابن جبير في رحلته ما حاصله: أنَّ أمام مقام النبي ﷺ ـ وقد عَبَّرَ ـ عنه بالروضة الصغيرة، صندوقٌ[5]، وإنَّ بين المقام وبين الحجرة ـ أي: بجانب المقام من جهة المشرق ـ "محمل كبير مدهون[6] عليه مصحف كبير في غشاء مقفل عليه، هو أحد المصاحف الأربعة التي وَجَّه بها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البلاد"[7]، انتهى.

وهذا المصحف الذي أشار إليه ينطبق في الوصف على المصحف الذي ذكر

---

(١) ش: واكثر من ذلك.

(٢) ش: فيه، وفي الدرة الثمينة: «أنفذ به».

(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٦.

(٤) التعريف ٣٩.

(٥) الصواب: صندوقاً، وفي رحلة ابن جبير جاء: "ويصلي الإمام في الروضة الصغيرة المذكورة إلى جانب الصندوق، وبينها وبين الروضة والقبر المقدس محمل كبير مدهون عليه مصحف كبير في غشاء مقفل . . . ".

(٦) كذا في الأصول، وصواب الجملة: "محملاً كبيراً مدهوناً".

(٧) رحلة ابن جبير ١٥٣.

ابن النجار أنه نُفذَ به من مصر، ولم يصفه بما ذكره ابن جبير من نسبته لعثمان، مع أنَّ ابن جبير مُصَرِّحٌ بأنه من المصاحف التي بعث بها عثمان إلى الآفاق، لا أنه الذي قُتِلَ وهو في حجره.

وقد قال ابن قتيبة: كان مصحف عثمان الذي قُتِلَ وهو في حجره عند ابنه خالد، ثم صار مع أولاده وقد درجوا.

قال: وقد قال لي بعض مشايخ أهل الشام: إنه بأرض طوس، انتهى.

وقال الشاطبي ما حاصله: إنَّ مالكاً رحمه الله قال: إنما يكتب المصحف على الكتابة الأولى، لا على ما اسْتَحْدَثَهُ الناس[١].

قال: وقال: إنَّ مصحف عثمان رضي الله عنه تَغَيَّبَ فلم نجدْ له خبراً بين الأشياخ[٢].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه في القرآن[٣]: رأيتُ المصحف الذي يقال له الإمام؛ مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، استُخْرِجَ لي من بعض خزائن الأمراء، وهو المصحف الذي كان في حجره حين أُصيبَ، رأيتُ آثار دمه في مواضع منه[٤].

وردَّه ابو جعفر النحاس[٥] بما تقدم من كلام مالك[٦].

قال الشاطبي: وأباه المُنْصِفُون[٧] لأنه ليس في قول مالك "تغيَّبَ"[٨] ما

---

(١) **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار** للداني ٩ ـ ١٠، وأشار الشاطبي في **عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد** ٩ إلى ذلك فقال:

وقال مالك القرآنُ يُكتب بالـ.....كتاب الأوَّلِ لا مستحدثا سُطرا.

(٢) قال الشاطبي ١٠: وقال مصحف عثمان تغيَّب لم   نجدْ له بين أشياخ الهدى خبرا.

(٣) هو كتاب **فضائل القرآن**، انظر: **تاريخ التراث العربي** لسزكين ١/١٨ بالألمانية.

(٤) قال الشاطبي ١١: أبو عبيد: أولوا بعض الخزائن لي   استخرجوه فابصرت الدما أثرا.

(٥) هو أبو جعفر أحمد بن محمد المصري النحوي، مات غرقاً سنة ٣٣٨هـ، **سير أعلام النبلاء** ١٥/٤٠١ مع مصادر ترجمته.

(٦) قال الشاطبي ١١: ورده ولد النحاس معتمداً   ما قبله وأباه منصف نظرا.

(٧) م٢: المنصون.

(٨) في **كتاب المصاحف** ٤٤: "سألت مالكاً عن مصحف عثمان رضي الله عنه فقال لي: ذهب".

يدلُّ على عدم المصحف بالكلية بحيث لا يوجد، لأنَّ ما تغيَّبَ يُرجى ظهوره[1].

قلت: فيحتمل أنه بعد ظهوره نُقِلَ إلى المدينة، وجُعِلَ بالمسجد النبوي، لكن يُوهِن هذا الاجتمال أنَّ بالقاهرة مصحفاً عليه أثر الدم عند قوله تعالى: ﴿فسيكفيهكم الله...﴾ الآية كما هو بالمصحف الشريف الموجود بالمدينة، ويذكرون أنه المصحف العثماني، وكذلك بمكة، والمصحف الإمام الذي قتل عثمان رضي الله عنه وهو بين يديه لم يكن إلاَّ واحداً، والذي يظهر أنَّ بعضهم وضع خلوقاً على تلك الآية تشبيهاً بالمصحف الإمام.

ولعل هذه المصاحف التي قدَّمنا ذكرها مما بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الآفاق، كان هو مقتضى كلام ابن جبير في المصحف الموجود بالمدينة.

وفي **الصحيح** من حديث أنس في قصة كتابة عثمان رضي الله عنه للقرآن من الصحف التي كانت عند حفصة: وأنه أمر بذلك زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وأنه أرسل إلى كلِّ أفقٍ بمصحف كما نسخوا[2].

واختلف في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور ـ كما قال الحافظ ابن حجر ـ: أنها خمسة[3].

وأخرج ابن أبي داود في كتاب **المصاحف** من طريق حمزة الزيات، قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف، وبعث منها إلى الكوفة بمصحف، فوقع عند رجلٍ من مراد فبقي حتى كتبتُ مصحفي عليه[4].

قال ابن أبي داود: وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كَتَبَ سبعة مصاحف: إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة

---

(١) قال الشاطبي ١١: إذ لم يقل مالك لاحت مهالكه ما لا يفوت فيرجى طال أو قصُرا.
(٢) فتح الباري ٩/ ١٠ ـ ١١.
(٣) المصدر نفسه ٩/ ٣٢.
(٤) نقلاً من فتح الباري ٩/ ٢٠ وانظر: كتاب **المصاحف** للسجستاني ٤٣.

وحبس بالمدينة واحداً[1]، انتهى.

وليس معنا في أمر المصحف الموجود اليوم سوى مجرد احتمال، والله أعلم.

ويستحبُّ تعليق المصابيح في المسجد، وقد قدَّمنا ما يقتضي أنَّ تميماً الداري أول من فعل ذلك في زمن النبي ﷺ[2].

وقيل: أول من فعله عمر بن الخطاب، لما جمع الناس في التراويح على إمام واحد.

وروى ابن زبالة عن يوسف بن مسلم، قال: كان زيت قناديل المسجد يُحمل من الشام، حتى انقطع ذلك في ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة، فجعله على سوق المدينة[3].

قال: ثم لما طرح ما يؤخذ من العنب عن الناس في ولاية داود بن عيسى على المدينة سنة ثمان وتسعين ومئة، أُخْرِجَ من بيت المال[4].

قال: ولم يزل رزقُ صاحب زيت المسجد ثلاثة دنانير تجري عليه في كلِّ شهر من بيت المال، وعليه فيها ما تَكَسَّر من القناديل، انتهى.

وقال ابن النجار: وفي يومنا هذا يصل الزيت من مصر؛ من وقوفٍ هناك، ومقداره سبعة وعشرون قنطاراً بالمصري، ويصلُ معه مئة وستون شمعة كبار وصغار، وعلبة فيها مئة مثقال نِدّ لتجمير المسجد[5]، انتهى.

قلت: وفي زماننا يُحْمَلُ له من الزيت من مصر والشام زيادة على مئة قنطار؛ بعضها من أوقافٍ تحت نظر قاضي الشافعية بمصر، وبعضها تحت نظر الإمام بمصر، والله أعلم.

---

(١) نقلاً من المصدر نفسه، والخبر في كتاب المصاحف ٤٣.

(٢) سنن ابن ماجة (عبد الباقي) ١/ ٢٥٠.

(٣) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه، دون ذكر: «لتجمير المسجد».

الفصل الحادي والثلاثون
في ما احتوى عليه المسجد من الأروقة والأساطين والبالوعات والسقايات والحواصل والزروع وغير ذلك مما يتعلق به من الرسوم

قال ابن جبير: إنَّ المسجد النبوي مستطيلٌ يَحفُّهُ من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به، ووسطه كله صحنٌ، فجهة القبلة منها ـ يعني: المسَقَّفَ القِبْلِي ـ خمس بلاطات(١) ـ يعني: أروقة.

وقد قدَّمنا أنه زيد فيه رواقان آخران فصار سبعة أروقة آخذة من المشرق إلى المغرب.

قال: والجهة الشمالية خمسة أروقة أيضاً(٢).

قلت: وهذا موافقٌ لما قدمناه في زيادة المهدي عن ابن زبالة من أنه جعل خمس أساطين في السقائق الشمالية، وقدَّمنا أنَّ الموجود به اليوم أربع فقط، وذلك أربعة أروقة، فكأنه لما زِيد بعد الحريق الأول الرواقان في مسقَّف القبلة اختصروا رواقاً من المسقَّف الشامي فأدخلوه في صحن المسجد، ولم أرَ مَنْ نبَّه على ذلك من المؤرخين.

وهذا المُسَقَّف هو المسمَّى اليوم بـ: الدِّكَاك، لارتفاعه على بقية أرض المسجد، ولم أعلم وقت حدوث ذلك، ولم يتعرض ابن جبير لذكر ارتفاعه مع

(١) رحلة ابن جبير (دار ومكتبة الهلال) ١٥٠ وقد اسقط السمهودي قسماً من النص.
(٢) المصدر نفسه، واستعمل ابن جبير "الجهة الجوفية" وهو اصطلاح اندلسي ومغربي بمعنى: الشمال.

ذكره لما دون ذلك، وقد كانت رحلته قبل الحريق الأول، فلعل ذلك حدث بعده، كما حدثت الدكتان اللتان بجنبي المسجد في الحريق الثاني، كما سبق.

وحدث في زماننا قبيل ذلك عند طرف الدكاك القبلي مما يلي المغرب دَكَّةٌ بارزة هناك، وهي الدَّكَةُ التي وُضِع بها ما أُخْرِجَ من جوف الحجرة الشريفة من الهَدْمِ في العمارة التي أدركناها.

وفي كلام ابن زبالة ما يؤخذ منه تسميةُ المُسَقَّف الشامي بسقائف النساء.

قال ابن جبير: والجهة الشرقية ثلاثة أروقة آخذة من القبلة إلى الشام، والجهة الغربية أربعة كذلك[1].

هذا ما ذكره ابن جبير، إلاَّ أنه عَبَّرَ في الجميع بالبلاطات بدل الأروقة، وكذا صنع ابن عبد ربِّه[2] في **العقد**[3]، وهو مطابق لما عليه المسجد اليوم، إلاَّ ما أشرنا إليه في المسقف القبلي والشامي.

قال ابن جبير: ونصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع إزاراً على إزار - أي: وزرة فوق أخرى - مختلف الصنعة واللون، مُجَزَّع أبدع تجزيع، والنصف الأعلى من الجدار مُنَزَّلٌ كلُّه بفصوصٍ من الذهب المعروف بالفُسَيْفِسَاء قد أنتج الصنَّاع فيه نتائج من الصنعة غريبة، تضمَّنَتْ تصاوير أشجار مختلفات الصفات، مائلة الأغصان بثمرها، والمسجد كله على تلك الصنعة، لكن الصنعة في جدار القبلة أَحْفَلُ، والجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك، ومن جهة الشام أيضاً، والغربي والشرقي الناظران إلى الصحن مُجَدَّدان أيضاً[4] ومُقَرنَصان، قد زُيِّنَا برسم يتضمن أنواعاً من الأصبغة إلى ما يطول وصفه[5]، انتهى.

---

(١) المصدر نفسه، وقد تصرَّف السمهودي وزاد على نص ابن جبير، وهو: "والجهة الشرقية لها ثلاث بلاطات، والجهة الغربية لها أربع بلاطات".

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ، مؤلف العقد الفريد وغيره، انظر: بروكلمان ١/ ١٥٤ وملحقه ١/ ٢٥٠ ومعجم المؤلفين ٢/ ١١٥ مع مصادر ترجمته.

(٣) العقد الفريد ٤/ ٢٨٥.

(٤) في رحلة ابن جبير: (طبعة صادر وطبعة الهلال): "مجردان أبيضان" وهنا تحريف وتصحيف معاً.

(٥) رحلة ابن جبير (الهلال) ١٥٣ - ١٥٤.

ووصف ابن عبد ربِّه في **العقد** ما في جدار القبلة من وَزَرَات الرخام وطرز الذهب والفسيفساء، ثم قال: وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء؛ أولها وآخرها[1].

وذكر أيضاً: أنَّ رؤوس الأساطين مذهبة عليها أكُفٌّ مُنَقَّشَة مذهبة، وكذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضاً[2].

قلت: وقد زال ذلك كله بسبب الحريق الأول، وبقي من آثاره شيء يسير في مؤخرة المُسَقَّف الغربي بجدار المسجد مما يلي الدكاك، وشيء بالمأذنة الغربية الشمالية مما يلي بابها فيه شيء من الفسيفساء، وأما جدار القبلة فليس به اليوم إلاَّ لوح يتضمن صور أشجارٍ عن يمين مستقبل المحراب الشريف، وهو من الآثار القديمة، وكان يقابله في جهة يسار المستقْبِل لوحٌ مثله سقط قريباً، ثم زال ذلك كله في الحريق الثاني.

وبالجدار المذكور اليوم وَزْرَةُ رخامٍ أول من أحدثها بعد الحريق الأول الظاهر جقمق، كما قدَّمناه مع بيان أنَّ المحراب العثماني وما حوله كان مرخَّماً قبل ذلك، وبقية المسجد مبيَّضٌ أحسن بياض.

وفي جدار القبلة عصابتان من طرازٍ تقدَّم ذكرهما أيضاً، وكان قد انقشر من العليا منهما شيء يسير، فقلع متولي العمارة التي أدركناها ذلك وما حوله، وجعله طرازاً باسم سلطاننا الأشرف قايتباي أعز الله أنصاره، ووصله ببقية العصابة المذكورة.

وتقدَّم أيضاً ذكر الطراز الآخر من جهة السقف إلى قرب العصابة المذكورة، وبيان أنَّ الذي تَرَجَّحَ عندي أنَّه جُعِلَ لتمييز المسجد النبوي عمَّا زِيدَ فيه، وقد زال ذلك كله بعد الحريق الثاني، وأعادوا منه ترخيم جدار القبلة، كما سبق.

وأما عدد الأساطين، فذكر ابن زبالة: أنها مئتان وستة وتسعون اسطواناً منها في جدار القبر الشريف ستة.

---

(١) **العقد الفريد** ٤/ ٢٨٦.

(٢) سقطت من ش، وعن الخبر انظر: **العقد الفريد** ٤/ ٣٨٥.

وذكر ابن النجار أيضاً ما يؤخذ منه ذلك[1].

وقال ابن جبير: عدتها مئتان وتسعون اسطواناً[2]، ولا مخالفة بينهما، لأنَّ ابن جبير لم يعتبر الأساطين الست التي في جدار القبر الشريف، وليس فيه خلل إلاَّ باسطوان واحد، لأنَّ الذي اقتضاه تحريرنا أنَّ جملة الأساطين التي كانت في ذلك الزمان بما في جدار القبر مئتان وخمسة وتسعون اسطواناً، لآنَّ المُسَقَّفَ الغربي أربعة صفوف، فإذا اعتبرتها من الجدار القبلي إلى الجدار الشامي كان كلُّ صفٍّ ثمانيةً وعشرين اسطواناً؛ فجملة هذا المسقف مئة اسطوان واثنا عشر إسطواناً، والمسقف الشرقي ثلاثة صفوف؛ كل صفٍّ منها ثمانية وعشرين أيضاً؛ إلاَّ الصف الأوسط فإنه ينقص إسطواناً ـ كما ظهر لنا عند انكشاف الحجرة ـ لأنَّ الاسطوانة الملصقة إلى جدار الحجرة الشامي الذي في جوف الجدار الظاهر التي تقدم: أنَّ متولي العمارة أدخلها في عرض الجدار في الصفِّ المذكور، إنما يقابلها فيه الإسطوان الداخل بعضها[3] في الجدار الظاهر من جهة القبلة، وكان مقتضى وضع الأساطين في مقابلة بعضها بعضاً من كلِّ جانب أنْ تكون بينهما إسطوانة أخرى في موازاة الاسطوانة التي بين مربعة القبر واسطوان الصندوق الداخلة في الجدار الظاهر، لكنْ لم يتأتَّ ذلك، لكونها تكون حينئذ في جوف الحجرة الشريفة، فسقط بسبب ذلك في هذا الصف اسطوان، وخفيَ ذلك على مَنْ لم يشاهد الحجرة الشريفة.

وحينئذ فجملة أساطين المسقف الشرقي من جدار القبلة إلى الجدار الشامي ثلاثة وثمانون اسطواناً، والباقي بعد ذلك في المسقف القبلي ما يوازي صحن المسجد فقط، وهو خمسة صفوف: كلُّ صَفٍّ عشرة أساطين، فجملة ذلك خمسون اسطواناً، والباقي أيضاً في المسقف الشامي خمسة صفوف تقابل ذلك،

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٧.

(٢) رحلة ابن جبير ١٥٢.

(٣) تذكير الأسطوان وتانيثها سيان عند السمهودي، كما هو في الذراع والأعداد لذلك ابقيتها كما وردت.

وجملتها خمسون اسطواناً، فجملة أساطين المسجد بما دخلَ في جدار القبر مئتان وخمسة وتسعون إسطواناً ـ بتقديم التاء ـ وفي مؤخر المسقف الغربي اسطوانتان ملتصقتان إلى الجدار الغربي لم تدخلا في هذه العَدَّةِ.

وأما عدد أساطين المسجد اليوم، فقد تقدَّم أنه زِيْدَ في المُسَقَّف القِبلي من ناحية صحن المسجد رواقان ونقص من المسقف الشامي من ناحية من ناحية الصحن رواق، فيزيد على ما تقدم عشرة أساطين، وذلك خارج عن الأساطين التي أُحْدِثَتْ لأجل السقف البارز في رحبة المسجد أمام الباب الشامي من المقصورة المستديرة على الحجرة الشريفة.

وحدث في العمارة المتجددة بعد الحريق إسقاط اسطوانٍ كانت بين الاسطوان التي إليها المُصَلَّى النبوي وبين المحراب العثماني، وضَمٌّ بعض أساطين أخرى إلى الأساطين التي هناك وفي ما حول الحجرة الشريفة، وإبدال بعضها بدعائم على ما سبقت الإشارة إليه في **الفصل التاسع والعشرين** مع ما حدث من التغيير في أساطين المسقف القبلي، وكانت أساطين المسجد كلها ـ كما قال ابن جبير في وصفها ـ أعمدة متصلة بالسُّمك دون قسي تنعطف عليها، فكأنَّها دعائم قوائم، وهي من حجرٍ منحوتٍ قطعاً ململمة مثقبة، توضع أنثى في ذكر ـ أي: بأعمدة الحديد ـ ويفرغ بينها الرصاص إلى أنْ تتصل عموداً قائماً، وتكسى بغلالة جيار، ويُبَالَغُ في صَقْلِها ودَلْكِهَا، فتظهر كأنها رخامٌ ابيض[١].

قلت: وأراد بالقِسِيِّ ما نسمِّيه اليوم بالقناطر المعقودة حول صحن المسجد، وأما الأساطين الداخلة في الأروقة فإنها متّصِلة بالسقف، سوى الرواقين اللذين يَلْيَنَ رحبة المسجد من المسقف القبلي، ثم جعل المسقف القبلي كنسبتها بعد العمارة المتجددة بعد الحريق الثاني، كما سبق.

وقد عبَّر ابن النجّار ـ تبعاً لمن سبقه ـ عن تلك العقود بالطاقات، فقال: وأمَّا طاقاته، أي: المحيطة بالصحن، ففي القبلة إحدى عشرة طاقة، وفي الشام مثلها،

---

(١) رحلة ابن جبير ١٥٢.

وفي المشرق والمغرب ـ أي: كل جانبٍ منهما ـ تسع عشرة طاقة، وبين كل طاق وطاق اسطوان، ورأس الطاقات مسدود بشبابيك من خشب.

قلت: وهو موافقٌ لكلام ابن زبالة في ما يلي المشرق والمغرب، مخالفٌ له في ما يلي القبلة والشام، فإنه قال: وعدد طاقاته مما يلي القبلة اثنتا عشرة طاقة، ومما يلي الشام اثنتا عشرة، ومما يلي المشرق تسع عشرة، ومما يلي المغرب تسع عشرة، فلذلك اثنتان وستون طاقة[1]، انتهى.

وهذا لا يَتِمُّ إلا تقدير أنْ يكون المسقف الغربي ثلاثة أروقة فقط كالمسقف الشرقي، فتكون العقود التي تلي القبلة والشام اثني عشر، وما تقدم في عدد الأساطين ينافيه، فالصواب ما ذكره ابن النجار.

وعدد قناطره المحيطة برحبته اليوم من جهة القبلة والشام موافق لما ذكره ابن النجار، فإنها من كل جانب إحدى عشرة، غير أنَّ باب المقصورة الشامي وما أُحْدِثَ له من السقف أمامَه سَدَّ واحدةً من تلك القناطر القبلية.

وأما عدد قناطره من المشرق والمغرب، فقد نقصت واحدة من كل جهة، لما تقدم من زيادة الرواقين بالمسقف القبلي، ونقص رواق من المسقف الشامي، فصار عدد القناطر في كل جانب منهما ثماني عشرة قنطرة.

والمسدود اليوم بالشبابيك من رؤوس القناطر إنما هو رؤوس القناطر القبلية وبعض ما يليها من القناطر الشرقية، ثم زال ذلك في الحريق الثاني.

وقد ذكر ابن زبالة عن محمد بن إسماعيل، قال: أدركت المسجدَ كان يضيقُ عن الناس يوم الجمعة حتى يصلي بعضهم في دار القضاء[2]، وهي يومئذ مبنية، وفي دار ابن مكمل، وفي دار النحامين، وفي دار عاتكة، قال: فلما قدم أبو جعفر المنصور المدينَةَ سنة أربعين ومئة أمر بستور فَسَتَر بها صحن المسجد على عمد لها

---

(١) **الدرة الثمينة** ٢/ ٣٧٧.

(٢) دار القضاء: هي دار مروان بن الحكم بالمدينة وكانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبيعت في قضاء دينه بعد موته، **المغانم المطابة** ١٣٨، وقال السمهودي: "إنها سميت دار القضاء لأن عبد الرحمن بن عوف اعتزل فيها ليالي الشورى حتى قضى الأمر".

رؤوس كَقُرْنَات[1] الفساطيط، وجُعِلَتْ في الطِّيقَانِ ـ أي: القناطر المتقدم ذكرها ـ فكانت الريح تدخلُ فيها، فلا يزال العمود يسقط على الإنسان، فغيَّرَها وأمر بستور هي أكثفُ من تلك الستور، وبحبالٍ فأُتِيَ بها من جدة من حبال السفن القنبار[2] وجُعِلَت على تشبيك حباله اليوم، فكانت تُجْعَل على الناس كلَّ جمعةٍ، فلم يزل كذلك حتى خرج محمد بن عبد الله بن حسن[3] يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمسٍ وأربعين ومئة، فأمر بها فقطعت دراريعَ لمن كان يقاتل معه، فَتُرِكَتْ حتى كان زمان هارون أمير المؤمنين فأحدث هذه الأستار، ولم يكن ـ يعني صحن المسجد ـ يُسْتَرُ زمان بني أميّة[4].

قلت: وهذا شيء قد انقطع قديماً لعدم الاحتياج إليه لمَّا قَلَّ الناسُ بالمدينة حتى إنَّ كثيراً من الأروقة لا يمتليء بالناس.

وبالمسجد اليوم ستارة بالقرب من باب الحجرة الشامي تُرْخَى على ما يليه من القناطر الشرقية لِتَقِيَ من يجلس هناك من خدام المسجد حَرَّ الشمس.

وقال ابن زبالة ويحيى: وكان ماء المطر إذا كَثُرَ في صحن المسجد يغشى السقائف التي في القبلة، وكانت حصباء تلك الناحية تسيل إلى صحن المسجد، فجعل بين القبلة والصحن لاصِقاً بالسواري حجابٌ من حجارة من المربعة التي في غربي المسجد إلى المربعة التي في شرقيه على القبر، فمنع الماء من الصحن أنْ يغشى القبلة ومن حصباء القبلة أن يصير إلى الصحن[5].

---

(١) ش، م١: كقرنان، وفي المناسك للحربي ٣٧١: "كهيئات"، "والقُرنة: الطرف الشاخص من كل شيء ـ يقال: قرنة الجبل وقرنة النصل وقرنة السهم وقرنة الرمح"، تاج العروس ٩/ ٣٠٧٠ ـ ٣٠٨.

(٢) في الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٥: «المتينة» والقنبار كقنطار الحبل الذي يصنع من ليف جوز الهند، تاج العروس ٣/ ٥٠٨، وما يزال السجاد المصنوع من إلياف شجرة جوز الهند معروفاً في العراق باسم: الكنبار.

(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٩،٤٥،٦٨، ٧٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١٠ مع مصادره.

(٤) نقلاً من كتاب المناسك للحربي ٣٧٣ وانظر: الدرة الثمينة لابن النجار ٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

(٥) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٥ والمغانم المطابة ص١٧١.

وعبارة يحيى: فأمرَ أبو البختري[1] بحجارة فجُعِلَتْ ردّاً لذلك الماء الذي كان يدخل، والحصباء التي كانت تسيل في ما بين المربعة التي كانت عند القبر والمربعة التي في غربي المسجد، وجعل ذلك لاصقاً بالسواري.

قلت: والمراد أنه جعل أحجار الحجاب المذكور في ما بين السواري التي تلي رحبة المسجد من الشرق إلى المغرب، وقد كانت مربعة القبر أول السواري المذكورة من جهة المشرق؛ لأنّها في صَفِّ اسطوان الوفود، كما قدّمناه، وذلك الصف كان في آخر المسقف القبلي، وكانت المربعة الغربية في آخر السواري المذكورة مما يلي المغرب، وهي الاسطوان المثمنة اليوم التي بينها وبين ركن صحن المسجد الغربي اليوم اسطوانتان بسبب زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما في مؤخر المسقف المذكور، وهذا الحجاب المذكور قد اندفن اليوم فلا يظهر منه شيء، والظاهر أنه كان بين السواري المُطِيفة بصحن المسجد من المشرق والمغرب حجاب مثل ذلك، وكانت بقاياه ظاهرة في ما يلي الدكاك من المسقفين المذكورين قبل حدوث ما سبق من الدكاك بها، والمسقف القبلي اليوم أرضه عالية على ما يليه من الصحن يسيراً، فلا يغشاه مياه الأمطار، لكن وَطَّأَهُ متولي العمارة بعد الحريق الثاني حتى ساوى به أرض المُصَلَّى الشريف، كما سبق، فاحتاج إلى عمل حجاب من الأحجار بين السواري التي تلي رَحبة المسجد من جهة القبلة وما حولها.

وأما عدد البالوعات بصحن المسجد، فقد ذكر ابن زبالة ويحيى: أنَّ به أربعاً وستين بالوعة لماء المطر عليها أرحاءٌ لها صمائم من حجارة يدخل الماء من خلالها[2].

قلت: ولا يظهر به اليوم غير بالوعة واحدة لها فُوهتان، وهي عند الحجرين المتقدم ذكرهما في تحديد المسجد، وإحدى الفوهتين إلى جانب الحجرين من القبلة، والثانية إلى جانبها من جهة الشام، ويجتمعان في بئر واحدة هناك، وعليهما حجران كالأرحاء، وفي أسفل ما على فوهتيهما من ذلك مُشَبَّكٌ يدخل الماء من خلله ليمنع نزول الحصباء هناك، ومع ذلك فقد بحّروها في العمارة المتقدم ذكرها

---

(١) هو وهب بن وهب الأسدي قاضي القضاة، انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٧٤ مع مصادر ترجمته.

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٥.

أولاً، فخرج منها شيء كثير من الحصباء.

وأما السقايات التي كانت به، فذكر ابن زبالة: أنه كان في صحن المسجد زَمَنَهُ تسع عشرة سقاية، وذلك في صفر سنة تسع وتسعين ومئة؛ منها ثلاث عشرة أحدثتها خالصة(١)، وهي أول من أحدث ذلك(٢).

ومنها ثلاث سقايات لزيد البربري مولى أمير المؤمنين.

ومنها سقاية لأبي البختري وهب بن وهب(٣).

ومنها سقاية لشَجَن(٤)، أم ولد هارون الرشيد(٥).

ومنها سقاية لسلسل(٦) أم ولد جعفر بن أبي جعفر(٧).

وقد أورد ذلك ابن النجار مترجماً عليه بذكر السقايات التي كانت في المسجد، ثم قال: وأما الآن فليس في المسجد سقاية إلاَّ في وسطه(٨).

قال: وفيه بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب، ينزل إليها بدرج أربع في جوانبها، والماء ينبع من فوّارة في وسطها، تأتي من العين، ولا يكون الماء فيها إلاَّ في أيام المواسم إذا جاء الحاج، وبقية السنة تكون فارغة؛ عملها بعض الأمراء بالشام، واسمه أسامة(٩).

---

(١) مولاة هارون الرشيد.

(٢) **الدرة الثمينة** ٢/٣٧٧.

(٣) السطر بكامله لم يرد في خ، ش، **الدرة الثمينة** ٢/٣٧٧ و**المغانم المطابة** ص١٧١.

(٤) في **المغانم المطابة** ص١٧١: "لشجر الدر أم هارون" وفي **الدرة الثمينة** ٢/٣٧٧: "السحر".

(٥) السطر بكامله لم يرد في خ، ش.

(٦) في الأصول و**الدرة الثمينة**: "لسلسبيل" والتصحيح من **المغانم المطابة** ص١٧١، وهو جعفر بن المنصور العباسي.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) «واسمه شامة»: سقطت من م٢ وفي بقية الأصول و**الدرة الثمينة** ١٦٨: «شامة»، وقد جاء في **تحقيق النصرة** ١٢٧: «عز الدين سلمة»، والصواب أنه عز الدين أسامة بن سنان الصالحي، كان متولياً على بيروت للسلطان الهمام صلاح الدين رحمه الله زمن حصار عكا كما جاء في كتاب **الروضتين** ٢/١٦١، ١٨٣ وكتاب **الفتح القسي في الفتح القدسي** للعماد الأصفهاني ٢٠٦، ٣٢٩ وسيأتي له ذكر.

قال: وعملت الجهة أم الناصر لدين الله في مؤخر المسجد سقاية كبيرة فيها عدة من البيوت، وحفرت لها بئراً، وفتحت لها باباً إلى المسجد في الحائط الذي يلي الشام[1]، انتهى.

قلت: الذي يظهر من كلام ابن زبالة: أنه أراد بالسقايات ما يجعل لأجل الشرب، وظاهر ما ذكره ابن النجار: أنَّ المراد بذلك ما يُجعل للوضوء؛ وذِكْرُهُ لما عملته أمُّ الخليفة الناصر لدين الله صريح في ذلك، فإنه يعني بذلك: الميضأة التي بابُهَا في حائط المسجد الشامي، وكان لها بابٌ آخر من خارج سُدَّ قديماً، وهو ظاهر في ما يلي المسجد من المغرب.

وقوله: "فيها عدة بيوت"، أي: عدد الأخلية التي بها.

وقوله أولاً: «فأمَّا الآن فليس في المسجد سقاية إلاَّ في وسطه»، الظاهرُ أنه يريد: السقاية التي كانت للشرب بوسط المسجد.

وقد ذكرها البدر بن فرحون، فقال: ولقد كان في وسط المسجد سقاية يحمل إليها الماء من العين، بناها شيخ الخُدَّام في ذلك الوقت، ووقف عليها أوقافاً من ماله، وكانت متقدمة على النخل تقديرها خمسة عشر ذراعاً في مثلها، وجعل في وسطها مصرفاً للماء مرخماً، ونصب فيها مواجير للماء وأزياراً ودوارق وأكوازاً[2]، وحجرها بالخشب والجريد، وجعل لها غَلَقاً من حديد، واستمرت السنين العديدة، فكثُرَ الشرُّ فيها والتزاحم عندها، وصار يدخلها من يتوضأ فيها فربما يزيل فيها الأذى، من استقرب المدى، ثم تعدى الحال وزاد شرها، ـ وذكر فتنةً اتفقت للخدَّام مع بعض الأشراف بسببها ـ قال: فلما غلبت مفسدتها على مصلحتها أُزيلت عن اجتماع القاضي شرف الدين الأميوطي[3] والشيخ ظهير الدين[4]، انتهى.

---

(١) المغانم المطابة ص١٧١.

(٢) في نصيحة المشاور: "واكواباً".

(٣) هو محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الشهير بابن الأميوطي المتوفى سنة ٧٤٥هـ ترجم له الفيروزأبادي في المغانم المطابة ص ٥١٣ ـ ٥١٤ وابن فرحون في نصيحة المشاور ورقة ١٢٣ أ ـ ١٢٥ ب وانظر: التحفة اللطيفة ٢/ ٣٣١ عن ابن فرحون.

(٤) نصيحة المشاور ورقة ٨ب، وظهير الدين هو مختار الأشرفي شيخ الحرم، توفي سنة ٧٢٣هـ، ترجم =

وأما البركة التي ذكرها ابن النجار، فإنها مذكورة في كلام المطري، واقتضى كلامه نسبتها لابن أبي الهيجاء، فإنه ذكر ما سيأتي عنه في الكلام على العين الزرقاء، من أنَّ ابن أبي الهيجاء ـ في حدود الستين وخمس مئة ـ أمَدَّ منها شعبة وَأَوْصَلَها إلى الرحبة التي عند المسجد من جهة باب السلام[1]، يعني: سوق المدينة اليوم.

ثم قال: وكان قد جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد، وجعل لها منهلاً بدَرَج عليه عَقْدٌ يخرج الماء إليه من فوَّارة يتوضأ منها مَنْ يحتاج إليه، فحصل بذلك انتهاك حرمة المسجد الشريف من كشف العورات والاستنجاء في المسجد، فَسُدَّتْ لذلك[2]، انتهى.

قلت: وقد رأيتُ آثار درجها في غربي النخيل التي بصحن المسجد قريباً منها، وليس بالمسجد اليوم شيء من السقايات إلا ما يُحْمَل إليه من الدوارق المُسَبَّلَة فيشربها الناس في أوقات مخصوصة، إلاَّ أنَّ خزانة الخُدَّام الآتي ذكرها لا يزال بها ماء لأجل شربهم.

ثم لمَّا عمَّر سلطان زماننا الأشرف مدرسته التي بين باب الرحمة وباب السلام جعل فيها سبيلاً مما يلي باب الرحمة له شباك إلى المسجد.

وأما الحواصل والخزائن التي بالمسجد الشريف، ففيه القبة التي بصحنه، وقد مَرَّ ذكرها، وغالب ما يوضع فيها اليوم زيت وَقُود المسجد، وتقدم أنَّ المصحف المنسوب إلى عثمان رضي الله تعالى عنه موضوع بها.

وبالمسجد أيضاً، أمام كلٍّ من المنارات الأربع، خزانة، إلا أنَّ ما أمام المنارتين القبليتين من ذلك أصليٌّ، بخلاف المنارتين الشاميتين فإنه محدث، ولذلك قال البدر ابن فرحون: «وما أحقُّ شيء بالإزالة ما أُحْدِثَ بالمنارتين الشاميتين، إذ قُدِّمَ بابَاهُمَا على بابيهما الأصليين، وجُعِلَ ما بين البابين في كلٍّ

= له ابن فرحون في نصيحة المشور ورقة ٢٢ب ـ ٣٢أ وابن حجر في الدرر الكامنة ٤/ ٣٤٥.

(١) التعريف ٥٨.

(٢) المصدر نفسه.

منارة خلوةً أُقْتُطِعَ بها جانب من المسجد كبير، لا شكَّ في تحريمه»[1]، انتهى.

وفي جهة المغرب أيضاً، إلى جانب باب المنارة الشمالية الغربية المعروفة بالخشبيَّة ـ سُمِّيَتْ بذلك لأنَّ حَدَّ الخشبتين كان يُؤَذَّنُ بها ـ خزانة صغيرة يضع بعض الخُدَّام فرشهم فيها، وربما أقام بها من يريد الاعتكاف بالمسجد، ويليها في جهة المغرب أيضاً حاصلان كبيران يوضع فيهما القناديل الزجاج وبعض آلات المسجد؛ وفي الأولى منهما مما يلي الخزانة المذكورة وضعت كتبي، وكنت أجلس به للمطالعة والاعتكاف فإنه من المسجد، واتفق لي في سبب الإقامة به أمرٌ ليس هذا محل ذكره[2].

ويقابل ذلك في جهة المشرق مما يلي المنارة المعروفة بالسنجارية خلوة كبيرة فيها فرش الخُدَّام أيضاً، وإلى جانبها خزانتان؛ إحداهما بيد من تكون له النوبة من الفراشين، يضع فيها فوانيس المسجد ونحوها، والثانية بيد الخدام أيضاً، وفي جهة المشرق قريباً من باب جبريل بينه وبين باب النساء خزانة يضع فيها الخدام الماء لشربهم وبعض فرشهم وأمتعتهم، وهي المذكورة في كلام ابن جبير حيث قال: وفي الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود، هو موضع مبيت بعض السَّدَنَة الحارسين للمسجد المبارك، قال: وسدنته فتيان أحابيش وصقالبة ظِرَافُ الهيئة، نِضَافُ الملابس والشارات[3]، انتهى.

وإلى جانب الخزانة المذكورة صندوقٌ يوضع فيه ما يستخرج من القبة من الزيت للوقود في كلِّ ليلة.

وفي غربي المسجد، بين باب الرحمة وباب السلام حاصلٌ يوضع فيه النورة، يُعرفُ بابه بخَوْخَة أبي بكر رضي الله تعالى عنه، فإنها كانت في مُحَاذاته، كماً تقدَّم، فلما زيد في المسجد جعلوا هناك خوخة في المسجد تحاذي الخوخة

---

(١) نصيحة المشاور وتسلية المجاور ورقة ٨أ.

(٢) ذكره السخاوي في التحفة اللطيفة ٢/ ٢٨٢ في ترجمة السمهودي.

(٣) رحلة ابن جبير ١٥٣.

الأولى، وقد جُعِلَ لذلك ثلاثة أبواب عند عمارة المدرسة الأشرفية، ومحل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك إذا دخلت من باب السلام.

وأما عدد قناديله، فذكر ابن زبالة: أنها مئتان وتسعون قنديلاً في زمانه، وجملتها في زماننا مئتا قنديل وستة وخمسون قنديلاً؛ هذه الدائمة، ونحو المئة قنديل يسرجونها في بعض الأوقات، ويجعلون في كلِّ قنطرة من القناطر التي تلي صحن المسجد من مقدمه وجنبتيه ثلاثة قناديل، ويقتصرون في بعض الأوقات على واحد في كل قنطرة، كما في القناطر التي في مؤخر المسجد، سيما إذا قَلَّ عندهم الزيت.

وحدث بعد الحريق الثاني زيادة سلاسل كثيرة معدة لتعليق القناديل بها، وبصحن المسجد أربعة مشاعيل؛ اثنان في جهة القبلة واثنان في جهة الشام، وكلُّ واحد كالإسطوانة، وبأعلاه مسرجة عظيمة تُشْعَل في ليالي الزيارات المشهورة، ولا أدري ابتداء حدوث ذلك، ويزيدون تنانير وبزاقات في مقدم الروضة وما حولها، ويحتفلون بذلك سيما في ليلة سبع وعشرين رمضان، ويسرجون في كلِّ ليلة منه نحو أربعين شمعة، ويضعونها على شمعدانات كبار في قبلة الروضة والحجرة، وفي غربي المنبر، وبعضها في محراب الحنفية الآتي ذكره.

وللمسجد فوانيس عدتها ستة، يطوف بها الخدام بعد صلاة العشاء الآخرة لإخراج الناس من المسجد عند غلق أبوابه، ولا يَدَعُونَ به إلاَّ الخدام ومن له نوبة من أرباب وظائفه.

وذكر البدر ابن فرحون في ترجمة شبل الدولة كافور المظفري، شيخ الخُدَّام، المعروف بالحريري: أنَّ من آثاره الحسنة تبطيل الطوف بالشُعَل من جريد النخل وتبديلها بالفوانيس التي يطوفون بها اليوم كلَّ ليلة، وذلك أنهم كانوا قبل الحريري وصَدْراً من ولايته يأخذ عبيد الخدام وبعض الفراشين شعلاً من سعف النخل فيطوفون بها عوض الفوانيس اليوم؛ يَجْرُون بها كأشَدِّ ما يكون من الجري، فإذا وصلوا إلى باب النساء خرجوا بها وخبطوا بما بقي معهم فيها، وكانت

تُسَوِّد المسجد وتُسَوِّدُ بابه أيضاً، وفيها من البشاعة ما لا يخفى، فأمر بالفوانيس عوضها[1]، رحمه الله تعالى.

وبصحن المسجد نخيل مغروسة، ولم أدرِ ابتداء حدوث ذلك، إلاَّ أنَّ ابن جبير قال في رحلته عند ذكر القبة التي بصحن المسجد ما لفظه: وبإزائها في الصحن خمس عشرة نخلة[2]، انتهى.

وقال البدر ابن فرحون: إنَّ أولَ من أدرك من مشايخ الخدام الشيخ عزيز الدولة، قال: وفي أيامه غرس كثير من النخل الذي بالمسجد اليوم، وكان منه شيء قبل العزيزي، ومات أكثره[3]، انتهى.

وذكر المجدُ عزيزَ الدولة، وقال: إنَّ غرس أكثر هذا النخل كان في زمانه، ثم قال: وكأنه لم يتعرض أحدٌ لإنكار هذه البدعة إجلالاً لشأنه، أو خوفاً من لسانه[4]، أو تمكيناً له من الاقتداء بِمَنْ غرسه قبله وحلق في عنقه من هذا المنكر حبله، وقد انجعفت[5] تلك النخيل لهبوب عاصفة هبت في أواخر مشيخة ياقوت الرسولي[6]، ثم أُعيد الغراس، ووقع الإنكار من بعض الناس، لكن لم يصادف كلامه محلاً من الإشادة والإفادة، ولعله سُوِّغَ حملاً على احتمال أنه لم يُغرس أولاً إلاَّ بنوعٍ من الاستحقاق، لكن لا يخفى ما في اعتماد الاحتمال البعيد من قِلَّةِ التُّقى[7].

---

(١) **نصيحة المشاور وتسلية المجاور** ورقة ٢٢أ و**المغانم المطابة** ص٥٠٩ ـ ٥١٠ وترجم لكافور ترجمة مطولة.

(٢) **رحلة ابن جبير** ١٥٣.

(٣) **نصيحة المشاور وتسلية المجاور** ورقة ٢٠أ.

(٤) **الخلاصة** ٣٣٢.

(٥) انجعف: قُلع من أُصوله وطُرح أرضاً، **تاج العروس** "جعف".

(٦) ترجم له الفيروزأبادي في **المغانم المطابة** ص٥٢٩ وقال: شيخ الخدام بالحرم الشريف النبوي، تولى المشيخة سنة ٧٥٨ هـ وتوفي سنة ٧٨١ هـ.

(٧) **المغانم المطابة** ص٤٩٦: «ولكن لا يخفى من قلة التقى ما في اعتماد الاحتمال البعيد على كُمَّل الرجال».

قلت: وقد أراد طوغان شيخ[1] أنْ يزيد فيه[2] سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة فانكرتُ ذلك، وقام بعض أهل الخير في المنع منه، فبطل ذلك والحمد لله[3].

ولم يزل المسجد النبوي بإمام واحد يصلي بالناس في مقام النبي ﷺ، ويتقدم أيام الموسم إلى المحراب العثماني، حتى سعى طوغان شيخ المذكور في إحداث محراب للحنفية في دولة الأشرف إينال[4]، فقام أهل المدينة في منعه، وساعدهم على ذلك من أرباب الدولة المصرية صاحب الشيم المرضية جمال الدين يوسف[5] ناظر الخواص الشريفة، تغمَّدَه الله برحمته، فلم يتمّ لطوغان المذكور ذلك.

فلما توفي المشار إليه أعاد طوغان السعي في الدولة المذكورة، فبرزت المراسيم به بعد الستين وثمان مئة، واستمر إلى زماننا، فيصلي إمامه الصلوات الخمس عقب انصراف إمام المحراب النبوي، وهو إمام الشافعية، إلاَّ في التراويح فيصليان معاً، وهذا الأمر دبَّ إلى المدينة الشريفة من مكة المشرفة.

وقد قال الزركشي: إنَّ السبب في حدوث ذلك بها أنَّ الإمام كان في ذلك الوقت مبتدعاً، فعندما امتنع الناس من إقامة الجماعة مع إمامهم الذي أقاموه سمحوا[6] للناس في اتِّخاذ أئمة لأنفسم، واستمر الأمر عليه، وكذا جرى مثله في بيت المقدس وجامع مصر قديماً[7]، انتهى.

---

(١) هو طوغان شيخ الأحمدي، كان يتفقه ويزاحم الفقهاء مع بلادة وعدم معرفة، وأظهر مؤلفاً أعانه فيه غيره عارض السيد السمهودي في امتهان البسط المكتوب عليها وعدم احترامها، **الضوء اللامع** ٤/ ١٠.

(٢) يريد: في غرس النخيل في المسجد النبوي.

(٣) وانظر: آراء الفقهاء في غرس النخيل والشجر في المسجد، في **أعلام الساجد** ٣٤١ ـ ٣٤٣.

(٤) تسلطن إينال العلائي الظاهري المعروف بالأجرود سنة ٨٥٧هـ وتوفي سنة ٨٦٥.

(٥) هو جمال الدين يوسف بن عبد الكريم القبطي المصري الجمالي، وكان يُعرف بابن كاتب جكم، توفي سنة ٨٦٢هـ، **بدائع الزهور** ٢/ ٣٥٠، وقال فيه ابن إياس الحنفي ٢/ ٣٤٣: «وأخبار ناظر الخاص يوسف في أفعاله تقارب أخبار جعفر البرمكي، وهذا الأمر مشهور بن الناس».

(٦) في **إعلام الساجد**: «فسحوا» وفي م ٢: فسمحوا.

(٧) **إعلام الساجد** ٣٦٦ وقد اختصر السمهودي هنا كلام الزركشي.

وقد بيَّنّا حكم ذلك في كتابنا الموسوم بـ: **دفع التعرض والإنكار لبسط روضة المختار**.

وقال ابن زبالة ويحيى: وعرض منقبة جدار المسجد مما يلي المغرب ذراعان ينقصان شيئاً، وعرض منقبته مما يلي المشرق ذراعان وأربعة أصابع[1]، وإنما زيد فيه لأنها من ناحية السيل[2].

قلت: وهذا لأنَّ السيل كان يغشى المسجد من تلك الجهة، ولهذا سقط جدار الحجرة الشرقي، كما قدَّمنا، وسقط أيضاً جدار المسجد من الناحية المذكورة، كما قدَّمنا من قول ابن زبالة: «أجاف المسجد من شرقيه في سلطان محمد بن عبد الله الربعي؛ من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب[3] من ناحية موضع الجنائز، فأمر له فَبُنِيَ»، انتهى.

وقد قدَّمنا في زيادة الوليد، ما رواه يحيى من طريق ابن زبالة في ذرع عرض المسجد، وبيَّنّا فساده، والصواب ما ذكره ابن زبالة في أواخر الكلام على المسجد، فإنه ذكر ذَرْعَ مسجد النبي ﷺ الأول عرضاً وطولاً، ثم قال: وذَرْعُ مسجد رسول الله ﷺ اليوم: ذَرْعُ عرضِهِ من مقدمه في القبلة بين المشرق والمغرب مئة وخمسة وستون ذراعاً، وذرع عرضه من مؤخره إلى الشام بين المشرق والمغرب مئة وثلاثون ذراعاً، ينقص مؤخره عن مقدمه خمسة وثلاثين ذراعاً، وطوله من اليمن إلى الشام مئتان وأربعون ذراعاً.

قلت: وقد حررت ذَرْعَهُ فكان عرضه من مقدمه في القبلة مئة ذراع وسبعة وستين ذراعاً ونصفاً، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ذراعين ونصفاً، وذلك لاختلاف الأذْرِعَةِ أو لرخاوة الحبل الذي وقع القياس به، ونحو ذلك.

وكان عرضه من مؤخره في الشام مئة وخمسة وثلاثين ذراعاً فيزيد على ما ذكره خمسة أذرع.

---

(١) كتاب المناسك للحربي ٣٨٥.

(٢) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٥.

(٣) ولاَّه الرشيد المدينة، كما في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٧١ ونسب قريش للزبيري ٨٧.

وكان طوله من القبلة إلى الشام مئتي ذراع وثلاثة وخمسون ذراعاً، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ثلاثة عشر ذراعاً.

وقد ذكر ابن النجار ما يوافق ذرعنا هذا مع مخالفة يسيرة، فقال: طولُ المسجد اليوم من قبلته إلى الشام مئتا ذراع وأربعة وأربعة وخمسون ذراعاً وأربعة أصابع، ومن شرقيِّه إلى غربيِّه ـ يعني: في مقدمه ـ مئة ذراع وسبعون ذراعاً صافية[1]، انتهى.

قال ابن زبالة: وطول رحبة المسجد ـ يعني: صحنه ـ من اليمن إلى الشام مئة وخمسة وستون ذراعاً، وعرضها بين المشرق والمغرب ثمان وتسعون ذراعاً، انتهى.

وذكر ابن النجار: أنَّ طولها مئة وتسعة وخمسون ذراعاً وثلاثة أصابع، وعرضها سبع وتسعون ذراعاً راجحة[2].

قلت: وطول رحبة المسجد اليوم من القبلة إلى الشام مئة ذراع واثنان وخمسون ذراعاً ونصف ذراع، فإذا أضَفْتَ لذلك عرض الرواق الذي زيد في الرحبة على ما قدمناه: من أنه زيد فيه رواقان من ناحية ونقص رواق من ناحية، والرواق نحو تسعة أذرع، فيكون جملة ذلك مئة وإحدى وستين ذراعاً ونصف ذراع، وذلك نحو ما ذكره ابن النجار.

أما عرض الرحبة اليوم؛ من مقدم المسجد فخمسة وتسعون ذراعاً ـ بتقديم التاء ـ على السين، والله تعالى أعلم.

وذكر ابن النجار: أنَّ طول المسجد في السماء خمسة وعشرون ذراعاً[3] ومراده: ارتفاعه من أرضه إلى أعلى شُرُفاته؛ لأنه ذكر في موضع آخر ما يقتضي أنَّ ارتفاع أرض المسجد إلى سقفه أحد وعشرون ذراعاً، فيكون سمك السقف والحائط الذي عليه الشراريف حول صحن المسجد أربعة أذرع، والذي بين

---

(١) الدرة الثمينة ٢/ ٣٧٧.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٧.

(٣) المصدر نفسه.

أرض مقدم المسجد وسقفه بعد خفض أرضه عقب الحريق الثاني اثنان وعشرون ذراعاً.

وتقدم في زيادة عمر رضي الله عنه، ما يقتضي أنه كان بينهما في زمانه أحد عشر ذراعاً، ولم أقف على ذكر ما جعله عثمان رضي الله عنه بينهما.

وذرع ما بين الأرض المحيطة بالمسجد من خارجه وأعلى سترة جداره من جهة المغرب ثمانية وعشرون ذراعاً، فهذا سمك المسجد من خارجه، والله أعلم.

وقد تقدم ذكر منابرالمسجد وذرعها في زيادة الوليد.

انتهى الجزء الثاني
من كتاب
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
للسمهودي
والحمد للّـه وحده أولاً وآخـــراً
ويتلوه الجزء الثالث



جـريـدة
المصـادر المختـارة



جريدة المصادر المختارة

ـ **آثار المدينة المنورة**: لعبد القدوس الأنصاري، دمشق ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥.

ـ **أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع**: لحمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨.

ـ **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**: لبدر الدين الزركشي، تح سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي ـ بيروت ط ٢ ١٩٧٠.

ـ **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: لعلي بن بلبان الفارسي، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧.

ـ **الإحكام في أصول الأحكام**: لابن حزم، مطبعة العاصمة ـ القاهرة ١٩٧٠.

ـ **أخبار المدينة**: لعمر بن شَبَّة، نُشر بعنوان: **تاريخ المدينة المنورة**، مخطوطة رباط مظهر بالمدينة الشريفة.

ـ **أخبار مكة**: للفاكهي، تح عبد الملك بن دهيش، مكة المكرمة ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

ـ **الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة**: للخطيب البغدادي، تح عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٥ هـ.

ـ **أسماء جبال تهامة وسكانها**: لعرام السلمي، تح عبد السلام هارون (نوادر المخطوطات ٨) ونشره مفرداً أيضاً في سنة ١٣٧٢ هـ.

ـ **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**: لابن فهد، تح فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣.

ـ **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**: لابن عبد البر النمري، مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٨ هـ، (بهامش **الإصابة** لابن حجر).

ـ **الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا**: لمغلطاي بن قليج، تح محمد نظام الدين الفُتَيِّح، بيروت ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦.
ـ **الاشتقاق**: لابن دريد، بيروت ـ دار المسيرة وتح عن السلام هارون، القاهرة ١٩٥٨.
ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: لابن حجر، مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٨ هـ.
ـ **الإصابة**: لابن حجر، القاهرة ١٣٤٨ هـ.
ـ **إصلاح الغلط في غريب الحديث**: لابن قتيبة، تح جيرار لكونت، بيروت ١٩٦٨ (مجلة جامعة القديس يوسف، عدد ٦٤).
ـ **إعلام الساجد بأحكام المساجد**: لمحمد بن عبد الله الزركشي، تح أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ.
ـ كتاب **الأقاليم**: للاصطخري، انظر: **صور الأقاليم**.
ـ **الاكتفا في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفا**: للكلاعي، تح مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠.
ـ **الأماكن** أو **ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**: لمحمد بن موسى الحازمي، تح حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض ١٤١٥ هـ.
ـ كتاب **الأمثال**: للقاسم بن سلام، تح عبد المجيد قطامش، دمشق ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠.
ـ كتاب **الأموال**: لأبي عبيد القاسم بن سلام، تح محمد هراس، القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨.
ـ **إنباء الغُمر بأنباء العمر**: لابن حجر، تح حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ ـ ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢.
ـ **الإنباء في تاريخ الخلفاء**: لمحمد بن علي المعروف بابن العمراني، تح قاسم السامرائي، لايدن ١٩٧٣.

ـ **أنساب الأشراف**: للبلاذري، تح محمد حميد الله، دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩.

ـ **أنوار التنزيل** = انظر: تفسير البيضاوي.

ـ **إهداء اللطائف من أخبار الطائف**: لحسن بن علي العجيمي، تح يحيى محمود جنيد ساعاتي، دار ثقيف، الطائف ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ط٢.

ـ **البحر الزخار**: انظر: **مسند البزار**.

ـ **البخلاء**: للجاحظ، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديثي وأحمد ناجي القيسي، بغداد ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤.

ـ **بدائع الزهور في وقائع الدهور**: لابن إياس الحنفي، تح محمد مصطفى، القاهرة ١٤٠٢ـ ١٤٠٤ هـ ، الطبعة الثالثة.

ـ **بلاد العرب**: للحسن بن عبد الله الأصفهاني، تح حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض ١٣٨٨/ ١٩٦٨.

ـ **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**: لأبي الوليد ابن رشد القرطبي، تح محمد حجي، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.

ـ **بين التاريخ والآثار**: لعبد القدوس الأنصاري، ط٣، جدة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧.

ـ **تأويل مختلف الحديث** لابن قتيبة، تصحيح محمد زهري النجار، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦.

ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: للذهبي، تح عمر عبد السلام تدمري، (مجلد قسم السيرة ومجلد قسم المغازي)، دار الكتاب العربي: بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧.

ـ **تاريخ افريقية والمغرب**: لإبراهيم بن القاسم الرقيق، تح عبد الله الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠.

ـ **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**: لابن الأثير، تح عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢.

- **تاريخ الثقات**: لأحمد بن عبد الله العجلي، تح عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤.
- **تاريخ خليفة بن خياط**: تح أكرم ضياء العمري، النجف ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧.
- **تاريخ الرسل والملوك**: لابن جرير الطبري، نشر دي خويه، لايدن١٨٨١-١٨٨٣.
- **التاريخ الكبير**: للبخاري، حيدرآباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦١-١٣٦٢هـ.
- **تاريخ المدينة المنورة**: لعمر بن شَبَّة النميري، تح فهيم محمد شلتوت، جدة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ وانظر: **أخبار المدينة**.
- **التاريخ والمؤرخون بمكة**: لمحمد الحبيب الهيلة، نشرة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤.
- **تجريد أسماء الرواة الذين تكلم فيهم ابن حزم جرحاً وتعديلاً**: لعمر بن محمود وحسن محمود، ,مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.
- **تجريد أسماء الصحابة**: للذهبي، تصحيح صالحة عبد الحكيم شرف الدين، بومبي ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩.
- **تجريد الصحاح**: لرزين العبدري، مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رقم: ٨٩٧٨.
- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**: للسخاوي، تح محمد حامد الفقي، القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧ وما بعدها، ونشرة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣.
- **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**: لعبد الرحمن الأنصاري، تح محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة ـ تونس ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠.
- **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**: لزين الدين أبي بكر بن الحسين المراغي، تح محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط٢ ١٤٠١/ ١٩٨١.
- **ترتيب المدارك**: للقاضي عياض، تح أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥.

- **تصحيفات المحدثين**: للعسكري، تح محمود أحمد ميرة، القاهرة ١٩٨٣.
- **التعديل والتجريح لمن خَرَّج له البخاري في الجامع الصحيح**: للباجي، الرياض ١٤٠٦هـ.
- **التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة**: لمحمد بن أحمد المطري، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٤٠٢هـ.
- **التعليقات والنوادرعن أبي علي الهجري**: دراسة ومختارات، القسم الثالث: اللغة والمواضع، ترتيب حمد الجاسر ـ الرياض (؟).
- **تفسير البيضاوي**: استانبول (الطبعة الحجرية) ١٣٠٥هـ.
- **تفسير ابن عباس**: تنوير المقباس.
- **تفسير ابن مسعود**: جمع وتحقيق ودراسة محمد أحمد عيسوي، مؤسسة الملك فيصل ـ الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.
- **التكملة لوفيات النقلة**: للمنذري، تح بشار عواد معروف، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١.
- **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
- **تهذيب التهذيب**: لابن حجر، حيدرأباد ١٣٢٥-١٣٢٧هـ.
- **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**: لمحمد بن عبد الله القيسي، المعروف بـ: ابن ناصر الدين الدمشقي، تح محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣.
- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: لابن الأثير، تح عبد القادر الأرناووط، دمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢.
- **جامع البيان في تأويل آي القرآن**: لأبي جعفر الطبري، تح أحمد محمد شاكر وآخرين، مكتبة ابن تيمية، القاهرة د. ت.، ط٢.
- **الجامع لشعب الإيمان**: انظر: شعب الإيمان.
- **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف**: لابن ظهيرة القرشي، ط٥، المكتبة الشعبية، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩.

ـ **الجرح والتعديل**: لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حيدرآباد ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥.

ـ **جمهرة أنساب العرب**: لابن حزم، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.

ـ **جمهرة النسب**: لابن الكلبي، تح محمود فردوس العظم، دمشق ١٩٨٣-١٩٨٦.

ـ **جمهرة نسب قريش وأخبارها**: للزبير بن بكّار، تح محمود محمد شاكر، ج١ فقط، مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨١هـ.

ـ **جوامع السيرة**: لابن حزم، تح إحسان عباس وناصر الدين الأسد، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٥٠؟.

ـ **الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم المعظم**: لأحمد بن حجر الهيتمي، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٣١هـ.

ـ **الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة**: للسيوطي، تح عبد الله محمد الدرويش، دمشق ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

ـ **الخصائص الكبرى**: للسيوطي، تح محمد خليل هراس، القاهرة ١٣٨٧هـ.

ـ **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى**: للسمهودي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢/ ١٩٧٢، والطبعة الثانية، بتعليق الشيخ إبراهيم الفقيه، جدة ١٣٠٣هـ/ ١٩٨٣.

ـ **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: للخزرجي، القاهرة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤.

ـ **خلاصة الذهب المسبوك، مختصر من سير الملوك**: لعبد الرحمن سُنبط قَنيتو الأربلي، إعداد مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٤.

ـ **الدر المنثور**: للسيوطي، القاهرة ١٣١٤هـ.

ـ **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة**: لابن النجار، (نُشر الكتاب في آخر الجزء الثاني من: كتاب **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** لتقي الدين الفاسي)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٦.

- **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة**: لابن النجار، تح حسين محمد علي شكري، دار المدينة المنورة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦.
- **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة**: نشر محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، وهي نشرة رديئة خالية من الفهارس، وتشيع فيها الأوهام.
- **درة الحجال في أسماء الرجال**: لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، تح محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة - تونس ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠.
- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: لابن حجر العسقلاني، حيدرآباد ١٣٤٩هـ.
- **الدرر في اختصار المغازي والسير**: ليوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري، نشرة مصطفى ديب البغا، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤.
- **دلائل النبوة**: لأبي نعيم، حيدرأباد ١٣٢٠هـ.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: للبيهقي، تح عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ في ٧ أجزاء.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: للبيهقي، تح عبد المعطي قلعجي، دار الريان - القاهرة ١٤٠٨هـ.
- **الدليل الشافي على المنهل الصافي**: لابن تغري بردي، تح فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٣.
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: لبرهان الدين إبراهيم بن علي ابن فرحون، مطبعة المعاهد ـ القاهرة ١٩٣٢ (بهامشه نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي).
- **ديوان قيس بن الخطيم**: تح ناصر الدين الأسد، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢ وطبعة بيروت ١٩٦٧.

ـ **ذكر أسماء من تُكلم فيه وهو موثق**: للذهبي، تح محمد شكور بن محمود الميادينيي، مطبعة المنار - الأردن ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦وحُقِّق النص نفسه بعنوان: **معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد**: للذهبي، تح إبراهيم سعيداي إدريس، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.

ـ **رحلة ابن جبير**: دار صادر ـ بيروت ١٣٨٤/ ١٩٦٤.

ـ **رحلة ابن جبير**: دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٨٦.

ـ **الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي**: لسيف بن عمر التميمي، تح قاسم السامرائي، لايدن ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥.

ـ **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**: لمحي الدين بن عبد الظاهر، تح عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦.

ـ **الروض الأُنُف**: لعبد الرحمن السهيلي، تح عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨.

ـ **الروضة الفردوسية والحضرة القدسية**: لمحمد بن أحمد الأقشهري، مخطوطة برلين، بخطه، برقم: Or. 2082.

ـ **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**: لمحمد بن عثمان بن صالح القاضي بعنيزة، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٨٤.

ـ **الروضتين في أخبار الدولتين** و **ذيل الروضتين** المنشور بعنوان: **تراجم رجال القرنين السادس والسابع**: لأبي شامة، نشرعزة العطار، القاهرة ١٩٤٧.

ـ **الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة**: للمحب الطبري، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩ (وطبعة دار الندوة الجديدة بيروت ١٩٨٨).

ـ **السلوك لمعرفة دول الملوك**: للمقريزي، تح محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٣٤-١٩٧٣.

ـ **سنن ابن ماجة**: تح محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٣٧٢-١٣٧٣هـ.

ـ **سنن الترمذي**: **صحيح سنن الترمذي**.

- **سنن الدارمي**: لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار الفكر، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨.
- **سنن أبي داود**: تح محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦.
- **سنن أبي داود**: تح عزت الدعاس وعادل السيد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٨٨هـ.
- **السنن الكبرى**: للبيهقي، حيدرآباد ١٣٤٤هـ.
- **السنن الكبرى**: للنسائي، تح محمد حبيب الله الأثري، بومبي ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.
- **سنن النسائي**: بشرح السيوطي وحاشية السندي، القاهرة ١٣٤٨/ ١٩٣٠.
- **سيرة ابن إسحاق**: (المسماة: بكتاب **المبدأ والمبعث والمغازي**) تح محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط ١٤٩٦هـ/ ١٩٧٦.
- **سيرة صلاح الدين الأيوبي**: **النوادر السلطانية**.
- **السيرة النبوية**: بتهذيب ابن هشام، تح فردناند وستنفيلد، كوتنكن ١٨٥٨-١٨٦٠.
- **السيرة النبوية**: للذهبي، تح حسام الدين القدسي، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨.
- **شرح ديوان الحماسة**: لأبي تمام بشرح المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥١-١٩٥٣.
- **شرح مشكل الآثار**: للطحاوي، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤.
- **شعب الإيمان**: للبيهقي، تح عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: للقاضي عياض، محمد علي صبيح وأولاده، طبعة حجرية، القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦.

ـ **شفاء السقام في زيارة خير الأنام** لتاج الدين السبكي، حيدرأباد ١٣١٥، ط٢، ١٣٧١هـ.

ـ **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**: لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٦.

ـ **صحيح ابن خزيمة**: تح محمد مصطفى الأعظمي، بيروت ١٣٩٠/ ١٣٩٩هـ.

ـ **صحيح البخاري**: طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٤٣-١٣٤٧هـ.

ـ **صحيح سنن الترمذي**: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.

ـ **صحيح مسلم بشرح النووي**: تح عصام الصبابطي وحازم محمد وعماد عامر، دار أبي حيان، دمشق ـ بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥.

ـ **صحيح مسلم**: نشر محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٣٣٤هـ.

ـ **صفة جزيرة العرب**: للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تح محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة بالرياض ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤.

ـ كتاب صورالأقاليم: للاصطخري، تح مولر J.H. Moeller جوته ـ المانيا ١٨٣٩.

ـ **الضعفاء الصغير**: للبخاري، تح محمود إبراهيم زايد حلب ١٣٩٦هـ.

ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: للسخاوي، مصورة دار مكتبة الحياة ببيروت د. ت.

ـ **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**: لكمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي، تح سعد محمد حسن، الدر المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦.

ـ **الطبقات**: لخليفة بن خياط العصفري، تح أكرم ضياء العمري، الرياض ط٢، ١٤٠٢هـ.

ـ **طبقات الحفاظ**: لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.

ـ **طبقات الشافعية**: لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، تح محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، القاهرة ، ط٢، دار هجر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ .

ـ **طبقات الشافعية**: لابن قاضي شهبة، تح عبد العليم خان، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ .

ـ **الطبقات الكبرى: الطبقة الخامسة من الصحابة**: لابن سعد تح محمد صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ .

ـ **الطبقات الكبرى**: لابن سعد، دار صادر، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ .

ـ **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**: لعبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأنصاري، تح عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ .

ـ **العباب الزاهر واللباب الفاخر**: للصاغاني، نشر قسم منه ببغداد سنة ١٩٧٧-١٩٧٩ .

ـ **العبر في خبر من عبر**: للذهبي، تح محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ .

ـ **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب**: لأبي بكر الحازمي، تح عبد الله كنون، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥ .

ـ **عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد**: للقاسم بن فيرة الشاطبي، قازان ١٣٢٦/ ١٩٠٨ .

ـ **العقد الفريد**: لابن عبد ربه، المكتبة التجارية الكبري، القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥ .

ـ **علل الحديث**: لعبد الله بن عدي الجرجاني، تح صبحي السامرائي بغداد سنة ١٩٧٧ .

ـ **علماء نجد خلال ستة قرون**: لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

ـ **العفو والاعتذار**: لمحمد بن عمران العبدي المعروف بالرقام البصري ـ تح عبد

القدوس أبو صالح، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١.

- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**: لابن سيد الناس، تح محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو، دمشق ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢.
- **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**: لعبد العزيز بن فهد، تح فهيم محمد شلتوت، معهد البحوث الإسلامية وإحياء التراث الإسلامي ـ مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٤٠٦/ ١٤٠٩هـ (١٩٨٦/ ١٩٨٩).
- **غريب الحديث**: لحمد بن محمد الخطابي، تح عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢.
- **غريب الحديث**: للقاسم بن سلام، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.
- **الفائق في غريب الحديث**: للزمخشري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٧١:
- **فتح الباب في الكنى والألقاب**: لابن منده الإصبهاني، تح نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لابن حجر العسقلاني، طبع الرئاسة العامة للإفتاء، المملكة العربية السعودية، الرياض، مصورة من طبعة محب الدين الخطيب.
- **الفتح القسي في الفتح القدسي**: للعماد الأصفهاني، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٣٢١هـ.
- **فردوس الأخبار**: للديلمي، تح فوّاز الزمرلي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧.

- **الفردوس بمأثور الخطاب**: لشيرويه الديلمي، اعداد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.
- **الفرق بين الفرق**: للإسفرائيني، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة صبيح وأولاده القاهرة ١٩٦٥.
- **الفصول في اختصار سيرة الرسول**: لابن كثير، تح الخطراوي ومستو، بيروت ١٣٩٩-١٤٠٠هـ.
- **فصول من تاريخ المدينة المنورة**: لعلي حافظ، جدة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦، ط٤.
- **فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام**: للمشرف بن المرجى المقدسي، تح عوفر ليفنه ـ كفري، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، القدس ١٩٩٥.
- **فضائل القدس**: لابن الجوزي، تح جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠.
- **فضائل المدينة المنورة**: لخليل إبراهيم ملاَّ خاطر، دار القبلة الإسلامية وغيرها، جدة ـ بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣.
- **الفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة والتاريخ والتراجم** ..الخ، لقاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤١٦هـ / ١٩٩٥.
- **الفهرست**: للنديم، تح رضا تجدد، طهران ١٣٩١هـ/ ١٩٧١.
- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**: لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، دار الجيل، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠.
- **الكامل في ضعفاء الرجال**: لابن عدي الجرجاني، تح صبحي البدري السامرائي، بغداد ١٩٧٧.
- **الكشاف في التفسير عن حقائق التنزيل**: للزمخشري، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٩.
- **كشف الأستار عن زوائد البزار**: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تح حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٩٧.

- **كتاب الكنى**: للبخاري، ملحق بالجزء الرابع من التاريخ الكبير، حيدرآباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦١-١٣٦٢هـ.
- **لطائف الإشارات في التفسير**: لأبي القاسم القشيري، نشره إبراهيم بسيوني، القاهرة ١٩٦٩.
- **ليس في كلام العرب**: لابن خالويه، تح أحمد عبد الغفور العطار، دار مصر للطباعة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧.
- **ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**: انظر: الأماكن.
- **متن الإيضاح في المناسك**: لشرف الدين النووي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٥.
- **مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن**: لابن الجوزي، تح محمد حسين الذهبي، القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥. وحققه أيضاً مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥.
- **مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**: لأحمد المقدسي، مخطوطة لايدن، Or. 931.
- كتاب **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**: لأبي حاتم البستي، تح محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة بيروت، د.ت.عن نشرة حلب ١٩٧٤-١٩٧٥.
- كتاب **المجالسة وجواهر العلم**: للدينوري، نشره فؤاد سزكين بالتصوير، فرانكفورت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦.
- **مجمع الزوائد**: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٢-١٣٥٣.
- **المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ ابن الدبيثي**: تح مصطفى جواد، بغداد ١٩٦٣.
- **المدينة المنورة**: تطورها العمراني وتراثها المعماري: لصالح لمعي مصطفى، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨١.

ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**: لعبد الله بن أسعد اليافعي، حيدرآباد ١٣٣٧هـ.

ـ **مرآة الحرمين**: لرفعت باشا، القاهرة ١٣٤٤هـ.

ـ **المرتبة الرابعة**: لابن حزم، مخطوطة برلين برقم: ٩٥١٠.

ـ **المسالك والممالك**: لابي عبيد البكري، نشرة ادريان فان ليوفن واندري فيري، قرطاج ـ تونس ١٩٩٢.

ـ **المستدرك على الصحيحين**: للحاكم النيسابوري، حيدرأباد ١٣٣٤هـ، وبيروت ١٩٨٠.

ـ **المستفاد من تاريخ بغداد**: لابن النجار وانتقاء ابن الدمياطي، تح قيصر أبو فرح، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٧١/ ١٣٩١هـ.

ـ **مسند أحمد بن حنبل**: القاهرة ١٣١٣هـ.

ـ **مسند أحمد بن حنبل**: المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨، ط٢.

ـ **مسند أحمد بن حنبل**: تح أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦.

ـ **مسند أحمد بن حنبل**: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٤١٤هـ، ط٢.

ـ **مسند البزار**: لأحمد بن عمرو العتكي البزار، تح محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٤.

ـ **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**: للقاضي عياض، تح البلعمشي أحمد يكن، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢، نشر منه جزءآن حتى الآن.

ـ **المشتبه في الرجال: أسماؤهم وأنسابهم**: للذهبي، تح علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ,١٩٦٢

ـ كتاب **المصاحف**: للسجستاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥.

ـ **المصنف في الأحاديث والآثار**: لابن أبي شيبة، دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩.

ـ **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: لابن حجر، تح حبيب الرحمن

الأعظمي، طبعة مكة المكرمة، مصورة عن طبعة الكويت، د.ت.
ـ **معالم التنزيل**: للبغوي، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١.
ـ **معجم الأدباء**: لياقوت، دار المأمون - القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨.
ـ **معجم الأمثال العربية**: لرياض عبد الحميد مراد، نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦.
ـ **المعجم الأوسط**: للطبراني، تح محمود الطحّان، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٨هـ.
ـ **معجم البلدان**: لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦.
ـ **معجم شيوخ عمربن فهد الهاشمي المكي**: تح محمد الزاهي، دار اليمامة ـ الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢.
ـ **المعجم الصغير**: للطبراني، دهلي ١٣١١هـ (الطبعة الحجرية).
ـ **المعجم الكبير**: للطبراني، تح حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف، بغداد ١٩٧٨.
ـ **المعجم المختص بالمحدثين**: للذهبي، تح محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق ـ الطائف ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.
ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**: مؤسسة برل، لايدن ١٩٤٣ وما بعدها.
ـ **معجم ما استعجم**: لأبي عبيد البكري، تح فردناند وستنفيلد، كوتنكن ١٨٧٧.
ـ **المعرفة والتاريخ**: للبسوي، تح أكرم ضياء العمري، ط٢، بيروت ١٤٠١هـ.
ـ **معرفة السنن والآثار**: للبيهقي، تح عبد المعطي قلعجي، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١.
ـ **معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد**: للذهبي، تح إبراهيم سعيداي إدريس، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، وانظر: **ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق**.

- **مغازي رسول الله ﷺ**: لعروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه، لمحمد مصطفى الأعظمي، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١.
- **المغازي**: للواقدي، تح مارسدن جونس، مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٦٦.
- **المغانم المطابة في معالم طابة**: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (قسم المواضع)، تح حمد الجاسر، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩.
- **المغانم المطابة في معالم طابة**: للفيروزآبادي، مخطوطة فيض الله باستانبول ١٥٢١.
- **مقدمة في الوثائق الإسلامية**: لقاسم السامرائي، دار العلوم، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.
- **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**: للداني، تح برتزل Pretzl, O.، استانبول ١٩٣٢.
- **المقنع في القراءآت والتجويد**: للداني، تح محمد أحمد دحمان، دمشق ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠.
- **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة**: لابن رشيد الفهري، تح محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.
- **الملل والنحل**: للشهرستاني، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨.
- **مناظرة الحرمين ومناضلة المحلين**: لعلي بن يوسف الزرندي المتوفى سنة ٧٧٢هـ، تح سعيد عبد الفتاح، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢.
- **المنتخب من غريب كلام العرب**: لعلي بن الحسن الهنائي المعروف بكُراع النَمل، تح محمد بن أحمد العُمَري، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩.
- **المنتقى شرح موطأ مالك**: لأبي الوليد الباجي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٣٢هـ.
- **المنجَّد في اللغة**: لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع، تح

أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، ط٢، عالم الكتب القاهرة ١٩٨٨.
ـ **المنذري وكتابه التكملة**: لبشار عواد معروف، النجف ١٩٦٨.
ـ **منسك النووي**: انظر: **متن الإيضاح**.
ـ **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**: لابن تغري بردي، تح محمد محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ـ ١٩٨٦ وما بعدها؟.
ـ **المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز**: لأحمد صالح العلي، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج١١، ١٣٨٤/ ١٩٦٤، ص١٢٧ ـ ١٢٩.
ـ **مؤلفات ابن الجوزي**: لعبد الحميد العلوجي، بغداد ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥.
ـ **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تح محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية - بيروت د.ت.
ـ **الموطّا**: لمالك بن أنس، القاهرة (بمطبعة الحجر بخط باب اللوق) ١٢٨٠هـ.
ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣.
ـ **ناسخ الحديث ومنسوخه**: لعمر بن أحمد بن شاهين، تح سمير الزهيري، مكتبة المنار، الزرقاء -الأردن ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.
ـ **نسب قريش**: لمصعب بن عبد الله الزبيري، تح ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦.
ـ **نسب معد واليمن الكبير**: لابن الكلبي، تح محمود فردوس العظم، دمشق ١٩٨٣-١٩٨٨.
ـ **نصيحة المشاور وتسلية المجاور**: لأبي محمد عبد الله بن فرحون، مخطوطة دار الكتب المصرية، برقم: ٦ ش تاريخ.
ـ **نصيحة المشاور وتسلية المجاور**: لابن فرحون، تح حسين محمد شكري، دارالمدينة المنورة، المدينة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦.
ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: لابن الأثير، تح طاهر أحمد الزوواي

ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥.

ـ **النوادر السلطانية**: لابن شداد، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة ١٣١٧هـ.

ـ **نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول**: للحكيم الترمذي، استانبول ١٢٩٤هـ.

ـ **الوفا بأحوال المصطفى**: لابن الجوزي، تح مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦ وتح محمد زهري النجار، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣.

ـ **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى**: للسمهودي، تح حمد الجاسر (ضمن رسائل في تاريخ المدينة) الرياض ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢.

ـ **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى**: للسمهودي، مخطوطة مكتبة جامعة لايدن محفوظة تحت رقم: Or 832 (2).

وهناك مصادر أخرى منثورة في الحواشي

محتويات الجزء الثاني

إصدارات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

١ ـ التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر
تصنيف: د. محمد الحبيب الهيلة
الطبعة الأولى ـ ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م

٢ ـ كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى
تأليف: جار الله بن العز بن النجم بن فهد
تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة
الطبعة الأولى ـ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م

٣ ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
تأليف: نور الدين علي بن عبدالله بن أحمد السمهوري
تحقيق: د. قاسم السامرائي
الطبعة الأولى ـ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م

٤ ـ البيئة الطبيعية لمكة المكرمة
رقية حسين سعد نجيم
الطبعة الأولى ـ ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م